

المجلة التونسية

مجلة علمية أدبية أخلاقية
تصديدها الشهرية منذ سنة ١٩٤٠م

شهرية وستة عشر شهرا

الجزء الاول تونس في شهر رمضان المعظم ١٣٥٩ وفي اكتوبر ١٩٤٠ المجلد الرابع

صاحب المجلة والمدير

محمد الشاذلي بن قابي

المدرس من الطبقة الاولى بجامع الزيتونة

والخطيب الاول بجامع حمودة باشا

المراسلات:

ترد باسم مدير المجلة بمحل الادارة

رئيس قلم التحرير

محمد المنحاز بن محمود

المفتي الحنفي

بالديار التونسية

الادارة:

نهج الباشا رقم ٣٣ بتونس - تليفون ٢٦-٤٩

حساب جاري بادارة البريد رقم ٣٤٢٢

نفس الجزء ثلاثة فرنكات

صفحة	المقال	صاحبه
٢٠	فاتحة المجلد الرابع	صاحب المجلة
٣	الاسلام يدعو الى مكارم الاخلاق	»
٧	باب من لم يدع قول الزور والعمل به ...	المرحوم الشيخ محمد بن القاضي
١٥	كيف اسس الامام الاعظم مذهبه	صاحب المجلة
١٧	الاسلام دين التوحيد الخالص	الشيخ محمد الهادي ابن القاضي
٢٣	عقود الانكحة في تونس	المؤرخ السيد محمد بن الحوجة
٢٧	القضاة الشرعيون في القديم	العلامة الشيخ البشير النيفر
٢٩	قطعة من ديوان الورغي

الاشتراك

عن سنة بالحاضرة وبلدان المملكة والجزائر والمغرب	وصولات الاشتراك لا تعتبر الا اذا
الاقصى وسوريا فرنكات	كانت بمضاهة من امين المال
» في الخارج غير البلاد المذكورة فرنكات ٤٠	محمد الهادي ابن القاضي
الخصم الربع للتلازمة	والخبرات المالية لا تكون الا معه

المجلة التونسية

مجلة علمية أدبية أخلاقية
تصديدها المبيضة من قبل ربي جنة الرحمن التي تقي بها من الميؤساة

شهرية وستة عشر شهرا

الجزء الاول تونس في شهر رمضان المعظم ١٣٥٩ وفي اكتوبر ١٩٤٠ المجلد الرابع

صاحب المجلة والمدير :

يحيى الكاظمي

المدرس من الطبقة الاولى بجامع الزيتونة
والخطيب الاول بجامع حمودة باشا

الادارة :

نهج الباشا رقم ٣٣ بتونس - تليفون ٢٦-٤٩

رئيس قلم التحرير :

محمد المنحار بن محمود

المفتي الحنفي

بالديار التونسية

المراسلات :

ترد باسم مدير المجلة بمحل الادارة

حساب جاري بادارة البريد رقم ٣٤٢٢

ثمن الجزء ثلاثة فرنكات



فاتحة المجلد الرابع

الحمد لله الذي شرح بالاسلام صدور عباده المصطفين الابرار ، واذاقهم حلاوة الايمان فرفعت عنهم الاستار ، فاستقاموا على الطريقة واصبحوا من الخالص الاخيار ، وجعلهم مثلاً يقتدى وامانا من عذاب النار ، والصلاة والسلام على رسول الهدى والرحمة ، الداعي الى الحق بالحكمة ، وعلى آله واصحابه الهادين المهديين ، وكل من جاهد في الحق ولم يكن من المضلين .

اما بعد فقد قضت المجلة الزيتونية سنوات حمدت فيها سيرتها ، وحازت فيها رضا مريديها ، ودعت الناس الى الله بصدق واخلاص . وارشدتهم الى سبيل النجاة ، واهتمت باصلاح الحالة الاجتماعية بقدر ما سمحت به الظروف ، ونصحت المغرورين للتمسك بالآداب الاسلامية . وما يرفع من شان المجتمع . وربما اخذ علينا بعض التقصير ، ولكن نحن نعلم ان الرفق هو اساس النجاح ، اما شدة المقاومة وعدم المبالاة في المواجهة فذلك قد راي الناس انه قليل الثمرة ، وربما وجد المعاند والمكابر من ذلك ما يتخذة وسيلة للمقاومة ، وينقلب الامر الى عراك ومجادلة ويترك الموضوع الاساسي الذي فتحت من اجله المجادلة ، وهذه احوال فشت في كثير من الظروف والمقامات ، فاخذنا على انفسنا ان نتجنبها ولا نزع بانفسنا في خلافات تدعو اليها اغراض النفس السفلة ، ومبدانا في ذلك ما علمنا به القراء ان ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة .

وهذا الشعار واب رام التمسك به الكثير من المصلحين ولكن القليل منهم من تم له مرادة ، ونرجو ان نسال منه القسط الاوفر ، حتى اذا علم الناس جميعا حسن مقصدنا وادركوا شدة تمسكنا بالحق واننا لم ندع الاغراض بنفذ منها سهم فيحز من عزنا مدوا لنا ايديهم وصافحونا على الاخذ بالنصرة الاسلام وادابه والبعد عن الغرور والبدع والمناكر التي تفشت في مجتمعا وارتدت بنا في خضم مليء شورا .

وقد ساهم في امدادنا بالمعونة على ذلك اعيان كتاب القطر وبعض من رجال الشرق والغرب شكرهم سعيهم الحميد وعلى الخصوص الشيخ الحليل المصلح الكبير سيدي محمد الحجوي ورئيس محكمة الاستئناف الشرعي بالدولة الشريفة السلطانية المغربية بآرك الله لنا في حياة الجميع وامدهم باعانتة . وكذلك عملنا لنشر موضوعات علمية وادبية وابحاث تاريخية ووثائق عزيزة الوجود نخص منها ما امدنا به العلامة الحليل الشيخ سيدي عبد الحلي الكتاني ومؤرخ تونس الشهير سيدي محمد بن الحوجه ادام الله النفع للجميع .

وقد زاد في تشجيع القائمين باعباء هذه المجلة مناصرة اهل العلم والادب والفضل واقبالهم عليها واستحسانهم لمناجها وشهادتهم لها

وجدير ان تقدم خالص الشكر والامتنان الى حضرات السادة العلماء والادباء على ما تفضلوا به من المقالات الرائقة والتجارب الفائقة والقصائد التي رصعت جيد المجلة بجواهرها اليتيمة ونبتل الى الله ان يشتنا على القول الثابت ويمنحنا التوفيق والرضا انه سميع مجيب وبالاجابة جدير .

الاسلام

يدعو الى مكارم الاخلاق

ان الله تعالى وضع هذه الشريعة المباركة حنيفة سمحة سهلة حفظ فيها على الخلق قلوبهم من الزيف والضلال وحببها لهم بذلك ، فالله حبب الينا الايمان بتيسيره وتسهيله وزينه في قلوب المؤمنين بذلك وبالوعد الصادق بالجزاء عليه .

ورتب سبحانه فروض الشريعة على قواعد واسس اصلها ثابت وفرعها في السماء بما يحفظ على الانسان العقل والمال والنفس والعرض وجعل سبحانه هذا الدين يسرا وليس بعسر لتحقيق ما كلفهم به فروعي في تكاليف الشريعة اصولا منها التيسير والاخذ بالارفق خشية الملل ودفعاً للحرص .

فقد جاء في الصحيح عن ام المؤمنين عائشة رضي الله عنها عن صاحب الشريعة صلى الله عليه وسلم انه قال . ان هذا الدين متين فاوغلوا فيه برفق ولا تبغضوا الى انفسكم عبادة الله فان المنبت لا ارضا قطع ولا ظهرا ابقى . وقال تعالى وما جعل عليكم في الدين من حرج .

ومنها ملاسة حالتي الرجاء والخوف ليكون حال المؤمن وسطا بين الافراط والتفريط فالخوف سوط سائق يبعده عن غرور النفس ومتابعة الشهوات وتحكيم الهوى الذي يضلّه عن الصراط السوي ، والرجاء قائد يبعث في نفسه النشاط على الطاعة والامتثال والصبر على تكاليف الشريعة وتتولد من هذه الملاسة بعد استحكامها وتقررهما في نفس المؤمن حالة اخرى وهي حالة المحبة التي تزول معها كل المشاق التي يتوهم ان التكليف من حيث هو تكليف للنفس فيه مشقة على المرء وتعب يروم الانفلات منه فان المحبة اذا تمكنت من نفس المحب يصير بها يعمل ويبذل المجهود في سبيل ارضاء المحبوب فيصير ما يتخيل انه صعب سهلا عليه سيما بعد ان يدرك ان منفعة عمله انما ترجع اليه خاصة اما في العاجلة او الآجلة بل يرى نفسه مقصرا في الايفاء بعهد المحبة كلما توغلت نفسه فيها ولا انه قام بشكر النعمة التي ما انكف يتقلب فيها اناه الليل واطراف النهار ويغمره بها المنعم جل انعامه .

والانسان بما ركبت فيه من شهوات وما استقر في نفسه من الميل لحظوظه الحيوية كان مشغوقا في حياته كلها بتحقيق تلك الحظوظ والنيل من الشهوات بقسط او فرا او قليل حسبما تسمح له به طاقته يسعى كل السعي لنيل مرغوبه ويرى السعادة في ذلك ولكن الله جلت حكمه لم يتركه وشانه يتخبط

بين الحق والباطل بل اقام له حاجزا يفرق بين الحق والباطل وجعل له اماما يهديه سبيل السعادة بما يكفل له استيفاء حظوظه التي لا ضرر فيها ومنعه من مسايرة الهوى والميل مع الشهوات والحظوظ مطلقا لان الاسترسال في ذلك من غير تقييد فساد كبير والله لا يجب لعبادة الفساد .

ولرفع هذا الاسترسال وكبح جماح الانفس بعث الله الرسول الاكرم بشرع عدل روعي فيه جانب الخالق سبحانه وما يتطلبه حال المخلوق بالنظر الى كونه عبدا لله تعالى من جهة وبالنظر الى كونه بشرا انسانا وبالنظر الى كونه خليفة في الارض من جهة اخرى فجاء الرسول صلى الله عليه وسلم بالهدى والعلم الذي يحفظ الحقوق ويحقق تلك الانتظار فكانت محاسن الشريعة الاسلامية في عقائدها وفي عباداتها وفي معاملاتها وفيما اوصت به من اخلاق فاضلة وصفات كريمة كل ذلك مراعى فيه مصالح البشر بما يعود نفعه عليهم في العاجلة والآجلة وحسبك انه النور السرمدي والرحمة الربانية التي بعث بها رسول الرحمة والهدى لارشاد العباد الى ما فيه سعادتهم في الدنيا والآخرة

وقصدنا في هذه العجالة ان نذكر بما جاءت به الشريعة في باب الاخلاق الذي هو قسم مستقل برأسه اهتمت به الشريعة ايماء اهتمام ورغبت في الاعتناء به ايماء ترغيب حتى قال عليه الصلاة والسلام في حقه بعثت لاتمم مكارم الاخلاق .

وكان الناس من فرط اهمالهم لامر الاخلاق يحسبه الجاهل منهم أمرا وراء التكاليف الشرعية فلا يعيرها وزنا ولا يقرأ له حسابا كان الله لم يكلفه به وكان الرسول لم يشرع فيه شيئا واذا سمع الناس من مرشد واعظ مواعظ اخلاقية اعتبروها امورا تكميلية لا تستحق كبير اهتمام فلا تتأثر بها نفوسهم ولا تحفظها قلوبهم واذا جاء طور العمل عمل كل انسان بما تخلق به لا يفكر فيما سمعه من المرشد ~~تفكير~~ كيرا ما فضلا عن كونه يسعى في مقاومة نفسه او يجد في ترويضها بما ضعف فيها او كانت بمعزل عنه مع ان صاحب الشريعة ما انفك يعمل مدة البعثة لغرس الاخلاق الفاضلة في النفوس وتمكينها منها وتزيتها على الاخذ بها حتى ظهر آثار ذلك في نفوس الصحابة رضي الله عنهم وقصت علينا كتب السير من ذلك الشيء الكثير .

وانت اذا تأملت في سبب انتشار القبائح وفشوها بين الناس بان لك بوضوح ان سبب ذلك يرجع الى تدهور الاخلاق وسقوطها بصورة تركت المجال فسيحا لنفاق سوق الممالك فاعتاد الناس الشر وسارت اليه خطاهم عن عجل فعزت الفضيلة وقل أهلها والراغبون فيها وطغت عليهم موجة الشر وتصوروا الامور على غير وجهها الصحيح فضلوا واضلوا الناس على غير علم والناس من طبعهم التقليد وقليل منهم المتبصرون ولا تعجب من ذكر هذا السبب واعتبار الاخلاق هي الركن الاساسي لان الخلق هو ملكة راسخة في النفس تصدر عنها الافعال النفسانية من اعتقاد أو قبول أو عمل

بسهولة من غير نظر وتفكر فكل قبيح مصدره سوء الخلق وكل حسن مصدره حسن الخلق والخلق هو المسيطر على حركة النفس التي تنشأ عنها افعال العباد الظاهرة والباطنة وهذه المملكة منها ما هو جبلة ومنها مكتسب وهو الاصح قال القرطبي الخلق جبلة في نوع الانسان وهم في ذلك متفاوتون فمن غلب عليه شيء منها كان محمودا والا فهو المأمور بالمجاهدة فيه حتى يصير محمودا صاحبه حتى يقوى وقد وقع في حديث الاشج انه صلى الله عليه وسلم قال له ان فيك لخصلتين يحبهما الله الحلم والاناة . قال يا رسول الله قديما كانا في أو حديثا . قال قديما قال الحمد لله الذي جبلني على خلتين يحبهما . رواه احمد والنسائي وصححه ابن حبان قال فترديد السؤال وتقريره عليه يشعر بأن في الخلق ما هو جبلي وما هو مكتسب وهذا هو الحق بدليل ان الشرع الاسلامي امر بمحاسن الاخلاق واغرى العباد عليها وحذر من القبائح وتوعد عليها وما ذلك الا لاكتساب الاخلاق الحميدة والتباعد عن الاخلاق الذميمة . قال الشيخ عبد الغني النابلسي : ولو لم يمكن التغيير في الاخلاق ما كان الامر والنهي فائدة .

ومنشأ الخلق قوى النفس الانسانية وهي ثلاثة قوى قوة الادراك وقوة الغضب وقوة الشهوة وكل هذه الثلاثة على ثلاث مراتب مرتبة الاعتدال ومرتبة الزيادة ومرتبة النقصان وهما الافراط والتفريط . فاعتدال قوة الادراك - الحكمة - وهي ملكة راسخة في النفس تدرك بها النفس الصواب من الخطا وهو القدر المحمود المطلوب حصوله في الانفس وما سواه افراط او تفريط اما الافراط فهو الجريزة يصدر بسببها من الانسان افعال يتضرر الغير بها كما هي عادة اهل المكر والدهى والخذلية المتحذقين في الاحوال الدنيوية ويقابل الجريزة البلادة يقصر صاحبها عن ادراك الخير والشر وهي الصفة الكثيرة الوجود التي تستلزم من القصور عدم نشاط الانسان الى الخير من كل الاحوال الدنيوية والاخرية .

واعتدال قوة الغضب - الشجاعة - التي بها يقدم الانسان على الامور الصعبة التي ينبغي ان يقدم عليها . وافراط الغضب النهور وهو الاقدام على الشيء بقله مبالاة فيقدم على امور لا ينبغي له ان يقدم عليها فيقع في المحذور . ويقابله الحزن وهو الاحجام عن مباشرة ما يلزم فعله في حقه . واعتدال قوة الشهوة - العفة - التي بها يباشر الانسان المشتبهات على وفق احكام الشرع وما تستدعيه المروءة .

وافراط الشهوة الشره والفجور . والشره غلبة الحرص للتحصيل على المرغوب على اي صورة . كان . والفجور هو الكذب والانبعاث في المعاصي فاذا فجر تناول المشتبهات كيفما كانت حلالا او حراما من غير مبالاة . ويقابل الشره والفجور ، الحمود الذي به يقصر الانسان عن استيفاء ما

يتطلب من المشتبهات المباحة شرعا لضعف في البنية او كبر او مرض او خوف او نحو ذلك فيتسبب عنه انطفاء حرارة القوة الشهوانية .

فعرفت بهذا ان ملاك الاخلاق الفاضلة في اعتدال هذه القوى الثلاثة وهي :

الحكمة والشجاعة والعفة .

قال علماء التربية ان هذه الثلاثة تحصل في الانسان باستخدام قوة الفكر لقوة الغضب والشهوة وقهرهما حتى تدخلتا تحت سلطانهما فلم يبق لهما اثر في النفس مستقلا .

والاطراف وهي الجبرزة والبلادة والتهور والجبن والشره والحمود تحصل في النفس وتقوى باستخدام قوة الغضب والشهوة لقوة الفكر حتى يكونا مسيطرين عليها بالغلبة فيكون الانسان تحت تأثيرهما ولم يكن لقوة الفكر سلطان مهيمن وبذلك يقع الانسان في المهالك ولا يجد في نفسه كابحا يقيد نفسه عن ورود المعاطب حيث اصبح مغلوبا على امره لضعف قوة التفكير ودخولها تحت سيطرة الغير عوض ان تكون هي المسيطرة .

على انا نقول ان الاعتدالات الثلاثة انما تكون محاسن اذ سلبت من الاغراض الفاسدة اما اذا كانت مشوبة بمقصد خبيث كما اذا قصد بالشجاعة تشفي النفس او بالعفة الكبر فانها تدخل في الرذائل وعلى هذا القياس .

فكل خالق من الاخلاق الانسانية ناشيء ومتولد عن ضعف قوة الفكر وسيطرة قوة الشهوة والغضب فتحصل عن ذلك الاطراف وتتغلب في النفس وتكون هي البارزة مجتمعة او منفردة .

واهم الامور التي تجعل قوة الفكر هي المهيمنة الوازع الديني وهو يقوى ويضعف في نفس المؤمن فاذا قوي حصلت الاستقامة واذا ضعف كانت الاخرى فوجب بمقتضى هذا التدرج ان نهتم بتقوية الوازع الديني في النفوس لنضمن لانفسنا رادعا مسيطرا يكبح جماحها وتستقيم بذلك اخلاقنا وتسود فينا آداب الاسلام .

بسم الله الرحمن الرحيم



الحديث الشريف

باب من لم يدع قول الزور والعمل به

عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ (رواه البخاري)

الشرح

الصوم عبادة تظافر على تعظيمها الشرع والعادة ، اذ هي تكف النفس عن شهواتها وتقربها من الله بترك عاداتها ، وتخرجها عن شبه البهائم الى شبه الملائكة المقربين ، وتذكر الاغنياء بحال المساكين ، وبالجملة فالصوم جنة ، وسبيل الى الجنة .

قال بعض العصرين المهتدين ما احوج النفس التي غرقت في لذائذ الحياة وانغمست في الترف والنعيم ان تشعر ردحا من الزمن بالحاجة الى المربي الاعظم وتذكر نعمته عليها ولا يذكر بالنعمة الا فقدانها كما قالوا الصحة تاج على رؤوس الاصحاء لا يراه الا المرضى . فالانسان دائما مولع بالنظر الى ما حرم منه غافل عن الاعتداد بما متع به ولذلك جاءت الآيات تترى حائرة على تذكر النعم للقيام بشكرها ومن اعظم نعم الله على عباده المؤمنين التي تكررت حتى اصبحت كأنها امر طبيعي مألوف لا يحس به هو الا طعام من جوع فاقضت حكمة العليم الحكيم أن يكلف الانسان ان يجيع نفسه جزءا من الزمن ليشكر نعمته عليه وليذكر حال من حرم من هذه النعمة بسبب الفقر فيعطف عليه ويهذب نفسه ببيان عجزها وضعفها حتى ترجع لحاقتها ثم تعويد النفس على ضبط عواطفها وتربية ملكة الصبر والامانة فيها وقال ناصر الدين البضاوي ليس المقصود من شرعية الصوم نفس الجوع والعطش بل ما يتبعه من كسر الشهوات وتطويع النفس الامارة للنفس المطمئنة والى هذا المعنى يلوح تقي الدين السبكي حيث قال : لا شك ان التكليف قد ترد باشياء وينه بها على اخرى بطريق الإشارة فليس المقصود من الصوم العدم المحض كما في المنهيات لانه يشترط له النية بالاجماع ولعل القصد به في الاصل الامساك عن جميع المخالفات لكن لما كان ذلك يشق خفف الله وأمر بالامساك عن المفطرات

ونبه الغافل بذلك على الامساك عن جميع المخالفات وارشد الى ذلك كثير من احاديث سيد المرسلين وهو المبين عن الله مراده ومن ذلك ما اخرج به امام دار الهجرة رضي الله عنه عن ابي الزناد عن الاعرج عن ابي هريرة رضي الله عنه من قوله صلى الله عليه وسلم الصوم جنة فاذا كان احدكم صائما فلا يرفث ولا يجهل ومن ذلك ايضا حديث الباب وهو قوله صلى الله عليه وسلم من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في ان يدع طعامه وشرابه فان معناه من لم يترك الكذب والميل عن الحق ويعمل بما اقتضاه ذلك مما نهى الله عنه فليس لله حاجة في ان يدع طعامه وشرابه قال ابن بطال وليس المراد ان يؤمر بان يدع صيامه وانما معناه التحذير من قول الزور والعمل به وهو مثل قوله صلى الله عليه وسلم من باع الحمر فليشتقص الخنازير اي يذبحها ولكنه على التحذير والتعظيم لا ثم بائع الحمر .

وقد استشكل مفهوم الحديث بانه يقتضي ثبوت الحاجة لله تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا واختلف الشراح في الجواب فذهب ابن بطال الى ان المعنى فليس لله ارادة في صيامه وتعقبه في الارشاد بانه لو لم يرد الله تركه لطعامه وشرابه لم يقع الترك ضرورة ان كل واقع تعلقت الارادة بوقوعه ولولا ذلك لم يقع شيء . واجاب عنه العلامة السندي بانه تسامح في العبارة والمراد ما يلزم الارادة عادة من المحبة والرضا وان لم يكن ذلك لازم الارادة بالنظر الى الله تعالى عند اهل السنة والذي ارتضاه العلامة القسطلاني انه مجاز عن عدم الالتفات والقبول فنفي السبب واراد المسبب والا فالحق لا يحتاج الى شيء كما قاله ناصر الدين البضاوي واجاب ابن المنير بانه كناية عن عدم القبول كما يقول المغضب لمن رد عليه شيئا طلبه منه فلم يقم به لا حاجة لي بكذا فالمراد رد الصوم الملبس بالزور وقبول الصوم السالم منه وقريب من هذا قوله تعالى (لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم) فان معناه لن يصيب رضا الذي ينشأ عنه القبول . واجاب الطيبي بانه لما دل قوله الصوم لي وانا اجزي به عن شدة اختصاص الصوم به من بين سائر العبادات وانه مما يبالي به فرع عليه قوله فليس لله حاجة في ان يدع طعامه وشرابه .

قال شهاب الدين القرافي خصص صاحب الشرع الصوم بهذه الاضافة الموجبة للتشريف له على غيره مع ان الفتوى على ان الصلاة افضل منه فلا بد لهذه الاضافة والتخصيص من فارق اوجب ذلك وذكر العلماء رضي الله عنهم فيه فروقا وذكر رحمه الله تعالى عدة انتقدها الواحد بعد الآخر الى ان قال : ولم ار فرقا تقربه العين ويسكن اليه القلب . قال العلامة ابن الشاطح احسن ما قيل في ذلك عندي القول الذي افترض به وهو ان الصوم امر خفي لا يمكن الاطلاع عليه حقيقة لغير الله تعالى فلذلك نبه على شرفه بخلاف الصلاة والجهاد وغيرهما وما اورده عليه من الايمان وسائر أفعال القلوب يجاب عنه بان المراد الاعمال الظاهرة لا الباطنة وان الصوم اختص دونها بهذه المزية ولا

يرد عليه ككون الصلاة افضل منه لانه تعارض بين المزية والافضلية كما قرر في محله ويؤيده ما في الفتح حيث قال : ان الفرق ان الصوم لا يقع فيه الرياء كما يقع في غيره لانه لا يظهر من ابن آدم بفعله وانما هو شيء في القلب ويشهد بذلك ما رواه الزهري مرسلًا من قوله صلى الله عليه وسلم ليس في الصوم رياء . قال الطبري لما كانت الاعمال يدخلها الرياء والصوم لا يطلع عليه بمجرد فعله الا الله اضافته الى نفسه ولهذا قال في الحديث يدع شهوته من اجلي

قال العلامة ابن العربي ومقتضى هذا الحديث ان من لم يدع قول الزور والعمل به لا يثاب على صيامه وأيده تقي الدين السبكي بما حاصله ان في حديث الباب ونحوه دلالة قوية على ذلك لان قول الزور والعمل به مما علم النهي عنه مطلقًا والصوم مأمور به مطلقًا فلو كانت هذه الامور اذا حصلت فيه لم يتأثر بها لم يكن لذكرها فيه مشروطة به معنى فلما ذكرت نهيتا على أمرين أحدهما زيادة قبجها بالصوم على غيرها والثاني البحث عن سلامة الصوم منها وان سلامته منها صفة كمال فيه وقوة الكلام تقتضي ان يقبح ذلك لاجل الصوم فمقتضى ذلك يكمل بالسلامة عنها فاذا لم يسلم عنها نقص فصح قول العلامة ابن العربي انه لا يثاب على صيامه .

قلت ويؤيده ان قوله صلى الله عليه وسلم فليس لله حاجة مجاز عن عدم القبول للمزوم لعدم المثوبة .

وربما يقال ان النهي عن الصوم مع قول الزور نهي عنه لمعنى مجاور وهو يفيد ان فيه ثوابا كالصلاة في الارض المنصوبة فقد صرح في التلويح بان الخلاف بيننا وبين الشافعي في ان النهي يقتضي الصحة عندنا بمعنى استحقاق الثواب وسقوط القضاء وموافقة امر الشارع فالجواب بان العلامة الفنري بحث معه في ارادة استحقاق الثواب بل المراد ما سواها والصحة لا تقتضي الثواب كالوضوء بلا نية والصلاة مع الرياء .

وقول الزور هو الكذب وهو حرام بالاجماع قال العلامة الالوسي الكذب هو الإخبار عن الشيء على خلاف ما هو عليه في نفس الامر عندنا وفي الاعتقاد عند النظام وفيهما عند الجاحظ وكل مقصد محمود يمكن التوصل اليه بالصدق والكذب جميعا فالكذب فيه حرام لعدم الحاجة اليه فان لم يكن الا بالكذب فالكذب فيه مباح ان كان تحصيل ذلك المقصود مباحا وواجب ان كان واجبا . وصرح في الحديث بجوازها في ثلاثة مواطن في الحرب واصلاح ذات البين وكذب الرجل لامرأته ليرضيها ولا يحصر ولهذا جاز تلقين الذين أقروا بالحدود الرجوع عن الاقرار فينبغي ان يقابل بين مفسدة الكذب والمفسدة المترتبة على الصدق فان كانت المفسدة في الصدق أشد ضررا فله الكذب وان كان عكسه أو شك حرم عليه فما قاله الامام البيضاوي عفا الله تعالى عنه من ان الكذب حرام كله يوشك أن يكون مما سها فيه . قلت يا للعجب من هذا التحرير وهو حنفي كيف نسب الامام

البضاوي الى السهو والحال أن ما قاله هو مذهب الكثير من الحنفية ففي الدر المختار الكذب مباح لاهياء حقه ودفع الظلم عن نفسه والمراد التعريض لان عين الكذب حرام قال في المجتبى قال عليه الصلاة والسلام كل كذب مكتوب لا محالة الا ثلاثة الرجل مع امرأته أو ولده والرجل يصلح بين اثنين والحرب فان الحرب خدعه فقال الطحاوي وغيره هو محمول على المعارض لان عين الكذب حرام وهو الحق فقد قال الله تعالى قتل الخراصون .

وقال عليه الصلاة والسلام الكذب مع الفجور وهما في النار ولم يتعين عين الكذب للنجاة وتحصيل المرام قال المولى ابن عابدين ويؤيده ما روي عن علي وعمران ابن حصين وغيرهما ان في المعارض مندوحة عن الكذب وهو حديث حسن له حكم الرفع وحيثذ فلاستثناء في الحديث لما في الثلاثة من صورة الكذب وحيث ابيح التعريض لحالة لا يباح لغيرها لانه يوهم الكذب وان لم يكن اللفظ كذبا . ونقل الشيخ محمد السفرايني مثل ذلك عن الحنابلة مرجوحا . ونقل حجة الاسلام الغزالي عن السلف ان في المعارض مندوحة عن الكذب . وقال عمر رضي الله عنه في المعارض ما يكفي الرجل عن الكذب وروي ذلك عن ابن عباس وغيره فما قاله ناصر الدين ليس بدعا في القول حتى يقال يوشك ان يكون مما سها فيه . غير أن ما قاله العلامة الالوسي هو مذهب جمهور العلماء وعليه اكثر الشافعية والحنابلة وبعض الحنفية وبه صرح الغز بن عبد السلام من علماء المالكية ويمكن تأييده بثلاثة أوجه .

أولها أن التعريض قد يكون غير ممكن ولا يمكن الخلاص الا بالكذب وفي هاته الصورة يجوز الكذب قطعاً قال الامام النووي لو اختفى مسلم من ظالم يريد قتله فلقى رجلا فقال أرأيت فلانا فانه لا يخبره به ويجب عليه الكذب في هاته الحالة ولو احتاج للحلف في انجاء معصوم من هلكه . قال الامام الموقف لان انجاء المعصوم واجب .

الثاني ان الاعاديث المشهورة التي كادت ان تبلغ حد التواتر صريحة في جواز الكذب في الحرب والاصلاح بين الناس وحديث الرجل زوجته . وتأويلها بما أولوها به بعيد جدا .
الثالث ان من الكذب ما لا اثم فيه اجماعا ككذب الناسي إذ شرط الاثم في الكذب العمد على ما ياتي تحريره فلا يتم العموم المدعى وهو كل كذب حرام .

قال العلامة السفرايني لا يشترط في كون الكذب كذبا تعمده واكثر الاحاديث يشهد لذلك حيث دل على انقسام الكذب الى متممد وغيره نعم التعمد شرط لكونه اثم كما صرح به الامام النووي في شرح مسلم وقال انه مذهب اهل السنة الا أنه لم يذكر قوله صلى الله عليه وسلم كفى بالمرء كذبا ان يحدث بكل ما سمع فالظاهر انه ياتم مع عدم تعمد الكذب ولكنه لما علم انه يسمع الصدق والكذب وجب عليه التحري وذهبت طائفة الى ان العمد لا يشترط في الكذب على النبي صلى الله عليه وسلم

لقوله لا تكذبوا علي فانه من كذب علي فليجل النار فانه يتناول غير العائد ولم يقع فيه العمد في رواية البخاري . ويشكل عليه انه بعمومه يتناول الساهي والناسي وقد انعقد الاجماع على انه لا اثم عليهما لان النسيان يرفع الائم لقوله صلى الله عليه وسلم وضع عن اثم الخطا والنسيان وما استكرهوا عليه فالحديث غير باق على عمومه قطعا حتى يستدل بعمومه ثم ان الفعل الذي فعل نسيانا لفعل آخرينا فيه لا شك ان حكمه الاباحة او الحظر مع رفع ما يترتب على ذلك من الذم لان الباقي من الاحكام لا يصلح قطعا والمقرر في الاصول انه لا زائد على الخمسة في خطاب التكليف واعترض ذلك ابو اسحاق الشاطبي في الموافقات واخترع قسما زائدا على الخمسة وهو العفو واستدل له بوجوه منها ان الاحكام الخمسة انما تتعلق بافعال المكلفين مع القصد الى الفعل واما بدون ذلك فلا تتعلق تلك الاحكام بها واذا لم يتعلق حكم منها مع وجدان الفعل من غير قصد ممن شأنه ان تتعلق به تلك الاحكام فهو معنى العفو المتكلم فيه وكأنه يشير رحمه الله الى ان الناسي ونحوه من قبيل الغافل والصواب امتناع تكليفه لان مقتضى التكليف بالشيء الاتيان به امتثالا وذلك يتوقف على العلم بالتكليف به والغافل لا يعلم ذلك فيمتنع تكليفه ومما استدل به ايضا النص على هذه المرتبة بالخصوص فقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله فرض فرائض فلا تضيعوها ونهى عن اشيء فلا تنهكوها وحدد حدودا فلا تعتدوها وعفى عن اشيء رحمة بكم لا عن نسيان فلا تبحثوا عنها ثم أيد مدعاه بما يدل عليه في الجملة كقوله تعال عفا الله عنك لم اذنت لهم وبما ثبت في الشريعة من العفو عن الخطا في الاجتهاد حسبما بسطه الاصوليون والعفو عن عشرات ذوي الهيات فانه ثبت في الشريعة اقلالهم في الزلات وان لا يعاملوا بسببها معاملة غيرهم فقد جاء في الحديث اقبلوا ذوي الهيات عنراهم وفي الحديث الآخر تجافوا عن عقوبة ذوي المروءة والصالح وقد روي العمل بذلك عن محمد بن ابي بكر بن عمر بن حزم فانه قضى به في رجل من آل عمر ابن الخطاب رضي الله عنه شج رجلا وضربه فارسله وقال له انت من ذوي الهيات . قلت وعلى هذا درج بعض ائمتنا فقد قال الحكم الشهيد في كفالة الكافي اذا كان المدعى عليه رجلا له مروءة وخطر استحدثت ان لا احبسه ولا اعزره اذا كان ذلك اول ما فعل ونقل ابن رستم في النوادر عن محمد بن الحسن انه يوعظ حتى لا يعود فان عاد ضرب التعزير لتكرار ذلك منه . ثم ان ابا اسحاق الشاطبي رجع اخيرا لما قرره اهل الاصول من حصر الاحكام في الخمسة واستدل بوجوه يطول ذكرها ورد ما تقدم من الادلة بانه لا دلالة فيه على خروج هذه المرتبة عن الاحكام الخمسة لامكان الجمع بينهما ولان العفو اخروي والكلام في الاحكام الدنياوية ولان ما ذكر من انواع العفو داخل تحت الخمسة فان العفو فيها راجع الى رفع حكم الخطا والنسيان والاكراه والخرج وذلك يقتضي اما الجواز بمعنى الاباحة واما رفع ما يترتب على

المخالفة من الذنب بسبب العقاب وذلك يقتضي اثبات الامر والنهي مع رفع آثارهما لمعارض فارتفع الحكم بمرتبة العفو وانما زائد على الاحكام الخمسة

قلت وكأنه يشير بقوله وما ذكر من انواعه داخل تحت الخمسة لمنع ان يكون الناسى ونحوه من قبيل الغافل الذي لا قصد له والاحكام الخمسة انما تتعلق مع القصد الى الفعل لما حرره سعد الدين التفتزاني في حواشي العنبر من ان الغافل الذي لا يتوجه اليه الخطاب هو السني لا يفهم الخطاب كالصبيان او يفهم لكنه لم يقل له انه مكلف كالذي لم تصل اليه دعوة نبي وبالجملة فان الذي لا يتوجه اليه الخطاب الغافل عن التصور لا الغافل عن التصديق وفي شرح النقاية لا يخفى ان الناسى من قبيل القسم الثاني لا من قبيل القسم الاول فيتعلق به من الاحكام ما يناسب ان يتعلق به . فان قيل هل الكذب على النبي صلى الله عليه وسلم حكمه كحكم الكذب على غيره ؟ قلت حكى امام الحرمين عن والده أبي محمد الجويني أنه كان يقول من كذب على النبي صلى الله عليه وسلم متعمدا كفر وأريق دمه وضغفه الامام وجعله من هفوات والده وتبعه من بعده قال الامام النووي في شرح حديث من كذب علي فليتبوأ مقعده من النار معنى الحديث أن هذا جزاؤه وقد يجازى به وقد يعفو الله تعالى عنه ولا يقطع بدخوله النار وهكذا سبيل كل ما جاء من الوعيد بالنار لاصحاب الكبائر غير الكفر ثم إن جوزي وأدخل النار لا يخلد فيها بل لا بد من خروجه منها بفضل الله تعالى ورحمته . وانتصر ابن المنير لابي محمد الجويني بان خصوصية الوعيد توجب ذلك إذ لو كان بمطلق النار لكان كل كاذب كاذب كذلك عليه أو على غيره فانما الوعيد بالخلود ولهذا قال فليتبوأ أي فليتخذها مسكنا وذلك هو الخلود وبأن الكذب عليه في تحليل حرام مثلا لا ينفك عن استحلال ذلك الحرام أو الحمل على استحلاله واستحلال الحرام كفر والحمل على الكفر كفر . ورد الأول بان دلالة التوبة على الخلود غير مسلمة ولو سلمت فلا نسلم أن الوعيد بالخلود مقتضى للكفر بدليل متعمد القتل الحرام كما رد الثاني بأننا لا نسلم أن الكذب عليه ملازم لاستحلاله ولا لاستحلال متعلقه فقد يكذب عليه في تحليل حرام مثلا مع قطعه بأن الكذب عليه حرم وان ذلك الحرام ليس بمستحل كما تقدم العصاة من المؤمنين على الكبائر مع اعتقادهم حرمتها .

قال في العمدة فان قلت الكذب من حيث هو معصية فكل كاذب عاص وكل عاص يلج النار لقوله تعالى ومن يعص الله ورسوله ويتمدد حدوده يدخله نارا خالدا فيها فما فائدة لفظة علي فان الحكم عام في كل كذب على كل أحد .

فالجواب ان الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم اشد من الكذب على غيره لكونه مقتضيا شرعا عاما باقيا الى يوم القيامة فخص بالذكر لذلك .

ورأيت لبعض المحققين فرقا آخر وهو ان الكذب عليه ممنوع مطلقا والكذب على غيره فيه

تفصيل وقد تقدم بيانه ويؤيده ما صرح به الجمهور من أنه لا فرق في تحريم الكذب على النبي صلى الله عليه وسلم بين ما كان في الاحكام وغيره كالترغيب والترهيب فكله حرام من أكبر الكبائر باجماع المسلمين المعتد بهم خلافا للكرامية في زعمهم الباطل أنه يجوز الوضع في الترغيب والترهيب وتابعهم كثير من الحملة .

ومنهم من زعم انه جاء في رواية من كذب علي معتمدا ليضل به وتمسك بهذه الزيادة وانه كذب له لا عليه وهذا فاسد ومخالف للاجماع وجهل بلسان العرب وخطاب الشرع فان كل ذلك كذب عليه عندهم لان معنى كذب عليه نسب الكلام اليه كاذبا سواء كان عليه اوله واما تعلقهم بهذه الزيادة فاجيب عنه باجوبة منها ان هذه الزيادة باطلة باتفاق الحفاظ على بطلانها . ومنها ما قاله الطحاوي انها لو صحت لكانت للتأكيد كقوله تعالى فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا ليضل الناس بغير علم . ومنها ان اللام في ليضل ليست للتعليل بل هي لام الصيرورة والعاقبة والمعنى على هذا يصير ككذبه الى الضلال به

واما الكذب على الله تعالى فيكيفك فيه قوله عز وجل فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا . وقوله انما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله وقوله ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون متاع قليل ولهم عذاب اليم وغير ذلك من الآيات السينات والاحاديث التي لا تحصى

وقد بان بما قررناه ان الكذب على المؤمنين معصية وعلى الرسول اشد وعلى الله اشد واكبر قال حجة الاسلام الغزالي ان اللسان من نعم الله العظيمة ولطائف صنعه الغريبة فانه صغير جرمه عظيم طاعته وجرمه اذ لا يستين الكفر والايمان الا بشهادة اللسان وهما غاية الطاعة والمعيان كما ان من اعظم آثامه القول على الله بلا علم . قال العالم الرباني شيخ الاسلام الثاني قدس الله روحه ان المحرمات نوعان محرم لذاته لا يباح بحال ومحرم تحريمه عارض في وقت دون وقت قال الله تعالى في المحرم لذاته (قل انما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن) ثم انتقل منه الى ما هو اعظم منه فقال (والاثم والبغي بغير الحق) ثم انتقل منه الى ما هو اعظم منه فقال (وان تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا) ثم انتقل منه الى ما هو اعظم منه فقال (وان تقولوا على الله ما لا تعلمون) فهذا اعظم المحرمات عند الله واشدها اثما فانه يتضمن الكذب على الله ونسبته الى ما لا يليق به وتغيير دينه وتبديله ونفي ما اثبتته واثبات ما نقاه وتحقيق ما ابطله وابطال ما احقه وعداوة من والاه وموالاة من عاداه وحب من ابغضه وبعض ما احبه ووصفه بما لا يليق به في ذاته وصفاته واقواله وافعاله فليس في اجناس المحرمات اعظم عند الله منه ولا اشد اثما وهو اصل الشرك والكفر وعليه اسست البدع والضلالات فكل بدعة مضلة في الدين اساسها القول على الله بلا علم ولهذا اشد نكير السلف والائمة لها وصاحوا باهلها من اقطار الارض وحنروا فتنهم اشد التحذير وبالغوا في ذلك ما لم يبالغوا مثله في انكار الفواحش

والظلم والعدوان اذ مضرة البدع وهدمها للدين ومناقاتها له اشد وقد انكر تعالى على من نسب الى دينه تحليل شيء او تحريمه من عنده بلا برهان من الله فقال جل وعز ولا تقولوا لما تصف السنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب

ثم قال فذنوب اهل البدع كلها لا تتحقق التوبة منها الا بالتوبة من البدع وانى بالتوبة منها لمن لم يعلم انها بدعة او يظنها سنة فهو يدعو اليها ويحض عليها .

ومما يزيدنا ايماناً بعظم خطر اللسان حديث معاذ ابن جبل قال رضي الله عنه قلت يا رسول الله اخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني من النار قال لقد سالت عن عظيم وانه ليسير على من يسره الله عليه تعبد الله ولا تشرك به شيئاً وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت .

ثم قال الا ادلك على ابواب الخير الصوم حنة والصدقة تطفئ الحطية كما يطفئ الماء النار وصلاة الرجل من خوف الليل ثم تلا تتجافى جنوبهم عن المضاجع حتى بلغ يعملون ثم قال الا اخبرك برأس الامر وعموده وذروة سنامه قلت بلى يا رسول الله قال رأس الامر الاسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد ثم قال الا اخبرك بملاك ذلك كله قلت بلى يا رسول الله فاخذ بلسانه وقال كف عليك هذا ، قلت يا نبي الله وانا لمؤاخذون بما نتكلم به ، فقال ثكلتك امك وهل يكب الناس على مناخرهم في النار الا حصائد السنتهم . رواه الترمذي وقال حديث صحيح .

وروى ابن ابي ليلي والبخاري عن انس رضي الله عنه قال لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم اباذر فقال يا اباذر هل ادلك على خصلتين هما خفيفتان على الظهر واثقل في الميزان من غيرهم قال بلى يا رسول الله قال عليك بحسن الخلق وطول الصمت فوالذي نفسي بيده ما عمل الخلاق بمثلها ومثل ما وصف به الخصلتان كلمتان حبيبتان الى الرحمن خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم . انتهى .

ملخص درس الختم الذي القاه المنعم الشيخ محمد ابن القاضي في يوم ٢٧ رمضان عام ١٣٤٩

بجامع حودة باشا



كيف أسس الامام الاعظم مذهبه وأدلته

أسس الامام الاعظم أبو حنيفة النعمان ابن ثابت رضي الله عنه مذهبه علي نحو ما قاله عن نفسه اني آخذ بكتاب الله اذا وجدته فما لم اجده فيه اخذت بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم والآثار الصحاح عنه التي فشت في ايدي الثقات فاذا لم اجد في كتاب الله ولا سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم اخذت بقول اصحابه من شئت وادع قول من شئت ثم لا اخرج من قولهم الى قول غيرهم فاذا انتهى الامر الى ابراهيم والشعبي والحسن وابن سيرين وسعيد بن المسيب (وذكر جماعة من المجتهدين) فلي ان اجتهد كما اجتهدوا .

واصله في هذا الاساس الذي سار عليه واتبع في الاستنباط ما روي عن معاذ بن جبل رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم لما ولاه قاضيا على اليمن ساله بم تقضي قال بكتاب الله قال فان لم تجد قال بسنة رسوله قال فان لم تجد قال اجتهد برأيي .

وكان ابو حنيفة نظارا في كتاب الله عارفا بحديث اهل الكوفة روى كثيرا عن علمائها المبرزين في الحديث والفقه وعلوم الدين .

ولم يكن يجلس للتحديث كعادة المحدثين وانما كان يعلي فروع الفقه على تلاميذه بعد التشاور فيها واذا احتيج الى دليل مسألة تكلم كل بما عنده ثم يحدثهم عن شيوخه من الاحاديث المرفوعة والموقوفة وآثار التابعين بالسند المتصل تارة واخرى بلاغا وتعليقا او اقتطاعا .

قل الامام الطحاوي عن مسند الامام الخوارزمي ان الامام ابا حنيفة اجتمع معه الف من اصحابه اجلهم وافضلهم اربعون قد بلغوا حد الاجتهاد فقربهم وادانهم وقال اني ألجمت هذا الفقه واسرجه لكم فاعينوني فان الناس قد جعلوني جسرا على النار فان المنتهى لغيري واللعب على ظهري . فكانت اذا وقعت واقعة شاورهم وناظرهم وحاورهم وسألهم فيسمع ما عندهم من الاخبار والآثار اي التي رويها عن غيره ويقول ما عنده وربما ناظرهم الشهر او اكثر حتى يستقر آخر الاقوال فيثبت ابو يوسف حتى اثبت الاصول على هذا المنهاج شوري لا انه تفرد بذلك اه .

وذكر ائمة المذهب بالرواية ان الامام كان من الحفاظ المكثرين المثقنين كتب عن اربعة آلاف من ائمة الحديث احاديث كثيرة . روي عن يحيى بن نصر قال : دخلت عليه في بيت مملوء كتباً فقلت له ما هذا فقال : هذه الاحاديث ما حدثت بها الا اليسير الذي ينتفع به اه .

وهذه الاحاديث التي يروها الامام لم يتركها كتابا مسندا وانما املأها على تلاميذه كما علمت .
وقد عني تلاميذه بما سمعوه من الآثار وجمعوها في تصانيف مفردة مرتبة على ابواب الفقه وفي
طليعتهم الامام ابو يوسف يعقوب بن ابراهيم الانصاري رضي الله عنه فانه صنف مسندا جمع فيه
مروياته عن الامام وأضاف إليها ما رواه عن غيره وهو الذي عرف بمسند ابي يوسف واشتهر بكتاب
الآثار . رواه عنه ابنه يوسف .

قال الشيخ عبد القادر القرشي : روى كتاب الآثار عن ابيه عن ابي حنيفة وهو مجلد ضخمة .
وروى محمد بن محمود الخوارزمي مسند ابي يوسف عن يوسف بن عبد الرحمن ابن الجوزي . وابي
محمد ابراهيم بن محمد بن سالم . ومحمد بن علي بن بقاء . وغيرهم اذنا عن ابن الجوزي ، وابي
القاسم يحيى بن نوح اذنا عن القاضي ابي بكر محمد بن عبد الباقي الانصاري اجازة عن ابي
محمد الحسن الجوهرى عن ابي بكر محمد الاهرى عن ابي عروة الحسين بن محمد بن مودود الحراني
عن جده عمر بن عمرو عن ابي يوسف . اه . عن ابي الوفا المصري

وكتاب الآثار هذا هو اول مسانيد الامام تاليفا طبع بمصر عام ١٣٥٥ هجرية بمطبعة الاستقامة
نشرته لجنة احياء المعارف النعمانية بالقاهرة عن النسخة الوحيدة التي في دار الكتب المصرية .

وحدثنا ابو الوفا ايضا عن المسانيد فقال : وصنف الامام محمد بن الحسن الشيباني صاحب
الامام مسندين مسندا في الآثار المرفوعة . وكتاب الآثار في المرفوعة والموقوفة .

وصنف الامام الحسن بن زياد اللؤلؤي الكوفي مسندا وعرف بمسند الحسن

وصنف حماد بن الامام ابي حنيفة مسندا

وصنف محمد بن خالد الوهبي مسندا رواه ابوبكر احمد بن محمد بن خالد بن خلى الكلاعي

عن ابيه عن جده عن محمد بن خالد صاحب المسند فنسب اليه وعرف بمسند الكلاعي

ثم جاء بعد هؤلاء ابو محمد عبد الله بن محمد البخاري الحارثي المتوفى عام ١٣٤٠ فصنف مسندا

كبيرا . ثم اختصره القاضي الامام صدر الدين موسى بن زكريا الحصكفي المتوفى عام ٦٥٠ بالقاهرة .

ثم رتبته الشيخ محمد عابد السندي المدني على ابواب الفقه وهو الشهير اليوم بمسند ابي حنيفة (١)

وشرحه العلامة الاستاذ محمد حسن الاسرائيلي السنبلي الهندي المتوفى سنة ١٣٠٥

وصنف القاضي عمر بن الحسن الاشثاني المتوفى سنة ٣٣٧ مسندا

ثم صنف الحافظ ابو احمد عبد الله بن عدي المتوفى سنة ٣٦٥ مسندا

ثم صنف الحافظ ابو الحسن محمد بن المظفر المتوفى سنة ٣٧٩

وكذا الحافظ العدل طلحة بن محمد بن جعفر المتوفى سنة ٣٨٠

الاسلام دين التوحيد الخالص

شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة واولو العلم قائما بالقسط
لا اله الا هو العزيز الحكيم

اعلم ايها القاري الكريم ارشدك الله واصلح بالك انه اذا كان التجاني عن الدين سبه الجامع هو الجهل بتعاليمه الصحيحة . وانه اذا كان كثير من ابائنا لا يتعرفون هذا الدين من وجهه الصحيح ومنبعه الصريح بل ينتزعون صورته من بعض المظاهر التي تنسب الى الدين وهو بعيد عنها بعد الرزقاء عن الغبراء - فالذي اردت في هذا المقال ان اجليه امام انظارك هو جوهر العقيدة الاسلامية خالصا سالما من كل غش او دنس منتزعا من ينابيعها الصريحة واصولها الثابتة الصحيحة مشتدا من الفيض الالهي الذي لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه والينبوع الذي لا ينضب معينه وعسى ان يتنبه القاري لما سيلقى عليه ويكشف عنه بين يديه فيجعله في امر عقيدته نصب عينيه ويظهر عقله وقلبه من كل ما خالفه او خالطه مما لا يتسق معه من الخرافات الزائفة والبدع المنكرة في الدين حتى تخلص عقيدته لله وحده ويكون عبدا لله اختيارا كما هو عبد له اضطرارا واذا صحت العقيدة وخلصت من انواع الحيلالات وتجردت عن البدع المنكرات كان ذلك صقلا للقلب وصفاء للسريرة وطهارة للضمير من الاوساخ التي تبعدة عن الحقيقة الكاملة التي هي غاية اولي النهي وقطب دائرة السعادة في الاولى والاخرى وجرت اعمال الجوارح على ذلك النمط بلا امتراء في تابعة للقلب فيما يصدر لها من

والحافظ ابو نعيم احمد بن عبد الله الاصبهاني المتوفى سنة ٤٣٠ هـ
والقاضي ابوبكر محمد بن عبد الباقي الانصاري المتوفى سنة ٥٥٥ هـ
والحافظ ابو القاسم عبد الله بن محمد بن ابي العوام السعدي كلهم الف مسندا مسندا
ثم جاء ابو عبد الله الحسين بن محمد بن خسرو البلخي سنة ٥٥٦ هـ فصنف مسندا كبيراً روى فيه مسند الحسن بن زياد اللؤلؤي جمع فاعى حتى قيل : ان مسنده اوفى المسانيد جمعا
ثم جمع كل هذه المسانيد قاضي القضاة ابو المؤيد محمد بن محمود الخوارزمي في كتاب سماه « جامع المسانيد »
ثم جاء السيد مرتضى فانتخب من تلك المسانيد ما له نظير في كتب الصحاح المشهورة وسماه « الدرر النيفة في ادلة ابي حنيفة » وبين تخرجه كل حديث من كتب الصحاح وغيرها وتكلم فيه على الرجال
قال ابو الوفا وقد اتفقت هذه المسانيد على كثير من الآثار وافرد كل واحد منها بآثار لم يخرجها غيره . وتوافق آثار ابي يوسف وآثار محمد ومسنده ومسنده ابن زياد اللؤلؤي في الأكثر مروياته سنداً ومثلاً (يتبع)

بجمل الشاذل القاصي

الامر والنهي وهو الذي يرسلها او يكسح جاحها في كل فعل تاتيه او ترك ترتأيه . فقد مضت سنة الله في خلقه بان للعقائد القلبية سلطانا على الاعمال البدنية فما يكون في الاعمال من صلاح او فساد فانما مرجعه فساد المعتمد وصلاحه . اذا علمت هذا فاعلم ان عقيدتنا الاسلامية مبنية على اصلين هما اساسا الذي عليه اقيمت ومفصلها الذي به سهلت ورجحت كفتها فتقبلتها العقول السليمة والفطر المستقيمة ذلك هو توحيد الله وتنزيهه الذي افصح عنه القراءان في غير ما آية . وهذا امر فطري مركب في نفوس البشر وطبعهم كما يرشد اليه حديث الولد يولد على الفطرة لكن هذا اذا ماتخلوا عن الاوهام والمؤثرات الخارجية والبيئات الفاسدة وان ما ركب في الانسان من العقل الذي ميزه الله به عن باقي انواع الحيوان الحري بان يدعو للايمان وان هو ابى سطر عليه مع ان هذا الاصل مرجعه الى ما هو واضح جلي تتاوله جميع النفوس بسهولة وبساطة اذا هي تركت التعصب المفقوت والهوى الاعمى فما من شيء ادعى الى الشر من الهوى . ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله .

اساس العقيدة الصالحة توحيد الله تعالى توحيدا ينفي الشرك في الالهية والربوبية وهذا القرآن الكريم والتنزيل الحكيم والهداية العامة للناس اجمعين وهو الاصل الاول في تقرير اصول الدين قدعني عناية زائدة بامر عقيدة التوحيد ففصلها تفصيلا في كثير من آيه خصوصا المكي منها فجاءت اغلب الآيات المكية نزولا مقررة لهذه العقيدة بشتى الاساليب المختلفة والطرق المتنوعة . مثيرة لادلتها من كوامن النفوس فلم تترك شيئا مما يصلح ان يكون دليلا الا اقامته واستخرجت منه وجه الدلالة سواء من الانفس او الآفاق او العوالم الكونية كل ذلك باساليب تاخذ بمجامع القلوب ولا تعملها النفوس مهما تجددت وترددت على اللسان والاسماع ففي تقرير عقيدة وجود واجب الوجود مثلا افادت الآيات الثانية والثالثة والرابعة من سورة الرعد والآية الثامنة عشرة من سورة الحج والآية الثلاثون من سورة الملك والآيات الثالثة والسبعون والرابعة والسبعون والخامسة والسبعون والسادسة والسبعون والسابعة والسبعون والثامنة والسبعون من سورة الانعام والآية الواحدة والستون والثالثة والستون من سورة العنكبوت والآيات الاولى والثانية والثالثة والرابعة من سورة التغابن والآيات الاولى والثانية والثالثة والرابعة والخامسة من سورة الاعلى افادت هذه الايات وجود الواجب سبحانه وسمته باسمه العلم المختص به الذي لا يسمى به غيره وهو اسم الجلالة الله ثم نعتته بصفات الالهية والربوبية الدالة عليها آثار قدرته الباهرة وحكمته العالية وتدبيره الفذ الذي لا يكون الامع شمول العلم وواسع الرحمة وذلك اشارة لكوامن النفوس حتى تستجلي بعيون البصائر دواعي المعرفة ودلائل العلم فتوقن بوجوده تعالى ايقانا راسخا منشؤا النظر والاستقصاء في البحث والاستدلال بالآثار على المؤثر وفي ذلك تذكرة لقوم يعقلون ومما لا شك فيه ان الايمان الحاصل عقب نظر في الدليل والبحث في المقدمات على طريقة القراءان التي هي طريقة سهلة ميسورة لكل من يتطلبها ويسعى لها سعيها فهي لا تكلفه اكثر من مسد بصره للنظر فيما

حوله من الاكوان والموجودات وكيفية تسخيرها واحكام صنعها وتدير احوالها على وجه يحفظ به بقاؤها لآجال مرسومة وآماد معلومة لا شك انه لا يدانيه ايمان المقلدين الذين يحفظون الوانا من المعتقدات لانهم وجدوا عليها اسلافهم واباءهم الاولين ولو سألهم الكشف عن حقيقة معتقدتهم وايضاح مرماة وما دعاها لاعتناقهم لولوا وجوههم عنك معرضين رافعين عقيرتهم بان ذلك ما وجدنا عليه قومنا فنحن به متمسكون وعلى اعقابهم سائرون سبحانه اللهم ان هذا لا يداني ايمان الباحث المستقصي الذي دعا به بحثه ونظرة للايمان وايمان هذا وان لا ندعي هنا ان غير كاف له ولا منجيه بين يدي ربه من عذاب يوم عظيم ولكننا نفضل عليه ايمان الباحث المستقصي للنظر والدليل فنعده اكمل ايمانا وابلغ ايقانا وارجح ميزانا كيف لا والله تعالى مهما دعا لعقيدة التوحيد في كتابه العزيز الا دعا لها وارشد اليها معهورة بدليلها وما يقتضيها من الآيات البينات والدلائل الواضحات مستحاثا لاهل العقول والتفكير ان يعملوا عقولهم وافكارهم لاستخراج هذه الحقيقة بانفسهم ويعلموها علما ناشئا من عند انفسهم وان لا يكونوا كالانعام تساق الى المرعى وهي لا تعلم شيئا من نفع ما تساق اليه وفضل ما تدعى اليه . ولا يقال ان من الناس من لا قدرة له على النظر والاستدلال واستخراج العبرة والانتفاع مما حوله من اسباب المعرفة فكيف نصنع مع هؤلاء وهم كثيرون لانا نقول ان النظر الذي دعانا القراء ان اليه نظر لا يكاد يعجز عنه ذو عقل لانه نظر بسيط فيما حوله من الكائنات التي لا تخفى على كل من مد بصره فهو يدعوك للنظر في هذه الكائنات وما هي عليه من محكم النظام وعجيب الخلق والصنع وما ينجر عنها من المنافع للخلق . افكل هذا جرى بطبعها وحدث بناموس وحيها وهذه الطبيعة من الذي طبعها وهذه الجاذبية من الذي ركبها وهذه الارواح من الذي سيخرها وهذه المنافع من الذي قدرها فسبحان الله هو الذي رفع السماء بغير عمد ووسخر الشمس والقمر كل يجري لاجل وهو الذي مد الارض وجعل فيها رواسي ان تميد بنا واجرى بها انهارا اخرج بها من الثمرات كل زوجين اثنين وهو الذي جعل في الارض قطعاً متجاورات وجنات من اعناب وزرع ونخيل وهو الذي صورنا فاحسن صورنا واليه المصير وهو الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى والذي اخرج المرعى فجعله غشاء احوى واليك دليلا واحدا من هذه الدلائل القرائية التي يستوى في ادراكها اهل العلم والفلسفة والبسطاء من الناس ارشد اليه القراءان فيما ارشد من الدلائل الواضحات وهو ما حكاه عن ابراهيم الخليل عليه السلام حين اراد ان يقيم الحجة على ابيه آزر وقومه فيما كانوا عليه من الشرك والضلال البعيد (واذ قال ابراهيم لاهيه آزر ائتخذ اصناما آلهة اني اراك وقومك في ضلال بعيد وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض وليكون من المؤمنين فلما جن عليه الليل راي كوكبا قال هذا ربي فلما افل قال لا احب الافلين فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربي فلما افل قال لان لم يهدي ربي

لاكون من القوم الضالين فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا اكبر فلما افلت قال يا قوم اني بريء مما تشركون فانظر رعاك الله الى هذا الاستدلال كيف اقام به الحجة وابكت الخصم والزمه المحجة فهو مع بصاطته وسهولة ادراكه هين قوي لا يقوى احد على معارضته ولا النيل منه ، قيل ان هؤلاء القوم كانوا يعبدون الكواكب فاتخذوا لكل كوكب صنما من المعادن المنسوبة اليه كالذهب للشمس والفضة للقمر ليتقربوا اليها فكان الصنم كالقبة لهم فانكسر ابراهيم على ابيه وقومه اولا عبادتهم للاصنام بحسب الظاهر وذلك بقوله اتخذ اصناما آلهة اني اراك وقومك في ضلال مبين فهو انكار وتوبيخ على ما هم عليه من اتخاذ الاصنام آلهة مع نسبة من يكون هذا حاله الى الضلال المبين ثم ابطال ما نسبت هذه الاصنام اليه وجعلت تمثيلا له من الكواكب بعدم استحقاقها لذلك ايضا ثم بينت الآلة صورة استدلاله عليهم وكيفيته فلما جن عليه الليل أي ستره بظلامه رأى كوكبا ومن المعلوم ان رؤيته انما تتحقق عادة بزوال نور الشمس عن الحس والمراد من الكوكب فيما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما المشتري وعن قتادة انه الزهرة قال هذا ربي وهذا منه على سبيل الفرض وارضاء العنان مع ابيه وقومه الذين كانوا يعبدون الاصنام والكواكب فان الشأن ان المستدل على فساد قول او رأى يحكيه ثم يكر عليه بالابطال او انه عليه السلام اراد ان يبطل قولهم بربوبية الكواكب الا انه عليه السلام كان قد عرف من حالهم وتقليدهم لاسلافهم وبعد طباعهم عن قبول الحق انه لو صرح بالدعوة الى الله تعالى وتسفيه ما هم عليه من اول الامر لا عرضوا وصدفوا عنه فعمل الى استدراجهم الى استماع الحجة وذلك بان ذكر كلا ما يوهم كونه مساعدا لهم على مذهبهم مع ان قلبه مطمئن بالايمان فلما افل اي غرب الكوكب قال لا احب الآفلين اي الارباب المنتقلين من مكان الى مكان المتغيرين من حال الى حال لان هذا ينافي صفات الربوبية اذ الافول انتقال واحتجاب وكل منهما ينافي استحقاق الربوبية والالوهية لاقتضاء ذلك الحدوث والامكان المستحيلين على الرب المعبود وكفى بعدم المحبة عن عدم العبادة فلما رأى القمر بازغا مبتدئا في الطلوع منتشر الضوء والبزغ في اللغة الشق فكانه بنوره يشق الظلمة شقا قال هذا ربي وهو على طراز الكلام السابق فلما افل كما افل الكوكب قال لان لم يهدي ربي اي الى الحق لاكون من القوم الضالين فان شيئا مما رايت لا يصلح للربوبية وهذا مبالغة منه عليه السلام في النصفة وفيه كما قال الزمخشري في الكشف تنبيه لقومه على ان من اتخذ القمر الآها وهو نظير الكواكب في الافول فهو ضال والتعريض بضلالهم هنا اصرح واقوى من قوله اولا لا احب الآفلين ثم ترقى في النسبة الثالثة الى ما هو اصرح من الجميع وهو التصريح بالبراءة منهم وانهم على شرك حين تم قيام الحجة عليهم وتبليج صبح الحق وبلغ من الظهور غايته وذلك قوله فلما رأى الشمس بازغة اي مبتدأة في الطلوع قال على المنوال السابق هذا ربي هذا اكبر وفيه تأكيد لما رآه من اظهار النصفة مع اشارة خفية الى فساد ما هم عليه ببيان ان الاكبر احق بالربوبية

من الاصغر وكون الشمس اكبر مما قبلها مما لاختفاء فيه فلما افلت كما افل ما قبلها قال لقومه صادحا بالحق يا قوم اني بريء مما تشركون اي من الذي تشركونه من الاحرام المحدثه المتغيرة من حال الى حال المسخرة لمحدثها ومنشئها وان دلالة الافول على المقصود من بطلان الوهيتها واستحقاقها العبادة ظاهرة يعرفها كل احد فان الآفل يزول نوره ويذهب سلطانه ويصير كاللعزول ومن كان كذلك لم يصاح للالوهة قطعا ثم انه عليه السلام لما تبرأ مما تبرأ منه توجه الى مبدع هذه المصنوعات وموجدها فقال اني وجهت وجهي للذي فطر اي اوجد وانشأ السموات التي هاته الاجرام من اجزائها والارض التي تلك الاصنام من اجزائها حنيفا اي مائلا عن الاديان الباطلة والعقائد الزائفة كلها وما انا من المشركين اصلا من الاقوال والافعال والمراد من توجيه الوجه للذي فطر السموات والارض قصده سبحانه للعبادة وحده . هذا ومن مستتبعات هذه العقيدة ولواحقها نسبة كل جليل وحقير او كبير وصغير مما يحدث اليه تعلي وحده فما من وجود او تكوين او خير او شر اضر او نفع الا وله تدبيره لا شريك له في شيء من ذلك البتة قل اتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا وهو السميع العليم قل من يرزقكم من السماء والارض امن يملك السمع والابصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الامر فسيقولون الله قتل افلا تتقون فذلكم الله ربكم الحق فماذا بعد الحق الا الضلال فاني تصرفون . ولو اردنا الاندفاع في سوق الشواهد والآيات على تقرير هذا لما وسعنا هذا القرطاس الوحيز ولكن فيما اوردنا كفاية لمن القى السمع وهو شهيد . وان اكثر ما جاءنا من الفساد جاءنا من عدم وقوفنا عند هذا الحق وعدم فهمنا له حق الفهم واندفاعا مع هوى النفس في تطلب جلب الخير والافراط فيه حتى رحنا نبحت عن الوسائط والشفعاء ومن يقربنا الى الله زلفى علنا نحصل على اوفر نصيب من اسباب السعادة الدنيوية وندفع اشد ما ندفع انواع البلايا والرزايا واصناف الكروب والبلايا التي قد تعترضنا في حياتنا وان كان في شيء من الميل والانحراف عما تقتضيه عقيدة التوحيد فما اشد حرص الانسان وجهه لنفسه وما اشد ما يهلع من الشر وما اقل قناعه وصبره واضعف حيلته وتدبيره ولو فكر قليلا ونظر بسير العلم انه قليل الحيلة وان مقدر رزقه ومدبر امرة قد قضى في حقه وقد ريس له من امرة ما يسر فلا استزادته من الخير له بنافعة ولا استدفعاته الشر عن نفسه بواقية ولو استشفع بالف شفيع او تزلف الى اي عظيم او ربيع ثم لا تظن مع هذا ان عقيدة القضاء والقدر وارجاع الامور الى خالقها ومقدرها ومنشئها ومدبرها هي عقيدة حاكمة بين المسلم وبين الجد في العمل والاخذ باوثق الاسباب وانجحها في تحصيل ما يرغب فيه من المنافع والمهمات ولا تظن اخذ المسلمين بهذه العقيدة اصبح حائلا بينهم وبين بلوغ ما يؤملون من الرقي المادي والادبي وانها سبب انحطاطهم ووقوفهم موقف المتفرج امام غيرهم كما قد ظن ذلك بعض الجهة فحاشا لله ان تكون عقيدة القضاء والقدر التي تعد من اصول العقائد في

الديانة الاسلامية سبب تاخر المسلمين وبعدهم عن الانتفاع بما سخر لهم من انواع المنافع فهي وان كثر فيها للفظ من المغفلين وظنوا بها الظنون وزعموا انها ما تمكنت من نفوس قوم الاوسليتهم الهمة والقوة وحكمت فيهم الضعف والضعفة بعيدة كل البعد عن ذلك ولكن الحق الذي لا مراء فيه انه رب اصل من اصول الخير وقاعدة من قواعد الكمال اذا عرضت عن الانقبس في تعليم او تبليغ شرع يقع فيها الاشتباه على السامع فتلبس عليه بما ليس من قبلها فيغير وجهها ويختلف اثرها وربما تتبعها عقائد فاسدة مبنية عن الخطأ في الفهم او على خبث الاستعداد فتنشأ عنها اعمال غير صالحة وذلك على غير عام من المعتقد كيف اعتقد والمغرور بالظواهر يظن ان تلك الاعمال انما نشأت عن الاعتقاد بذلك الاصل وتلك القاعدة ومن مثل هذا الانحراف في الفهم وقع التحريف والتبديل في بعض اصول الاديان غالباً بل هو علة البدع في كل دين على الاغلب وكثيراً ما كان هذا الانحراف وما يتبعه من البدع منشأ لفساد الطباع وقبائح الاعمال وهذا مما يحمل من لا خبرة لهم على الطعن في دين من الاديان او عقيدة من العقائد الحقنة استناداً الى اعمال بعض السذج المنتسبين الى الدين او العقيدة ان الشرع قد حدد لكل مقام حداً لا يتعداه واوصى بالجيد في الاكتساب وحث على العمل وافراغ الوسع والاحذ بطرق الحزم والابتعاد عن اسباب الهلاك وذم البطالة والكسل فلا منافاة بين عقيدة القضاء والقدر المقتضية ارجاء كل شيء لتقدير الله تعالى وقضائه وان من شيء الا عند ربك في كتاب مسطور وبين الاكتساب واخذ الحيلة والاستعداد للامر والسعي لتحصيل الرزق والخطأ في هذا المقام منشؤه سوء الفهم وعدم الجمع بين اطراف التشريع المتفرقة والوقوف في كل مقام عند الحد الذي اوقفه الشارع وسنه بدون افراط ولا تقريط ومن ذهب الى خلاف ذلك فقد فرط او افراط وكلاهما طريق من طرق الضلال ويكفيها في هذا ان نكون على نحو ما كان عليه سالفنا الذين تلقوا الشريعة من ينوعها وفهموا اغراضها ومقاصدها فقد كانوا كاحسن ما يكون واصدق ما يلزم في عقيدة القضاء والقدر ولم يمنهم هذا الاعتقاد من السعي والعمل والانتشار في الارض والحزم في احوالهم كلها ولولا حزمهم ما انتشرت هذه الملة وبلغت في اقل من قرن واحد الى اقصى حدود الصين شرقاً والى حدود الاطللنطكي غرباً ولولا هذا اذهبت التكاليف وصارت عبثاً وهو امر لا محالة مردود من نفسه باطل من اصل اساسه اذ التكليف هو عبارة عن طلب افراغ الوسع في القيام بانواع الطاعات والتجافي عن المحذورات وجماع القول في هذا المقام ان الذي جاءت به الشريعة الاسلامية هو تقرير اصلين عظيمين هما ركننا السعادة الدنيوية والاخرية وقوام الاعمال البشرية الاول ان العبد يحصل بارادته وكسبه وحزمه ونشاطه ما هو وسيلة لسعادته والثاني ان قدرة الله هي مرجع لجميع الكائنات وان من اثرها ما يحول بين العبد وبين انفاذ ما يريد وان لاشيء سوى الله يمكن ان يمد العبد بالمعونة وقد جاءت الشريعة لتقرير ذلك وتحريم ان يستعين العبد باحد غير خالقه في توفيقه الى اتمام عمله بعد احكام البصيرة فيه وبعد ان يكون قد افرغ ما عنده من الجهد في تصحيح الفكر واجادة العمل وان الايمان بوحداية الله لا يقتضي من المكلف الا اعتقاد ان الله صرفه في قواه فهو كاسب لا يمانه ولما كلفه به من بقية الاعمال واعتقاد ان قدرة الله فوق كسبه واختياره وبها وحدها السلطان الاعلى في اتمام مراد العبد بازالة الموانع او تهيمه الاسباب المتممة مما لا يعليه المكلف ولا يدخل تحت ارادته وكسبه اما التطلع الى ما هو اغمض من ذلك فليس من مقتضيات الايمان وهو من طلب سر القدر الذي نهينا عن الخوض فيه وهو من شره العقول في طلب رفع الاستار عن الاسرار وربك يفعل ما يشاء ويختار

محمد بن القاسم

التاريخ

عقود الانكحة في تونس

بقلم العالم المؤرخ امير الامراء

سيدي محمد بن الحوجه

رغبت السنة في اشهار عقد النكاح احتفاظا بالانساب فصار جماعة المسلمين على هذه القاعدة الاصلية في كل زمان ومكان ولكنهم اختلفوا في اساليبها حسب طقوسهم واذواقهم ودرجة حضارتهم وفي تونس امتاز اعيانها بالناية التامة والمبالغة في تعميم الاعلام بالنكاح حيث لم تقرر السنة حدا محددا لاشارة فبلغوا في ذلك الحد الافراط تفاديا من التفريط بحيث تراهم يستدعون لعقود انكحتهم كل من يعرفون بل وحتى من لا يعرفون يجمعون اسماء الوجاء والاعيان من الرزنامات ومن جرائد الذوات الموجودة بمكاتب بعض نهاء المحركين ويستدعونهم لموكب العقد كما سيأتي تفصيله . لكن قبل الاتيان ببيان ما عليه عملهم في هذا الزمان يستحب الاشارة لطريقتهم في ذلك في الاحيال المتأخرة فان طريقة الاستدعاء بالمراسلة الكتابية لم تكن معروفة بين اهل القرون الماضية وغاية امرهم الاستدعاء الشفوي يقوم به والدا الزوجين مباشرة او من قام مقامهما وكانوا يكتبون بتبليغ الدعوة لاهل قرابتهم وسكان الحومة دون سواهم وكان محل الاحتفال بالعقد هو دار الزوجة وينكرون الاحتفال به في المساجد والزوايا خلافا لما عم به العمل في هذا الزمان وفي ليلة الزفاف يقيم والد الزوج ببيت العريس مأدبة اكرام لاقاربه ولخاصته ومن عاداتهم انهم لا يستدعون اقرب الزوجة لهذه المأدبة بل استدعاهم يكون لمادبه ثانية في الليلة السابعة من البناء ومنهم من يتبرك باستدعاء بعض اهل العلم تيمنا بحضورهم ساعتئذ . ويعقد لذلك جلسة اناشيد ومديح يقوم بها بعض اهل الطريقة القادرية او السلامة وشبه ذلك

ولما ظهرت الطباعة في تونس اوائلا دولة المشير محمد الصادق باي وابدا انتشار التمدن العصري في ربوع تونس ابتكروا ترتيب موائد السمياط المعروف بالطعمان واعتاضوا تدريجيا عن طريقة الاناشيد والمدح باقامة وجق تلحين وءالات من كمنجة وعود وغير ذلك وصاروا يستدعون الحظ

الغفير من الناس لحضور ذلك السعاط الذي كانوا يقيمونه في وجه النهار الى ما بعد الزوال وتكون المادبة عبارة عن طائفة من المعاجين المتنوعة ومن الحلويات المعروفة في تونس باسم قهواطي (١) مما يصنعونه في البيوت لاجل الوليمة قبل وقوعها بشهر او شهرين ويدخرونه للوقت المناسب ومن عادتهم ان رب الوليمة لا يحضر مع زائريه للمشاركة في الاكل وهي عادة لا يبررها معقول ولا منقول لان حضور رب البيت مع ضيوفه من شأنه ترغيبهم في الاكل وبعبكسه تركهم وشأنهم فحسبهم والحالة هذه مجرد المواكلة ثم قراءة الفاتحة والخروج لتهنئة صاحب الدعوة نعم انهم يرشونهم اذاك بماء الطيب ويطوفون حولهم بمجامر العود ...

ولنحو ربع قرن فانت اخذ امر سعاط الاعراس في التراجع كما اخذ امر الاستدعاء الكتابي لحضور مشاهد العقود في الانتشار واليك نموذج من استدعاء لطعمان وقع لاربعين سنة ماضية :

بحمدك يا فاتح ابواب المسرة تنال الامال وبالصلاة على نبيك الذي اوجبت اجابة دعوته ترتاح نفوس ذوي الهمم العوال اما بعد فان محكمكم بغاية الاعتبار الحقيير الكيلاي بن عمار يستمنع من فضلكم ان تشرفوه بالحضور لوليمة بناء ابنه بدارة الكائنة بنهج بوخرص قرب المركاض القديم عدد ٣٦ يوم الاربعاء الحادي عشر من رجب الجباري قبل الزوال باربع ساعات الى مضي ساعتين منه وكتب في يوم الاحد غرة رجب سنة ١٣١٩ هـ

وفي الزمن الحاضر تنويسي الطعمان تماما بين الناس وصارت الاستدعاءات الكتابية قاصرة على عقود الانكحة كما تنوسيت اقامة حفلة العقد بيت مال العروسة بحيث صار الاجتماع لذلك محله المساجد الجامع كجامع حودة باشا المرادي او الزوايا الشهيرة كزاوية ولي الله سيدي محرز بن خلف ولا حاجة بنا لنقل عبارة شيء من هذه الاستدعاءات الموجودة لهذا الزمان لاشتهارها بين الخاصة والكافة (٢) بعد هذا الامام الوجيز باحوال عقود الانكحة التونسية ننقل بالقراء الكرام لبنت القصيد من هذه النبذة الا وهو الخطب التي تتشرف بها الاسماع اثناء تلك الاجتماعات فهذه الخطب جرى عليها عمل السلف ودرج عليها الخلف، وبديهي ان كان لاقطاب الشريعة ولاهل النسب الزكي قدم السبق في انشائها والنطق بها في تلك المواقف الموسومة باليمن والبركة واليك جملة صالحة من تلك الخطب

(١) لفظ قهواطي محرف عن قهوتي في اللغة التركية وهو عندهم عبارة عن اكل خفيف كفتور الصباح مع القهوة وتوسعوا فيه بتونس فاطلقوه على الحلويات اليابسة كبقلاوة الباي وطواحين الفستق والبندق وكعب الغزال وكك الحمص والتمر المحشي والملبسات الى غير ذلك اه باختصار من كتابنا جيش الدخيل في اللسان التونسي الاصيل

(٢) عنيت بجمع بعضها فتكون لدينا جزء ضخم اسميته كنش الافراح وهو من مشمولات مكتبتنا بقسم التاريخ

من انشاء جماعة من اهل العلم نصردها بخطبه لامام الفتوى المنعم الشيخ اسماعيل التميمي خطب بها في عقد حفيد العلامة الشيخ محمد المحجوب رحمه الله نقلها من كناش الشيخ الجدد ومن خط يده :

الحمد لله الذي انعم على عباده . بانتظام الشمل . وتفضل عليهم من امداده يجزى النعم وعميم الفضل . ويسر لهم اسباب المرافقة . والف بين قلوب من شاء فحصلت موافقه . واوسع للجميع في الجود والطول . وفتح لهم ابواب الاسعاد . ووضح لهم طريق الرشاد . فحصل لمن وفقه لذلك المراد . والعطاء الجزل . فطر الاشياء متقنة الابداع . بديعة الانتقان بحكمة اليجاد والاختراع . ونفذ بقدرته انشاء تركيبها وترتيب انشائها في اكوان الاطوار واطوار الاكوان . واظهر اياته في تصوير انواعها وتنويع صورها واختلاف الالسنه منها والالوان . وخص منها نوع الانسان بعزاي تفوت الحصر ويقصر عن التعبير عنها اللسان . امدد بنور الفهم . وقبول العلم . وعلمه البيان . فكان اهلا لقبول التكليف الشرعية . وموردا للخطابات الآلهية . فياها من منة ومزية واحسان . انشاء في احسن تقويم . وقومه في احسن تكميل وتتميم . وكان له شان من الشان . فاورد عليه من التكليف ما تقوم به ضرورياته . وتدفع به حاجاته . على وجه مستقيم . يفضي به الى الخلق العظيم . ويخرجه عن الهوى والهوان . وارشدها الى ما فيها من المصالح الدينية . وتحصيل المنافع ودفع المضار الدنيوية . ما يخف به عليها حملها . ولا يثني عزمه ثقاها . ويقوده الى الامتثال والادعان . ويفضل في كثير من مشروعاتها . فحط للنفس من شهواتها . على وجه تتم به النعمة . ولا يخل بالحكمة . ولا يعود على المقصود بنقصان . فمن ذلك النكاح . الذي تهتر اليه النفوس وترتاح . وهو مع ذلك حافظ لوجود هذا الجنس . فحصل للتظاهر والتناصر والسكن والانس . رافع للارتياح . مقرب للمبتاعدين مؤكدا للقرب بين الاقارب شرعه سبحانه وحسنه بحد محدود . ووضع معهود . تحصل به المعاني الحكمية الاصلية . في ضمن تلك المعاني التابعة الطبيعية . فسبحانه من آله ما احكمه . وعليم ما اتقنه واحله . وقادر ما ارحمه . يعطي الجزيل . ويثيب على القليل . والكل واقع بقدرته . على وفق مشيئته . واشهد انه الله الذي لا اله الا هو الرب الكريم . البر الرحيم . المنزه عن الانداد . المبرأ من الاتصال والانفصال . والصاحبة والاولاد . ونشهد ان سيدنا ومولانا محمدا النبي الامي العربي الكريم عبده المختار من اشرف القبائل . ورسوله الذي افرغ عليه من كل الفضائل . وامينه الذي لم يلحق ثناؤه الاخرون والاولي . ارسله بملة حنيفيه . وشرعة للحاكمين بها حفيه . ينطق بلسان التيسير بيانها . ويعرف ان الرفق خاصيتها والسماح شانها . وينادي بحل الطيات مناديا . وبحريم الحباث والحوم حول واديا . فاحل عليه السلام النكاح وشرعه . وحذر من السفاح ومعنه . فصلوات الله تعالى عليه وسلامه . وتحياته الزكيات واكرامه . صلاة لائقة بمقامه العظيم . وجنابه الكريم . نجدها وسيلة اليه في الموقف العظيم . ونلقاها من اشرف المكاسب

فننال بها سنى الرغائب . وعلى آله واصحابه الراقيين في مراقبه العالیه للنجات . والعارحين في مدارج معارجه في حياته وبعد الممات . نجوم الاهتداء . وإيمه الاقنداء . وحماة الاسلام . وخير إيمه اخرجت للانام . وبعد فان للنكاح فوائد نهبت الشريعة عليها . وتقدمت الاشارة هنا اليها . كيف لا وهو اوثق سبب للمديانه . واكمل معين على العفاف والصيانه . وقد جعله الله سبحانه من آياته . الدالة على نفوذ قدرته في مصنوعاته . اذ قال سبحانه في كتابه المجيد . السذي لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد . ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها . فبه سبحانه على بعض الفوائد المنبه انا فاعلم . وتعم هذه النعمة . ليرتب عليها ما قصد من الحكمة . فقال سبحانه وجعل بينكم مودة ورحمة . وقص علينا جل جلاله ما افادنا انه من سنن ساداتنا انبيائه الكرام . عليهم افضل الصلاة وازكى السلام . وقد وجه سبحانه الامر به تارة للرجال كما قال مخيرا لهم في العدد على ما تشتهيه الطباع . فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع . وتارة لاولياء المرأة مع الوعد على فعله . حيث قال وانكحوا الايامى منكم والصالحين من عبادكم ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله . وعلى هذا المساق . وردت سنة المبعوث لاتعم مكارم الاخلاق . فكبح صلى الله عليه وسلم وانكح . واعرب عن فضله وافصح . فقد روي عنه انه مدحه بان به يكمل نصف الدين وانه من سنته وسنة المرسلين . صلى الله عليه وعليهم اجمعين . وانه امر به الشباب اذا استطاعه . وارشد الى بدله عند فقد الاستطاعة . وانه حض على خصوص الابكار . الى غير ذلك مما ورد في الآثار والاخبار . ولما كان الخطاب به متوجها الى القبيلين لا يختص به واحد من الزوجين فلا غنى لكل من اهله عن اكتسابه . والاخذ في مزاوله اسبابه . بادر اليه الخ . . . (يتبع) محمد بن الحوجة

الكتابة عند العرب

الكتابة عند العرب قديمة جدا لا يعلم تاريخها بالضبط وقد دلت الروايات على ان اول من كتب بالعربية هم اهل اليمن من قوم هود عليه السلام وهم العرب البائدة وكانت تسمى كتابتهم بالخط المسند وبقي معروفًا بالخط الحميري وكانوا يكتبون حروفه منفصلة ويمعنون العامة من تعليمه فلا يعلمه احد الا باذنهم حتى تعلمه مرمر بن مرة . واسلم بن سدره وعامر بن جذرة وهم من عرب طي . وتصرفوا فيه وسموه بالخط الحزم . لانه حزم من الخط الحميري ثم علموه اهل الانبار ومنهم اشتهرت الكتابة في البلاد العربية ثم اجتهد في تحسينه اهل الكوفة في عصر الاسلام حتى عرف بالخط الكوفي وكان الخط خاليا من النقط والحركات والسكنات الى ان وضع ابو الاسود السدثي الشكل في ايام معاوية ووضع ابن عاصم النقط في ايام عبد الملك بن مروان ثم اخذ من ذلك الوقت يتحسن شيئا فشيئا الى ان وصل الى الدرجة التي عليها الآن

القضاة الشرعيون في القديم

﴿ تابع لما نشر بالجزء (٩) من المجلد الثالث ﴾

بقلم العلامة الأستاذ
الشيخ سيدي محمد الشير النيفر

واقول المناسبة تحمل على هذا وشر منه، ومكارم الاخلاق « وهي حلية العلماء » تصد عن هذا ومادونه والله اعلم، وهاك ملخصا من تراجم هؤلاء القضاة الثلاثة : الغوري وابن عبد الرقيق والبلوي « الغوري » هو ابو زكرياء يحيى بن ابي بكر الصفاقسي ولي بعد ابن الغماز وتوفي « على ما ذكر الزركشي ونقلناه عنه » رابع عشر جمادى الاولى سنة ٦٩٩ ولا يحضرني الآن في ترجمته اكثر من هذا

« ابن عبد الرقيق »

هو ابراهيم بن الحسن بن علي بن عبد الرقيق الربيعي بيته بتونس من البيوتات الوحيدة بالعلم وخططه ولد كما في الزركشي في شهر ربيع الاول من عام ٦٣٧ سبعة وثلاثين وستمئة وولي القضاء بتبرسق وقابس تردد فيه بينهما نحو من ثلاثين عاما ثم ولي قضاء الجماعة بتونس في خمس مرات يولاه ويصرف عنه وكانت اولاه في جمادى الاولى سنة ٦٩٩ ويؤخذ من كلام الزركشي انه كان قاضي الجماعة للامير خالد ابن الامير ابي زكرياء سنة ولايته (٧٠٩) وانه كان قاضيا للامير ابي يحيى زكرياء بن احمد الحفصي الذي ببيع سنة ٧١١ وتوفي وهو يباشر القضاء وكان من جلة القضاة علما وفضلا وصرامة في الحق لا يخاف فيه لومة لائم . حكمه الامير ابو زكرياء يحيى اللحياني في ابنه ابي ضربه وقد قتل نفسا محترمة . تعمدوا واقرب بالقتل فحكم ابن الرقيق رحمه الله واجزل ثوبته بالقصاص ولما عفا اولياء القاتل بقي حق الله عز وجل فضربه القاضي مائة نوط وامر بسجنه سنة فسجن ولكن توفي والده خلال السنة فاخرجه اهل الحل والعقد وتمت بيعته فما كان منه مع ابن عبد الرقيق قدس الله لحدته ورفع مكانه عنده الا ان نفاة الى المهدي وسجنه بما جل فيها اقام فيه ما يزيد على العامين . ثم خرج منه موفور الكرامة رحمه الله ولهذا القاضي مؤلفات جليلة تشهد بقوة عارضته وسعة اطلاعه من اجلها كتاب الرد على ابن حزم فيما اعترض به على الامام مالك رحمه الله اذ لم يعمل باحاديث رواها في الموطأ . والبديع في شرح التفريع لابن الجلاب واختصار اجوبة ابن رشد واجوبة عن اسئلة اوردها القاضي ابوبكر الطرطوشي . ومعين الحكم . توفي بتونس سنة ثلاث وثلاثين وسبعمئة ودفن بدار هياها لدفنه قرب جامع القصر وجعل بازائها مكتبة لتعليم الصبيان

« ابن القطان » لم تقف في ترجمته على أكثر مما مضى

« ابن الغماز »

قال الزركشي في تاريخ الدولتين صحيفة ٤٠ ما نصه وفي يوم الاثنين الثامن عشر لربيع الآخر سنة ٧١٨ المذكورة قدم للقضاء بتونس الشيخ الفقيه الامام ابو عبد الله محمد بن الغماز عرضه عليه السلطان فاجاب وكما دعا قوما فلم يقبلوا اهولعله ولي خلفا عن ابن الربيع في احدى المرات التي صرف عن القضاء فيها

هذا وقد كان قاضي الجماعة بتونس في سنة ٧٢٩ ابا اسحاق ابراهيم بن عبد الربيع قال الزركشي في تاريخه صحيفة ٤٠ ما نصه

وفي سنة ٧٢٩ توفي الشيخ الصالح العالم المفتي امام جامع الزيتونة وخطيبه ابو موسى هارون الحميري « كذا » والصواب الحمديري وكان لما مر من استخلف في الخطبة الشيخ ابن عبد السلام فبلغ ذلك قاضي الجماعة حينئذ ابن عبد الربيع فقدم الشيخ ابا عبد الله محمد بن عبد الستار الخ . . ومن اوجه العبرة في هذه القصة ما كان لقضاة الجماعة من النفوذ والوجاهة حتى ان نظرم يتسع لاستخلاف الائمة بجامع الزيتونة وقد تمتع الشيوخ بهذا الجاه قرونا بعد هذا وكانت ولاية الامام الجليل سيدي محمد ابن سيدي عبد الله الكبير الشريف امام جامع الزيتونة وخطابته خلفا عن شقيقه العلامة الامام الشيخ المفتي ابي محمد سيدي حسن باشارة على الحكومة من صهره حافظ المذهب وشيخ المالكية بهذه ابي عبد الله محمد المحجوب كبير اهل الشورى . وقد فات ان نذكر هذه القصة في ترجمة ابن عبد الربيع فاستدركناها هنا

« ابن قداح »

ولي قضاء الجماعة على ما في تاريخ الدولتين بعد وفاة ابن عبد الربيع سنة ٧٣٣ قال الزركشي صحيفة ٥٧ : ثم ولي بعده قضاء الجماعة نائبه الفقيه ابو علي عمر بن قداح الهواري وكان فقيها حافظا لمذهب مالك مفتيا له . له مشاركة في علم الاصول ولي قضاء الانكحة بتونس في كرتين ودرس بالشماعية ولم تطل ايامه في القضاء وتوفي رحمه الله سنة ٧٣٤ اه كلامه وقال الشيخ ابن فرحون في ترجمته كان اماما علما بمذهب مالك عليه مدار الفتيا مع القاضي ابي اسحاق بن عبد الربيع ونظرائه وكان جليل القدر مشهور الذكر له مسائل قيدت عنه مشهورة اه وفي شرح الابي على صحيح مسلم انه كان يترك التدريس بالشماعية ايام الاثنين والخميس والجمعة وان كان الذي مضى عليه عمل الشيوخ ترك التدريس يومي الخميس والجمعة فحسب ما لم يكن شرط من الواقف في ذلك

يتبع محمد البشير النيفر

وكان بعض افاضل البداية من اهل خاصة المولى علي باي المذكور وكان يزور الامير المذكور
فاذا اتقلب لاهله يستصحب طرفا لاهله وبنيه من حضرة الامير على عادته فاتفق ان يرجع اليهم مرة
بلا شيء فحصل لاهله وبنيه كسوف ولقي من اهله نفرة فكتب للمولى المذكور بذلك على وجه
المداعبة فاجابه ابو عبد الله الورغي على لسان الامير المذكور بقوله :

يا فاضلا يزهو به المذهب	وفاصل الخطاة اذ تصعب
ومن اذا حدث آلهى النهى	وبسط النفس اذا يكتب
جاءت وما بالعهد من غيبة	اياتك الغر التي تعجب
فأذكرت من لم يكن ناسيا	لعهد كل من له يصحب
وجددت انسا نغمنا به	وليتك الحاضر يا مطرب
حكيت فيها ما جرى عند ما	ابت الى اهل لكم تداب
وان سلمى اعرضت ناشزا	لققدها الطيب الذي تصحب
فبت منها نابغي العنا	تستقرب الماء ولا تشرب
وانت ظلمات له اشهرا	وكدت من شوق له تهرب
وانه قد زاد فيما دهى	اطفالها اذ كلهم يصحب
وانه انساك حاجاتهم	فراقنا لانه يكتب
وما كففت الحرب الا بان	حلفت ان في شانهم تكتب
فخذ جواب الكتب من سيد	مولى له دفع العنا مذهب
علي باشا ابن الحسين الذي	ما حازة الشرق ولا المغرب
اسعد الله وانجلاه	واسعف الكل بما يطلب
اجاب بالفعل فاهدي الى	نوارك الحساء ما ترغب
وساق للصية ما املوا	اكل شهى سايغ طيب
تصحه لجمعكم كله	عافية دلت فلا تذهب
وان اساء وحيث لم يلهم	عن ذاك سر الحضرة الاطيب
اذ قلت فيه انه قد ملي	من فيضه الببداء والسبب
ذاك الذي انساك	ما بالهم عن شأنه اضربوا
فانني عن فهم ذا واقف	وانني من امرهم اعجب
قائمت اذا ما حيشا كلها	تريد من حضرتنا تذهب
على الذي يغفونه والذي	تبغي ليهنا لكم المطلب
فانني اكركم تشومكم	في ساعة فيها الصفا يطلب

وله فيه مهنثا بالشفاء من

وعك كان حصل له

اللطف حف وكل حين يطلب	ولمن به نيل المطالب اوجب
والصفو يفيقه ابن ادم ديمة	من اين ذاك ودهرة متقلب
يلقي عليه عقد شد مرة	ويمده اخرى بما يستعذب

اما اذا قاتق الحبيب فيكذب
بالماء حي او يجي، ويذهب
يمشي على رجلين فيها ثعلب
او حتى بذاك الخطب غاو اصهب
لو حل قال الناس اين المذهب
فيما جرى تحت الدكادك غيوا
اذ جاء بالبشري برير اشهب
فجات فكل منهما مستغرب
قد كان في عالم العايم يرتب
يلعم به طول العلاج المتعب
خبت بشر الشرك جسم طيب
ان لا يرى من بعدها ما يتعب
كل المكارة ما اضل الكوكب
وعلى جنابك حارس مترقب
ما للشفا يعتل هذا اعجب
اخطا لانك خصبه اذ يجذب
حبا وترحبا فزاد المرحب
ترك التوغل في المبرة اصوب
ياقي بها عوضا زمان اقرب
ولربها شعكر عليك مرتب
في جلب جامعة العطايا يرغب
برىء الهمام ابعد هذا مطلب

ولربما صبر المضام لضيمه
يشكو علي ابن الحسين ويغذي
هذا اذا خلق جديد وكل من
كلا لقد وقف التنفس عند ما
وانسد باب النطق حتى انه
غابوا عن الاحساس اذ لو فكروا
بيننا الوري في حكم قبض ساخط
هي فرحة جاءت عقيب هزيمة
جمعت يدا اللطاف فيها كلها
رفقا بمنتظر السامة حيث لم
وصيانة من ان يعالج من يد
فلذا نرجو من كريم علاجها
يايها المولى الذي يفديه من
من اي ناحية تسور هذه
بل انت للعدل الحداد شفاؤها
اترى الزمان وقد اخافك جن او
اورام عن مقة بضمك قاصدا
ما كان اغناسا اذا عن ضمه
ولعل فيما قد عراك كرامة
فلي البشارة يوم كشف قناعها
هذا واني قائل لمؤمل
يا طالب الفضل استمع تاريخه

وله ايضا

فسوقكم ذات عث
من عاشر بثليث
في كف شاهد عث

قل للشهود تعزوا
لا تطمعوا ان تفوزوا
ان العكسور توارت

وله يمدح الامير حمودة ابن الباشا علي قبل تملكه

او ما تراه طليعة الموعد
قول المني لمرتبجه الى غد
فنكاية العشاق شان الخرد
قسمت كراعا لي بكل تودد
في حبا حتى حطمت مفندي
للعين اوصاف الردي والحيدي
ان خيف في الاشهاد زور المشهد
فمجانب الانصاف غير مسدد
نظر البصير بيومه ما في الغد

فرح يزيد بقولها لا تعد
سمحت به لاياوا ثقل ما هنا
لا لا اذم من المليحة مطمدا
ليت التي منهـن كنت اسيرها
او انها علمت باني خاطب
يا اخت ماء المزن فيك تمثلت
ما بعد علمك بالخصومة فيصل
فلتعملي عمل السديد بعلمه
ولتنظري عرضا يجول بعارضه

ولعل ابيضه لقلب اسود
لو دام اشتهى للغزال الاغيد
في وقته يرضاه غير الانكد
كلا ولا منها بليل سرمد
لفرحت اني نلت اقصى مقصد
حمودة الباشا بدرس المسند
فيذانة الايام بعد ملدد
باب فقال السعد مني فابتد
او عن سوى بل حكمة لم تعهد
وجد اجتناء السفل اسهل لليد
سهم النفاذ وحذوة المستجمد
واع وطرف العين منه بمرصد
في اصله عن اصله بل يقتد
همسا وان اصفى فغير مبلد
صفة الحيا ونجافة المتجرد
فاللحظ يعرف منه هدي المهتد
فلهوذا وبه حياة السؤدد
بين البنود على الحيايد الميبد
منصور ما تحت اللواء مؤيد
وتعدة مولى لها وكان قد
مولاه في هذا المقام الاسعد
من حازة ما فاته من مقصد
وله يقول البخت حسبك وازدد
صهر الامير ابن الامير الارشد
خضعت له الدنيا خضوع مقلد
فيما يزين وطرح ما لم يحمد
الا بانفس في النفوس محلد
قلب الذي يديره نار الموقد
لتراه حقاً في الحضور الشهد
ما لا يغيب وعشق ما لم يوجد
فاذا حواه حواه كالمتزهد
ايدي الصلاح على زمان مفسد
جهة السماء فليس بالمستبعد
بالاعتبار خالة في مزود
سر الفلاح وعمدة المتعمد
وبنو الشهامة والغناء الاتد
اغلوا لباسهم بانجد امجد
غض وعين الشمل غير مبدد

فلعل ابيضه لقلب ابيض
قالوا البياض يشينه وسواده
ما انصفوا بل كل شيء كائن
لا حسن في صلح يدوم لامرد
هذا ولو اثبت صدقي في الهوى
فرح الزمان وقد اهل هلاله
باكورة الملك التي افتتحت بها
اخذ الكتاب فكان اول سطره
جعل النهاية في الصلاح بداية
من نال اعلا الفصن عند جناه
ثم استمر فحدثن ما شئت عن
يقظ الجنان لما يقال وسمعه
لا يستبد اذا تبين نوبة
واذا تكلم كان جل كلامه
وله على فرط الذكاء شواهد
واستفت عما غاب عنك لحاظه
ان كان شخص الروح يظهر مرة
فسيحمد المسعى اذا ما سار ما
وتقر عين الملك منه بناصر
حتى تدين له الملوك جميعها
فلعله المسعود حيث اقامه
بل هو عين السعد اجمع لم يفت
ومن الذي اهل له ويحوزة
غير الامير ابو الامير وصنوه
ابن الحسين علي الباشا الذي
درج الملوك فكان فذلكه لهم
كلف بان لا يكتفي من سعيه
لو كان ممتع اللقاء لكان في
افلا تطير له القلوب وانها
لكن من شيم الطباع ملالها
كالمال يظهر في المنام لباس
ياها المولى الذي قذفت به
من اين جئت فان تكن اقبلت من
اما الصعيد الآن فهو وناسه
حاشا بني خاقان ان رضاهم
اوتاد هذا الدين غير مدافع
ومن العناية ان كسوك وانما
اللباس سوى لباسك والمناس

والكون بين مسدد وممهّد
 حتى ظفرت بمطمح المترصد
 بل ما سحت باخ بذاك المفرد
 طرف ولا انبسطت لغيرك في يد
 وصفت فلم تلهج بغيره فدود
 من عالم ثوب النناء الاجود
 لياشة قال الحكيم مجرد
 اذ هو طالع سعد جرك من يد
 حق لكونك كفوها في المحتد
 بل انتجت من كفها الرب الند
 تلقاك بعد بشركة المتولد
 ومناط رحلك بالقصي الابد
 رسخت بذكرك من حديث مهند
 اخرجتها فعلي بالمتعود
 بلغ التواتر عند كل موحد
 من طيبها جسم العليل المقعد
 اهدته في طي الكتاب المقعد
 خلطته من عرق لها بمورد
 عند العبارة ذا المقال الايد
 هذا المركب مثل ذاك المفرد
 ام هي دعوة عابد متجد
 عند الملوك ولا كمثلك مرتد
 وطردت عنه كل ضيفن معتد
 احضى له بالحلب ان لم احسد
 والشمس ابدع قوله للنشد
 ولذيذ عيش بالهنا متجدد
 رؤيا تشرفكم لاصدق مقصد
 متصرمين وبالنبي محمد

ايام كنت على زمانك راضيا
 تترصد الارضى واين تظنه
 نسج رمته صناع اهلك مفردا
 قلبست منه حلة ما شامها
 عذبت فلم تنضج بملحة لجة
 نسبت لحيل الترك الا انها
 وكنت عنها باللباس وانها
 تزهو على جاراتها بصباحها
 وعلت لديك على الملاح بحرية
 ام البنين مع البنات ولم تلد
 ولقصرها فيك المحبة لم تكن
 ورعت ذمامك والمخاوف حولها
 فهل اكتفيت من الكمال بقصة
 كم تحته من نكتة ان لم اكن
 وحديث نفح الطيب عنها مسند
 لو لم تطب انفاسها لم ينتعش
 غمرتك منه لدى المقام وان تسر
 وتصرفت في مزجه وكانها
 فانت من الترتيب ما اعيت به
 ان كان يزعم غير هذا فليقل
 هذي الذي ها نلتها بعزيمة
 ما مثلها بين الملابس حلة
 يا اهل بيت شخت في امداحهم
 هذا حديثي عنكم ولعلني
 ابدعت فيه عن الهلال وبدره
 لا زلت في غبطة ومسرة
 وعمرتم ما شتمت حتى تسروا
 بالآل والاصحاب والاتباع والمد

جدول رمضان المعظم لسنة ١٣٥٩

الافطار				
فرنجي	عربي	فرنجي	عربي	اسماء
دقائق	ساعات	دقائق	ساعات	
٢٣	٤	٥٧	١	١
٢٢	٤	٥٦	١	٢
٢٤	٤	٥٥	١	٣
٢٥	٤	٥٤	١	٤
٢٦	٤	٥٣	١	٥
٢٧	٤	٥٢	١	٦
٢٨	٤	٥١	١	٧
٢٩	٤	٥٠	١	٨
٣٠	٤	٤٩	١	٩
٣١	٤	٤٨	١	١٠
٣٢	٤	٤٧	١	١١
٣٣	٤	٤٦	١	١٢
٣٤	٤	٤٥	١	١٣
٣٥	٤	٤٤	١	١٤
٣٦	٤	٤٣	١	١٥
٣٧	٤	٤٢	١	١٦
٣٨	٤	٤١	١	١٧
٣٩	٤	٤٠	١	١٨
٤٠	٤	٣٩	١	١٩
٤١	٤	٣٨	١	٢٠
٤٢	٤	٣٧	١	٢١
٤٣	٤	٣٦	١	٢٢
٤٤	٤	٣٥	١	٢٣
٤٥	٤	٣٤	١	٢٤
٤٦	٤	٣٣	١	٢٥
٤٧	٤	٣٢	١	٢٦
٤٨	٤	٣١	١	٢٧
٤٩	٤	٣٠	١	٢٨
٥٠	٤	٢٩	١	٢٩
٥١	٤	٢٨	١	٣٠
٥٢	٤	٢٧	١	٣١
٥٣	٤	٢٦	١	٣٢
٥٤	٤	٢٥	١	٣٣
٥٥	٤	٢٤	١	٣٤
٥٦	٤	٢٣	١	٣٥
٥٧	٤	٢٢	١	٣٦
٥٨	٤	٢١	١	٣٧
٥٩	٤	٢٠	١	٣٨
٦٠	٤	١٩	١	٣٩
٦١	٤	١٨	١	٤٠
٦٢	٤	١٧	١	٤١
٦٣	٤	١٦	١	٤٢
٦٤	٤	١٥	١	٤٣
٦٥	٤	١٤	١	٤٤
٦٦	٤	١٣	١	٤٥
٦٧	٤	١٢	١	٤٦
٦٨	٤	١١	١	٤٧
٦٩	٤	١٠	١	٤٨
٧٠	٤	٩	١	٤٩
٧١	٤	٨	١	٥٠
٧٢	٤	٧	١	٥١
٧٣	٤	٦	١	٥٢
٧٤	٤	٥	١	٥٣
٧٥	٤	٤	١	٥٤
٧٦	٤	٣	١	٥٥
٧٧	٤	٢	١	٥٦
٧٨	٤	١	١	٥٧
٧٩	٤	٠	١	٥٨
٨٠	٤	٠	١	٥٩
٨١	٤	٠	١	٦٠
٨٢	٤	٠	١	٦١
٨٣	٤	٠	١	٦٢
٨٤	٤	٠	١	٦٣
٨٥	٤	٠	١	٦٤
٨٦	٤	٠	١	٦٥
٨٧	٤	٠	١	٦٦
٨٨	٤	٠	١	٦٧
٨٩	٤	٠	١	٦٨
٩٠	٤	٠	١	٦٩
٩١	٤	٠	١	٧٠
٩٢	٤	٠	١	٧١
٩٣	٤	٠	١	٧٢
٩٤	٤	٠	١	٧٣
٩٥	٤	٠	١	٧٤
٩٦	٤	٠	١	٧٥
٩٧	٤	٠	١	٧٦
٩٨	٤	٠	١	٧٧
٩٩	٤	٠	١	٧٨
١٠٠	٤	٠	١	٧٩

الامساك				
فرنجي	عربي	فرنجي	عربي	اسماء
دقائق	ساعات	دقائق	ساعات	
٢٣	٤	١٧	١	١
٢٢	٤	١٦	١	٢
٢٤	٤	١٨	١	٣
٢٥	٤	١٩	١	٤
٢٦	٤	٢١	١	٥
٢٧	٤	٢٢	١	٦
٢٨	٤	٢٣	١	٧
٢٩	٤	٢٤	١	٨
٣٠	٤	٢٥	١	٩
٣١	٤	٢٦	١	١٠
٣٢	٤	٢٧	١	١١
٣٣	٤	٢٨	١	١٢
٣٤	٤	٢٩	١	١٣
٣٥	٤	٣٠	١	١٤
٣٦	٤	٣١	١	١٥
٣٧	٤	٣٢	١	١٦
٣٨	٤	٣٣	١	١٧
٣٩	٤	٣٤	١	١٨
٤٠	٤	٣٥	١	١٩
٤١	٤	٣٦	١	٢٠
٤٢	٤	٣٧	١	٢١
٤٣	٤	٣٨	١	٢٢
٤٤	٤	٣٩	١	٢٣
٤٥	٤	٤٠	١	٢٤
٤٦	٤	٤١	١	٢٥
٤٧	٤	٤٢	١	٢٦
٤٨	٤	٤٣	١	٢٧
٤٩	٤	٤٤	١	٢٨
٥٠	٤	٤٥	١	٢٩
٥١	٤	٤٦	١	٣٠
٥٢	٤	٤٧	١	٣١
٥٣	٤	٤٨	١	٣٢
٥٤	٤	٤٩	١	٣٣
٥٥	٤	٥٠	١	٣٤
٥٦	٤	٥١	١	٣٥
٥٧	٤	٥٢	١	٣٦
٥٨	٤	٥٣	١	٣٧
٥٩	٤	٥٤	١	٣٨
٦٠	٤	٥٥	١	٣٩
٦١	٤	٥٦	١	٤٠
٦٢	٤	٥٧	١	٤١
٦٣	٤	٥٨	١	٤٢
٦٤	٤	٥٩	١	٤٣
٦٥	٤	٦٠	١	٤٤
٦٦	٤	٦١	١	٤٥
٦٧	٤	٦٢	١	٤٦
٦٨	٤	٦٣	١	٤٧
٦٩	٤	٦٤	١	٤٨
٧٠	٤	٦٥	١	٤٩
٧١	٤	٦٦	١	٥٠
٧٢	٤	٦٧	١	٥١
٧٣	٤	٦٨	١	٥٢
٧٤	٤	٦٩	١	٥٣
٧٥	٤	٧٠	١	٥٤
٧٦	٤	٧١	١	٥٥
٧٧	٤	٧٢	١	٥٦
٧٨	٤	٧٣	١	٥٧
٧٩	٤	٧٤	١	٥٨
٨٠	٤	٧٥	١	٥٩
٨١	٤	٧٦	١	٦٠
٨٢	٤	٧٧	١	٦١
٨٣	٤	٧٨	١	٦٢
٨٤	٤	٧٩	١	٦٣
٨٥	٤	٨٠	١	٦٤
٨٦	٤	٨١	١	٦٥
٨٧	٤	٨٢	١	٦٦
٨٨	٤	٨٣	١	٦٧
٨٩	٤	٨٤	١	٦٨
٩٠	٤	٨٥	١	٦٩
٩١	٤	٨٦	١	٧٠
٩٢	٤	٨٧	١	٧١
٩٣	٤	٨٨	١	٧٢
٩٤	٤	٨٩	١	٧٣
٩٥	٤	٩٠	١	٧٤
٩٦	٤	٩١	١	٧٥
٩٧	٤	٩٢	١	٧٦
٩٨	٤	٩٣	١	٧٧
٩٩	٤	٩٤	١	٧٨
١٠٠	٤	٩٥	١	٧٩

المجلة الشهرية للدراسات التونسية

مجلة علمية أدبية أخلاقية
تصدرها المجلة التونسية للدراسات التونسية
شهرية وسنتها عشرة أشهر

الجزء الثاني | تونس في شهر شوال المبارك ١٣٥٩ وفي نوفمبر ١٩٤٠ | المجلد الرابع

صاحب المجلة والمدير :

عبد الحفيظ الشاذلي القاهني

المدرس من الطبقة الاولى بجامع الزيتونة
والخطيب الاول بجامع حمودة باشا

المراسلات :

ترد باسم مدير المجلة بمحل الادارة

رئيس قلم التحرير :

محمد المختار ابن محمود

المفتي الحنفي
بالديار التونسية

الادارة :

نهج الباشا رقم ٣٣ بتونس - تليفون ٤٩-٢٦

حساب جاري بادارة البريد رقم ٣٤٢٢

تس الجزء ثلاثة فرنكات

صفحة	المقال	صاحبه
٤٤	الدين النصيحة	العالم الهمام الحجة الامام صاحب الفضيلة الشيخ سبدي محمد الطيب بيرم شيخ الاسلام الحنفي
٤١	نظام الزكاة والصدقة في الاسلام	الشيخ محمد الهادي ابن القاضي المدرس من الطبقة الاولى والحاكم بالمجلس المختلط
٤٥	عقود الانكحة بتونس	العالم المؤرخ امير الامراء سيدي محمد بن الخوجه مستشار الحكومة التونسية
٤٩	القضاة الشرعيون في القديم	العلامة النحرير صاحب الفضيلة الشيخ سيدي محمد البشير النيفر المفتي المالكلي
٥١	العيد	مدير المجلة محمد الشاذلي ابن القاضي
٥٤	الرجل الذي قضى في خدمة العلم وبشه في صدور الرجال ثمانين عاما	صاحب الفضيلة الشيخ محمد المختار بن محمود المفتي الحنفي
٥٦	رثاء شيخ الجماعة المنعم الشيخ احمد بن مراد	العالم الاديب الشيخ الطاهر القصار المدرس بجامع الزيتونة
٥٧	ولاية العلامة الشيخ محمد البشير النيفر مفتيا بالديار التونسية ونبذة من ترجمته	مدير المجلة محمد الشاذلي ابن القاضي
١٥	قطعة من ديوان الورغي	نشرة المجلة

الاشتراك

عن سنة بالحاضرة وبلدان المملكة والجزائر والمغرب	وصولات الاشتراك لا تعتبر الا اذا
الاقصى وسوريا فرنكات	كانت ممضاة من امين المال
في الخارج غير البلاد المذكورة فرنكات ٤٠	محمد الهادي ابن القاضي
الخصم الربع للتلازمة	والمخ. ابرات المالية لا تكون الا معه

المجلة الزيتونية

مجلة علمية أدبية أخلاقية
تصديدها الشهرية منذ سنة ١٣٥٩ هـ
شهرتها عشرة أشهر

الجزء الثاني تونس في شهر شوال المبارك ١٣٥٩ وفي نوفمبر ١٩٤٠ المجلد الرابع

صاحب المجلة والمدير :

بجيت الشاذلي القاهني

المدرس من الطبقة الاولى بجامع الزيتونة
والخطيب الاول بجامع حمودة باشا

المراسلات :

ترد باسم مدير المجلة بمحل الادارة

رئيس قلم التحرير

محمد المختار بن محمود

المفتي الحنفي

بالديار التونسية

الادارة :

نهج الباشا رقم ٣٣ بتونس - تليفون ٢٦-٤٩

حساب جاري بادرارة البريد رقم ٣٤٢٢

ثمن الجزء ثلاثة فرنكات

الحديث الشريف

باب قول النبي صلى الله عليه وسلم*

الدين النصيحة

لله ورسوله ولائمة المسلمين وعامتهم وقوله تعالى ۱۱ انصحو الله ورسوله

عن جرير بن عبد الله قال بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على اقام الصلاة وايتاء الزكاة والنصح لكل مسلم . « رواه البخاري في صحيحه »

الشرح

بقلم العلم الهمام الحجة الامام صاحب الفضيلة
الشيخ سيدي محمد الطيب بيرم شيخ الاسلام الحنفي

تتنظم اطراف الكلام في هذا المقام في مقدمة وستة مباحث وخاتمة .

المقدمة

اعلم ان الله سبحانه وتعالى العزيز العلام خلق هذا العالم في غاية الاحكام وجعله مرتبطا ببعضه بعضا على اكمل نظام وجعل الخليفة في الارض وهو الانسان كل فرد من افرادة محتاج الى الآخر على الدوام وركب فيه العقل ليتوصل به الى حاجياته بانتظام ولكن العقل وحده غير كاف لجميع مصالحه بالتعام فاوصل سبحانه وتعالى الرسل عليهم الصلاة والسلام لبيان مصالح الانسان في هاته الدار ودار المقام وجعل خاتمهم سيدنا ومولانا محمدا عليه افضل الصلاة والسلام فارسله بالهدى ودين الحق لجميع الانام وبين لهم الحلال والحرام وهداهم سبل دار السلام وحيث كان كل فرد من افراد الانسان عضوا في عالم الانسان صارت المصلحة متبادلة بين الجميع على الدوام فتعين النصح على الافراد بالتعام وجاء هذا الدين المتين بوجوب النصيحة على جميع المسلمين قال صلى الله تعالى عليه وعلى آله وصحبه اجمعين الدين النصيحة لله ورسوله ولائمة المسلمين

* د. س ختم الحديث الذي القاه شيخ الاسلام الحنفي امام جامع سيدي يوسف بالجامع المذكور بعد صومر يوم الثالث والعشرين من شهر رمضان المنصرم وحضره الملك المعظم سيدنا ومولانا نجل باشا باي صاحب المملكة التونسية ابتغاء الله

الدين النصيحة

مناسبة هذا الباب للباب قبله وهو باب أن الأعمال بالنيات أنها لا تقبل إلا إذا كانت ابتغاء لوجه الله تعالى مع ترك الرياء والعمل على هذا الوجه من جملة النصيحة لله تعالى ومن جملة النصيحة لرسوله صلى الله تعالى عليه وسلم أيضا حيث أتى بعمله على وفق ما أمر به الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم محتبنا عما نهاه عنه ثم إن البخاري رضي الله عنه ختم كتاب الإيمان بهذا الحديث لأنه حديث عظيم جليل جميل عليه مدار الإسلام كما قيل أنه أحد الأحاديث الأربعة التي عليها مدار الإسلام وقال بعضهم يمكن أن يستخرج منه الدليل على جميع الأحكام ولعله قال ذلك نظرا للحصر المستفاد من تعريف طرفي الجملة وهي الدين النصيحة

ثم إن هذا الحديث أورد البخاري هنا ترجمة باب ولم يخرج مسندا في هذا الكتاب لكونه على غير شرطه ونبه بإيراده على صلاحيته في الجملة وما أورده من الآية وحديث جرير يشتمل على ما تضمنه لأن راوي الحديث تميم الداري رضي الله تعالى عنه وأشهر طرقه فيه سهيل ابن أبي صالح وليس من شرطه لأنه لم يخرج له في صحيحه وقد أخرج له مسلم والأربعة رضي الله تعالى عنهم وروى عنه مالك رضي الله تعالى عنه ويحيى الأنصاري والثوري وابن عيينة وحماد بن سلمة وخلق كثير

وقال البخاري رحمه الله : سمعت عليا - يعني ابن المديني - يقول كان سهيل ابن أبي صالح مات له اخ فوجد عليه نسي كثيرا من الأحاديث ، وقال يحيى ابن معين لا يحتج به ، وقال أبو حاتم يكتب حديثه وقال بن عدي وهو عندي ثبت لا بأس به مقبول الأخبار وقد روى عند الأئمة وقد روى مالك في شيوخته من أهل المدينة الناقد لهم ثم قال في أحاديثه بالعراق أنه نسي الكثير منها وساء حفظه في آخر عمره ، وقد أكثر مسلم عنه في إخراجها في الشواهد مقرونا في أكثر روايته بحافظ لا يدافع فيسلم بذلك من نسبته إلى سوء الحفظ ، ولكن لما لم يكن عند البخاري من شرطه لم يأت فيه بصيغة الجزم ولا في معرض الاستدلال بل أدخله في التوبخ فقال : « باب قول النبي صلى الله تعالى عليه وسلم الدين النصيحة » فلم يترك ذكره لأنه عندنا من الواهي بل ليفهم أنه أطلع عليه وإن فيه علة منعه من إسنادة ، وأخرجه مسلم رحمه الله بلفظ حدثنا محمد بن عباد المكي حدثنا سفيان عن سهيل قال الدين النصيحة قلنا لمن قال الله ولكتابه ولرسله ولأئمة المسلمين وعامتهم ثم إن تميم الداري رضي الله تعالى عنه نسبته إلى جده الدار بن هاني وقيل لموضع يقال له دارين ويقال له أيضا الديري نسبة إلى دير كان يتعبد فيه ، كان نصرانيا فوفد على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في جماعة من الدارين منصرفه من تبوك فأسلم ، وكان كثير التهجيد يختم القرآن في ركعة فنام ليلة لم يقم يتعبد فيها فقام سنة لم ينم فيها عقوبة للسذي صنع واشترى حلة بالف كان يقوم فيها الليل ، ولقد قال عمر رضي الله تعالى عنه لبعض من قدم عليه اذهب وانزل على خير أهل المدينة

فنزل على تميم قال فينما نحن نتحدث اذ خرجت نار الحرة فجاء عمر الى تميم فقال ياتميم اخرج فصغر نفسه ثم قام فحاشا ثم ادخلها الباب الذي خرجت منه ثم اقتحم في اثرها ثم خرج فلم تضربه . وهو اول من قضى في المسجد باذن عمر رضي الله تعالى عنه .

وذكر للنبي صلى الله عليه وسلم قصة الجساسة والدجال اذ وجدده هو واصحابه . فحدث النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك على المنبر وعد ذلك من مناقبه ويدخل في ذلك رواية الاكابر عن الاصاغر فقد قالت فاطمة بنت قيس سمعت منادي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ينادي الصلاة جامعة فخرجت الى المسجد فصليت مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فلما قضى صلاته جلس على المنبر وهو يضحك فقال ليلزم كل انسان مصلا ثم قال : اني والله ما جمعتكم لرغبة ولا رهبة ولكن جمعتكم لان تميم الداري كان رجلا نصرانيا فجاء واسلم وحدثني حديثا وافق الذي كنت احذثكم به عن المسيح الدجال

حدثني انه ركب البحر في سفينة بحرية مع ثلاثين رجلا من لحم وحزام فلعب بهم الموج شهرا في البحر فارسوا الى جزيرة اي قاربوها حين تغرب الشمس فجلسوا في اقرب (١) السفينة فدحاوا الجزيرة فقيمتهم دابة اهلب كثير الشعر (٢) لا يدرون ما قبله من دبرة من كثرة الشعر قالوا ويلك ما انت قالت انا الجساسة (٣) انطلقوا الى هذا الرجل في الدير فانه الى خبركم بالاشواق قال لما سمعت لنا رجلا فرعنا منها ان تكون شيطانة . قال فانطلقنا سراعا حتى دخلنا الدير فاذا فيه اعظم انسان ما راينا قط واشده وثاقا مجموعة يده الى عنقه ما بين ركبتيه الى كعبيه بالحديد . قلنا ويلك ما انت قال قد قدرتم على خبري ما انتم . قال نحن اناس من العرب ركبنا في سفينة بحرية فلعب بنا البحر شهرا فدخلنا الجزيرة فلقيننا دابة اهلب فقالت انا الجساسة اعمدوا الى هذا الدير فاقبلنا اليك سراعا . فقال اخبروني عن نخل يسان هل ثمر ؟ قلنا نعم . قال اما انها يوشك ان لا ثمر . قال اخبروني عن بحيرة طبرية هل فيها ماء ؟ قلنا هي كثيرة الماء . قال ان ماءها يوشك ان يذهب . قال اخبروني عن عين زغر هل في العين ماء ؟ وهل يزرع اهلها بماء العين ؟ قلنا نعم هي كثيرة الماء واهلها يزرعون من ماءها . قال اخبروني عن النبيء الامين ما فعل ؟ قلنا خرج من مكة ونزل يشرب . قال أقاتلته العرب ؟ قلنا نعم . قال كيف صنع بهم ؟ فاجبرناه انه قد ظهر على من يليه من العرب واطاعوه قال اما ان ذلك خير لهم ان يطيعوه واني مخبركم عني اني انا المسيح واني يوشك ان يؤذن لي في الخروج فاخرج فاسير في الارض فلا ادع قرية الا هبطتها في اربعين ليلة غير مكة وطيبة هما

(١) هو بضم الراء جمع قارب سفينة صغيرة يقال لها سنوك - (٢) هو تفسير لما قبله -

(٣) سميت بذلك لتجسسها الاخبار للدجال .

محرمان علي كتابهما كلما اردت ان ادخل واحدة منهما استقبلي ملك بيده السيف صلتا يصدني عنهما
وان علي كل نقب (١) منهما ملائكة يحرسونهما

قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وطعن بمخصرته في المنبر هذه طيبة هذه طيبة - يعني
المدينة - الا هل كنت حدثتكم ؟ قالوا نعم اهـ .

وسكن تميم رضي الله تعالى عنه بيت المقدس بعد قتل عثمان رضي الله تعالى عنه ومات ودفن
ببيت جبرين من ارض فلسطين سنة اربعين .

وقوله الدين النصيحة . الدين له اطلاقان لغة واصطلاحا اما لغة فيطلق بازاء معان منها الطاعة
ومنه قول زهير .

لأن حلت بوادي بني اسد في دين عمر وحالت بيننا فذك
اراد في طاعة عمر ويطلق على الجزاء ومنه قوله تعالى ان الدين لواقع أي الجزاء لواقع يوم
التبعية والحساب ومنه قول لبيد :

حصادك يوما ما زرعت وانما يدان الفتى بما هو دائر
ومن كلام العرب كما تدن تدان أي كما تجازي تجازي ويطلق ويراد به التوحيد ومنه قوله تعالى
الا لله الدين الخالص أي التوحيد ويطلق بمعنى الملة ومنه قوله تعالى ورضيت لكم الاسلام دينا ويعبر به
عن داء من ادواء القلب ومنه قول الشاعر : (يا دين قلبك من سلمى وقد رجعا)
ويطلق ويراد منه العادة والعمل ومنه قوله :

اذا اردت لها وضيئى فهذا دينه ابدا وديني
والوضين الهودج بمنزلة البطان للقتب والحزام للسرج ويطلق ويراد منه السياسة ومنه قول ذي
الاصبع : (ولا انت ديانى فتخزوني) .

ويطلق على الحال ومنه قول النضر بن شميل . سالت اعرابيا عن شيء فقال : لو لقيتني على
دين غير هذا لاخبرتك . اي على حال غير هذا .

ويطلق على القهر والخضوع ومنه قول العرب دنته فدان . أي قهرته فضع .
واما اصطلاحا فوضع آلهي سائق لذوي العقول باختيارهم الم محمود الى ما هو خير لهم بالذات .
فخرج بقوله الآهي الاوضاع الصناعية . وبقوله سائق الوضع الآهي غير السائق كنبات الارض وامطار
السماء وقوله لذوي العقول الحيوانات المختصة بالاختيار وبقوله باختيارهم الاوضاع السائقة لا بالاختيار
كالوجدانيات وبقوله الم محمود الكفر . وقوله بالذات متعلق بسائق اي ان الوضع الالهي بذاته سائق لانه
ما رضع الا لذلك ويمكن تعلقه بالخير ومعناه ان ذلك الخير وهو ما وضعه الكريم بذاته خير .

والمراد به هنا هو دين الاسلام وهو ما شرعه الله تعالى لعبادة من الاحكام والنصيحة في اللغة الاخلاص مأخوذة من قولهم نصحت العسل اذا خلصته من شمعته - بفتح الميم ويسكن - وقال ابو بكر بن اسحاق الحفاف : النصح فعل الشيء الذي به الصلاح والملائمة اي المناسبة والمراعاة وقد تخفف الهمز ياء فيقال الملائمة وهي الموافقة بين الاشياء مأخوذة من النصاح وهو الخيط الذي يخاط به الثوب يقال نصح الرجل ثوبه اذا خاطه بالمنصح وهي الابرة والمعنى انه يلزم شعث اخيه كما تلم المنصحة والنصاح بكسر النون وتخفيف الصاد الخيط والنصاح الخياط شبه فعل النصاح فيما يتجرأ من صلاح المنصوح ولم شعثه لم الخياط خلل الثوب ولصق بعضه ببعض ومنه التوبة النصوح كان الذنب يمزق الدين والتوبة تخطيه ، ويقال نصح له افصح من نصحته ، وقال الخطابي النصيحة كلمة جامعة معناها حيازة الحظ للمنصوح له ، ويقال هو من وجيز الاسماء ومختصر الكلام وليس في كلام العرب كلمة مفردة تستوفى بها العبارة عن معنى هذه الكلمة كما قالوا في الفلام ليس في كلام العرب كلمة مفردة تستوفى بها العبارة عن معنى ما جمعت من خير الدنيا والآخرة .

وقال الامام ابو سليمان السبكي النصيحة كلمة يعبر بها عن جملة ارادة الخير للمنصوح له وليس يمكن ان يعبر عنها بكلمة واحدة تختصرها .

وشرعا اخلاص الراي من الغش للمنصوح واظهار مصاحته وان شئت قلت بذل المودة والاجتهاد في المشورة .

وقوله الدين النصيحة اما على حذف مضاف اي عماد الدين وقوامه اي معظمه النصيحة على وزن الحج عرفة اي معظم اركان الحج وقوف عرفة ، او يبقى على ظاهرها اذ النصيحة لم تبقى من الدين شيئا الا اشتملت عليه لان من حملتها الايمان بالله تعالى ورسوله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وصحبه وسلم وطاعة الله ورسوله والعمل بما قاله الله والرسول من كتاب وسنة وليس وراء ذلك من الدين شيء وكيف وقد جاء في حديث جبريل عليه السلام ان الدين هو الاسلام والايمان والاحسان وجميع ذلك مندرج تحت ما ذكر من النصيحة وهي تحري الاخلاص قولاً وفعلًا واعتقاداً وبذل الجهد في اصلاح المنصوح له سرا وجهراً وكل عمل لم يرد به عامله الاخلاص فليس من الدين اصلاً ومن ثم لم يكن في كلام العرب اجمع منها كما ذكرنا .

النصيحة لله تعالى

معنى النصيحة لله يرجع الى الايمان به وفي الشريك عنه وترك الاحاد في صفاته ووصفه بصفات الجلال والكمال وتنزيهه عن النقائص فيجب ان يعتقد ان الله سبحانه وتعالى واحد في ذاته وصفاته وافعاله ويصفه بما هو اهل من الصفات الثبوتية من الحياة والعلم والقدرة والارادة والكلام

ونحوها وبتزيبه عما لا يجوز عليه من النعوت السلبية فانه سبحانه ليس بجوهر ولا عرض ولا في مكان وغيرها والرغبة في محابه اي الميل في كل ما يحبه ويرضاه والعبد من ملاحظه اي التبعد عن جميع مايكرهه وينهى عنه والاخلاص في عبادته اي فيما يامر به الله من امور دينية وعقبات ومواالات من اطاعه ومعاداة من عصاه والاعتبار بنعمته وشكره عليها وفي حديث رواه احمد رضي الله عنه قال الله عز وجل احب ما تعبد به عبدي النصيح لي . وروى الثوري رضي الله عنه عن علي كرم الله وجهه قال قال الحواريون لعيسى يا روح الله من الناصح لله قال الذي يقدم حق الله على حق الخلق . وحقيقة هذه الاضافة راجعة الى العبد في نصيحة نفسه فانه تعالى غني عن نصح الناصحين وعن العالمين .

النصح لكتاب الله

هذا مضاف فيعم جميع كتبه المنزلة بان يؤمن بانها من عند الله سبحانه وتعالى وتنزيله ويميز القرآن بانه لا يشبه شيء من كلام الخلق ولا يقدر احد منهم على الاتيان بمثل اقصر سورة منه وتلاوته بخشوع واقامة حروفه في التلاوة والتصديق بما فيه وتفهم علومه وتعظيمه واكرامه والاعتناء بمواعظه والتفكير في عجائبه والعمل بحكمه والتسليم بمتشابهه والبحث عن ناسخه ومنسوخه وعمومه وخصوصه وسائر وجوهه ونشر علومه والدعاء اليه والذب عنه من تاويل الغالين . اي المجاوزين الحد كالمعتزلة واضراهم وطعن الملحدين من الزنادقة واصحابهم .

النصيحة للرسول صلى الله عليه وسلم

هي التصديق برسالاته والايمان بما جاء به والتزام طاعته في امره ونهيه وموازته ونصرتة وحمايته حيا وميتا واعظام حقه فقد روى المسور بن مخرمه ان عروة بن مسعود الثقفي رمق اصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ما تنخم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم نخامة الا وقعت في كف رجل منهم فذلك بها وجهه وجلده واذا امرهم ابعدوا امره واذا توضع كادوا يقتتلون على وضوءه واذا تكلم خفضوا اصواتهم عنده وما يحدون النظر اليه تعظيما له قال فرجع عروة الى اصحابه فقال يا قوم لقد وفدت على الملوك ووفدت على قيصر وكسرى والنجاشي والله ان رايت ملكا قط تعظمه اصحابه ما تعظم اصحاب محمد محمدا والله ان تنخم نخامة الا وقعت في كف رجل منهم فذلك بها وجهه وجلده .

ومن النصيحة له احياء سنته والتفقه فيها والذب عليها ونشرها والتخلق باخلاقه الكريمة وآدابه الجميلة . وقال ابو بكر الاجري وغيره النصح له يقتضي نصحين نصحا في حياته ونصحا بعد مماته ففي حياته نصح اصحابه له بالنصر والحاماة عنه اي المدافعة عن ذاته ومعاداة من عاداه والسمع والطاعة له وبذل النفوس والاموال دونه كما قال تعالى رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه الآية . وقال تعالى وينصرون الله ورسوله . الآية . واما نصيحة المسلمين له بعد وفاته فالتزام التوقير والاجلال وشدة المحبة له والمثابرة على تعلم سنته والتفقه في شريعته ومحبة آل بيته واصحابه ومجانبة من رغب عن سنته وانحرف عنها وبغضه والتحذير منه والشفقة على امثاله والبحث عن تعرف اخلاقه وسيرة وآدابه .

النصيحة لاية المسلمين

الايمة جمع امام وهو القائم بامور المسلمين والامامة اعم من الخلافة اذ كل خليفة امام ولا يتعكس قيل الامامة على اربعة اوجه امامة وحي وهي النبوة وامامة وراثية وهي للعلاء لان العلاء ورثة الانبياء كما ورد في الحديث الشريف وامامة عبادة وهي في الصلاة وامامة مصلحة وهي الخلافة والمراد من ايمة المسلمين هنا على القول المشهور الذي عليه الجمهور هم اصحاب الحكومة كالحلفاء والولاة والامراء

ونصيحتهم تكون بمعاونتهم على الحق وامرهم به وطاعتهم فيه واعلامهم بما غفلوا عنه من امور المسلمين وحقوقهم والدعاء بالصالح لهم وترك الخرج عليهم والجهاد معهم واداء الزكاة اليهم وتحذيرهم ممن يريدهم بسوء واعلامهم باخلاق عمالهم وسيرتهم في الرعية وسد خلعتهم عند الحاجة ورد القلوب النافرة اليهم وامثال امرهم في غير المعاصي فقد ورد ان عبد الله بن حذافة السهمي بعث النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في سرية وامره عليها وكان فيه دعاية فامرهم ان يجمعوا حطباً ويوقدوه ناراً فلما اوقدوها امرهم بالتقحم فيها فابوا فقال لهم الم يامركم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بطاعتي وقال من اطاع اميري فقد اطاعني فقالوا ما آمنا بالله واتبعنا الرسول الا لننجو من النار فصوب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ذلك وقال لاطاعة لمخلوق في معصية الخالق

فطاعة الايمة في الحق ثابتة على الخلق وواجبة واما اذا امروا بمعصية فلا يطاعون فقد روى الشيخان وغيرهما عن علي كرم الله تعالى وجهه ولفظه لاطاعة لاحد في معصية الله انما الطاعة في المعروف . وقد خطب عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى لما ولي الخلافة فقال اطيعوني ما اطعت الله فاذا عصيته فلا طاعة لي عليكم . وهذا المعنى مستفاد من قوله تعالى اطيعوا الله وأطيعوا الرسول واولي الامر منكم وانظروا سيرة اميرنا هذا المحبوب الذي ملأت محبته القلوب اذا جاءه انسان يتظلم في قضية صرفه الى الشرع العزيز ولا يتداخل في ذلك . ويدافع عن الشرع واهله ويكفيه فخره ويخلد له ذكراً ما صدر منه في هاته الاوقات اذ لولا فضل الله تعالى علينا لمسنا السوء كل ذلك لحوفه من ربه سبحانه وتعالى واعتماده عليه ومن يتوكل على الله فهو حسبه فلا يسعنا الا الدعاء له بالبقاء والنصر على الاعداء

وكذلك تذكيرهم يالا المعروف على احسن وجه بلين ورفق وقد اتفق ان رجلا وعظ المأمون واغلظ عليه فقال له خير منك وعظ من هو شر مني فان موسى وهارون علي نبينا وعليهما افضل الصلاة وازكى السلام لما ارسلهما الله سبحانه وتعالى الى فرعون قال « فقول لا قولاً لنا »

ومن جملة ايمة المسلمين الايمة العلماء المجتهدون على قول والنصيحة لهم تكون ببحث علومهم ونشر مناقبهم وتحسين الظن بهم وقبول ما روه

وليس المراد بالعلماء من تزيا بزمهم وادعى العلم واكل الدنيا بالدين فهؤلاء نصحهم نصيح عامة المسلمين ان لم يستحلوا المعاصي والا فالشيطان اعلم منهم وهم واياله سواء

قال سهل بن عبد الله : لا يزال الناس بخير ما عظموا السلفاء والعلماء يعني العاملين فاذ عظموا هذين اصلح الله دنياهم واخراهم واذا استخفوا بهذين افسد دنياهم واخراهم . (يتبع)

نظام الزكاة والصدقة

في الاسلام

ان الشريعة الاسلامية جمعت بين حقي الروح والجسد في شريعة روحانية جثمانية اعطت جميع الحقوق الانسانية كامل عنايتها وشامل رعايتها فان الانسان روح وجسد حيوان ومملك فهو كما يحتاج الى ما يصلح روحه يحتاج الى ما يصلح جسده انظر الى ينبوع الحكمة ودستور الشريعة فانه مهما يذكر اقامة الصلاة الا وقرن بها ايتاء الزكاة فالصلاة مهذبة للروح والمال قرين الروح وبه وقاية الانسان المحترم من الهلاك والتلف

ولقد قضت حكمة العزيز الحكيم ان يجعل هذا العالم متفاوت المراتب متشعب المسالك ففضل بعض الناس على بعض في الرزق وجعل لكل فريق حبة قوة يمتاز بها وقدر له ناحية ضعف يحتاج بسببها حتى يتم ترابطهم ولا ينتهي تعاونهم ولقد كان من أعظم ما تفاوت فيه الناس امر الرزق الذي عليه مدار حياتهم وبه قوام وجودهم وهو الذي في سبيله كدوا وكدحوا ومن اجله نصبوا وتعبوا فلقد رزقهم ربهم جميعا ولكن منهم من بسط له الرزق ووسع له فاغنى واقنى ومنهم من ابتلاه فقدر عليه رزقه ليلو اعمالهم وليبين من شكر ممن كفر الا وان شكر نعمة المال بالبدل وانفاقه في طرق الخير بالعدل

فقد دلت التجارب الكثيرة المتكررة على انه لا سبيل لتطهير القلوب من احقادها وانقاذ النفوس من ضغائنها اعظم واسرع وانفع وانجع من تبادل الاحسان بين الناس ولا شيء هو اشد ايلاما للنفس من ان ترى امامها من غرق في النعم حتى اهلكته التخمة بينما اخوة تقتله المخمصة ولو انه رد عليه نورا مما زاد عن حاجته وفضلا مما جاوز حد كفايته لسلم كلاهما هذا من تخمته وذاك من مخمصته لهذا حث الشارع على البذل والاحسان وجعل اتفاق المال آية من آيات الايمان واوجب زكاة الاموال والابدان اذ بها صلاح العمران واقاد البشرية من رد يلقى التعادي والعداوان . ولما كان الدين مرشدا للبشر الى ما فيه تزكية نفوسهم وتقويم اخلاقهم شرع الله فيه من الاحكام التعبدية والعلية ما يقيم شر فتنه المال فاوجب على الاغنياء من النفقات والصدقات ما يبدل سيئ الثروة حسنا واستعمل في سبيل ترغيب المسلمين وحثهم على الاتفاق والتصدق كل اساليب التأثير والاقناع فقد ذكر اتفاق المال في وجوه البر والخير في عشرات من آيات الذكر الحكيم وابلغ ما في ذلك التعبير عن التصديق والاتفاق باقرار الله تعالى ووعد مقرضة بالمضاعفة له ومن آيات البليغة في الترغيب فيه ومضاعفة ثوابه وبيان آدابه عشرون آية من اواخر سورة البقرة هي من اواخر ما نزل من القرآن

وبالحكمة فقد جاء في الكتاب والسنة من الترغيب في بذل المال في سبيل البر وجعله من اكبر

آيات الايمان وموجبات الثواب والرضوان وتبوء غفر الجنان وتسميته اقرضا للرحمان ما لم يجيء مثله في اي عمل من اعمال البر والاحسان قال تعالى وانفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة. وقال ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون. وقال ها انتم هؤلاء تدعون لتنفقوا في سبيل الله فمنكم من يبخل ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه والله الغني واتم الفقراء وان تولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا امثالكم .

واعلم ان الصدقة نوعان تطوع وهي مطلق الصدقة وواجبة وهي المسماة شرعا بالزكاة وهي من خصائص هذه الملة وهي الركن الثالث من اركان الدين بعد الشهادتين والصلاة للمفروضة وكان النبي صلى الله عليه وسلم يبايع المسلمين على ادائها واجمع المسلمون على كفر جاحدها ومستحل تركها ولذلك اجمع الصحابة على محاربة مانعي الزكاة فان مانعها يهدم في الظاهر ركننا من اعظم اركان الاسلام وينقض في الباطن من تحته اساس الايمان حيث لم يرض بحكم الله ولم يدعن لامر له بل فسق عن امر مولاه واتخذ الاهه هواه واول ما فرضت الزكاة في الاسلام بمكة مطلقة وترك امر مقدارها ودفعها الى شعور المسلمين واريحيتهم ثم فرض مقدارها من كل نوع من انواع الاموال في السنة الثانية من الهجرة على المشهور وقيل في الاولى ذكره الذهبي في تاريخ الاسلام وكانت تصرف للفقراء كما قال تعالى في سورة البقرة ان تبدوا الصدقات فنعمنا هي وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم وكما قال النبي - صلعم - لمعاد تؤخذ من اغنيائهم فترد على فقرائهم ثم نزلت مصارفها الثمان الآتي بيانها في سنة تسع .

بينت الشريعة في السنة الثانية من الهجرة الاموال التي يجب اخراج الزكاة عنها ومقدار الواجب فواجبت في النقدين من الذهب والفضة وما يقوم مقامهما مما يقع به التعامل واموال التجارة ربع العشر وواجبت العشر او نصفه في الغلات الزراعية التي عليها مدار الاقوات وواجبت في الانعام والركاز وهو ما يوجد في الارض من الكنوز المدفونة والمعدن مقادير ينتها السنة اتم بيان فليرجع اليها من اراد تفصيلها هناك واما صدقة التطوع فلا تختص بنوع دون نوع من انواع الاموال وليس لها نصاب مقدر

ولا توقيت

وقد تولى الله تعالى في كتابه الكريم بيان مصارف الزكاة في آية انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم

فان هذه الآية ناطقة بوجوب قصر الصدقات الواجبة على الاصناف الثمانية المنصوصة فيها دون غيرهم وحاصله ان مصارف الزكاة قسمان احدهما اصناف من الناس سيتحققون بالوصف المقتضي لاستحقاقهم لها والثاني مصالح عامة اجتماعية لا يقصد بها اشخاص سيتحققون بصفة فيهم فالاول الفقراء والمساكين سيتحققون بوصف الفقر والعاملون عليها سيتحققون بعملهم في جمعها وان كانوا اغنياء

والتارمون بقدر ما يخرجهم من غرمهم والمؤلفة قلوبهم يستحقها منهم من ثبت عند اولى الامر الحاجة الى تأليفه وابن السبيل بقدر ما يساعد على العود الى اهله وما له وهذا في معنى الفقير ولكن فقره عارض بسبب السياحة

والقسم الثاني وهو المصالح العامة فك الرقاب وتحريرها وهو مصلحة عامة في الاسلام وفي سبيل الله ويدخل فيه الاستعداد بالقوة والدفاع عن الحوزة واعداد الكراع والسلاح اللازم لحماية بيضة الاسلام ويدخل فيه عند محمد بن الحسن الشيباني الاعانة على حج بيت الله فانها مصلحة اجتماعية كبرى في الدين

وامام المسلمين هو الذي يؤدي اليه صدقة الزكاة وهو صاحب الحق في جمعها وصرفها لمستحقها ويجب عليه ان يقاتل الذين يمتنعون عن ادائها اليه كما فعل خليفة رسول الله - صلعم - فيمن منعوا الزكاة من العرب وقال والله لاقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة فان الزكاة حق المال والله لو منعوني عناقا وفي رواية عقالا كانوا يؤدونها الى رسول الله لقاتلتهم على منعها (متفق عليه) فان لم يطلبه الامام فالواجب ان يؤديها لمستحقها بنفسه

هذه زكاة الاموال وهناك نوع آخر وهي زكاة الابدان ونسمى ايضا زكاة رمضان وصدقة الفطر وصدقة الراس امر بها النبي - صلعم - في السنة الثانية من الهجرة في شهر رمضان قبل العيد بيومين وقبل ان تفرض زكاة الاموال وهي شرعت طهرة للصائم من اللغو والرفث الحاصلين منه في اثناء الصوم وطعمة للمساكين حتى يحصل بها سد خلة المحتاج في يوم العيد كما جاء في حديث ابن عباس رضي الله عنهما

وقد اتفقت الائمة على وجوبها على الحر المسلم القادر وهو من يملك نصابا زائدا على حوائجه الاصلية ولا يشترط حولان الحول عليه

وسبب وجوبها عند الامام الاعظم ابي حنيفة النعمان رضي الله عنه راس يازم الشخص مؤنته ويلي عليه ولاية كاملة فيجب اخراجها عن نفسه وولده الصغير الفقير وخادمه ولا يجب على الرجل ان يخرج عن زوجته الا ان يتبرع ووقت وجوبها فجر يوم العيد ويصح تقديمها وتأخيرها عن هذا الوقت وان كان المستحب اخراجها قبل الذهاب الى المصلى اقله صلعم اغنؤهم عن المسالة في هذا اليوم وتخرج من اربعة اشياء البر والشعير والتمر والزبيب فيجب من البر نصف صاع ومن الشعير والتمر والزبيب صاع كامل عن كل شخص ويجوز له ان يخرج قيمة الزكاة الواجبة من النقود بل هو افضل عند الحنفية لانه اكثر نفعا للفقراء وتدفع صدقة الفطر لمصرف الزكاة العامة ويجوز دفع زكاة جماعة لواحد

كما يجوز دفع زكاة الشخص الواحد الى مساكين ويكره نقلها من بلد الى آخر الا اذا كان

المنقول اليه من اقاربه الفقراء لان في الدفع اليهم جمعاً بين الصلة والصدقة والافضل اخوته واخواته ثم اولادهم ثم اعمامه وعماته ثم اخواله وخالاته ثم ذوا ارحامه ثم حيرانه ثم اهل مسكنه ثم اهل بلدة كذا للقيستاني .

وان في اسعاف الفقراء والمساكين مالياً بما لا يضر الاغنياء خيراً كثيراً للمجتمع وفيه ردهم عما قد تحدثهم به انفسهم من اخلال بالنظام للحصول على الطعام

ومن البلاء المبين ان نرى الشعوب الاسلامية في هذه القرون الاخيرة قد قصرت في بذل المال في سبيل الله وفي طرق البر التي ترتقي بها الامم وتتقدم بها الشعوب

ولو اقام المسلمون هذا الركن من دينهم لما وجد فيهم فقير مدقع ولا ذو غرم مفتجع ولكن اكثرهم تركوا هذه الفريضة فجئوا على دينهم وملتهم وامتهم مع ان الصدقة وبذل المال تطهير للمؤمنين وتركية لهم فهي تطهر انفس الافراد من ارجاس البخل والدناءة والقسوة والطمع والجشع ومن اكل اموال الناس بالباطل فان الذي يترى بالايمان على بذل بعض ما في يده في سبيل الله ابتغاء مرضاته ومغفرة ذنوبه حقيق بان ينزه نفسه عن اخذ مال غيره بغير حق وهذا التطهير لانفس الافراد يستلزم تطهير جماعة المؤمنين من ارجاس الرذائل الاجتماعية التي هي مثار التحاسد والتعادي والبغي والعدوان وهذا لا محالة هو مصداق قوله تعالى خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيتهم بها قال المفسرون في تفسير هذه الآية اي خذ ايها الرسول من سائر اموال المسلمين على اختلاف انواعها صدقة معينة كالزكاة المفروضة او غير معينة وهي صدقة التطوع فان الصدقة اسم عام لما ينفقه المؤمن من قربة لله تعالى تطهرهم وتزكيتهم بها من دنس البخل والطمع والدناءة والقسوة على الفقراء البائسين وما يتصل بذلك من الرذائل وتزكي انفسهم بها اي تمنعها وترفعها بالخيرات والبركات حتى تكون أهلاً للسعادة الدنيوية والاخرية . والتزكية صيغة مبالغة من الزكاء وهو نماء الزرع ونحوه قال في مجاز الأساس رجل زكي زائد الخير والفضل بين الزكاء والزكاة

ولا شك ان تزكيتهم « صلعم » لامته من مقاصد البعثة فهو المربي للمؤمنين على ما تركوه به نفوسهم وعلو قدرها بما شرعه لهم قولاً وعملاً وبما لهم فيه « صلعم » من الاسوة الحسنة قال تعالى هو الذي بعث في الامين رسولا منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين وبعد فان الله فرض في اموال الاغنياء صدقة لمواساة الفقراء ومن في معانهم واقامة المصالح العامة وان الفاسدة في ذلك راجعة الى الاغنياء والفقراء جميعاً فللاغنياء تطهير انفسهم من رذيلة البخل وتزكيتها بفضائل الرحمة بالفقراء ومساعدة الامة باقامة المصالح العامة والفقراء باعانتهم على نواب الدهر مع ما في ذلك من سد ذريعة المفاسد في تضخيم الاموال وحصرها في اناس معدودين عما اشير اليه في قوله تعالى لكي لا تكون دولة بين الاغنياء منكم

وفقنا الله لاقامة شعائر ديننا والتمسك بما سنه لنا رسولنا رسول الهدى والرحمة آمين

محمد بن عبد الله بن القاضى

التاريخ

عقود الانكحة في تونس

بقلم العالم المؤرخ امير الامراء

« ٢ »

سيدي محمد بن الحوجه

وهذه خطبة اخرى من انشاء شيخ الاسلام الشيخ محمد بيرم الرابع خطب بها بمناسبة عقد نكاح الوزير خير الدين بابنة الوزير مصطفى خزندار قال رحمه الله :

الحمد لله مبيح النكاح ومحله . وموفر المن به على العباد ومكمل . وجاعله مزرعة للذرية الصالحة . وذريعة للوصول الى الغرض الذي خلقت النفس البشرية اليه طامحه . ووسيلة الى نمو الخليفة . وسببا لعمارة الارض مع امكان ابراز المخلوقات جملة ولكن اختار سبحانه بحكمته هاته الطريقة . ليشاهد المشاهد تبدل الاطوار . ويحصل الوقوف على سعة قدرة الفاعل المختار . ويعتبر المعتبر من اولي الابصار . ونشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له الذي خلق الزوجين . وجعل التوالد منوطا بهما اناطة الطيران بالجناحين . ونزله جل جلاله عن ان يكون الى الزوجة محتاجا . ونسلك في وصفه بمخالفته للحوادث طريقا واضحا ومنهاجا . ونشهد ان سيدنا ومولانا محمدا عبده ورسوله الذي اختاره من اشرف عناصر عباده . وجعله مالكا لاطراف المجد وتلاذه . وطهر سلسلة نسبه الشريف من دنس السفاح . ونظم جواهر اصوله كلها في سلك مباح النكاح . حتى اخرج جوهرة ذاته الكريمة يتيمة ذلك العقد المنضود . وادعها من صفاء الباطن واشراق الظاهر ما هو مشهود به غير محجود . صلى الله عليه وسلم ما تعلقت بالنكاح من راجب رغبة . وتقدمت على انتقاده من خطيب بليغ خطبه . وعلى آله واصحابه المتمسكين في جميع شئونهم بما سنه من السنن . المحافظين على ما ارشدهم اليه من اتباع السمت الحسن . وهذا وان الافصاح عن فضل النكاح كاد ان يعجز البليغ . اذ قد سبق فيه البلاغ التبليغ . لما انه كسي حلة الاشتهار . واحيط بما نزل فيه من الايات الكريمة وورد من الآثار . فتساوت الاقدام في علها . وتشاركت الاحلام في فهمها . وقد علم ان التوجه الى بيان الواضح . من الامر الفاضح . وتقرر ما بين المعادات . والنفوس من المعادات . فمن البلاغة ان يسلك في مثل هاته المشاهد الحافلة . والمواكب التي بينها وبين الضخامة

كمال المحالفه . مسلك الابانة عما وتبع لاجله الاجتماع . ويجال اللسان في ميدان الافصاح عن حلي الزوجين . لتشف بالاصغاء اليه الاسماع . فنقول ان مولانا ملك هذا القطر المحروس . والرابع المانوس . وذا الفضل الذي هو بحاسني السمع والبصر محسوس . وارث ملك سلفه . المتحامية شوارق الافق مزاحة كنفه . سيدنا المشير محمد باشا . لازال واردا من الاصابة مناهلها . منزلا الامور منازلها . ظهر له من الراي ما هو بالمبادرة اليه حري . وهو ان يجمع لفرط المناسبة بين الزهرة والمشتري . ويظهر في فلك ذويه المكلل بنجوم احباره اشراق هذا الزوج . ويرقيه الى رفيع ذلك الاوج . فامر بالعقد على ذات الصون والعفاف . والاصالة المحفوظ الاجماع عليها من طرق خلاف . المحموده الذكر والاثر . المتولدة بين الشمس والقمر . المكتشفة بالعز من حبتين . الحاملة من ابهة الملك والوزارة الرايتين . التي كادت محاسنها ان تقضي على البنين بتفضيل البنات . الجليلة الطاهرة الرفيعة السيدة جنات سليمة وزيرة الافخم الشامخ المقدار . وقطب دولته الذي عليه المدار . والملتحف من اقباله وكرامته بافخر ازار . امير الامراء سيدي مصطفى خزنة دار . المشرف بخدمته . المعداد من رجال دولته . لابس رداء اقباله . المنخرط للملك المحمدي في سلك رؤساء حماته وابطاله . المشهود له بثقوب الذهن واصابته . المفروغ بعد السبر من كفايته ونجايته . الابية شعائله مشاركة قرين . امير الامراء السيد خير الدين . فالله تعالى نسال ان يجعل الفتى من طوارق الدهر سالمة . وثغور سعودهما على مرور الايام ضاحكة باسمه . ويطيّل امد معاشرتهما تحت جناح هاته الدولة الرفيعة . مارحين منها في رياض يانعة نظرة مريعه . حتى تكبر في خدمة مولانا اباؤهم . ويستعين على القيام بها اباؤهم . وفضله جل جلاله لا يؤوده ابلاغ هاته الآمال . وابقاء الستر الجميل على النساء من هاته العصابة والرجال . وقد آآن ان تبرز هذا العقد المبارك في افق هذا المجلس بدر تمام . ونجعل قران ايجابه بالقبول مسك ختامه

ثم هذه خطبة ثالثة من انشاء شيخ الاسلام الشيخ احمد بن الحوجه خطب بها بمناسبة زواج المرحوم الشريف الشيخ محمد محسن بابة الوزير العلامة الشيخ محمد العزيز بوعتور . وهذه الخطبة بالخصوص كبيرة تناول في اغلب عقود الانكحة لهذا الزمان :

الحمد لله الذي اسعد بلبركة واليمن والتوفيق . من اهتدى بمنار شرعه واعتصم بحبله الوثيق . فتح الله له ابواب الفوز بزواهر الامال . تتجلى عرائسها على منصات النجاح وتختال في مطارف الاقبال . وتبارك الله الذي انعم باسباب العمران والبقاء . وسفر عن وجوه السعادة في الدارين ومعارج الارتقاء وسبحانه من آله تهلت على وجنات الكائنات آيات توحيدة وتمجيدة . واقترت رياض مصنوعات المنصدرات عن ازهار تقديسه وتمجيد . واشهد ان لا آله الا الله الذي شرع الاسلام سبيلا واضحا . واطلع لنا من مرashed الباهرة نورا لا يحا . واشهد ان سيدنا

ومولانا محمد عبده ورسوله فائده الكون ومعناه، وصفي حضرة القدس الذي لا ينأى قلبه اذا نامت عيناه . نبي الله المعرض عن العرض الفاني على دنو قطافه ونضارة مجتلا . بل انما حبب اليه من الدنيا الطيب والنساء وجعلت قرّة عينه في الصلاة . صلى الله عليه وعلى آله واصحابه الذين ركضوا في ميدان هديه وجلوا . وطلعوا بافق شرعه نجوم هدى وتجلّوا . واسفرت بنور صباح رشدهم على شرفات الشرق . وانتشرت اشعة تلك الانوار على بساط البسيطة فعمت سائر الخلق . صلاة وسلاما دائمين ما أقبلت بالاسحار . زوار النسائم تغور الازهار . اما بعد فإن الله تعالى لما قنق رتق الاكوان اقتضت حكمته البالغة ونعمته السابغة ان آثر للعمران نوع الانسان، وهذا لما اودع فيه سبحانه من الاستعدادات والاسباب . التي تنسئ له بها التمكن من الجلب والدرء وسلوك سبل الاكتساب . وهداه عز اسمه الى اصابة الغرض في الطلاب . ولقد خطت يد البرهان على صفحات القلوب . ان العقل لا يدرك القبيح المنهي عنه ولا الحسن المطلوب . فارسل الله الرسل . لتشريع الشرائع وتوضيح السبل . وجعل شريعة سيدنا ومولانا محمد واسطة اسلاكها . والقطب الذي عليه مدار افلاكها . فالعقل ان ابرم عقد جواز او منع . لا يقبل منه حتى يعرض توقيعه على سلطان الشرع فالحسن ما افنذ ذلك المهيمن وامضاه . وضده ما لم تلهجه عين رضاه . ومن المعلوم ان النكاح معا شهد الشرع بتحسينه . قال الله تعالى فانكحوا ما طاب لكم من النساء وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تزوج فقد كمل نصف دينه . لكنما سلطان الشرع لم يطلق العنان ان ينكح المرء على اي وجه كان . فيلتحق الانسان في قضاء نهمته وضياع نسبه بعجم الحيوان . بل رسم لذلك رسوما وحد حدودا . اهمها ان يكون الايجاب بالقبول معقودا . كما ان نصوص الشرع بالترغيب في الكفاة ناطقة والعقد يزاد حسنا اذا كانت درره متناسبة متناسقة . وان من لاجله انتظم عقد هذا العقد . الذي تهلل له استبشارا وجه البركة والسعد . كريم الانتماء . فرع الشجرة السماء . ما زال مسلسل بحجة يروي . عن بيتهم رفيع العماد برسول الله صلى الله عليه وسلم والعلم والتقوى . فتخير لسيادته القعساء ونسبه الحر . ومحامدهم السائرة ومناقبهم الغر . من البيت الاصيل المجد النبى الشان . حيث العلم والفضل والقلم المستعد لفتح الاقاليم بروايح البيان . والوزارة التي تشد ازر العدل والاحسان . الى غير ذلك من الفاخر الزاهرة وجميل الاوصاف . الدرة المكنونة في صدف الصون والعفاف . واذا ارتسمت على مرايا البصائر صور هاته المعاني قلنبادر بتوقيع الله الى ابرام عقد ميمون الغرة . متهلل الاسرة . ككفيل بحول الله ببلوغ الاماني . وبشائر التهاني . معضود بقوة الله بمصاهرة السعد . ومقارنة العيش الرغد . تقر به العيون وترتاح له النفوس . ويقول مجتلي بعنه وواقفه لا عطر بعد عروس اه

هذا وقد اتفق لبعض الشيوخ على عهد المشير احمد باشا صوغ خطبته في سلك نظمي بديع

الاسلوب كهذه الخريدة التي جادت بها قريحة العلامة قاضي الجماعة الشيخ محمد بن سلامة بمناسبة بناء المرحوم رشيد بن الوزير مصطفى صاحب الطابع على الاميرة المرحومة السدة زبيدة ابنة المقدس المبرور المولى مصطفى باي . وهذا القران المبارك كان في جمادى الاولى سنة ١٢٥٤ اشرنا هنا لتاريخ وقوعه لمقصد سيأتي التنبيه اليه . قال الناظم رحمه الله :

حمدا لمن لم يزل بالحمد منفردا ثم الصلاة على خير السورى ابدا
 وءاله الفخر والاصحاب قاطبة الطالعين بافق الهدى نجم هدى
 هذا وان الوزير المستجد علا اعني الرشيد الرضا وافي النهى رشد
 تزوج الدرة العذرا المصونة من بنى لها المجد في بيت العلا عمدا
 اعني زبيدة بنت المصطفى كسرما السيد المرتضى الباشا الكريم ندا
 اخت الملك ابي العباس احمد من بحسن سيرته في الخلق قد حمدا
 على صداق لها سمي العداد له مسكوك درهمنا والدر والبردا
 الفا من الدرهم المسكوك يتبعه رطل من الجوهر الصافي البهي نقدا
 من المذهب قفطانان مثلهما من الموبر مثل ذا عددا
 من المشجر مع ست لها تبع من الفرامل من اجناس ما عدا
 ست حسان من السودان تخدمها واثان يرض من الاعلاج لم تلدا
 وعشرة فدأت في النسج من حزم ذي فضة وجميع ما مضى نقدا
 تاليه خمس من المثين يدفعها بمنتهى العام منها تبلغ الامدا
 وكيله الصدر خير الدين كاهية وناب عنها باشهاد الذي شهدا
 ابو سليمان صهر الملك كاهية البازل الشهم من ظهر الثنا اقتعدا
 فتم بالمجلس الاعلى مكمله وبالسعادة عالي عقده انعقد
 بمحضض السيد الباشا الحليل ومن مثاله فوق دست الملك ما قعدا
 وحين نادى به ميمون طابره في جده من معاني يمنه رصدا
 رءاه شاهدا يسمو فازخه عقد سعيد بيان السعد قد عضدا (١)

١٢٤٤

وختام القول هو ان حفلة العقد بتونس تنتهي بالطواف على الحاضرين بكوؤوس الشربات (٢) المعطر بعد سماعهم الخطبة النكاح ولقد رايت بمناسبة بعض الاصدقة في بلاد الافاق تزويد الحضور بقطعة من البشكوطو (معروف) مع كاس الشربات واستببط بعض الاعيان في هذه الاثناء تقديم كوؤوس الروزاطه (معروف) لضيوفه بمناسبة حضورهم الاعلان بوقوع مراكنة شرعية وهي المعروفة بين العامة باسم الفاتحة وبها الحتام

(١) تنبيه : تاريخ هذا المصراع لا يوافق تاريخ العقد الذي هو عام ١٢٥٤ كما سبقت الاشارة اليه .

(٢) لفظ شربات مشتق من مادة ش ر ب ولكن الاتراك يطلقون على الماء السكري لفظ شربت وهم في اصطلاحهم يكتبون هاء السكت تاء مفتوحة فيقولون دولت عوض دوله وسعادت عوض سعادة وهلم جرا ويلوح ان اللفظ المذكور انجر لنا استعماله منهم ونحن اشبعنا بالف بعد الباء فصار شربات جمع مؤنث لشربه كجرعة وجرعات وحسوة وحسوات ولعل في ذلك اشارة لما ورد في الصحيح من ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يشرب الماء جرعة بعد جرعة لا دفعة واحدة وعندي ان بدعة الشربات بتونس لا بد وانها في اصلها مستمدة مما ورد في بعض الاحاديث من ان النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه كانوا لا يفرقون الا عن ذواق .

القضاة الشرعيون

في القديم

بقلم العلامة النحرير صاحب الفضيلة
الشيخ سيدي محمد البشير النيفر المفتي المالكي

ابن عبد السلام

هو ابو عبد الله محمد بن عبد السلام بن يوسف بن كثير الهواري ولد سنة ٦٧٦ واخذ عن
جلة عصره وانتهى في التحقيق والتحصيل الى مقام يعز ان يستوي عليه غيره من انباء عصره
ولي قضاء الجماعة سنة ٧٣٤ بعد ان كان قاضي الانكحة على عهد قاضي الجماعة الشيخ ابراهيم

ابن عبد الرافع ثم ابي علي عمر بن قدام الهواري

قال الابي في شرح بعض احاديث كتاب الاستخلاف من صحيح مسلم : وكان اتفق ان كان
قاضي الجماعة ابو اسحاق بن عبد الرافع وكان قاضي الانكحة ابن عبد السلام فلم يوافق قاضي
الجماعة في بعض الامور واراد ان يستقل بها بنفسه فابى عليه ذلك قاضي الجماعة ابن عبد الرافع
واثبت رسما ان الامر جرى بتونس من قبل الامراء ان قاضي الانكحة من تحت نظر قاضي الجماعة
وانه لا يستقل بنفسه ولكنه كان لابن عبد السلام وجاهة من قبل السلطنة فامرهما الخليفة حينئذ وهو
الامير ابو بكر ان يستقل كل واحد منهما بما النظر اليه فيه اه

وفي ايامه وايام الشيخ ابن قدام حلت بتونس مسألة وهي ان يهوديا عثر عليه يسرق صغار
المسلمين ويبيعهم للحريين وكان الامير يومئذ ابا يحيى فاستشار الشيخين فيما يفعل باليهودي فافتنى
ابن قدام بقتله بالسيف وابن عبد السلام بصلبه واحتج بصلب عبد الملك بن مروان الحارثي الذي
تنا فسلم بالذمي . وكان ابن عرفة يقول في احتجاج ابن عبد السلام نظر لان قضية الحارثي اقرب
الى الحراية من فعل هذا الذمي لعظم مفسدته

وانما حكم القاضيان فيه بالقتل مع ان سرقة الصغير فيها القطع لانه بهذا الفعل نقض العهد مع
عظيم مفسدة فعله بما ينشا عنه من تمليك الحر قاله الابي في شرح كتاب السرقة

ولما توفي ابن قدام ولي صاحب الترجمة قضاء الجماعة . قال الشيخ ابن عرفة ناقلًا عن يثق
بخبرة : ذكر الشيخ ابن عبد السلام للقضاء بمجلس السلطان ابي يحيى فقال بعض حاضريه انكم لا
تطبقونه لشدة . وراى بعضهم ان يمتحن سرا فاسرت بطانة السلطان لرجل من الموحدن كان
جارا للشيخ يقال له ابن ابراهيم ان يبلو أمره فقص عليه ما قيل فيه بالمجلس فقال له انا اعرف
العوائد وامشيها فاطمات الحكومة حينئذ لولايتة

قلت ولا يظن به رضي ان الله عنه رغبته في الولاية حبا للسلطة والحكم او سيجعل المنصب حيلة للمال والكسب ، او ليتذرع به الى نحو هذا من حظوظ النفس ، فمثله في عليه ودينه وورعه وعلا همة لا يمس طائف من شياطين هذه الحظوظ . ولا يدنو من ساحته امثال هذه الظنون وانما الظن بمثله انه خاف ان تسقط الخطئة في يد غير كفء لها فيفسد في الارض وبهلك الحرث والنمل وهذا معنى ما نقله الزركشي عن البرزلي فليراجع في تاريخه ، ومثله في شرح الخطاب على المختصر قال بعد ان حكى الخبر ما نصه : ينبغي ان يحمل هذا من ابن عبد السلام رحمه الله على انه خاف ان يولى من لا يصلح للقضاء الانكحة تسببا ظاهرا عليه القريب منه والبعيد قال وكان ممن يشار اليه بالصلاح والاعمال بالنيات وقد اشار الى هذا ابن غازي في تكميل التقييد اه كلامه

وظل على قضاء الجماعة الى ان توفي في الثامن والعشرين من رجب سنة ٧٤٩ ودفن بالزلاج قال الوزير السراج : كان المؤرخ ذا مدد وان شئت قلت في تاريخه : نعوا محمد بن عبد السلام

١٢٧ ٩٢ ٥٢ ٧٦ ٤٠٢

٧٠١ ٤٨

(يتبع)

« تنبيه » كان ممن ذكرنا من القضاة الشيخ ابن الحبار قلنا في ترجمته كلمة مجحولة لا تكشف عن درجته العلمية وقد وقعت في هذه الايام على كلمات فيه للشيخ ابن عرفة في كتاب الشهادات من مختصره الفقهي فرأيت أن اثبتها في المجلة لتالحق بترجمته ونصها :

اخبرني بعض من لقيت عن بعض شيوخه ان الشيخ الفقيه ابن الحبار كان ولي القضاء ببلدة بالمهدية في اوائل امرة فكان يخرج لزيارة بعض صلحاء ساحل المهدية ويتبرك به واذا شهد عنده شهادة لا يحكم بها لتغفله عنده وهذا شان اهل الحق ونحوه قول ابن شعبان في زاهيه : والعابد الذي لا يميز بين الالفاظ وشغلته عبادته عن معاني افعال الناس يجب ان يتوقف عن الحكم بشهادته حتى تختبر كيفيتها قلت « اي ابن عرفة » ولهذا يجب لغو من هو من هذا النمط فيمن يطلب تقديمه للشهادة ويجب اعلامه ذلك وانه لا يحل له طلب ذلك لان فيه تعريضا لنفسه

وابن الحبار هذا قال الشيخ الفقيه المحدث الرجال ابو العباس عرف بالشهاب : هو ابو عبدالله محمد بن علي ابن ابراهيم التواتي تفقه بالمهدية على ابي زكرياء البرقي رحل الى المشرق سنة اربع وعشرين وستمائة اخذ بمصر عن عز الدين بن عبد السلام وغيره وقرأ الحاصل على مؤلفه تاج الدين الدرقوي ورجع الى المهدية بعلم كثير فدرس وافق ثم نقله الخليفة للحضرة وقلده قضاء الجماعة بتونس سنة ستين وستمائة كان موصوفا بدين وعقل توفي في جمادى الآخرة سنة ثلاث وثمانين وستمائة وهو ابن ثلاث وثمانين سنة قلت « اي ابن عرفة » واخبرني بعض من لقيت عن اخبره عن بعض اهل داره انه سمعه ليلة وهو يقول مشيرا الى نفسه ان عليها هنا لم اجد من القيه اليه اه كلام الشيخ ابن عرفة رحمه الله

محمد البشير النيفر

العيد

العيد الموسم ومادته تشعر بمعنى العود والتكرار وفي كليات أبي البقاء العيد السرور وكل يوم فيه مسرة فهو عيد من ذلك قول الشاعر :

عيد وعيد وعيد صرن مجتمعة وجه الحبيب ويوم العيد والجمعة
قالوا سمي به تفاؤلا بعودة على من أدركه كما سميت القافلة قافلة تفاؤلا بقولها ورجوعها
وكذلك يطلق في الاسلام على الموسم فان الله فيه عوائد الاحسان العائدة على عباده في كل عام من
الفطر بعد المنع وصدقة الفطر واتمام الحج الى غير ذلك وما اشتمل عليه من الفرح والسرور
والنشاط والخبور .

والعيد شرع في الاسلام في السنة الاولى من الهجرة ، والسبب في مشروعته ما اخرج به النسائي
 وغيره عن انس ابن مالك رضي الله عنه قال :

كان لاهل الجاهلية يومان في كل سنة يلعبون فيهما فلما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة .
 قال كان لكم يومان تلعبون فيهما وقد أبدلكم الله بهما خيرا منهما يوم الفطر ويوم الاضحى
 واول ما بدى به من العيدين عيد الفطر وذلك في السنة الثانية من الهجرة بعد مشروعية صيام
 رمضان ، وصيام المسلمين له في ذلك العام

واليومان اللذان يلعبون فيهما في الجاهلية اللذان ورد ذكرهما في الحديث السابق ذكر بعض
 شراح الحديث انهما يوم النيروز ، ويوم المهرجان ، والنيروز والمهرجان ليسا من اعياد العرب بل
 هما من اعياد الفرس الكثيرة ذكر شهاب الدين النويري في كتابه نهاية الارب ان علي بن حمزة
 الاصفهاني صنف فيها كتابا مستقلا جمع فيه اعياد الفرس . واقتصر منها النويري على ثلاثة اعياد
 وهي المشهورة ، النيروز ، والمهرجان ، والصدق . وذكر ان اهمها عندهم النيروز ولم فيه مزاعم منها
 انه اليوم الذي خلق الله عز وجل فيه النور فاتخذوه عيدا

وكانت عادة عوام الفرس فيه رفع النار في ليلته ورش الماء في صبيحته وفي ذلك يقول المعوج :

كيف ابتهاجك بالنيروز يا سكاني وكل ما فيه يحسني واحكيه
 فنارة كلاليب النار في كبدي ومائة كتوالي عبرتي فيه

وموقعه اول شهور سنتهم

واما المهرجان فوقعه في السادس والعشرين من شهر تشرين الاول وسبب تسميته له بهذا
 الاسم على ما نقله المسعودي ان الفرس يسمون شهورهم باسماء ملوكهم وكان لهم ملك يسمى مهر
 يحكمهم بالعنف والعسف فمات في نصف الشهر الذي يسمونه مهرملا ، فسموا ذلك اليوم مهرجان
 وتفسيره نفس مهر ذهبت على ان تلك لغة الفرس الاول

واما الصدق - فهو من اعيادهم التي يوقدون فيها النيران بسائر الادھان ويلقون فيها
 الحيوانات ، قيل اتخذوه عيدا تذكاري لما حدث فيه من انتصار دق بن طهماسب على الطاغية فراسياب
 احد ملوكهم .

وعلى هذه الرواية التي ذكرها بعض شراح الحديث في تفسير اليومين الذين كان العرب في
 الجاهلية يلعبون فيهما ان صحت تكون العرب قد اخذتهما عن الفرس .
 والا فانهما يكونان من اعياد العرب الخاصة ببعض القبائل وذلك ان العرب كانوا في الجاهلية
 شيعة مختلفة في دياناتهم وعاداتهم ومواسمهم ، فعباد الاصنام من العرب في الجاهلية كانت لهم اعياد

كثيرة منها مكانية تقام في مواضع اصنامهم وأمكنة طواغيتهم ويشدون إليها الرجال أعظمها ثلاثة .
عيد اللات . وعيد العزى . وعيد مناة

ومنها زمانية وهي أيام مسراتهم وأفراحهم لظفرهم على عدوهم وذلك يكون بحسب قوم دون قوم ولقبيلة دون قبيلة كعيد السبع فهو عيد من اعياد احدى قبائل العرب في الجاهلية يشتغلون فيه باللهو واللعب . وكذلك يوم السباسب كان عيداً لقبيلة أخرى قال النابغة :

رفاق النعال طيب حيزاتهم يحيون بالريحان يوم السباسب

الى غير ذلك من الاعياد

وكذلك لكل امة اعيادها الدينية وغيرها من زمنية ومكانية التي ترجع الى تنويه بشعائر دين او موافقة ايمة مذهب او تخليد لذكرى او شيء مما يتصل بذلك

من اجل هذا خشي النبي صلى الله عليه وسلم لو تركهم وعاداتهم ان يكون هناك تنويه بشعائر الجاهلية او ترويج لسنة أسلافهم فابدلها بيومين فيها تنويه بشعائر الملة الخفيفة السمحة ففي الاول انتهاء من طاعة الصيام واعظم بها من طاعة وفي الثاني انتهاء من الحج الأكبر واعظم به من عبادة . والتنويه بشعائر الملة اصل من اصولها وغرض له اهميته وفوائده

ولم يقتصر التشريع الاسلامي على الاحتفال بالعيد بالتجمل واللعب والتبسط في الطعام وغير ذلك من الامور المادية بل اهتم بتصفية الباطن كما اهتم بجمال الظاهر

فشرع الاسلام فيه الصلاة وذكر الله وانواعا من الطاعات حتى يكون المسلمون في اجتماعاتهم مثلاً يحثون ولا تخلو مجالسهم من اعلاء كلمة الله العلي الاعظم

فعيد الفطر هو يوم فطر المسلمين بعد صيامهم وانتهاء الاجل المحدود لشهر رمضان والفراغ من طاعة الرحمن فلا حرم اذا كان يوم فرح وابتهاج وابتهاج الى الله تعالى الذي يسر لهم اداء ما اوجبه والرسول صلى الله عليه وسلم يقول : للصائم فرحتان يفرحهما اذا فطر فرح بفطره . واذا لقي ربه فرح بصومه كما جاء في الصحيح . والفرح بالفطر يعم - ائسر احواله فاجتمع الفرح الطبيعي والعقلي بالابتهاج بما انعم الله على المسلمين من التوفيق

وجاء التشريع الاسلامي بمقاصد سامية وراعى فيها حق الخالق وما يجب له من العبادة والشكر على ما انعم وحق المخلوق بما تنبسط له نفسه ويشرح له صدره وتنعم به جوارحه فشرع للمسلمين في يوم العيد الصلاة والخطبة يقوم بها الامام فيذكر المسلمين ويعظم قاول ما يبدأ به اهل الاسلام من العيد الفطر اظهاراً للنعمة وتلك سنة الرسول ثم عبادة الله بالصلاة .

وقد كان المسلمون في الصدر الاول وما بعده يخرجون خارج المدينة لصلاة العيد وذلك مقصد آخر من مقاصد الشريعة وهو انه لا بد لاهل الملة من عرصة يجتمع فيها اهلها لتظهر شوكتهم وتعلم كبرتهم فكان يخرج صلى الله عليه وسلم خارج المدينة المنورة للصلاة ويصحبه الرجل والصبيان والنساء ذوات الخنور يشدون دعوة المسلمين ولذلك كان من سنته عليه الصلاة والسلام ان يخالف في الطريق ذهاباً واياباً للمصلي في يوم العيد . اما اليوم وقد تقاعست الهمم عن فعل الطاعات فصار الامام يستحي ان يخرج بعدد قليل من المسلمين والجمهور يستكف عن الحضور وشهود دعوة المسلمين واقامة شعائر الملة فلا حول ولا قوة الا بالله وكما اشتد في الحزن في جمعة هذا العيد عند ما دخلت الى الجامع فوجدت فيه قليلاً من العباد بعد ان كان قد غص بالمصلين في الجمعة التي قبل هذه فلا يسعنا الا ترديد : انا لله وانا اليه راجعون . اما صلاة العيد فحضرها القليل من المصلين .

اجل لهذا الحد بلغ المسلمون في التفريط وعدم الاكتراث والاهتمام بشعائر الملة ولو كان فيه ما يؤدي الى احتقارهم وعدم اكبارهم ثم تراهم يتأسفون على ما ضاع لهم ويرددون على الستم ما يخالف ما تأتي به جوارحهم ويتمنون على الله الاماني ويتغافلون عن الاسباب التي وصلوا بها الحد الحضيض أما علم الناس ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم . وما ربك بظلام للعبيد .

وفي الشريعة ما يدل على فضيلة التوسعة على العيال في أيام الأعياد، أنواع ما يحصل لهم به بسط النفس وترويح البدن وكل ما فيه ظاهرة سرور مما هو مشروع فإن اظهار السرور في الأعياد من شعائر الملة على ما قاله ابن حجر فيمَا كتبه على الحديث الصحيح وهو ما روي عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها وعن أبيها أنها قالت دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وعندي جارتان تغنيان بغناء بعث فاضطجع على الفراش وحول وجهه وجاء أبو بكر فاتهرني وقال مزمارة الشيطان عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال دعهما فلما غفل غمزتهما فخرجتا قالت رضي الله عنها وكان يوم عيد يلعب فيه السودان بالدرق والحراب فاما سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم وإما قال : اتفتحين تنظرين قلت نعم فأقامني وراءه خدي على خده وهو يقول : دونكم يا بني أرفدة حتى اذا مللت قال حسبك قلت نعم قال فأذهبي .

وحاء التشريع الاسلامي بوجوب صدقة الفطر حكمة من الله تعالى ليشارك الفقير الغني في مظاهر الفرح والسرور . وأكد صلى الله عليه وسلم على المسلمين اداؤها ورغب فيها امته اشد ترغيب من ذلك ما ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما . قال فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم زكاة الفطر طهرة للصائم من اللغو والرفث وطعمة للمساكين فمن اداها قبل الصلاة فهي زكاة مقبولة ومن اداها بعد الصلاة فهي صدقة من الصدقات رواه ابو داود وابن ماجه والحاكم وصححه

ولا يخفى ما في هذا التشريع السامي من الرعاية للضعفاء والمساكين فلم يترك الفقراء يتكفون الناس ويأجون في الطلب من فواضل الأغنياء بل جعل لهم حقاً مقروضاً ومقدراً يدفعه الغني الصائم لآخيه الفقير حتى يستغنى عن السؤال يوم العيد . ولا تظهر عليه مظاهر الذل والاحتياج . والمسلم اعز من ان يذل ويمتهن لكن وبإللاس ضاعت الحكمة وخفي امرها

فالغني الصائم ربما يدفعها لغير اهل الحاجة فتقع في يد من لا مروءة له من الذين يظهرون الفقر وهم أغنياء والفقير ربما اخذها ولا يتعفف عن السؤال ويستبيح في سبيل ما يحصل عليه من المال عرضه ان كان له عرض فيا للعجب كيف عامانا انفسنا معشر المسلمين بالنقيض فالشرع يطلب ان لا يظهر احد يوم العيد محتاجاً . وفي الواقع نجد يوم العيد هو اليوم الذي يكثر فيه المتسولون ممن اتخذوا السؤال صناعة يظهرون على افضع حالة واسوء صورة وقد حاول اخواننا اهل صفاقس ابطال التسول في الطرقات فاسسوا الملجأ الخيري العظيم وفتحوا ابوابه للمحتاج وابن السبيل فكان سعيهم مشكوراً واجرهم موفوراً .

وقد نجحوا فيه عظيم النجاح . وان لم يقطع السؤال بالكلية . فلو سلك اهل كل مصر هذا المسلك المحمود لكفنا عاقبة ذلك المظهر الحقيير الذي نرى عليه المتسولين المبعثرين في الأزقة والطرقات المتوسدين الاعتاب في سكك المدن والحارات

وقد حاولت جمعيتنا الخيرية الموقفة ذلك وفتحت المطاعم للفقراء والمساكين ولكن ضيق ميزانها لم يمكنها من أداء مهمتها على الوجه الآثم . من فرط تغافل الشعب عن مدها باعاناته سيما في هذه السنين الاخيرة فلو نظم المسلمون امر تبرعاتهم وصدقاتهم ومدوا بها جمعيتهم المباركة لاتنظم امر الجمعية وكفنا شر ما عليه اخواننا الفقراء . وامكن التخفيف من وطأة المتسولين لا سيما في أيام المواسم والاعياد ولا يابق بنا ان نستمر على تلك الحالة التي عليها المتسولون اليوم ولنا في همه رئيس الخيرية الهام السيد البشير معاوية ما يكفل لنا النجاح كما لنا في شعبنا الكريم املا في ان يمد جمعيته بالمال حتى تقوم الخيرية بانشاء ملجأ يقوم بحاجة الفقراء والمعوزين اجمعين وعند ذلك يمنع التسول في الطرقات ومن عثر عليه يتسول سير به الى الملجأ الخيري ليكفيه ما هو محتاج اليه وفي ذلك من حسن النظام ما لا يخفى على لبيب . وتسلم مواسمنا واعيادنا من المظاهرات المحزنة والصور المخجلة وليس ذلك على همه اهل الفضل بعزير .

محمد الشاذلي ابن القاضي

تأبين شيخ الجماعة

الرجل الذي قضى في خدمة العلم وبشه في صدور الرجال أكثر من ثمانين عاما

بقلم صاحب الفضيلة الشيخ سيدي
محمد المختار بن محمود المفتي الحنفي

على الساعة السابعة من مساء يوم الجمعة ثاني رمضان المنصرم (الموافق لليوم الرابع من أكتوبر سنة ١٩٤٠) فجعت نوادي العلم ومحافل الدين والتقى والفضيلة ، وتصدعت أركان الجامع الأعظم المعمور بخبر وفاة حضرة مولانا شيخ الشيوخ ، وعمدة المحققين ذوي الرسوخ ، العلامة الفهامة التقي النقي الورع الشيخ سيدي أحمد بن مراد المفتي الحنفي الشرفي بعد حياة طويلة مباركة تناهز مائة عام قضى ثمانين منها في خدمة العلم تعلمها وتعلما وافتاء بين الناس

فخضت بموته أعلى طبقة من طبقات العلماء بجامع الزيتونة الأعظم إدام الله عمرانه ، كانت تتمثل فيه فضيلة العلم ، وعزة التقى ، وصولة الدين بآتم معانيها ، وكان الشيخ رحمه الله يمثل تلك الطبقة العالية الرفيعة بعزة نفسه ، وكمال خلقه ، ففقدنا بفقدنا رجلا كنا نعدده محط البركات ، ومنبع الخبرات ، ومستجاب الدعوات .

إن الحديث عن هذا الفقيه الجليل وعما اختص به من الفضائل والكلمات وعما كان عليه من العلم والتقوى والاستقامة لجدير بأن يخض بالأسفار ليكون للأجيال القادمة محل الاعتزاز والاعتبار فإن التنويه بشأن الرجال والاهتمام بتدوين ما لهم من شريف الحُصَال هو الأساس الذي يقام عليه مستقبل الشعوب والتسليمة التي تقدم عند اشتداد الخطوب .

كان الفقيه رحمه الله علامة فهامة ، لا يقف في وجهه إشكال ولا يستعصي إمامه أي كتاب وكانت له براعة في العلوم العقلية حتى أنه كان يشار إليه بالبنان في تدريس علمي المنطق والأصول وهما من أشد العلوم استعصاء على ذوي الأفهام ومن شدة حرصه واعتنائه بالعلوم العقلية أنه كان يحرض تلامذته على تعاطيها والتوغل فيها وينوه بشأن الفرس ويقول : إن الفرس لم يكونوا في مقدمة الأمم حضارة ومدنية وعلم إلا لأنهم كانوا يبدؤون في تعليم ابنائهم بعلمي الحساب والمنطق وقد أخذ الشيخ العلوم العقلية عن أعيان العلماء المبرزين فيها كالشيخ مصطفى بن خليل والشيخ عمر ابن الشيخ رحمه الله عليهما .

قال رحمه الله : قرأت كتاب المواقف على الشيخ عمر بن الشيخ خمسة عشر عاما لم أتخلف فيها ولا يوما حتى أنه لما ماتت جدتي وكان وقت دفنها هو وقت الدرس حضرت بجنازتها ثم أسرعت إلى درس الشيخ فأدركت في أواخره . فحمدت الله على أن لم يفتني ذلك الدرس وفي هذه الحكاية ما يكفي للدلالة على انقطاع الشيخ لخدمة العلم ومواظبته عليه . وهكذا كان شأنه في مباشرة التدريس فإنه كان لا يتخلف عن دروسه مهما كانت الضرورات والحوادث .

حكى لي بنفسه . قال : مات لي ولد فدفنته في الصباح ومن الجنازة رجعت الى الجامع واقرات درسي .

وعلى ذكر مشايخه نذكر ان من جملتهم حضرة مولانا العالم الفاضل البركة صفوة الاخيار وخلاصة المتقين الابرار المنعم الشيخ سيدي احمد الشريف الباش مفتي المالكي المتوفي عام ١٣٣٧ رحمه الله ونفعنا بركاته .

وكان رحمه الله يسلك في دروسه مسلك التحقيق لروح العلم من غير اعتناء بالتفصيل والتشديق والتجذلي التي قد يغطي بها بعض الناس ضعفهم في تحقيق المسائل وضبطها فكان يعدل عن ذلك كله ويذهب الى تحقيق المسائل على طبيعتها من غير تكلف

وكانت دروسه دروس فتح وبركة وتحصيل فما من احد قرأ عليه الا وحصل له الخير الكثير وكان في اعماله حازما ضابطا موقفا فلما اسندت اليه خطة النيابة عن الدولة لدى النظارة العلمية في عام ١٣٣١ وكان عمره اذ ذاك يناهز السبعين قام بالخطة احسن قيام فكان يحضر بالجامع صباحا ومساء وكان ينصت الى الدروس واذا رأى من احد المشايخ ما يستدعي الملاحظة ناداه الى المحراب وبين له ما ظهر له من النقص في درسه مع لين في الخطاب ومراعاة للاداب

ثم لما اسندت اليه خطة الافتاء في عام ١٣٤٤ وكان عمره اذ ذاك يزيد على الثمانين اظهر من الحزم والنشاط والاعتناء بالنوازل والتدقيق فيها ما ترك مشايخ المجالس الشرعي معجبين بعلمه ونشاطه وثبات رايه وكذلك كانت تصدر فتاويه محررة مدققة معلومة فقها وفهما وبني على هذه الحالة ولم يتغير عنها الى ان تعلقت الارادة باحاليته على الراحة في عام ١٣٥٧ وقد اذن جلالة مكاننا المعظم ابقاء الله بان يبقى له مرتبه كاملا جريا منه ابقاء الله على عادة اسلافه الامراء الحسينيين الذين جعلوا تمظيم الحجاب العلمي والمنتهسين اليه شعارهم واتخذوه وسيلة يتقربون بها الى الله

اما التقى والعفة وهما حلية العالم وزينته وسيلته الى الله وهبطته - سترنا الله بجلابهما - فقد احرز الشيخ منهما على اقصى ما يؤمله المؤمن وبرجوه فقد كان تقيا عفيفا طاهرا القاب كريم النفس عالي الهمة لم يتدنس عرضه باذى ولم تصب عين كماله بقذى وام يقف وقفا يزن فيه بريية ولم يعثر له على ما يخدش في كماله وفضله او يحط من قدر شرفه ونبله فعاش معظما مبجلا ممدوحا من جميع الناس محبا الى جميع النفوس متحاشيا عن الاعراض والاعراض مترفعا عن سفاسف ذوي النفوس المراض

قال لي والدي رحمه الله : تخالطت مع الشيخ ابن مراد من زمن الصغر وبقينا كذلك الى اليوم وهما نحن قد بلغنا من الكبر عتيا ولا اعرف للشيخ زلة تشينه ولا معصية صدرت منه فهو عفيف تقي من زمن الصغر الى ان بلغ الآن الى اذن العمر وقد جازاه الله عن ذلك في الدنيا كما سيحازيه بحوله وقوته في الآخرة في الدنيا قد من الله عليه بالصحة والعافية والاستقامة فكان مرفور القوى سليم البنية معافي من الامراض والعاهات والافات وقد بلغ الى هذه السن وهو يطالع ندون نظارات ويمشي من غير اعتماد ويقوم باموره الخاصة بنفسه كما من عليه بذرية طيبة فاضلة واذا اقتضى الاسد بشبهه فقد ترك لنا الشيخ رحمه الله اشبالا وذرية مباركة سالحة واما في الآخرة فالرجاء في الله سبحانه وتعالى ان يتقبله بعفوه ولطفه وكرمه وان ينزله منزل الصدق الذي اعد له لعادة الاخيار وان يجعل مقرة حوار المصطفين المقربين من الاولياء والصالحين الابرار

محمد المختار بن محمود

رثاء شيخ الجماعة

فضيلة المنعم الشيخ سيدي احمد بن مراد

ننشر فيما يلي القصيدة التي جادت بها قريحة الشاعر الاديب الشيخ الطاهر القصار في رثاء فقيه التقوى والصلاح العلامة التحرير والدراكة الشهير شيخ الجماعة وبقية السلف الصالح فضيلة الشيخ سيدي احمد بن مراد المفتي الحنفي الشرقي يرد الله ثراه وجعل الجنة مأواه وهذا نصها :

أواه قد حملوا على الاعواد	علم الفضيلة (احمد ابن مراد)
علم تفتيات النهى بظلاله	وشفت مناهله غليل الصادي
علم حبا الخضراء قرنا كاملا	جسم المكارم وافر الاعداد
شعت بلالاء العلوم سنيه	فزهرت كواكبها بكل بلاد
قرن به قرن الهدى وبافقه	طلعت شموس الوعظ والارشاد
وتوقدت فيه النهى وثابة	فغدت مزودة باعظم زاد
تعاقبت همم الرجال بعهد	سعيلاشرف غاية ومراد

حدث عن (ابن مراد) في التدريس بك	سرع منهل العرفان للرواد
حدث عن (ابن مراد) في الفتوى يفي	ض سناؤها بمسالك القصاد
حدث عن (ابن مراد) يخطب والهدي	من حوله طلق المجيا بادي
حدث بموقفه الذي لهجت به	في المسلمين مجامع ونوادي
حدث بما اسداه للطلاب من	من نبت عن همة التعداد
في كل وجه غرة من نوره	وبكل صدر من جده ابيادي

ريح الحمام رمى بصائب سهمه	شيخ الشيوخ مدينة العباد
الحجة العلم الهمام المرتضى	ثقة الرواد الكمل الافراد
الدائبين على العبادة والتقى	وتلاوة القرءان والاوراد
العاقدين على العفاف مثازرا	القيامعين مطامع الاحاد

حم القضا والصبر اشرف موئل	للعلم والابناء والاحفاد
فالى قراديس الجنان مخلدا	والذكر بعدك ملء كل فؤاد

صكيلة حول

ولاية العلامة الشيخ محمد البشير النيفر خطة الافتاء الملكي بالديار التونسية

بعد ظهر يوم الثلاثاء العشرين من شهر رمضان المنصرم شرف الجنب العالي سيدنا ومولانا احمد باشا باي صاحب المملكة التونسية عاصمة ملكه في موكبه الفخيم وبعد جاوسه على عرش الملك بسراية المملكة وانتظام موكبه الجليل حضر هذا المجلس الرهيب حضرة العلامة الجليل الاستاذ الشيخ سيدي محمد البشير النيفر الذي كان قد استدعي للحضور في هذا اليوم وعند مسؤوله بن سيدي الملك قدم جنباه فروض التحية والاحلال للجنب العالي ابقاه الله ثم تقدم صاحب المعالي امير الامراء سيدي عبد الجليل الزاوش وزير العدلية وسار بالشيخ الى غرفة خاصة حيث خلع عليه شعار الخطة الشرعية ثم دخل به على الامير فاستقبله الجنب العالي من قيام وبعد تقديم فروض الطاعة للامير واستواء الامير على عرش المملكة اعلم صاحب الدولة المولى الوزير الاكبر امير الامراء سيدي الهادي الاخوة ان سيدنا ومولانا قلد الشيخ محمد البشير النيفر خطة الفتوى على المذهب المالكي يتولاها على بركة الله وتوفيقه متحليا بفضائلها ناهجا فيها منهج العلماء الانتقاء الاذكياء امثاله . وعلى اثر الولاية السنية والعناية الملكية القى فضيلة الشيخ خطبا بليغا ختمه بالدعاء للجنب العالي دام عزه وعلا وختم بتلاوة فاتحة الكتاب .

وعلى اثر انتهاء موكب التولية اصطحب جناب شيخ المدينة فضيلة الشيخ المفتي الى الديوان المعمور حيث كان شيوخ المجلسين في انتظاره (فقد وقع استدعاؤهم للحضور بالديوان في تلك الساعة) فتقدم شيخ المدينة وقدم الشيخ المفتي لشيوخ المجلسين معلنا بولاية الشيخ مفتيا مالكا فوق تنصيب فضيلته وجلس في منصبه الرفيع تعلوه المهابة ويحف به الوقار فقدم لفضيلته شيوخ الشرع العزيز تهانيم وتمنياتهم مبهجين بهذه الولاية المباركة داعين لفضيلة الشيخ ثم انفض الموكب .

نبذة من ترجمة الشيخ المفتي الجديد

هو الشيخ محمد البشير ابن العالم المدرس المرحوم الشيخ احمد ابن العلامة المبرور الشيخ محمد ابن السيد احمد النيفر احد افذاذ علماء آل نيفر الاعلام ودرة عقدتهم البسام يتته بيت علم وشرف

ورثوا العلم كابرا عن كابر خدموا العلم وتبرزوا فيه وتخرج عليهم شيوخ جهابذة ونالوا المراتب العالية بالحكومة التونسية وزانوا المناصب الشرعية في الدولة الحينية بوزارة علومهم ورجاحة مداركهم وثاقب رأيهم وتبرزوا في القضاء الذي دامت خطته ببيتهم ردحا من الزمن يتولاه علم فيخلفه فيها علم واول من تقلدها منهم العلامة النحرير خاتمة المحققين التقي النقي الامين الشيخ محمد النيفر الكبير المتوفى سنة ١٢٧٧ وهو عم والد الشيخ المترجم له فتولى منهم خطة القضاء ستة اعلام وهم الشيخ محمد واخوه الشيخ صالح واخوه الشيخ محمد وابن اخيه الشيخ الطاهر واخوه الشيخ الطيب وابن ابن عمه الشيخ الصادق وتولى خطة باش مقفي اثنان وهما الشيخ صالح والشيخ الطيب وتولى منهم خطة الفتوى اربعة الشيخ محمد واخوه الشيخ صالح واخوه الشيخ محمد وابن اخيه الشيخ الطيب فكان الشيخ المترجم له خامسهم في هذه الخطة رحم الله السلف وبارك في الخلف فلا زالت بيتهم عامرة تنتجب الاعلام ونجم معارفهم ساطع على الانام على مرور السنين والايام .

ولد ابقاه الله ليامة الاثنين سابع جمادى الاولى عام ١٣٠٦ ونشأ نشأة مباركة تكللا رعاية ابيه وجده الشيخ محمد فقد كان برد الله ضريحه كثير الاعتماد بشأن حفيده لا يفارقه في خلواته حريصا عليه من الدهر وآفاته يلقنه آداب الاسلام ويغمره بنصائح ودعواته يتوسم فيه التوفيق والنجابة وكل صفات النبل والكرامة ولد بلغ في سنه الخامسة احضر له من يعلمه القرآن كما هي سنة اهل لكرامة في ذلك الزمان ويتولى هو بنفسه مدرسته سا يحفظه من السور في كل ليلة حتى كانت ليلة وفاته فحضر حفيده كعادته واخذوا يرتلان القرآن الى ان عجز عن التلاوة وهو على فراش الموت فقارقه حفيده البار في اسف عميق ثم فاضت روح الحجد ورجعت الى رها راضية مرضية وذلك عام ١٣١٢ فشب ابقاه الله وزاد في علاه محروسا بعين الرحمة الربانية موفقا في كل سيرته تقيا راضيا . وتم له حفظ القرآن عن ظهر قلب عام ١٣١٦

تعليمه بجامع الزيتونة

دخل ابقاه الله لجامع الزيتونة مستهل عام ١٣١٨ وانتظم في سلك تلامذة المرتبة الابتدائية ولم يزل يتنقل في مراتب التعليم به الى ان احرز على شهادته (التطويع) عام ١٣٢٣ ثم انتصب للتدريس بصفته متطوعا عام ١٣٢٤

شيوخه الذين تخرج عليهم

قرأ الشيخ حفظه الله على علماء عصره منهم المفاقي الشيخ محمد النجار والشيخ مصطفى بن الخوجه والشيخ محمد جميعط والشيخ محمد رضوان والقاضي الحنفي الشيخ محمد ابن القاضي والمدرسون الشيخ

صالح الشريف والشيخ محمد الصادق ابن القاضي والشيخ محمد النيفر والشيخ محمد النخلي والباش مفتي الشيخ محمد الطيب النيفر رحمهم الله

فكان الشيخ في طوري التحصيل والافادة محل اكرار وتقدير لما اعطاه الله من ثاقب نظر وجودة قريحه وفصاحة لسان وعدوبة منطق . ذاهمة علمية عالية يغوص على المعاني حتى يخرجها من اصداقها جواهر تتلالا لا ينثني امام عويصات المسائل . له ولوع بالمطالعة مكب عليها في كثير من اوقاته وله شديد عناية بعلم التاريخ وتراجم الرجال حتى صار من رجاله المبرزين واليه المرجع في هذا الفن النفيس لا سيما ما يتعلق بدقائق تواريخ القطر ورجال الافذاذ وله فيه تصانيف الكثيرة المفيدة

افادته

اشتهر الشيخ بين اهل طبخته بالعلم الغزير والقلم السيل فافاد بما علمه الله بطريق التدريس والارشاد والتحرير والمحاضرة

اما شهرته في التدريس فحدث عن البحر ولا حرج بل هو احد اعلام اساتذة الجامع الاعظم جامع الزيتونة عمره الله تولى التدريس فيه من الطبقة الثانية عام ١٣٣٠ وارتقى منها الى الرتبة الاولى عام ١٣٣٢ وارتقى الى رتبة الاستاذية عام ١٣٥٣ فتخرج عليه عدد كثير وله المقام الاسمي في نفوس تلاميذه يحفظون له في نفوسهم جليل الاعتبار بما بذله في سبيل وصول النفع اليهم وما احاطهم به من عناية واخلاص وتولى خطة التدريس بمدرسة ترشيح المعلمين وذلك عام ١٣٣٩ والمدرسة الصادقية وذلك عام ١٣٤٧

واما ارشاده العموم فيما يليق به على الناس من على منبر جامع ابي محمد الحفصي كل جمعة من المواعظ المؤثرة والخطب البليغة التي تفتح الاسماع بلا اذن وتتغلغل في القلوب وتنزل الدموع فهو خطيب جامع ابي محمد وامامه تولى الامامة به عام ١٣٤٠ وله فيه احتام الحديث الشريف التي يلقيها في رمضان من كل عام وقد تحلى جيد المجلد الاول من هذه المجلة باحد دروس تلك الاختتام

واما تحريراته العلمية والادبية فلفضيلته قلم سيل كتب في اغراض شتى والى الكتب القيمة والرسائل النفيسة ما اطلعنا على شيء منها الا كان آية ناطقة بجودة القريحة وحسن البيان وغزارة المعلومات فالشيخ من رجال العلم والادب وكتاب العصر المشار اليهم بالبنان جمع بين بليغ الشرح وجيد الشعر وقد قل منه قول الشعر في هذه السنين الاخيرة لاشتغاله عنه بما هو اهم فترك المجال لسواه وان كان ينقد ما يقع في يده من شعر شعراء العصر فيثنى على جيدته ويقرضه بما يستحقه شأن الادباء الذين وان اشغلتهم مهماتهم عن الادب فلا ينصرفون عنه بالكلية بل يحضون اليه حين الفطيم لثدي امه .

واما مشاركته في التحرير بالمجلات العلمية فقد شملت القريب والبعيد واستفاد منها البسيط والنحرير فكنت في المجلات المحلية كالسعادة العظمى والجامعة الزيتونية والمجلة الزيتونية والجامعة وغيرها من المجلات التونسية واستدعاء اصحاب المجلات في الخارج ان يحرر في مجلاتهم فنشرت تحاريره العلمية الرائقة مجلة المنار المصرية ومجلة الهداية المصرية ومجلة الهداية البغدادية وقراء مجلتنا يعلمون ما لفضيلته من المقام السامي في هذا المضمار بما يقدمه لهم من البحوث العلمية والتاريخية

واما محاضراته فله القدم الراسخ والبول الفصل الذي ياخذ بمجامع القلوب فقد ظهر في ميادين المحاضرات وبقاعات الجمعيات منذ عهد وتجلي فيها باكمل صورة وتناول اغراضا سامية اظهر فيها من

المقدرة وطول الباع ما حفظه له الناس في سويداء القلوب حتى صار بين الطبقات العلمية وغيرها محط رحال لا يتقدم عليه سواه في هذا المقام وما من موضوع طرقه الاجاد فيه وكان قوله الفصل . يحضر معه محاضراته مكتوبة وإذا اخذ في الالتقاء تناثرت منه الجواهر وكثيرا ما يلقي من حفظه وبدون ان ينظر الى مكتوبه الذي امامه وقد يلقي ببعض النظرات ثم يعود الى حالته الاولى حتى اذا انتهى من محاضراته لهج الناس بالنساء عليه من شدة وقع ما سمعوا وتأثروا منه لا تصنعا بل هي الحقيقة التي ربما حركت من هو كالجماجم

الوظائف التي اسندت لسماحته

الامامة والخطابة بجامع أبي محمد . التدريس بجامع الزيتونة ثم الاستاذية . التدريس بالترشيح ثم الصادقية . عضو نائب المجلس المختلط العقاري وكانت ولايته عام ١٣٤٥ ثم حاكم به وذلك عام ١٣٤٨ عضو بمجلس تنظيم الكتب بالمكتبة الصادقية . عضو بالجنة طبع الكتب العربية التابعة لادارة المعارف العامة عفته وتقوالا

علمنا من احوال شيخنا في السر والعلانية انه رجل التقوى والمروءة عفيف النفس كريم الخصال طيب السريرة يخاف الله ويخشاه يذكره كثيرا ويسبحه بكثرة واصيلا يتهجد من ليله بارا بوالديه الى ابعد حد البرور يعظم شيوخه على الطريقة السلفية له مبرة خاصة باسلافه الاعلام يحفظ مناقبهم ويتحلى بشمائلهم يحن على الضعيف ويغيث المحتاج له صدقات كثره ومبرات سخى كريم ذو منزلة سامية في محبة اهل الله والبرور بهم .

اتصالي بالشيخ

لقد كان اتصالي بالشيخ من حالة الصبا حيث تجمعي بنسبه الرفيع رحم ولما انخرطت في سلك تلامذة الجامع الاعظم عام ١٣٣٣ وتشرفت بالانتساب اليه وجدت شهرة الشيخ قد ملأت راحته ونطق بها المنصف والمكابر وعانيت ما كنت اسمعه من والذي برد الله ثراه من التقدير وحسن البناء عليه والشهادة له بالنجارية اذكر اني سألته رحمه الله عن عدة من الشيوخ فلما تكلم عن شيخنا هذا ابقاه الله قال لي انه فامة يغوص في الفهم حتى يدرك الحقيقة ولا يكتفي بالظواهر كما هو شان الذين يأخذون مسائل العلوم على ظاهرها فتكون معلوماتهم (سطحية) وحتى على الارتشاف من حياضه والاخذ من علومه والافتداء به فطلبت منه اعز الله ان يشعلني بعطفه ويقبض علينا من معارفه فاجاب السؤال فاقرانا كتاب التصريف بعد العصر فذاك اول اتصالي بالشيخ من حيث التعلم ثم حضرت عليه دروس المغني ودروس الموافقات فاستفدت منه علما كثيرا وانتفعت عليه انتفاعا عظيما جازاه الله عنا احسن الجزاء ووقفنا البرور به كما يجب ان يبر بشيخ نصح هذب النفس وعلم .

والمجلة تهي فضيلة الشيخ بهذا المنصب الرفيع .

بجالت الذي ان اتصالي

وله يمتدحه عند ما ارتحل لزيارة الولي المزار

القطب سيدي ابي سعيد الباجي وبات بجوار لا ليلتين

وردت بطالع اليمن السعيد
كما ورد الكريم ابوك قبلا
وأمر بك المشاهد حين لاحت
وما تخطي الفراسة حين جاءت
وعاد كما تعود وقد تاهت
الا لله صبري حين سارت
تنازعك الزمام وهي تومي
فتقصرها ولو تركت لحطت
وجانبت البحيرة حين مرت
وقابلها الطريف على يباع
وادركها المسا ولها تراءت
تسابق للتقرب منك أخرى
كغانية راتك فلعلفتها
فت بها وعين الحفظ ترعى
وصبحت الضريح بمولدي
وحففت الزيارة وهو راي
وحزت بليتين عزيز كنز
وابت ولم تغب ما غبت عني
وكم قلت اترك طرف راج
فلم اسعف ولو اومضت شيئا
ومن تعب الحياة لمبتغيها
وما في صحتي لو شئت باس
وان مؤملا يلقاك يوما
وما يسليه عنك وليس يلقى
سلامة خاطر وسماح وجه
وما في ذا العتاب لدي قصد
ولكن فالقام اجل من ان
على اني دفعت به دعاوي
فان ظهور شمسك وانحجابي
فما اجرا ان ما ظن هذا
وعند نزولك المرسى ذكرنا
فقلنا عند فتح الله فتح
فطار من العيافة طير فال
وقد صدق الحديث فقد اناخت
تؤمل من رضاك جميل عود

على حرم الولي ابي سعيد
عليه وانت في طور الوليد
عليك له امارات السعيد
من المهدي في شيم الرشيد
مطالبه بعائدة الودود
بك البيضاء من تحت البنود
الى جبل المنارة من بعيد
سنايكها على ذاك الوصيد
وفي صهواتها بحر المديد
فلم تثبت على وجه الصعيد
قباب العبدليات في نهود
فتقدفها بذات الطلع النضيد
وليدها بمخضر البرود
مقامك والحوادث في همود
سعى الله في صفة العبيد
يصوبه ذوو الراي السديد
توزعه الى الابد الابيد
ولكن فاسني سر الشهود
بروق الوصل من رعد الصدود
سقت اليك ركبان البريد
مباعدة المراد من المريد
وهل رحب كذرعك للوفود
ويسلو بعد ذاك لفي جمود
على الحالات منلك في الوجود
وقلة كلفة وكمال جود
ولكن جره سوق النشيد
اضيق به الى اذن جديد
تصورها خيالات الحسود
بها عندي من الامر الزهيد
وقلبك في القضية من شهيد
نزولك قبلها جبل الجلود
وقلنا السعد عند ابي سعيد
يصحح ان عزمك في مزيد
بابك عاجلا زمر الوفود
وتطلب منك تجديد العهد

واهدت عند مقدمها نفيسا
فهي الخير قد قدمت بضلع
وما في جمع شمل الدين وصم
لأنك في الملوك عريق بيت
فلا زالت حياتك في امتداد
وانفسه اسيلات الحدود
وهو الخير في الذكر المجيد
ولا عن قصد ربك من محمد
وفي اخلاقهم بيت القصيد
ولا زالت سعودك في صعود

وله في تهنيته بختان بنيه وختان اولاد

اخيه المرحوم محمد باي المذكور

هذا الختان وقد دعوة طهورا
فرح يخلصك بالكرامة اولا
وعلى المنازل من بهاء بشاشة
اخفيته تبعا لقولة صادق
فركت محاسنه على اخفائه
ولمئه من كل ما تعنى به
عجباله من معرك خضعت به
ذكرت به الارحام يوم ولادها
وزمانه ان طال كان دقيقة
ما للزين فيه كيف تناولت
اخذت بجزء لو يقاس بمثله
وبعد هيكله لكل عيونهم
افلا اتقى من دون ذاك تواقيا
لولا الخليل لعاقبه عن اخذه
لكن سليمان المعوذ باسمه
فتخلل الاوجال ثم ازاحها
وكفاه في ذاك المجال محمد
ودعى بمحمود فاسرع جابة
فتظاهروا ببني شقيق ابيهم
وقضوا على وفق المراد مباربا
وقضيت ما لله عندك حقه
فوصلت رحك رحمة واقمتها
واضفت في ذات الالاه لهذه
فبذلت في تحسين بزة جمعهم
وبلغت في ابلاغ خبرك للسورى
فلانت أشجع من رائه كريمة
من ذا يجادل نفسه فيردها
قد كان ذلك في الحجارة رطبة
حتى بعثت مجددا لمثائر
احييتها وفعلت ما تشني به
خلع الزمان به عليك سرورا
وبها يعم الخيرين اخيرا ،
كالنازليين فهل وجدت شعورا
اخفوا الختان وما اتخذت مشيرا
كلسك زاد مع الخفاء ظهورا
خطر كما قد كنت انت خطيرا
نفس الشجيع وقد راته يسيرا
فقدت تجاذب حدة وفتورا
ويكاد يبلغ في الخيال شهورا
كفاه من فلك البهاء بدورا
ملك القياصر كان بعد قصيرا
اهل المشارق والمغرب نورا
تذكى عليه من الجهات سعيرا
حرب يشيب له الوليد صغيرا
سبق النداء الى النزال سريرا
والان ما قد كان منه عسيرا
فاماط عن وجه الخلاص ستورا
وتلا اسماعيل بعد نصيرا
حتى يكونوا في المثال ظهيرا
كانت تتوق لها النفوس دهورا
ان لم تكن فمن يكون شكورا
اعلا مقام في الجنان كبيرا
اما اضفت لها النوال نميرا
ما لا يعز على الملوك غزيرا
حتى ملات من السرور قبورا
واذا حلفت فلا اقول فجورا
نحو الملبع عن القبيح غبورا
والآن يوجد في الكتاب سطورا
لبست على طول الزمان دثورا
اجلا ويكثر في المعاد اجورا

تلك الشجاعة لاجراءه فانك
 فاربح اذا يا ابن الحسين وكلنا
 فهو المني اخذ الودود بحظه
 بعث يد الاقبال لما ان بدا
 كم بعد يومك ذا المبارك من جنا
 فالآث حين توصلوا المنازل
 وتناولت خطط الامارة نحوهم
 فالخيل مصيغه لهم اذانها
 فرحت لهذا الثوب في اشطانها
 ومعاهد التيجان قد عقدت لهم
 ومن الطبول تحفز لبروزهم
 ومن البنود تطلع لمسيرهم
 فاليوم قد صدرت بشائر سعدهم
 اعباء محبذات وحدك حزتهم
 فيهم انت الملك نومة معرس
 وبهم لامرك نهضة ولصونهم
 ما فردهم مهما اخترت بواحد
 كل يفيض على اخيه تحنا
 طبعوا كما طبع الكريم ابوهم
 وسياسة جذبت حائل لطفها
 يا سيدا طلعت طلائع وده
 هذي بنية خاطر اهديتها
 تحضى فيقصر يومها لحديثها
 قصرت عليك ملابس من غزلها
 ولرب بعض شويعر يرئولها
 حسدا يشكك في تحقق حملها
 ويظل يخطط في مدى اغراضها
 ولو استبان من الضئالة مرة
 لكن ترصعت حديثه واراحني
 فمحك قدك ليس يبقى دونه
 فلك الهنا ولكلکم ولنا بكم
 ومن شعرة رحمه الله تعالى الموصول بشرة ما كتب به الهرحومة تراك بنت مخدومه الاول علي
 باشا زوج مخدومه الثاني علي بن حسين بن علي ما نصه :
 سيدتي الجليدة الحسية الاصلية كاملة الخصال حميدة الاقوال والافعال كبر الله سعدك وبلغك
 قصدك وشرح بالك واصدح حالك نحن عبيد احسانك ومحل امتنانك ما نسينا والله احسانك ولا
 نساها ولا نسلم من دعاء الخير لك حتى تبلغ اقصاه وانت اعزك الله لا تقطعي عنا السؤال بلغك الله
 اقصى الامال ودمتم في عافية والسلام
 سلام بكم دام الحبيب على العهد والا كما غنى الحما على الرند

والا كما هب النسيم عشية
على طيبة تلك التي طاب ذكرها
عزيزة ملك لم تزل بين صونه
بعقل رصين في المهمات نافذ
الى حسب ما لم تنله كريمة
وجودة طبع زينتها نزاهة
فمن للمساكين المحاويع مثلها
على اصلها جاءت نقت كل رحمة
وطول في امن ويمن حياتها

وله مؤرخا لتجديد الباب الجديد احد ابواب محروسة تونس

جدد هذا الباب باب الجديد
اقامه من بعد ما قد هوى
فالله يحميه وانجاله
ويبتني لهم كما قد بنا
وعند ما قد تم ارخته

وله ايضا وهو مما كتب في اوج القبة الفيحاء التي ابتناها

الامير المذكور في جانب قصر الخلافة بباردو المعمور سنة ١١٨٣

سعيد المباني ما يطول ويمتد
ولا سيما ان كان في خلق الذي
بذا يحسن المبنى ويسعد اهله
ويصدق ان قال الخبير بوصفه
لقد خفيت حتى اذا البخت زارها
نتيجة فكر قد سها عنه من مضى
فجاءت كنجم النجج طال انتظاره
ولو لم تكن نجما يرجى طلوعه
فالقت على باقي المنازل يمنها
وكانت لاعيان المحبين قرة
فسرح بها طرفا الى الآن لم يكن
فتعطيك بالتمثيل ما شئت من منى
وانت انت انعمت التامل خلنها
هي الراس منها والطويلة صدرها
وما صغرت تلك البساتين حولها
على انها روض يدبجه الحيا
وفي اوجها حيث الكوى منها اومات
فاذاك اضداد الاشعة جمعت
على اربع قامت وان كان شبهها

اذا كان للوجه الجميل به القصد
بناء انطباع لا اشباح ولا حقد
ويحوي به اماله الاب والولد
هي القبة الفيحاء ما انت لها ند
تبنت وما للهلك من مثلها بد
فشيدها من هذب الامر من بعد
فمن كل نجم لطلعته رصد
لما كان من برج السعود لها مهد
ففي كل بيت من سعادتها سعد
وان كان منها في عيون العدا فقد
له بعليلح الشكل من قبلها عهد
فان شئت روض وان شئت خود
يتيمة دار الملك تم بها العقد
وما قد علا ذاك الصدر لها نهد
لان قليلا كافيا كثره د د
ففي نور في تفاصيلها برد
الى الشمس قوس الله في قلبها بيد
ومن قبل هذا الحين ما اجتمع الضد
من الغيد يكفي في ملاحظته قد

المجلة التونسية

مجلة علمية أدبية أخلاقية
تصديدها شهرية عدد ٢٦٩ في شهر ذي القعدة ١٣٥٩ وفي ديسمبر ١٩٤٠
شهرية وستة عشر شهرا

الجزء الثالث تونس في شهر ذي القعدة ١٣٥٩ وفي ديسمبر ١٩٤٠ المجلد الرابع

صاحب المجلة والمدير

محمد شاذلي بن قابلي

المدرس من الطبقة الاولى بجامع الزيتونة

والخطيب الاول بجامع حمودة باشا

المراسلات :

تبريد باسم مدير المجلة بمحل الادارة

حساب جاري بادارة البريد رقم ٣٤٢٢

رئيس قلم التحرير

محمد المختار ابن محمود

المفتي الحنفي

بالديار التونسية

الادارة :

نهج الباشا رقم ٣٣ بتونس - تليفون ٤٩-٢٦

تسكن الجزء ثلاثة فرنكات

صفحة	المقال	صاحبه
٦٦	الدين النصيحة ٢	العلم الهمام الحجة صاحب الفضيلة الشيخ سيدي محمد الطيب يرم شيخ الاسلام الحنفي
٧٢	امانة الرسول وحفظه للعهد	الشيخ محمد الشاذلي ابن القاضي مدير المجلة
	الاسلام دين وحدة واتلاف	الشيخ محمد الهادي ابن القاضي
٨٨	اعجاز القرآن	الفاضل الزكي العالم الشيخ سيدي علي النيفر المدرس بجامع الزيتونة
٨٢	الفتاوي والاحكام	نشرة المجلة
٨٣	محنة القيروان في عام ١٢٤٦	العالم المؤرخ امير الامراء سيدي محمد بن الخوجة مستشار الحكومة
٨٧	القضاة الشرعيون	العلامة النحرير فضيلة الشيخ سيدي محمد البشير النيفر المفتي المالكي
	الفسم الادبي	
٨٨	موشع (١)	امير المؤمنين ابن المعتز
٨٩	موشع (٢)	ابو بكر يحيى بن بقي القرطي
٩٠	موشع (٣)	علم الدين ايدير المجيوي
٩٢	موشع (٤)	شيخ الادباء بتونس سيدي العربي الكبادي
٩٩	ديوان الورغي	نشرة المجلة

الاشتراك

عن سنة بالحاضرة وبلدان المملكة والجزائر والمغرب
 الاقصى وسوريا فرنكات ٣٠
 في الخارج غير البلاد المذكورة فرنكات ٤٠
 وصولات الاشتراك لا تعتبر الا اذا كانت ممضاة من امين المال
 محمد الهادي ابن القاضي
 والمخاضرات المالية لا تكون الا معه

المجلة الزيتونية

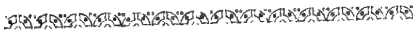
مجلة علمية أدبية أخلاقية
تصديدها المهيبة منذ سنة ١٣٥٩ في ديسمبر ١٩٤٠
شهرية وستة عشر اشهر

الجزء الثالث تونس في شهر ذي القعدة ١٣٥٩ وفي ديسمبر ١٩٤٠ المجلد الرابع

صاحب المجلة والمدير :

محمد الشاذلي القاسبي

المدرس من الطبقة الاولى بجامع الزيتونة
والخطيب الاول بجامع حمودة باشا



المراسلات :

ترد باسم مدير المجلة بمحل الادارة

حساب جاري بادارة البريد رقم ٣٤٢٢

رئيس قلم التحرير

محمد المختار بن محمود

المفتي الحنفي
بالديار التونسية



الادارة :

نهج الباشا رقم ١٣٣ تونس - تليفون ٤٩-٢٦

١٢

ثمن الجزء ثلاثة فرنكات

الحديث الشريف

باب قول النبي صلى الله عليه وسلم

الدين النصيحة

لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم وقوله تعالى اذا نصحوا الله ورسوله

الشرح

(٢)

بقلم العلم الهمام الحجة الامام صاحب الفضيلة
الشيخ سيدي محمد الطيب بيرم شيخ الاسلام الحنفي

النصيحة لعامة المسلمين

النصيحة لعامة المسلمين تكون بارشادهم الى ما يصلح اخراهم ودينهم وكف الاذى عنهم وتعليمهم ما جهلوه وستر عورتهم وسد خلتهم ومحبة لهم ما يحبه لنفسه وعدم غشهم وادارأي مثلاً من يفسد وضوءه او صلاته او غير ذلك ولم يعلمه فقد غشه وعليه الائم وقيل الا ان يعلم انه لا يسمع منه فانه يسقط عنه الائم قاله الاقحيسي في شرحه لرسالة ابن أبي زبد القيرواني رضي الله تعالى عنه وظاهرة سواء كان هناك غيره يقوم بذلك ام لا وذكر الخطاب رحمه الله في شرحه عليها ما يفيد حكم ذلك فقال الشاذلي ختلف اذا كان هناك من يشارك في النصيحة قبل يجب عليك النصيحة سواء طلبت منك ام لا كمن رأته يفسد صلاته فقال الغزالي يجب عليك النصيح وقال ابن العربي رحمه الله لا يجب .

وعندنا معاشر الحنفية انها فرض كفاية اذا قام به البعض سقط عن الباقيين لازمة على قدر الطاقة اذا علم الناصح انه يقبل نصحه ويقطع امره وامن على نفسه من المكروه فان خشى فهو في سعة فيجب على من علم بالمبيع عيا ان يبينه بايعا كان او اجنيا ويجب على الوكيل والشريك والحازن .

ويكون النصيح بدين ورفق لانه اقرب للقبول ولذا قال الامام الشافعي رضي الله تعالى عنه : من وعظ اخاه سرا فقد نصحه وزانه ومن وعظه علانية فقد فضحه وشانه . ومن ثم قال الفضيل :

المؤمن يستر وينصح والفاجر يهتك ويعير وفي كلام الشيخ سيدي محي الدين رضي الله تعالى عنه أن من شرط الناصح إذا أراد أن ينصح أحداً أن يمهّد له بساطاً قبل النصيحة وأن يرى نفسه دون المنصوح وأن يوطن نفسه على تحمل الأذى الحاصل من جهة النصيحة في العادة. وقد حكى أن الحسن والحسين رضي الله تعالى عنهما أقبلتا على شيخ يفسد وضوءه فقال أحدهما للآخر تعالى نرشده هذا الشيخ فقال له أحدهما يا شيخ أنا نريد أن نتوضأ بين يديك حتى ننظر إلينا وتعلم من يحسن منا الوضوء ومن لا يحسنه ففعل ذلك فلما فرغا من وضوءهما قال أنا والله الذي لا أحسن الوضوء وأما انتما فكل واحد منكما يحسن وضوءه فانتفع بذلك عنهما من غير تعنيف وتوبيخ .

وروي أن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لبعض أخوانه: أوصيك بستة أشياء - ١ - إذا أردت أن تقع في أحد وتنمّه قدم نفسك فانك لا تعلم أحداً أكثر عيوباً منها - ٢ - وأن أردت أن تعادي أحداً فعادي البطن فليس لك عدواً أعدي منها - ٣ - وأن أردت أن تحمد أحداً فاحمد الله تعالى فليس أحداً أكثر منه منة عليك وألطف بك منه - ٤ - وأن أردت أن تترك شيئاً فاترك الدنيا فانك إن تركتها فانك محمود والا تركتك وانت مذموم - ٥ - وأن أردت أن تستعد لشيء فاستعد للموت فانك إن لم تستعد له حل بك الحشران والندامة - ٦ - وأن أردت أن تطلب شيئاً فاطلب الآخرة فليست تنالها إلا بأن تطلبها واعلم أن جرعة النصيحة مرة لا يقبلها إلا ألو العزم .

وقال ميمون بن مهران قال لي عمر بن عبد العزيز رضي الله تعالى عنه: قل لي في وجهي ما نكرة فإن الرجل لا ينصح أخاه حتى يقول له في وجهه ما يكره .
وفي منشور الحكم ودك من نصحك وقلاك من مشي في هواك .

وبداً في الحديث بالله لأن الدين له حقيقة . وثنى بكتابه الصادق ببيان أحكامه وثلك برسوله الهادي إلى دينه الموقف على أحكامه المفصل لجميع شرائعه صلى الله تعالى عليه وسلم . وربع بأولى الأمر الذين هم خلفاء الأنبياء القائمون بشانهم . ثم خمس بالتعميم . ولم يكرر اللام في عامتهم لأنهم كالاتباع للائمة لا اشتغال لهم

وأنما خص أهل الإسلام بالنصح لأنهم أقرب إلى الإجابة من أهل الذمة أو لأن النصيحة الكاملة إنما هي للمسلمين بخلاف أهل الذمة إذ لا يقال لهم صلوا ولا زكوا أو أن فذكر المسلمين من باب التغليب لشرفهم على أهل الذمة والا فتجن نصيح أهل الذمة بالارشاد للإيمان .

والتحقيق أن قبول النصيح من شيم المسلمين

قال ثابت بلغي أن إبليس ظهر لبعض العباد فرأى عليه معاليق من كل شيء فقال له العابد ما هذه المعاليق التي أرى عليك قال هذه الشهوات أصيب بهن بني آدم فقال له هل لي فيها من شيء ؟ قال ربما شبت فتقلتك عن الصلاة وعن الذكر . قال هل غير ذلك ؟ قال لا . قال العابد لله على أن لا أملأ بطني من طعام أبداً . قال إبليس والله على أن لا أنصح أحداً أبداً

ثم أن النصيحة كما هي فرض للمذكورين فكذلك هي فرض لنفسه بأن ينصحها بامتنال الأوامر

واجتناب المناهي

قوله تعالى : اذا نصحو الله ورسوله

اول الآية : ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج اذا نصحو الله ورسوله .

واعلم ان الله سبحانه وتعالى لما بين الوعيد في حق من يؤهم العذر مع انه لا عذر له ذكر اصحاب الاعذار الحقيقية وبين ان تكليف الله تعالى بالغزو والجهاد عنهم ساقط وهم اقسام - الاول الصحيح في بدنه الضعيف مثل الشيوخ ومن خلق في أصل الفطرة ضعيفا نحيفا وهؤلاء هم المرادون بالضعفاء والدليل عليه انه عطف عليهم المرضى والمعطوف مابين للمعطوف عليه فلو لم يحمل الضعفاء على الذين ذكرناهم لم يتميزوا عن المرضى واما المرضى فهم القسم الثاني فيدخل فيهم اصحاب العمى والعرج والزمانة وكل من كان مصابا بمرض يمنعه من التمكن من المحاربة . والقسم الثالث الذين لا يجدون الأهبة وال زاد والراحلة وهم الذين لا يجدون ما ينفقون لان حضوره في الغزو انما ينفع اذا قدر على الانفاق على نفسه اما من مال نفسه او من مال انسان آخر يعينه عليه فان لم تحصل هذه القدرة صار كلا وبالا على المجاهدين ويمنعهم من الاشتغال بالمقصود

ثم انه تعالى لما ذكر هذه الاقسام الثلاثة قال لا حرج على هؤلاء والمعنى والله تعالى اعلم انه يجوز لهم التخلف عن الغزو وليس في الآية بيان انه يحرم عليهم الخروج لان الواحد من هؤلاء لو خرج ليعين المجاهدين بمقدار القدرة اما بحفظ متاعهم او بتكثير سوادهم بشرط ان لا يجعل نفسه كلا وبالا عليهم كان ذلك طاعة مقبولة .

ثم انه تعالى شرط في جواز هذا التأخير شرطا معينا وهو قوله تعالى « اذا نصحو الله ورسوله » اي بالايمان والطاعة ظاهرا وباطنا كما يفعل الموالي الناصح وان يبذلوا جهدهم لنفع الاسلام والمسلمين بان يتهدوا امورهم واهلهم وايصال خيرهم اليهم ولا يكونوا كالنافقين الذين يشيعون الاراجيف اذا تخلفوا وهذا هو معنى النصح الذي هو الخلوص فالناصح المخلص هذا سبيله

ويستفاد من هذا الحديث امور منها ان الدين يطلق على العمل لكونه سمي النصيحة ديناً وعلى هذا المعنى بنى البخاري رحمه الله اكثر كتاب الايمان . ومنها جواز تأخير البيان عن وقت الخطاب وهو مستفاد من قوله قلنا لمن . ومنها رغبة السلف في طلب علو الاسناد وهو مستفاد من قصة سفيان مع سهيل .

مبايعة جرير رسول الله على اقام الصلاة

وايتاء الزكاة والنصح لكل مسلم

المبايعة هي عقد العهد وكانت مبايعته صلى الله تعالى عليه وسلم لاصحابه في اوقات بحسب الحاجة اليها من تجديد عهد او توكيد امر فلذا اختلفت الفاظها

واخرج الشيخان من رواية الشعبي عن جرير رضي الله تعالى عنه قال بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة فلقيني فيما استطعت والنصح لكل مسلم فكان جرير رضي الله تعالى عنه اذا اشترى او باع يقول لصاحبه اعلم ان ما اخذنا منك احب الينا مما اعطيناكه فاختر . وروى الطبراني

في ترجمته ان غلامه اشترى له فرسا بثلاثمائة فلما رآه جاء الى صاحبه فقال ان فرسك خير من ثلاثمائة فام يزل يزيده حتى اعطاه ثمانمائة

وقوله فيما استطعت روي بفتح التاء وضمتها والمقصود بهذا التنبيه على ان اللازم من الامور المباح عليها هو ما يطاق كما هو المشترك في اصل التكليف ويشعر الامر بقول ذلك اللفظ حال المباحة بالعفو عن الهفوة وما يقع عن خطأ وسهو . قال الخطابي رحمه الله تعالى جعل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم النصيحة للمسلمين شرطاً في الذي يباح عليه كالصلاة والزكاة فذلك تراه قرنها بهما

فان قلت : لم اقتصر عليهما ولم يذكر الصوم وغيره ؟ قلت قال القاضي عياض رحمه الله تعالى بدخول ذلك في السمع والطاعة . يعني المذكور ذلك في الرواية الاخرى . والذي يظهر في دخولها في روايتنا هاته هو ان العبادات على ثلاثة اقسام بدني محض وهذا هو الصلاة والصوم ومالي محض وهذا هو الزكاة ومركب منهما وهذا هو الحج والجهاد فبذكر الاله من كل من القسمين يدخل في ضمنه الآخر . وايضا فان من القواعد المسلمة بين اهل السنة والمعتزلة ان شكر المنعم واجب فانه سبحانه وتعالى الذي انعم علينا باخراجنا من العدم الى الوجود وركب فينا السمع والابصار والشم والافئدة والعقل وبه حكمنا في جميع الحيوانات وخلق لنا ما في الارض جميعا وبسط لنا الرزق والخيرات فواجب علينا شكره في جميع الاوقات ومن لطفه ورأفته بعبادته أن جعل الصلاة الواجبة في خمسة اوقات بادية لكل احد لان التكليف بها عام يشترك فيه الحاضر والباد فبانفلاق الصبح اوجب صلاة وبزوال الشمس عن كبد السماء اوجب صلاة وبصيرورة ظل كل شيء مثله او مثليه اوجب صلاة وبغروب الشمس اوجب صلاة وبمغيب الشفق اوجب صلاة . وفيما اشتملت عليه الصلاة من الركوع والسجود والقيام والقراءة منافع للصلي لا بسم المقام بسطها . وبالصلاة اشترك الانسان مع الملائكة فالملائكة عليهم السلام بين راحك وساجد وقائم وقاعد وبما خوله من الرزق وبسطه لنا فمن شكره عليه ان يدفع النزر اليسير منه للفقير فهو لا يضر بالغي . والفقير باخذ اموال الزكاة من الاغنياء تسد حاجه ويكفي شره ولربما يصير من الاغنياء وينتفع به غيره

فبالتنصيص على هاتين العبادتين التي اولاهما تؤدي شكر الابدان والثانية تؤدي شكر الاموال اكتفى عن التنصيص على بقية الواجبات ولهذا والله تعالى اعلم كرر سبحانه قرن الزكاة بالصلاة كثيرا في القرآن العظيم ولم يذكر الصوم وغيره معهما اكتفاء بذكر الاله من كل نوع . وايضا ان الصلاة تتكرر في اليوم خمس مرات والزكاة تتكرر بحسب النسب في العام بخلاف الصوم فيجب في العام مرة والحج في العمر مرة . وايضا ان الصلاة عماد الدين وتبني عن الفحشاء والمنكر ومن المنكر ترك بقية المفروضات حتى قيل ان تارك الصلاة تكاسلا كافر . فقد قال الحافظ عبد العظيم قد ذهبت جماعة

من الصحابة رضي الله تعالى عنهم ومن بعدهم الى تكفير من ترك الصلاة متعمدا لتركها حتى يخرج جميع وقتها منهم عمر بن الخطاب وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عباس ومعاذ بن جبل وجابر بن عبد الله وابو الدرداء رضي الله تعالى عنهم ومن غير الصحابة احمد بن حنبل واسحاق بن راهويه وعبد الله بن المبارك والنخعي والحكم بن عتيبة وايبوب السخيتاني وابو داود الطيالسي وابو بكر بن ابي شيبة وزهير بن حرب وغيرهم رحمهم الله تعالى وقد وردت احاديث تشهد لما قالوه فروى احمد رضي الله تعالى عنه عن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بين الرجل وبين الكفر ترك الصلاة . وروى مسلم قال بين الرجل وبين الشرك او الكفر ترك الصلاة وابو داود والنسائي ولفظه ليس بين العبد وبين الكفر الا ترك الصلاة . وروى الترمذي عن عبد الله ابن شقيق العقيلي رضي الله تعالى عنه قال كان اصحاب محمد صلى الله تعالى عليه وسلم لا يرون شيئا من الاعمال تركه كفر غير الصلاة وعن سعيد بن ابي وقاص رضي الله تعالى عنه قال سالت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عن قول الله عز وجل . الذين هم عن صلاتهم ساهون

قال : هم الذين يؤخرون الصلاة عن وقتها ، رواه البزار ، وروى البخاري عن سمرة بن جندب قال كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مما يكثر ان يقول لاصحابه هل رأى احد منكم من رؤيا ؟ فيقص عليه ما شاء الله ان يقص . وانه قال صلى الله تعالى عليه وسلم لنا ذات غداة انه اتاني الليلة اثنان وانهما استتبعاني وانهما قالاني انطلق واني انطلقت معهما وانا اتينا على رجل مضطجع واذا آخر قائم عليه بصخرة واذا هو يهوي بالصخرة لرأسه فيثلغ رأسه (اي يشدخه) فيتهدده (اي يتدحرج) الحجر فياخذه فلا يرجع اليه حتى يصح راسه كما كان ثم يعود عليه فيفعل به مثل ما فعل المرة الاولى . قال قلت سبحان الله ما هذا قال لا لي انطلق فأتينا على رجل مستلق على قفاله واذا آخر عليه بكلوب (١) من حديد واذا هو ياتي احد شقي وجهه فيشرش (٢) شدقه الى قفاله ومنخره الى قفاله وعيناه الى قفاله قال ابو رجاء فيشق قال ثم يتحول الى الجانب الآخر فيفعل به مثل ما فعل بالجانب الاول قال فما يفرغ من ذلك الجانب حتى يصح ذلك الجانب كما كان ثم يعود عليه فيفعل كما في المرة الاولى قال قلت سبحان الله ما هذا قال انطلق انطلق

فانطلقنا فأتينا على مثل التنور قال فاحسب ان كان يقول فاذا فيه لفظ واصوات قال فاطلعا فيه فاذا فيه رجال ونساء عراة فاذا هم ياتيهم لهب من اسفل منهم فاذا اتاهم ذلك اللهب ضوضوا (٣) قال قلت ما هؤلاء قال لا لي انطلق انطلق فانطلقنا فأتينا على نهر حسبت انه كان يقول احمر مثل الدم واذا في النهر رجل سابح يسبح واذا على شط النهر رجل عندا قد جمع حجارة كثيرة واذا ذلك السابح يسبح ما

(١) الكلوب يفتح الكاف وضما وتشديد اللام هو حديدة معوجة السراس (٢) اي يقطعها ويشقه (٣) هو الصياح والفرع

يبقي ذلك الذي جمع عنده الحجارة فيفغر (١) فاهه فيلقمه حجرا فينطلق يسبح ثم يرجع اليه كما رجع يسبح ثم اليه فغرفاه فلقمه حجرا قلت لهما ما هذان قالوا لي انطلق انطلق فانطلقنا فاتينا على رجل كرية المرأت كأكبره ما انت راء رجلا مرأت واذا عنده نار يحشها (٢) ويسعى حولها قال قلت لهما ما هذا ؟ قال قالوا لي انطلق انطلق فانطلقنا فاتينا على روضة معتمه (٣) فيها من كل نور (٤) الرقيم واذا بين ظهري الروضة رجل طويل لا اكاد ارى راسه طولا في السماء واذا حول الرجل من اكثر ولدان رايتهم قال قلت ما هذا ؟ ما هؤلاء ؟ قالوا لي انطلق انطلق فانطلقنا فاتينا على دوحه (٥) عظيمه اسم ار دوحه قط اعظم ولا احسن منها قال قالوا لي ارق فيها فارتقينا فيها الى مدينة مبنية بلبن ذهب ولبن فضة فاتينا باب المدينة فاستفتحنا ففتح لنا فدخلناها فتلقنا رجال شطر من خلقهم كاحسن ما انت راء وشطر منهم كاقبح ما انت راء قال قالوا لهم اذهبوا فقعوا في ذلك النهر قال واذا نهر معترض يجري كان ماءه المحض (٦) في البياض فذهبوا فوقعوا فيه ثم رجعوا اليها قد ذهب ذلك السوء عنهم فصاروا في احسن صورة قال قالوا لي هذه حنة عدن وهذا منزلك قال فسمنا بصري صعدا (٧) فاذا قصر مثل الربابه (٨) البيضاء قال قالوا لي هذا منزلك قال قلت لهما بارك الله فيكما فدراني فادخله قالوا اما الآن فلا وانت داخله قال قلت لهما فاني رايت منذ الليلة عجباً فما هذا الذي رايت قال فالاولى انا سنخبرك : اما الاول الذي اتيت عليه يثلغ راسه بالحجر فانه الرجل ياخذ القرآن فيرفسه وينام عن الصلاة المكتوبة .

واما الرجل الذي اتيت عليه يشرشر شدقه الى قفاه وسخره الى قفاه وعينه الى قفاه فانه الرجل يغدروا من بيته فيكذب الكذبة تبلغ الافاق .

واما الرجل والنساء العراة الذين هم في مثل بناء التنور فانهم الزناة والزواني

واما الرجل الذي اتيت عليه يسبح في النهر ويلقم الحجر فانه آكل الربا

واما الرجل الكرية المرأت الذي عند النار يحشها ويسعى حولها فانه مالك خازن جهنم

واما الرجل الطويل الذي في الروضة فانه ابراهيم واما الولدان الذين حول فكل مولود

بات على الفطرة

قال فقال بعض المسلمين يا رسول الله واولاد المشركين فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم

واولاد المشركين

واما القوم الذين كانوا شطر منهم حسن وشطر منهم قبيح فانهم قوم خلطوا عملا صالحا وآخر

سيئا تجاوز الله عنهم

ولا يخفى ان رؤيا الانبياء وحي وحق فعلى الانسان ان يعمل العمل الصالح ويكثر منه لعل

الله سبحانه وتعالى يتجاوز عن سيئه عمله ويتوب الى الله تعالى توبة نصوح فان باب التوبة مفتوح

وبساط الرحمة ممنوح ويستغفر الله العظيم فانه غفور رحيم ويكثر مما يثقل الميزان وهو سبحانه الله

وبحمده سبحانه الله العظيم

(١) اي بفتح (٢) اي يوقدها (٣) اي طويلة النبات (٤) الزهر (٥) هي الشجرة العظيمة

(٦) المحض هو الخالص من كل شي (٧) صعدا بضمين اي ارتفع (٨) السحابة البيضاء

الرسول الاعظم

مثال الكمالات الذي به يقتدي

امانته صلى الله عليه وسلم وحفظه للعهد

ان الله تعالى جلت حكمته ، ولا تبديل لسنته ، قد اصطفى من الاميين سيد العرب والعجم ، وخصه بعزيز العناية السريانية ، والشيم العلية ، واعد له لتبليغ رسالته ، واداء امانته ، وعصمه من الزيف والهذيان بما فطره عليه من قوة الارادة ، والاستقلال في الفكر ، ما كان به صلى الله عليه وسلم مثال الكمالات ، شريف الخصال ، لا تؤثر فيه مزاعم المبطلين وترهات المغرضين ، الضالين ، وشيم المفسدين فقد عرف صلى الله عليه وسلم بالسجيا الحميدة والاخلاق المرضية وعرفوه بكمال الشمائل ونعوتها بارفع الصفات من ذلك ما اشتهر به من الامانة وحفظ العهد حتى لقبوه بالامين ولم يحفظ عنه انه خان العهد ولو في حادثة سنة او عبث بامانة ودعت عنده ولنذكر على سبيل المثال ثلاث وقائع تصليح ان تكون شاهدا ومرشدا لنا على مبلغ اشتهاره صلى الله عليه وسلم بهذه الصفة اما الحادثة الاولى فقصة زواجه بام المؤمنين خديجة بنت خويلد فهي توضح لنا مبلغ اشتهار امانته صلى الله عليه وسلم بين قريش .

قال ابن هشام فيما يرويه عن ابن اسحاق كانت خديجة امرأة تاجرة ذات شرف ومال تستاجر الرجال في مالها وتضاربهم اياه بشيء تجعله لهم فلما بلغها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بلغها من صدق حديثه وعظيم امانته وكرم اخلاقه ، بعثت اليه فعرضت عليه ان يخرج في مال لها الى الشام تاجرا وتعطيه افضل ما كانت تعطي لغيره من التجار فقبله صلى الله عليه وسلم منها وخرج في مالها ذلك فباع صلى الله عليه وسلم السلعة التي خرج بها واشترى غيرها ثم اقبل قافلا الى مكة وسلم ذلك لخديجة فلما بيع ما جاء به عليه الصلاة والسلام كان ضعف ما دفعت له او قريبا من الضعف عند ذلك بعثت اليه خديجة تقول له يا ابن عم اني قد رغبت فيك لقرابتك ومكانتك في قومك وامانتك وحسن خلقك وصدق حديثك فخرج صلى الله عليه وسلم وعنه عمه حمزة بن عبد المطلب قال ابن اسحاق حتى دخلا على خويلد بن أسد فخطبها اليه فتزوجها صلى الله عليه وسلم وأصدقها رسول الله عشرين بكرة واستولدها القاسم وبه كان يكنى (ابو القاسم) والطاهر والطيب وزينب ورقية وام كلثوم وفاطمة عليهم السلام اه .

فقد علمت ان الباعث على هذا الزواج الميمون زيادة على شرف النسب صفاته الطاهرة التي عدتها في مناقبه فكانت صفة الامانة واسطة عقدها وأكرم بها من صفة

واما الواقعة الثانية فقصه تحكيم قريش له صلى الله عليه وسلم لما اشتد بينهم الخلاف والنزاع عند بناء الكعبة الشريفة في من يحمل حجر الركن الذي يبالغون في تقديسه فهذه رواية ابن اسحاق نقص علينا ان قريشا لما بنت الكعبة وبلغ البنيان موضع الركن اختصموا فيه كل قبيلة تريد ان ترفعه الى موضعه دون الاخرى حتى افضى بهم الاختلاف الى الاستعداد للقتال فقررت بنو عبد الدار جفنة مملوءة دما ثم تعاقدواهم وبنو عدي بن كعب بن لؤي على الموت وادخلوا أيديهم في ذلك الدم الموضوع في تلك الجفنة فسموا لعقة الدم فمكثت قريش على ذلك أربع ليال او خمسا ثم إنهم اجتمعوا في الحرم وتشاوروا وتناصفوا فخطبهم أبو أمية بن المغيرة من آل مخزوم وكان عامئذ أسن قريش فقال يا معشر قريش اجعلوا بينكم فيما تختلفون فيه أول من يدخل من باب هذا المسجد يقضي بينكم فيه . ففعلوا وأصغوا لنصيحته فكان أول داخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رأوه قالوا هذا الامين رضينا هذا محمد . فلما انتهى اليهم اخبروه الخبر . فقال صلى الله عليه وسلم هلم الي ثوبا فأقي به فاخذ الركن فوضعه فيه بيده الطاهرة ثم قال لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب ثم ارفعوه جميعا ففعلوا حتى اذا باغوا به موضعه وضعه هو بيده الشريفة ثم بنى عليه صلى الله عليه وسلم

والامين هو اللقب الذي كان يلقب العرب به الرسول صلى الله عليه وسلم في الجاهلية قبل البعثة وكذلك كانت قريش تستحفظه اماناتها ويودعون عنده ودائعهم وفي رواية ابن اسحاق ما كان بمكة أحد عنده شيء يخاف عليه التلف الا وضعه عند محمد صلى الله عليه وسلم لما يعلم من صدقه وأمانته . اهـ

واما الحادثة الثالثة التي تتجلى فيها امانته صلى الله عليه وسلم الى اقصى حد ويظهر كمال خلقه في محافظته على العهد فما صنعه عند ما عزم على مبارحة مكة والهجرة الى المدينة فانه خلف وراءه عليا كرم الله وجهه وامره ان يرد اماناته صلى الله عليه لاصحابها . ولم يمنعه عناد قريش وما يتوهم له من الغدر لم يمنعه ذلك من الوفاء بعهده ولم يتصرف في أموالهم وهم منه في أشد خلاف .

فترشدنا سيرته صلى الله عليه وسلم مع اولئك المعاندين الجاحدين الماكرين كيف انه لم يستبح لنفسه ودائعهم ولم يتصرف في اماناتهم التي وضعوها في كفاله وتحت عهده

وامر خليفته ان يحافظ عليها حتى يسلمها لاصحابها بامان كما تسلمها منهم على الامان

فلا حرم اذا اعتبر المسلمون هذا التشريع عاما يتناول الامة بأسرها حيث لا دليل يدل على الخصوصية . ويعد هذا التشريع من اسمى الاحكام التي قررتها الشريعة المحمدية السمحة حيث اعتبرت وجوب حفظ عهد المسلم باخلافه في الدين كما يحفظ عهده مع اهل ملته . ويزيدنا تقريراً لثبوت هذا الحكم في الاسلام ما يستفاد من نعي القرآن على بعض اهل الكتاب الذين خانوا عهدهم مع غير اهل ملتهم قال تعالى ومن اهل الكتاب من ان تامنه بقنطار يؤده اليك ومنهم من ان تامنه

بدينار لا يؤده اليك الا ما دمت عليه قائما ذلك بانهم قالوا ليس علينا في الاميين من سبيل ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون . فين تعالى ان منهم من يستحل اكل اموال الاميين من غير اهل ملتهم وقد حزفوا ما نهوا عنه من اكل اموال الناس بالباطل ، فرد عليهم القرءان ما زعموه حيث قال : ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون .

تأمل يارعاك الله كيف بلغ من شأنه صلى الله عليه وسلم في صفة الامانة الى ابلغ حد فلم تصدر منه الهفوة المرة والمرة كغيره من الرجال الكمل بل عصمه الله فلم يزل له قدم وهو المعصوم وحفظه الله من الحيانة التي لا تجامع الرسالة فكان الامين توطيدا لامر الرسالة وكذلك شان الرسل وما الامانة الا من اخص صفاتهم التي فطروا عليها سنة الله في انبيائه والمرسلين ولن تجد لسنة الله تبديلا . ولن تجد لسنة الله تحويلا

والفطرة السليمة الطاهرة الزكية التي فطر الله الناس عليها تقضي على البشر بحفظ العمود والوفاء بالوعود واداء الحقوق لاربابها وتمكين الامانات من اصحابها وقد جاءت الشرائع الالهيّة مقررّة لذلك محتمة على الناس مراعات الحرّيات حرمة النفس والمال والعرض . ومن أكد الحرّيات عهد الله تعالى وميثاقه الذي التزم المؤمن الوفاء له به من اتباع دينه المثلين والعمل بما شرعه على لسان رسوله الامين وعهد للناس القيام به والعمل بمقتضاه لا يحدون عنه طريقة عين ولا يدلون احكامه الباقية ما بقت السماوات والارض . شرعة الله الذي احكم كل شيء وهو العزيز الحكيم .

والوفاء بالعهد يشمل . سائر تعهدات الانسان التي اخذها على نفسه . فيدخل فيه الامانات والودائع والقروض والديون والعقود المؤجلة والوعود

والانسان خير بطبعه واليه اميل بفطرته مع صرف النظر عن العوامل والمؤثرات مما قد يتفق له من التأثير بالبيئة والايواسط فالميل الى الخير مما اودع الله في طبع الانسان والخير كل الخير ما يحصل به نفع للنفس ونفع للناس وجماع ذلك كله ان تحب لاختك ما تحب لنفسك كما جاء في الصحيح من حديث المرشد الاعظم صلى الله عليه وسلم لا يؤمن احدكم حتى يحب لاخته ما يحب لنفسه

والانسان الكامل يفعل الخير ويجد فيه لذة ويجتنب الشر وتعرض نفسه عنه لانه ليس من مقتضيات فطرته ولا تميل اليه نفسه الزكية ومن صدر منه الخير أو الشر يعلم كل العلم ان الناس تحمد الاول وتمقت الثاني وتمجد الخير وتبني الشرير

ثم ان الفرق عظيم بين الخير والشر وذلك يرجع في اصله الى ان الخير وجودي والشر عديمي كما انصح عن ذلك الامام ابن قيم الجوزية حيث يقول ان الشر كله يرجع الى العدم اعني عدم الخير واسبابه المفضية اليه وهو من هذه الجهة شر واما من جهة وجوده المحض فلا شرف فيه وضرب لذلك مثلا حيث قال

ان النفوس الشريرة وجودها خير من حيث هي موجودة وانما حصل لها الشر بقطع مادة الخير عنها اه
وبهذا نعلم ان اصل الفطرة صافية تقية كمشكات في زجاجة. فهي تضيء بحسب الوان المؤثرات
فيها والانسان على نفسه بصيرة يجدها حيث وضعها فليتبصر اين يضعها

ثم ان اليهود اذا لم يوف بها احتل امر الدين لان الوفاء آية الدين البينة بل محوره الذي عليه
مدارة وكذلك تفسد المصالح الدنيوية لبطلان ثقة الناس بعضهم بعض ، والثقة روح الحياة ، وملاك
النظام ، واساس العمران ، لاجل هذا كان الوعيد من الله تعالى على نكث العهد اشد ما نطق به القرآن
واغلظه قال تعالى في محكم التنزيل :

ان الذين يشترون عهد الله وايمانهم ثمنا قليلا اولئك لا خلاق لهم في الاخرة ولا ينظر اليهم
يوم القيامة ولا يزيكهم ولهم عذاب اليم ،

قد ذكر سبحانه في هذه الاية الشريفة جزاء بائعي العهود الخائنين اهل الغدر والاخلاف ونوعه
الى اربعة اصناف كل صنف منها خطير في ذاته شديد في وقعه واي عقاب اشد من عقاب من لاخلاق
له في الاخرة ولا نصيب له من النعيم فيها ولا ينظر الله اليه ولا يزيكه بمضاعفة حسناته واعماله الصالحة
ولا يطرده من ادران ذنوبه بالعفو والمسامحة ويكون جزاء عذاب الله الاليم وذلك نتيجة منتهى الغضب
فليعلم الخائن للعهد والمفرط في الامانة ما هو فادم عليه من فرط غفلته واهماله او تعمده
وضلاله حتى ويعود الى رشده ويقلع عما جنته بعينه ما دام في الوقت متسع وفي الحياة فسحة امل
اجل ان الزنا وشرب الخمر والميسر من الكبائر الموبقات ولكن الله لم يتوعد مرتكب هذه
الجرائم الفتاكة بمثل ما توعد به ناكيي العهود ، وخائني الامانات ما ذلك الا لعظم مفساد النكث
والخيانة التي يعود ضررها على المجتمع والجريمة كلما كان خطرها اشمل كان وزرها اعظم

والمسلم قد اخذ الله عليه العهد في محكم التنزيل بعد ايمانه به وتصديقه بما تضمنه من انواع
التشريع ان يلتزم الصدق والوفاء فيما يتعهد به ويتعاقد مع غيره عليه ويؤدي الامانة الى اهله
فتكون خيانه لعده مع البشر ميمما اذا اكسد العهد بالقسم خيانة لعده مع الله تعالى وذلك هو
الحسران المبين .

وقد ذكر سبحانه وتعالى جزاء أهل الوفاء المتقين فقال وهو اصدق القائلين :

بلى من أوفى بعده واتقى فان الله يحب المتقين . فقد تضمنت الآية الكريمة أن من أوفى بعده
الذي عاهد به الله او الناس ، واتقى الاخلاف والغدر والاعتداء فان الله يحبه فيعامله معاملة المحبوب
فيجمله محل عنايته ورحمته وأولئك هم الفائزون .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الاسلام دين وحدة وائتلاف

الاسلام دين التوحيد والوحدة قال الله تعالى مخاطبا لنبيه الذي ارسله بالهدى ودين الحق ليخرج الناس مما كانوا فيه من العمى والضلال الى نور الحق وواضح الهدى « ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء »

فالاسلام لما جاء وجد البشر اجناسا متفرقين واصنافا متشاكسين يتعادون في الانساب والالوان واللغات والاطوان والاديان والمذاهب والمشارب والشعوب والقبائل حتى ليبلغ بهم الامر احيانا الى التقاتل والتناحر فصاح بهم صيحة ملأت فضاء العالم وبلغت حدود المعمورة دعا الناس بها الى الوحدة الانسانية العامة ونهاهم عن التفرق والاختلاف الموجب للتعادي وبين مضار هذا التفرق والاختلاف بالشواهد العلمية والتاريخية

فهذا اصلاح انساني جديد جاء به هذا الدين الجديد ويرجع في مجمله الى تقرير اصل جامع وهو جعل الناس امة واحدة وعلى ملة واحدة ودين واحد وشرع واحد كما ان اصلهم واحد وربهم واحد .

ثم انك اذا تتبعت تفصيل هذا الاجمال في مظانه من القرآن والسنة وجدته يظهر في مواطن اذا تمت وحدة البشر فيها تسم لهم الخير اجمعه والكمال الانساني المنشود لكل ارباب المداير والعقول .

الموطن الاول وحدة الامة قال الله تعالى في سورة الانبياء مخاطبا اهل الدين الجديد « ان هذه امتكم امة واحدة وانا ربكم فاعبدون »

ولما كان الانبياء السابقون يعثون الى اممهم خاصة وبعثة هذا النبي الخاتم الى الناس كافة كانت لا محالة وحدة امته وحدة عامة شاملة لجميع البشر .

الموطن الثاني وحدة الانسانية وذلك بالمساوات بين اجناس البشر وشعوبهم وقبائلهم ويشهد له قوله تعالى « يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم » وقد بلغه النبي في حجة الوداع حيث تلا الآية ثم قال ما معناه ان ليس لعربي على عجمي ولا لايض على اسود فضل الا بتقوى الله ولا شك ان هذه الوحدة الانسانية تتضمن الدعوة الى التآلف والتعارف والى ترك التعادي بالتخالف .

الموطن الثالث وحدة الدين وذلك باتساع رسول واحد جاء بأصول الدين الفطري الذي

جاء به غيره من الرسل واكملوه هو بما يوافق المصالح الحقيقية لجميع البشر ويشهد له قوله تعالى (يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا)

الموطن الرابع وحدة التشريع وذلك بالتسوية بين الخاضعين لاحكام الاسلام في جميع الحقوق المدنية والزجرية بالعدل التام المطلق بين المؤمن والكافر والبر والفاجر والملك والسوقة والغني والفقير والقوي والضعيف والعظيم والحقير ويشهد له شواهد كثيرة من الكتاب والسنة في اغلب مظان التشريع للقواعد العامة التي تجب مراعاتها في الاحكام المختلفة التي اهمها في الاسلام تحري الحق والعدل والمساوات في الحقوق والشهادات والاحكام وحفظ المصالح ودرء المفساد ومراعات الاعراف ودرء الحدود بالشبهات وكون الضرورات تبيح المحظورات وكون ما للضرورة يقدر بقدرها ودوران المعاملات على اكتساب الفضائل واجتناب الرذائل

وحسبك من الشواهد القرآنية الدالة على ايجاب العدل وتحريم الظلم تأكيد الله تعالى الامر به والمسارات فيه بين جميع الناس في السور المكية والمدنية فالعدل اساس الاحكام وميزان التشريع وقسطاسه المستقيم قال تعالى ان الله يأمر بالعدل والاحسان وقال يا ايها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على انفسكم او الوالدين والاقرين ان يكن غنيا او فقيرا فالله اولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا وان تلووا او تعرضوا فان الله كان بما تعملون خبيرا وقال يا ايها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على ان لا تعدلوا اعدلوا هو اقرب للتقوى واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون ، فالله تعالى امر المؤمنين في هذه الآيات ونحوها مما جاء على شاكلتها بالمبالغة في القيام بالقسط وهو العدل وعدم التهاون والتقصير فيه وبان تكون شهادتهم في المحاكمات وغيرها لله عز وجل لا لهوى ولا لمصلحة قريب او حبيب ولو كانت على انفسهم او والديهم او أقرب الاقرين اليهم وان لا يحابوا فيها غنيا تقربا اليه لغناه ولا فقيرا رحمة به وشفقة عليه لفقره ونهاهم عن اتباع الهوى في الحكم والشهادة وأنذرهم عقابه ان لووا اي مالوا عن الحق أو أعرضوا عنه بالكلية وان لا يحملنكم بغضكم لقوم وعداوتكم لهم على ترك العدل فيهم فالعدل بالمساوات اقرب الى تقوى الله وانه تعالى خبير بما يعمل كل احد لا يخفى عليه منه شيء فهو يحاسبه على عمله وشيبه او يعاقبه على ما يعلم من امره .

ويؤيد ما ورد في اقامة العدل ما جاء في تحريم الظلم والوعيد الشديد عليه فقد ذكر الظلم في القرآن في مواضع تربو على المائتين اسوأ الذكر وقرن بأسوأ العواقب وان الناس هم الذين يظلمون انفسهم ولا يظلم ربك احدا وورد في بيان اثره وعاقبته في الدنيا انه مهلك الامم ومغرب العمران قال تعالى وما ربك ليهلك القرى بظلم واهلها مصلحون . وقال وتلك القرى اهلكناهم لما ظلموا وجعلنا لمهلكهم موعدا .

ومما هو جدير بالالتفات اليه في هذا الباب آية الامراء في كتاب الله من سورة النساء وهي قوله تعالى ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل ان الله نعمًا يعظّمكم به ان الله كان سميعًا بصيرًا يا أيها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم فان تنازعتم في شئٍ فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير واحسن تأويلًا .

قال العلماء نزلت الآية الاولى في ولاة الامر عليهم ان يؤدوا الامانات الى اهلها واذا حكموا بين الناس ان يحكموا بالعدل ونزلت الثانية في الرعية عليهم ان يطيعوا اولي الامر الا ان يأمروا بمعصية الله فاذا امروا بمعصية الله فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق فان تنازعوا في شئٍ ردوه الى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ولا شك ان اداء الامانات الى اهلها والحكم بالعدل هما جماع الخطّة العادلة والولاية الصالحة .

وللشيخ العلامة تقي الدين ابن تيمية ان اداء الامانات فيه نوعان احدهما الولايات وهو كان سبب نزول الآية فيجب على ولي الامر ان يولي على اعمال المسلمين اصلح من يجده لذلك العمل قال صلى الله عليه وسلم من قلد رجلاً عملاً على عصاة وهو يجد في تلك العصاة ارضى منه فقد خان الله وخان رسوله وخان المؤمنين رولا الحاكم في صحيحه وقد دلت سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم في مواضع كثيرة على ان الولاية امانة يجب اداؤها ففي صحيح البخاري عن ابي هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا ضيعت الامانة فانتظر الساعة قيل يا رسول الله وما اضعها قال اذا وسد الامر الى غير اهله فانتظر الساعة .

والنوع الثاني الاموال ويدخل فيه الاعيان والديون الخاصة والعامة مثل رد الودائع ومال الشريك ومال اليتيم واهل الوقف كما قال تعالى في الديون فان أمن بعضكم بعضا فليؤد الذي اؤتمن امانته وليتق الله ربه .

كل هذا من العدل والقسطاس المأمور باقامة بين الامة ليأمن الناس على حقوقهم ويعم الامن والطمأنينة قريتهم ويعيدهم عظيمهم وحقيهم فينصرفوا لما فيه نفعهم وتنتشر الفضيلة بينهم وتنعدم اسباب الشر والخلاف منهم فتكتمل بذلك وحدتهم ويتم تآلفهم الذي به كمال سعادتهم في الدنيا والآخرة الموطن الخامس الوحدة الدينية وذلك بالمساوات بين المتبعين لهذا الدين في اخوته الروحية وعبادته الاجتماعية كالصلاة ومناسك الحج فملوك المسلمين وامراءهم وكبرائهم يختلطون بعامتهم في صفوف الصلاة والطواف بالكعبة المشرفة والوقوف بعرفات وسائر مواطن الحج قال تعالى انما المؤمنون اخوة وقال في حق المشركين فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فاخوانكم في الدين .

الموطن السادس من مواطن الوحدة وحدة القضاء واستقلاله ومساوات الناس فيه امام الشريعة العادلة نعم يستثنى من ذلك الاحكام الشخصية الدينية فان الاسلام يراعي فيها حرية العقيدة والوجدان فهو لذلك يسمح لغير المسلمين في امور الزوجية ونحوها ان يتحاكموا الى رؤساء ملهم فان تحاكموا الينا فانا نحكم بينهم بعدل شريعتنا والاصل فيه قوله تعالى وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط ان الله يحب المقسطين وقوله وان احكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع اهواءهم عما جادك من الحق .

وقد جاءت السنة النبوية على غرار القرآن الكريم في تقرير وحدة الامة في جميع المواطن المتقدمة فكان النبي صلى الله عليه وسلم ينكر على المسلمين كل نوع من انواع التفرق الذي ينافي الوحدة التي دعا اليها وجعلهم امة واحدة كالجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى وقد عمل الاسلام على تقوية الشعور بالوحدة في كثير من المظاهر فصلاة الجماعة خلف امام واحد يجمعهم ويوحدهم افضل درجات من صلاة مع التفرق وكذلك امر المسلمون بالاجتماع في الاعياد والحج الاكبر كل ذلك تنمية للشعور بالوحدة وتقوية لها كما هدم نظام التعصب للجنسيات وساوى بين الجميع في الاخوة وجعل الفضل للتقوى وهكذا عند التأمل نجدة يرمي الى الوحدة في مختلف التكليف ذلك لان الوحدة اساس الاصلاح واساس العزة والسلطان وبها تجتمع القوى ويوجد التعاون بين الافراد لبلوغ الغايات وتسمن ارفع الدرجات بخلاف التفرق والانقسام فانه موزع للقوى فتخص بينى وشخص يهدم وشخص يهاجم وآخر يدافع .

وبالجملة فقد مدح الله الوحدة وذم التفرق وانذر من يجحد عن الوحدة في مواضع من كتابه العزيز قال تعالى واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون .

على ان شريعة الله في الحقيقة واحدة وهي التي اوصى بها الانبياء السابقين ثم اكملها لخاتم المرسلين « شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي اوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى ان اقيموا الدين ولا تفرقوا فيه .

والمراد من الدين الموصى به هؤلاء الانبياء والمأمور باقامته وعدم التفرق فيه الامور التي لا بد منها لكمال النوع الانساني وهي العقيدة الصحيحة بالله واليوم الآخر والكتب والانبياء والتوصية بالفضائل التي تعود على المجتمع الانساني بالخير والفلاح كالصدقات والاحسان والوفاء بالعهود والصدق واصول العبادات المهدبة للنفس والتي يتبناها كل الخير .

نعم اختلفت الشرائع في صور العبادات ورسومها وفي القوانين المنظمة للتعامل وذلك لاختلاف استعداد الامم وبيئاتهم وهذا الذي يختلف باختلاف العصور والاستعدادات هو الذي عناه القرآن في قوله : لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا .

ولا شك ان في تعريف المسلمين بهذه الحقيقة وهي ان الشريعة واحدة عند الجميع تثبيتا للمسلمين لان الشيء اذا كان معروفا تابعت عليه الامم في الاعصر المختلفة ولم يكن بدعا كانت النفوس اكثر تقبلا له مما كان بدعة .

وقد كرر القرآن هذه الحقيقة في مواضع متفرقة « انا احيانا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده » قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون .

اعجاز القرآن

بقلم العالم المدرس الشيخ علي النيفر

ان الله جلت حكمته وتمت كلمته قد اودع في تركيب الانسان ثلاث قوى رئيسية هي قوة العقل والادراك وقوة الشهوة وقوة الغضب وجعل سعادته وسعادة بني جنسه منوطة باعتدال هاتيك القوى وعدم خروجها عن محيط الاعتدال الى طرف الافراط او التفريط حتى اذا خرجت احداها عن ذلك المحيط فارقت صاحبها السعادة ونزل به الشقاء وربما تسبب في سلب سعادة غيره من جراء ذلك .

فهذا السبب كان الانسان لا مندوحة له من قانون حكيم يكون وازعاه عن الخروج عن الدائرة التي ضمنها سعادته وسعادة بني جنسه عامة وهذا الوازع هو الدين بلا ريب اذ العقل مهما ترقى في درجات الكمال لا يستطيع بمفرده ان يلم بجلب كافة المصالح ودرء عامة المفاسد عن النوع البشري الا بمعونة الدين وارشاد الدين اذ لو خلى العقل ونفسه لسن قوانين تقوم مقام التشريع السماوي لاحتاج الى ازمة متطاولة تحصل له فيها التجربة الكاملة لا اختبار ما سنه من الانظمة من حيث الصلاحية او ضدها ولا يضر في كثير من الاحايين لنقض ما احكمه منها وحل ما ابرمه لتبين خطاه فيه اذ العقل البشري معرض للخطا دائما ، على ان الدستور الآلهي هو انقاع واجدى للمتدين به حق التدين ولبني جنسه اذ يكون المتمسك به اشد مراقبة لنفسه حتى لا تتجاوز ما حد لها شرعا لاعتقاده انه وان خلا بنفسه فهو بمراءى ومسمع من آله الذي يعلم السر واخفى والذي هو اقرب اليه من حب الوريد وانه يجازيه بالخير خيرا وبالشر شرا وان ثوابه لا يعادله ثواب وعقابه لا يوازيه عقاب وأنى تجد هذا المعنى لدى غير المتدين الذي وان خاف من صولة الحكام والولاة فهو لا يعدم حيلة تخفي عنهم جريمته وتستر عن اعينهم خطيئته فلهذه الحكمة البالغة ولسواها مما لا يسعه هذا المقام جرت عادة الباري جل وعز بارسال الرسل لكافة الامم امة فامة وعصرا فمعصرا كما قال جل شاناه (وان من امة الا اخلا فيها نذير) وذلك لسن النظم والشرائع الجالبة لمصالحهم الدارئة للمفاسد عنهم وجعل دليل صدق اولئك الرسل آيات بينات اجراها على ايديهم مقرونة بالتحدي قد خرجت عن مقدور البشر عادة لتقوم على المعاند الحجة وتتضح لغيره المحجة ثم قفي على آثارهم بامام المرسلين المبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم في وقت عم فيه الضلال ارجاء العالم وتفشت المظالم والمنكرات بين عامة اهله وجعل شريعته خاتمة الشرائع لما انطوت عليه من قواعد ونظم عامة صالحة لكل زمان ومكان ولكل

امة على اختلاف الاجناس والالوان تنتظم مصالح الدنيا والدين وتتكفل بسعادة الحياتين وفي ذلك اقول من انشاء قصيدة :

وما السبب الاقوى لكل سعادة سوى سبب الاسلام والغير زخرف
وناھيك من دين يجز سعادة ال حيانين ما ينفك للحق يكنف
يحظ على التقوى ويدعو الى العلى وبالجد في اعمال دنياك يهتف

هذا وقد ايد الله سبحانه نبيه الكريم صلى الله عليه وسلم بمعجزات كثر جليلة القدر اعلاما بصدق رسالته وايدانا بحقيقة دعوته ولقد بلغ بها القاضي ابو بكر بن العربي عدا واستقصاء الى الف معجزة وذكر الامام النووي أنها الف ومايتان ثم هي على كثرتها ووفرة عددها لا تعدو ثلاثة اصول القرآن الحكيم والسيرة المحمدية الشريفة والمعجزات الحسية المروية عنه صلى الله عليه وسلم وغرضنا اليوم منحصر في الاصل الاول ألا وهو :

« اعجاز القرآن »

ان من تدبر آي الذكر الحكيم حق ندبرها تجلى له من وجوه اعجازه ما يهز العقول ويستهي الالباب وتقف النفوس امامه حيارى سكارى ببلاغته ووفرة علومه وحكمه وما هم بسكارى كل حسب استعداده ومؤهلاته

ولكن تأخذ الافهام منه على قدر القرائح والعلوم
وبقدر ما يزداد تدبرا لمعانيه يزداد في شأنه استبصارا وله اجلالا واكبارا كما روي ان صاحب المثل السائر كان يختم القرآن مرة في كل اسبوع فلما دقق النظر في بلاغة القرآن واعجازه جعل يقرأه مرة في كل شهر فلما ابعث النظر في ذلك صار يختمه مرة في السنة ثم لما امعن في غور حكمته قال انه امضى سبع سنين في تلاوته وما فرغ منه . فله معان احتواها . ما اغلاها قيمة واعلاها . والفاظ على منصة الابداع جلها . وحكم من اصداف العلم القديم أبداها . وعلوم انطوى عليها لا يصل العقل الى مداها .

ما ينقضي نظري منها الى رتب في الحسن الا ولاحق فوقها رتب
ثم ان وجوه اعجاز القرآن كثيرة راجعة بحسب ما يظهر الى ارمه اصول الاول ببلاغته واسلوبه الخارجان عن طوق البشر الثاني اخبارا بالمغيبات مما كان او يكون الثالث جمعه لما يرتبط بمصالح الدين والدنيا على وجه يفوت مقدور البشر عادة الرابع غزارة علومه واحتواؤه على دقائق علمية لم تنكشف الا بعد قرون متطاولة من نزوله

(النوع الاول) من انواع اعجاز القرآن ببلاغته واسلوبه الخارجان عن طوق البشر .

جرت سنة الله العليم الحكيم ان المعجزة الكبرى لكلي نبى تكونت من نمط ما نبغ فيه قومه فكانت معجزة الكليم عليه السلام قلب العصاحية الشبيه بما مهر فيه قومه من السحر فادركوا بما أوتوا من معرفة هذا الفن ان ما اتى به من قلب العصاحية وابتلاعها لجلالهم وعصيم ليس من نوع السحر الذي هم اعراف الناس به ولذلك اسرعوا بالايمان بما جاء به موسى عليه السلام ولزمت الحجة من سواهم بالتبع .

وعلى هذا النحو جاءت معجزات المسيح عليه السلام وهي احياء الموتى وابراء الاكمه والابرص لما ان قومه كانوا مولعين بفن أطب فكانت معجزاته شبيهة بما يفعله الاطباء الا انها خارجة عما في طوقا لاطباء الاتيان به .

وجربا على هذه السنة كانت معجزته العظمى عليه الصلاة والسلام وهي القرآن من جنس ما نبغ فيه قومه فنزل عليه به الروح الامين بلسان عربي مبين وهو صلوات الله وسلامه عليه بين عرب خالص أقحاح ولعوا بفنون البيان وتباروا في ميادين القول فسبقوا الى غاياتها واحرزوا على قصباتها حتى اشير اليهم بالبيان وملكوا من الفصاحة والبلاغة كل عنان قرع اسماعهم فادركوا بلوغه في الفصاحة والبلاغة الى الشأوا الاعلى والدرجة الرفيعة بسبب ما اشتمل عليه من وفرة المعاني الدقيقة وكثرة الخصوصيات والمعاني الثواني التي هي مناط التفاضل بين البلغاء مع ايجاز العبارة ولطف الاشارة وحسن الديباجة وجمال الاسلوب واحكام الوضع مما وجدوا انفسهم بعيدين عنه بمراحل لا تحوم عقولهم حول مقامه الاسمى ولا تحلق افكارهم بجوه الذي تنحط عنه الجوزاء فما عثموا ان ألجوا اليه بالمقاييد وظلت اعناقهم له خاضعين .

تهداهم الرسول صلى الله عليه وسلم ان ياتوا بمثله فما استطاعوا الى ذلك سبيلا قال تعالى ام يقولون تقوله بل لا يؤمنون فلياتوا بحديث مثله ان كانوا صادقين وقال جل اسمه قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا وتهداهم ان ياتوا بعشر سور مثل سورة فما قدروا على ذلك وما وجدوا عن عجزهم تحويلا قال تعالى ام يقولون افتراء قل فاتوا بعشر سور مثله مفتريات الآية وتهداهم ان ياتوا بسورة من مثله ولو كانت اقصر سورة فخرسوا وما نسبوا قال تعالى ام يقولون افتراء قل فاتوا بسورة مثله هذا مع كونهم اهل اللسان وارباب الفصاحة والبيان لا يشق لهم غبار ولا يجارون في ذلك المضمار ورضوا بتعريض رقابهم للسوف ونفوسهم للتحوف بمحاربة الرسول عليه الصلاة والسلام وصحبه الاشداء رضي الله عنهم ماذاك الا لتيقنهم انهم عاجزون عن معارضته فاخذوا يقاومونه مقاومة سلبية كقولهم فيما حكاه القرآن عنهم لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون وجعلوا يدعون ان في استطاعتهم الاتيان بمثله دعوى مجردة كذبها الواقع كقولهم فيما حكاه القرآن عنهم ايضا لو نشاء لقلنا مثل هذا .

والدعاوي ما لم تقيموا عليها سينات ابتأوها أدعياء

ولما أعجز القرآن العرب من هذه الناحية كان معجزا لغيرهم من الامم بالاولى .

نعم ان كثيرا من العرب اعترفوا باعجاز القرآن وكونه من عند الله فبعضهم اسلم واذعن وبعضهم كابر وعاند فمن الفريق الاول جبير بن مطعم رضي الله عنه قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ في المغرب بالطور فلما بلغ هذه الآية : ام خلقوا من غير شيء ام هم الخالقون الى قوله المصيطرون كاد قلبي ان يطير للاسلام وفي رواية وذلك اول ما قرع الاسلام في قلبي . ومنهم عمر ابن الخطاب رضي الله عنه لان قلبه حين سمع سورة طه وسال عن مكان رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبر انه في دار ارقم بن ارقم فذهب اليه وآمن به واعز الله به الاسلام وغيرهما كثير ومن الفريق الثاني الوليد ابن المغيرة تلا عليه النبي صلى الله عليه وسلم قوله تعالى ان الله يامر بالعدل والاحسان الآية فقال ان له خلاوة وان عليه لطلاة وان اسفله لمغدق وان اعلاه لثمر ما يقول هذا بشر وروى ابو عبيد ان اعرابيا سمع رجلا يقرأ فاصدع بما تؤمر فسجد وقل سجدت لفصاحته وسمع آخر رجلا يقرأ فلما استأسوا منه خلصوا نجيا فقال اشهد ان مخلوقا لا يقدر على مثل هذا الكلام وروي أن روميا ورد من بلاد الروم مسلما فسئل عن سبب اسلامه وكان يحسن العربية فاخبر انه سمع بعض اسرى المسلمين ببلاد الروم يتلو آية من القرآن وهي قوله تعالى ومن يقطع الله ورسوله ويخشى الله ويتقه فاولئك هم الفائزون فتأملها فوجدتها جمعت ما انزل على عيسى بن مريم عليه السلام من احوال الدنيا والآخرة وحكى اذ صمعي انه سمع جارية تشكلم فقال لها ما افصححك فقالت له او يعد هذا فصحة بعد قول الله تعالى واوحينا الى ام موسى ان ارضيه فاذا خفت عليه فالقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني انا رادوه اليه وجاعلوه من المرسلين . فجمع في آية واحدة بين امرين ونهين وخبرين وبشارتين وبالجملة فكون القرآن اعجز ببلاغه وحسن بيانه وبداعة اسلوبه مصاقع البلغاء من العرب العرباء لا يسع احدا انكاره ولو كان من اشد اعداء الاسلام فهو الآية الناطقة بصدق رسالة النبي صلى الله عليه وسلم على ممر الدهور واختلاف العصور

ولتتم الحديث في هذا القسم من وجوه اعجازة بابراد عبارة لامام البلاغة عبد القاهر الجرجاني تفعده الله برحمته تفصيح عما قلناه آتفا قال : لولا انهم (يعني العرب) حين سمعوا القرآن وحين تحدوا اليه والى معارضته سمعوا كلاما لم يسمعوا قط مثله وانهم رازوا انفسهم فاحسوا بالعجز عن ان يأتوا بما يوازنه او يدانيه او يقع قريبا منه لكان بحالا ان يدعوا معارضته وقد تحدوا اليه وقرعوا فيه وطولبوا به وان لا يتعرضوا للشبا الاسنة ويقتصموا موارد الموت ثم بين وجه عجزهم عن معارضته بقوله : اعجزهم مزايأ ظهرت لهم في نظمه وخصائص صادفوها في سياق لفظه وبدائع راعتهم من مبادي آية ومقاطعها ومجاري الفاظه ومواقعها وفي مضرب كل مثل ومساق كل خبر وصورة كل عظة وتنبه واعلام وتذكير وترغيب وترهيب ومع كل حجة وبرهان وصفة وبيان وبهرهم ان تأملوه سورة سورة وعشرا عشرا وآية آية فلم يجدوا في الجميع كلمة ينبوها مكانها ولفظة ينكر شأنها او يرى ان غيرها اصلح هناك أو اشبه أو احرى أو اخلق بل وجدوا انساقا بهر العقول واعجز الجمهور ونظاما والشاما واتقاناً واحكاماً لم تدع في نفس بليغ منهم ولو حث يافوخه السماء موضع طمع حتى خرست اللسان عن ان تدعي وتقول وحديث (اي زجرت) القروم فلم تملك ان تقول اه (يتبع)

الفتاوى والدراسات

جري في عرف الموثقين في بلدنا - تونس - انه اذا دعاهم من يريد ان يوقف داره او مخزنه او علوه او غير ذلك من الرباع المبنية للاشهاد عليه بالوقف فانهم يطلبون الاذن من احد مشايخ المجلس الشرعي في تحمل الشهادة بذلك وكتبها في الصك .

وقد سال المنعم الشيخ حسن عباس شيخ الاسلام سيدي احمد بن الحوجه برد الله ضريحه عن هذا الاستئذان هل له اصل شرعي ؟ فاجابه : بان ذلك ليس له اصل شرعي يوجبه وانما هو امر احتياطي من جهة ان الواقف ربما يقف ربعا خرابا لا يصلح لبقائه وقفا فاذا وقفه يحتاج بعد ذلك للمعاوضة وربما تقع المعاوضة على وجه يؤدي الى ضياع الوقف من اصله فاذا استاذنوا احد المشايخ فانه يسأل عن ذلك الربع هل هو صحيح مستقيم فاذا اخبره من يثق به بانه صحيح مستقيم فانه ياذن العدلين بتحمل الشهادة والا فلا ياذن لهما في ذلك .

فان اذن لهما يتلقونها ويكتبونها في رسم ذلك الربع واذا لم ياذن لهما لا يتلقون تلك الشهادة انتهى كلام شيخ الاسلام نقله عنه الشيخ حسن عباس ونقله عن الشيخ عباس الشاذلي ابن القاضي رحمهم الله جميعا

سؤال

امرة حاضنة لولدها اختلفت هي وابوه في مكان ختانه فقال الاب نختنه عندي وقالت الام لا بل يختن عندي ؟

الجواب

اجاب المنعم المبرور الشيخ سيدي احمد كريم شيخ الاسلام برد الله ثراه : بأن الولد يختن عند امه لان الحضانة حقها على ما عليه الفتوى وحيث فلا يختن عنده بل عند امه . نعم اجرة الختان على من يأتي به فان اتى به الاب فعليه وان اتت به الام فعليها . اه

قال المنعم السيخ الشاذلي ابن القاضي أقول ان الاب اذا طالبت الام في الاتيان بالختان فانه يجبر عليه قال في الفنية في باب من يجب عليه الأجر من كتاب الاجارة : ان اجرة الاديب والختان في مال الصبي ان كان له مال والا فعلى ابيه واجرة القابلة على من دعاها ولا يجبر الزوج على استيجارها لانها كالطبيب . اه وهو نص في ان الاب يجبر على ختان الولد من مال نفسه ان لم يكن للولد مال . والحاصل ان الاب يجبر على الاتيان بالختان لختن الصبي فاذا أتى به كما هو الواجب عليه كانت الاجرة عليه اذا لم يكن للصبي مال واما اذا لم يأت به الاب وأتى به غير الاب من غير أمر الاب بذلك ولم يجبر من جهة القاضي وختن الصبي فان اجبرته على الذي أتى به وهو متبرع في ذلك فلا رجوع به على الاب لان من أدى واجبا عن غيره بغير أمر فهو متبرع به فلا يرجع عليه كما صرحوا به .

(١) هذا في عرف السائل والمجيب رحمة الله عليهما اي من منذ ستين عاما ، وقد بطل هذا العرف وصار الاشهاد بالوقف لا يتوقف على الاستئذان من الحاكم الشرعي . بل يتلقاه الشاهد راسا من الواقف ، والعرف يتبدل بتبدل الازمان وتغاير البلدان .

التاريخ

صفحة من تاريخ تونس

محنة اهل القيروان

في عام ١٢٤٩

بقلم العالم المؤرخ امير الامراء سيدي
محمد بن الحوجة مستشار الحكومة التونسية

لمدينة القيروان منذ القديم منزلة غبطة واعتبار في نظر عموم سكان هذه الديار وذلك لما امتازت به هذه المدينة المختارة من الودعة النبوية الشريفة الناشئة عن ضم تربتها الطيبة لهايتك الشعرات النبوية المطهرة (١) التي اشتمل عليها قبر سيدي ابي زمعة البلوي (٢) صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويستفاد مما نقله المؤرخون والكتاتيون الثقة ان هذه الشعرات اخذها ابو زمعة

(١) من المشهور ايضا ان العاصمة التونسية توجد بها شعرات نبوية فقد ذكر الشيخ محمد بن سالم الحمامي الحلوقي عند شرحه لبیت من آيات بردة الامام ابو صيري وهو قوله : لا طيب يعدل ترابا ضم اعظمه الخ عن الشيخ ابن الدباغ قوله : وقد تواتر الخبر لدينا ان بدار الاشياخ بتونس وهي المدرسة المرجانية المعروفة شعرات من شعرة عليه السلام اراها حفيد الشيخ المرجاني قنبركنا بها وعنده بذلك براءة قديمة مكتوب فيها صحة كونها من شعرة صلى الله عليه وسلم اه باختصار من كتابنا تاريخ معالم التوحيد في القديم وفي الجديد

ويستفاد مما ذكره الوزير السراج في الحلل السندسية ان هنالك شعرة اخرى من شعرة عليه الصلاة والسلام ومقرها مقبرة الزلاج دفنت مع الشيخ الشهير بابي شعرة المزار ضريحه لهذا الزمان بالمقبرة المذكورة وقضية هذه الشعرة هو انه كان لبعض الاكابر بناءات ضخمة تجمع لمعلم البناء الذي باشر تشييدها اجور وفيرة بدمية صاحب تلك الدور والقصور وكان في ملكية هذا الرجل المشري شعرة من شعر النبي صلى الله عليه وسلم فلما اراد دفع الاحور التي بدمته لمستحقها قال له معلم البناء اعطني الشعرة النبوية التي عندك وانا ابرأك الله من جميع ما ترتب لي بدمتك فأعطاه اياها فاوصى بدفنها معه فدفنت معه تواتر النقل بذلك بين الناس ومما يعجبني الاشارة اليه هنا ان الاقدار ساعدت على دفن صاحبنا المرحوم ابي الحسن علي بو شوشة مدير جريدة الحاضرة جوار قبة الشيخ ابي شعرة رضي الله عنه

واذا سخر الاله اناسا لسعيد فانهم سعداء

(٢) اسمه عبد وقيل عبيد بالتصغير ابن ارقم البلوي ذكره الحافظ ابن حجر في الاصابة وابن الاثير في اسد الغابة في عبد وفي عبيد قال وهو مشهور بكينته وقيل اسمه عبد ابن ادم والذي في معالم الايمان عبيد الله بن ادم مات رضي الله عنه سنة ٤٨ للهجرة على اشهر الاقوال

من الشعر الشريف يوم منى في عام حجة الوداع لما خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه ووضعها ابو زمعة في قلنسوته الى ان استشهد في القيروان فدفنت معه ، قال في معالم الايمان انه اوصى رضي الله عنه ان تعمل شعرة على عينه اليمنى وشعرة على عينه اليسرى وشعرة على لسانه هذا هو السبب الاصلي في تلبس مدينة القيروان بالصبغة المباركة التي ازدادت نورا وجوباً بما اشتملت عليه تربتها من قبور جماعة كثيرين آخرين من صحابة وتابعين واولياء واشراف وعلماء عاملين . أضف لذلك ان القيروان كانت في القرون الاولى هي ام العواصم الافريقية وناهيك بامرائها من بني الاغلب الذين اخذوا حظهم من استقلالية الحكم برضاء خلفاء بني العباس وحكموا البلاد مدة طويلة وكانت لهم يد عاملة في تصيير مدينة تونس بما احدثوا بها من المرافق والاسوار وغير ذلك من دواعي العمران . فتكون من مجموع ما قدمنا مع تعاقب القرون مركز خاص في النفوس بين سكان الديار التونسية لمدينة القيروان وساكنيها وتاصل هذا الشعور في اذهان الناس الى العصور المتأخرة لا سيما بعد مناصرة اهل القيروان لهولى حسين باي بن علي تركي راس البيت الحسيني خلد الله ملكه وانضمامهم لحزبه ضد حزب الثوار الملتفين حول الباشا علي باي الاول اواسط القرن الثماني عشر للهجرة الشريفة . واتفق بعد نحو مائة عام من ذلك العهد ان الوزير حسين باش مملوك اساء التصرف في اموال البايليك حيث حسن في نظر الباي ورجال الديوان المضاربة في الزيت بطريقة السلم لفائدة صندوق الدولة فصارت الدولة تشتري الزيوت من ملاكة الزياتين قبل نضج الصابة بأسعار بخسة بقصد بيعها بعد ذلك للتجار باثمان باهضة فتسبب عن ذلك افلاس فلاحة الزيتون في الاجل القريب لان من لم توف صابته بما تعهد بدفعه من الزيت للبايليك بفحبه الوزير على اشتراء ما نقصه بالمال الناض بأسعار مشطة ليمتكن الوزير باش مملوك من تسديد ما عليه من مطالب الزيت الذي تحمل بيعه بمقتضى اتفاقات مع التجار الاجانب وانتبه الباي لوخامة العاقبة فعزل الوزير حسين باش مملوك واقام مقامه الوزير شاكير صاحب الطابع وفوض له الامر لتدارك تلك الحال وشاكير هذا كان مشهورا بالخذق وسداد التدبير في شؤون الاقتصاد فارتحل توا الى الساحل بنية تصفية الحسابات الناتجة عن تصرف سلفه واخص من ذلك بقصد جمع كمية وافرة من الزيوت من ملاكة الزيتون بعنوان اعانة للدولة لتدفعها للتجار الاجانب فانكر بعض اهل مساكن سلوك الوزير ورفضوا دفع الاعانة المطلوبة منهم ولاذوا بمقام الصحابي سيدي ابي زمعة البلوي بالقيروان تفصيا من الاعانة المذكورة فامر الوزير شاكير باخراجهم من مامنهم بالقوة القاهرة الامر الذي اثار غضب لفيق اهل القيروان بمسعى من رجل اسمه سعد اللوز الذي كان ينادي في الناس : يا اهل القيروان هكذا يهتك حرم السيد صاحب وكرم القيروان . قال المؤرخ الشيخ احمد ابن ابي الضيف : فلبله جمع من وغاوغ الرعاع وانضاف اليهم آخرون واجتمعت العامة

وعجزت الخاصة عن ردهم ومنعوا الهاربين قهرا ثم حملوا السلاح واتوا الى الاعيان يشيرون للواحد منهم بالسلاح ويقولون له ترضى هتك حرم السيد صاحب ولا بد ان يقول لا فاذا قالها قالوا له انت معنا فيقول لهم وهو ينظر الى السلاح الموجه نحوه نعم ثم ياتون اخر وهكذا تداس السباع بأيدي الضباع اه لما رأى اعوان الوزير شاكير القادمين على القيروان لاجراج الهاربين الملتجئين بمقام ابي زمعة والتوجه بهم لسوسة ان تنفيذ الاذن الوزيري الذي يدهم يجعلهم عرضة للخطر فازوا بالفرار وركبوا ادهم الليل الى سوسة واخبروا الوزير شاكير بما راوه من ضجيج العامة فاستغفرت الغضب ورفع الامر الى سامع المولى حسين باي الثاني قالوا ان سلوك عامل القيروان يومئذ وهو من آل المرابط المشهورين كان مشبوها فيه لانه هول الامر عند اعلامه للوزير شاكير بالنزلة بحيث ان مكتوب الوزير للباي تضمن عبارة « خروج اهل القيروان عن الطاعة وانه لا بد من تلافي الحال قبل سريانه » ومقتضى هذه الاشارة وجه الباي عقدا من الخيل برئاسة صالح بن بلقاسم كاهية وحق الصباحية بتونس وكان صاحب راي وسياسة فبعد ان اجتمع بالوزير شاكير بسوسة سار الى القيروان وعند الوصول اليها تحقق ان البلاد لم تخرج عن الطاعة لان اهلها تلقوه بصناجق الاولياء ورحبوا بقدومه فتمكن من الجماعة المثيرين للهرج وعاد لباردو صحبوا بجمع من اعيان القيروان واشرفا وعلمنا منهم الباش مفتي الشيخ محمد بن بكار صدام فلما مثلوا بين يدي الباي لامهم عما صدر من بعضهم من العقوق ثم امر بضرب جماعة من اللقيف الذين شاركوا في الهرج بالسياط قال الشيخ احمد ابن ابي الضياف : ودام الضرب فيهم من الضحى الى الظهر الا انه كان ضرب هداية وتاديب لا ضرب قتل بتعذيب لان الباي لما امر بضربهم قام للخروج من المحكمة وامر الموكل بالضرب وهو الرجل الحزير محمد الطبرقي اوضه باشي الماليك بالتخفيف والرفق وقال له اضرب ضرب تربية لا ضرب انتقام اه بعد هذا قال الباي لا بد من خطيئة يعني عقوبة مالية على عامة اهل القيروان وكان في حسبانته ان يخلص شيئا ويترك شيئا . ثم امر رجال الوفد القادمين عليه من القيروان بالرجوع الى سوسة لمقابلة الوزير شاكير فلما مثلوا لديه خاطبهم بعنف وشدة واهان عالمهم وامام جامع عقبه بن نافع وان هو ندم بعد حين عن صدور ذلك الشنود منه وفي ذلك المجلس اعلمهم بانه ضربت عليهم خطيئة قدرها خمسمائة الف ريال وانه قادم على الاثر لخلاصها فعلا توجه بوقته الى القيروان وباشر استخلاص ما مكنته سطوته من خلاصه بدون رفق ولا حنان قالوا انه الزم مؤدب صبيان على دفع حصته في الخطيئة وقدرها له بخمسمائة ريال والمؤدب لا يكسب خمسة ريالات فاضطره لبيع اثاث بيته والواح مكتبته لدفع بعض ما ضرب عليه ولبس ما لم يقل فكان اهل القيروان يومئذ في زلزلة ساعة سكارى وما هم بسكارى وهذه المصيبة التي حات بدارهم دعت احد اعيانهم وهو الشيخ محمد بن عطاء الله السلمي (١) لنظم قصيدة فريدة في استرضاء الباي واستمناع شريف عواطفه نحو اهل القيروان (١) كان يقري السيرة النبوية باحدى زوايا الحومة القبلية بالقيروان وكان رخم الصوت يحرك وجدان سامعيه وكان مع ذلك صاحب اقدام وحية ونفس اية فصيح اللسان بليغ البيان ثابت الجنان توفي رحمه الله اواخر جمادى الاولى عام ١٢٥٠ وقد رثاه بعض الافاضل من خلانه بقصيدة هذا بيت تاريخها .

فعند ما ابصرت عيني الخليل ثوى بقبرة ارحمت : مات الذكي الادبي

وهذه القصيدة التاريخية لم يسبق ظهورها في عالم الطباعة لذلك أثرت نقلها هنا برمتها عن كناش
الاديب الشيخ حسين بن مصطفى الترجمان وهذه عبارتها بعد مقابلتها بنسخة ثانية منها سمحت بها
مكارم احد احفاد الناظم رحم الله السلف وبارك في الخلف .

الصبر لله خير يا ابن ذي كرم
لا تجزعن وكن بالله معتصما
من كان مستصرا يوما بسيدة
يا صاح انيك عن رب الزمان وما
لاجل اوباشها عتوا بفرعة
وكل من كان من اهل السداد بها
فما ترى واحدا الا ويركض في
يفر محتدا بالرهن مقتبطا
كي يستريح من الامر المهول وما
ياله نفسي على صبرا وزيتها
جار الزمان عليها بالنكال وقد
فاصبحت بلقعا قفرا وليس بها
حكم الاله على المخلوق ابرمه
ما كان في ظننا ان الامير له
ويسمع النقص من واش له غرض
هذا من السيد المولى الجليل جرى
بالله يا ملكا جاد الزمان به
اهملنا بعد ما قد كان بألفنا
لو كنت امضيتنا بالسيف اهون من
قد ادعى انا رمنا الشقاق على
لكنه الصبر اولى فالرحيم اذا
فقد رجوناك يا فخر الملوك ويا
الحلم عادتكم والعفو شيمتكم
حاشاك ترضى جلاء القبروان اذا
فطلب الله رب العالمين بمن
ان يلهم السيد المولى الامير لما
وان يعطف وزيرا حاز مرتبة
ليتبع الامر ممن كان ذا سبب
بجاه خير نبي جاء مبغته
محمد خاتم الرسل الكرام ومن
صلى عليه اله العرش خالفنا
فعدة النظم « لب » يا خليلي وقد

فلازم الصبر كي تشفى من الالم
فخالق الخلق ذو فضل على الامم
نال المنى والرضا من باري النسم
بالقيروان جرى للناس من عدم
فعم فيها القضا من كاف في نعم
القيته حائرا والدمع كالديم
سعي الخلاص لنقد عنه مرتسم
نحو النصارى الجنى الفلاس مغتم
اصابه من شديد السب والنقم
وعن كرام بها من سادة الحرم
اساءها بمزيد الضر والسقم
شيء يناوله شخص لذي رحم
فرضا بالقضا يا واسم الكرم
حرص يؤول به للحق والعدم
ووصفه الافترا والصدق عنه عم
فلا محيد على ما خط بالقلم
رفقا بقوم غدوا في غاية السقم
من السيادة حصن غير منهم
مقت لنا من عدو غير محتشم
مليكننا ورمى الاقوام في ضررم
ضجت اليه عبيد جاد بالنعم
نسل المليك لدقع الحادث العمم
والصفح زيتكم يا متهى الكرم
ما كنت انت لها يوما فمن بهم
له الشفاعة يوم الحشر في الامم
فيه الرضى والشفاء لكل ذي سقم
برايه عند اهل المجد والشيم
ويذهب الباس عن حيران متهم
للعالمين هدى والناس في ظلم
يكون يوم الجزا غوثا لمنعم
ما قام ذو طرب يسعى الى الحرم
ارخت : والخلق في ضيق من الالم

١٢٤٩

محمد بن الخوجه

القضاة الشرعيون في القديم

بقلم العلامة التحرير فضيلة الشيخ
سيدي محمد البشير النيفر الملقب المالكي

الاجمي

هو ابو عبد الله محمد الاجمي من شيوخ الامام ابن عرفة في الفقه قال في كتاب الشهادات من مختصرة الفقهي : ولقد اخبرني بعض من يوثق بخبرة الفقيه القاضي ابو محمد « كذا » الاجمي وهو احد شيوخي في الفقه الخ

ولي القضاء بعد ابن عبد السلام قال الزركشي في تاريخ الدولتين صفحة ٧٤ . وبعد وفاته « اي ابن عبد السلام » ذكر لقضاء الجماعة الشيخ الفقيه الملقب ابو عبد الله محمد بن محمد بن هارون الكنايني فغصب منصبه فيه بولاية قاضي الانكحة ابي عبد الله محمد الاجمي . يقال ان ابن عبد الرفيع رمى نفسه على ابن تاسكرت وكان مكينا في الدولة المرينية وقال له ان توسطت لي في خطة القضاء فانا اوليك عدلا بتونس فلم يزل الآخر يتمثل الى ان وقع الشرط ومشروطه ، وذلك ان الاجمي كان قاضي الانكحة فقل لقضاء الجماعة ثم ان الاجمي اقام مدة يسيرة وتوفي فقيل يقدم ابن هارون فقال ابن تاسكرت جرت العادة بان قاضي الانكحة هو الذي يتولى قضاء الجماعة ووطد لذلك بانه من بيوتات تونس فولاه السلطان بواسطته اه كلام الزركشي بنصه

وفي هذه القصة « ان صحت » من العبرة ان خطة العدالة كانت لها المنزلة العليا حتى يتعلق بنيلها من ينتهي به نفوذ الى السعي في تولية القضاة

وقد ترجم الشيخ بابا في نيل الانتهاج هذا القاضي وقال في شأنه : احد فقهاء تونس وقاضي الانكحة بها أخذ عنه الامام المقرئ وقال انه حافظ فقهاءها في وقته اه واخذ عنه ايضا الخطيب ابن مرزوق وابن عرفة ونقل عنه في مختصرة قصة في احجرة الشهادة توفي سنة ثمان واربعين وسبعمائة افادنيه بعض اصحابنا اه كلامه والصواب ان وفاته سنة تسع واربعين بائر ولايته القضاء

« ابن عبد الرفيع »

هو ابو حفص عمر بن عبد الرفيع بيته من بيوتات العلم الوحيدة بتونس ولي قضاء الانكحة وقضاء الجماعة خلفا من بعد الاجمي فيهما وولي امامة جامع الزيتونة وتوفي سنة ٧٦٦ ، كذا في تاريخ الدولتين صحيفة ٨٨

يتبع

عود لعقود الانكحة في تونس

اشتمل المصراع الاخير من القصيدة المدرجة بالصحيفة ٤٨ من الجزء الثاني من المجلد الرابع على غلط حيث جاء فيه :

« عقد سعيد بان السعد قد عضدا » وصوابه « عقد سعيد بباب السعد قد عقدا » وبهذا الاصلاح يكون تاريخ القصيدة موافقا لسنة العقد التي اقتضاها اي سنة ١٢٥٤ لا كما جاء رسمه في الاصل الذي نقلت منه القصيدة المذكورة محمد بن الخوجه

الادب

موشح ابن المعتز ومعارضاته

أحرز موشح ابن المعتز (١) على شهرة فائقة بين الأدباء قديما وحديثا فثاروا لمعارضته ومن أشهر معارضاته ، معارضة ابن بقي الأندلسي الغرناطي ومعارضة علم الدين أيدمر المحيوي - وقد نظم أخيرا الشاعر الكبير شيخ الأدباء بتونس السيد العربي الكبادي موشحا في معارضته ، وخص المجلة الزيتونية بنشرة - فاردنا أن ننشر هنا موشح ابن المعتز مع معارضاته المشار إليها - على ترتيبها

موشح ابن المعتز

أيها الساقى إليك المشتكى قد دعوناك وإن لم تسمع
ونديم همت في غرته
وبشرب الراح من راحته
كلما استيقض من سكرته
جذب الكأس إليه واتكى وسقاني أربعا في أربع
ما لعيني عشت بالنظر !
انكرت بعدك ضوء القمر
وإذا ما شئت ، فاسمع خبري :
عشت عيناى من طول البكا وبكى بعضي على بعضي معي
غصن بان مال من حيث التوى
مات من يهواة من فرط الحوى
خفق الاحشاء موهون القوى
كلما فكر في البين بكأ ويحه ! يبكي لما لم يقع !
ليس لي صبر ولا لي جلد
يا لقومي عذلو واجتهدوا
انكروا شكواي مما أجيد
مثل حالي حقه ان يشتكى كمد الياس وذل الطمع
كبد حرا ودمع يكف
يندرف الدمع ولا يندرف
أيها المعرض عما اصف
قد نما حيي بقلبي وزكا لا تنقل في الحب إني مدعي

(١) هو أمير المؤمنين أبو العباس عبد الله بن الخليفة المعتز بالله بويه بالخلافة بعد خلع المقتدر وجلس على دست الخلافة يوما وليلة ثم خلع وبويه المقتدر ثانيا فقتل ابن المعتز ، وهو معدود من أعيان أدباء المائة الثالثة ولد سنة ٢٤٩ وتوفي سنة ٢٩٦ وهو أول من صنف في البديع جمع سبعة عشر نوعا منه وله ديوان ضخيم والف التصانيف النفيسة

موشح

(١)
ابن بقي القرطبي

عبث الشوق بقلبي فاشتكي الم الوجد فلبت أدمعي
 أيها الناس فؤادي شغفر
 وهو من غي الهوى لا ينصف
 كم أداريه ودمعي يكف
 أيها الشادن من علمكا بسهام اللحظ قتل السبع
 بدترتم تحت ايل أغطش
 طالع في غصن بان منتشي
 أهيف التقد بخد أرقش
 ساحر الطرف وكم ذا فتكا بقلوب الاسد بين الاضلع
 أي ريم رمته فاجتنبنا
 وانثى يهتز من سكر الصبا
 كقضب هزة ريح الصبا
 قلت هب لي يا حبيبي وصلكا واطرح اسباب هجري ودع
 قال خدي زهرة مذفوفنا
 جردت عيناي سيفنا مرهفا
 حذرا منه بان لا يقطفنا
 ان من رام جناة هلكا فأزل عنك علال الطمع
 ذاب قلبي في هوى طبي غريب
 وجهه في الدجن صبح مستنير
 وفؤادي بين كفيه أسير
 لم أجد للصبر عنه مسلكا فانتصاري بانسكاب الادمع

(١) هو ابو بكر يحيى ابن بقي (بوزن علي) القرطبي قال صاحب القلائد في وصفه رافع راية القريض وصاحب آية التصريح فيه والتعريض أقام شعراً له ، وأظهر روائحه ، وصار عصيه طائعه ، إذا نظم أزدى بنظم المقود وأتى بأحسن من رقم البرود وطغأ عليه حرمانه . فما صفاله زمانه ، اهـ

(١) موشح علم الدين ايدمر

عهد البين الى عيني البكا ثم اوصاها بان لا تهجمي
 وسقى قلبي من خمرته
 فهو لا يعقل من سكرته
 فمضى ينقذ من غمرته
 في سبيل الحب قلب هلكا شيع الركب ولما يرجع
 قال لي العاذل لما نظرا
 من غدا قلبي به مشتهرا !
 أكذا تعشق ماذا بشرا ؟ !
 حاش لله اراه ملكا مثل ذا فاعشوق والا فدمع
 هز عطف الغصن من قامته
 مطلعا للشمس من طلعت
 ثم نادى البدر من ليلته :
 ايها البدر تغيب ويحكا ما احتياج الناس للبدر معي ؟
 انا علمت القضيبي الميذا
 واستعار الظبي مني الجيدا
 وكذا القرم من آل الندى
 ابصر الغيث نداه فحكى وهو ان ظن سوى ذا مدعي
 من جميع الفضل يجبي عنده
 ليس للمدين بمحيي وحده
 قال للتالي عليه حمده :
 لي حسن الذكر والمال لك فاقترح تعط وناذ تسمع
 اخذ بالحزم لا يتركه
 في سوى الجود بما يملكه
 لا ترى في المجد من يشركه
 وهو في المال كثير الشركا ومن الحمد كثير الشيم

(١) قال في فوات الوفيات : ايدمر المحيوي فخر الترك عتيق محي الدين محمد بن محمد بن سعيد بن ندى . وقال في كتاب المشرق في أخبار المشرق نشا في الدوحة السعيدية فتمت ازهاره وطلع بالسماء البيانة فتمت زواهره جمعت لافئانه انواع الفنون والعلوم حتى خرج آية في كل فن وبرع في المنثور والمنظوم . وهو من شعراء الملوك الايوبيين نظم في مدحهم القصائد المطولة فقد نشا في دولتهم وتقلب في نعمهم وصاحب خاصتهم كالوزير صاحب بهاء الدين زهير كاتب انشاء الملك الصالح ايوب والصاحب محيي الدين محمد وفيه نظم هذا الموشح مادحا ومهنثا له بالعيد وغيرهما فهو من ادباء المائة السابعة

انت يا موسى رجائي آتسا
 نار جدواه فوافي قاسا
 رحت في حضرة قدس دأسا
 في طوى السؤدد فاخلع نعلكا
 وادعه يأت بكبرى يوشع
 لرشيد الامر اضحي عاضدا
 رايه المأمون حزما راشدا
 ولدبه الفضل يحيا خالدا
 فدعوا جعفر وانسا برمكا
 فالندى في غيره عين الدعي
 انت مذ كنت الرئيس الاعظم
 غير خاف والاعز الاكرم
 كدت من طول التعالي تسام
 رتب السؤدد لكن صدكا
 كرم العهد وحفظ الموضع
 لك في كل مكان مفخر
 اثر يروى ومجد يذكر
 فبقاع الارض لولا العنصر
 هزها الشوق فسارت نحوكا
 ولكم رامت فلم تستطع
 قد مضى الصوم ملاقي ربه
 جاعلا سرك نجوى قلبه
 وأتى العيد فهنئت به
 فهو قد هنئ من قبل بكا
 وابق في ذروة عز آمنع
 وامش في روض التهاني واركض
 واصحب الدهر الى أن ينقضي
 ولئن هنئت بالعيد الرضى
 فلكل الدهر يلقي عندكا
 بهجة العيد وأنس الجمع
 رب يوم قد رايت الافقا
 خائفا بالبرق ان يخرق
 وبدا البدر مروعا مشفقا
 لابسما لما تجلى فنكا
 وبدت شمس الضحى في برقع
 وكأن الجو حرب تصطلي
 قد اثار الغيم فيها قسطلا
 فانتضى البرق عليه منصلا
 فبكى الغيث حيا اذ ضحكا
 خافق القلب مروع الاضلع
 فاقتدح بالمنزع نار القدم
 نصطلي ان نحن لم نصطبح
 واغنيك ولم تقتترح
 ايها الساق البك المشتكى
 كم دعوناك وان لم تسمع

موشح الشيخ الكبادي

من لصب ذاب من فرط البكا وافتقاد النوم عند المضجع

كلما الراح بدت في كاسها

تنعش الاموات في ارماسها

واستطاب الطيب من انقاسها

زاده الشوق شجوننا فاشتكا الم الهجر وسوء المصروع

من بنى الترك كحيل طرفه

اعجز الكهان سحرا ظرفه

وسبى العشاق طرا لطفه

ان لي من حبسه ما تركنا زفرات قد اذابت اضلعي

ويح قلبي من هوى الفيد الحسن

كيف القاه بوادي الافتان

فهو في كل زمان ومكان

سالك في حبه ما سلكنا لست القاه ولو يوما معي

قل لمن اسرف من اهل الملام

في انتقاد المصطلي نار الغرام

دع ملام الصب واذهب بسلام

واجتب لوم الذي قد هلكنا وهو من عذاله لم يسمع

ايها الاهيف يكفي ما جرى

من صدود منع الحفن الكرى

وفؤاد بالهيب استعرا

صرت في الحسن فريدا ملكنا فاتق الرحمان في صب نمي

الى الغاية القصوى اساطينها الملد
موات وامواه الحياة به تعد
فهل هي الا من جنات به الخلد
لثلايلاقى الغبن في قصدها الوفد
وتسمع بدءا صوت من قصده الرفد
وحسب الذي ياتي لعادتها العود
كجالسة قعسا وككرسيها طود
ومن يئنا فيما طبعنا له بعد
وادنولمن يئنا ومن طبعك الطرد
امن قدر ياتي به الصمد الفرد
ومن ذكره ما دمت في الدهر لي ورد
بما قال حمال الحديث به يشد
وما بعد عون الله في شدة جند
عليك لمن اولاكها يجب الحمد
واكماله ما ينبغي كمل الحد
له في النهى ثاب ققولته رد
وقيل علي اول وقف العد
يحل بها سار من اللطف معتد
وتاريخه بيت به اونس السعد سنة ١١٨١
فزالت به البأس وتم به الرشد
يحاط بها عن فيض باب الرضى السد
فتحفظه حفظ الحمى الحافظ الجلد
يحق بها المبدأ ويزكو بها العود

ولكنها زادت لتلعب بالنهى
وما قيد الا لحاظ منها كمرکز
لمعنى ترى الانتحاء منها ثمانيا
والقت على ظهر الطريق وسادها
وتبصر من قرب مريدا تودة
فحسب من استغنى من الضيم وقفة
واعظم بها والبرج يكفت ذيلها
ولو نطقت قالت له كيف كنت لي
طبعت على التقوى فاقبل من دنا
فاين مخيفات بها كنت تحتمى
وها انا ذا وجهت وجهي لوجه
وبعت المغاني بالثاني ونشوتي
كفتي من المولى القوي حامية
على ان بالاسناد لي لك حرمة
هو السيد الباشا الذي بكماله
مرادي علي ابن الحسين ومن يقل
اذا عد من وفي بكل مليحة
سقى قصره هذا وكل قرارة
دعاء اجاب الله من قد دعا به
بحرمة من وافي الى الناس رحمة
عليه صلاة لا يحاط بقدرها
ويدخل باني البيت في حصن درعها
وفي حرز بسم الله وهي وحيه

ومن شعرا ايضا فيها

ما على شوقنا له من مزيد
وأحفظوا الجمع من حضور البليد
كيف تناون عن قباب السعود
طلعة النجم من سخائب سود
الحقوها العقاص بعد العقود

جددوا الانس بالمقام الجديد
فاصبحوا للسرور كل موات
هذه قبة السرور دعتكم
طلعت للوجود من علم غيب
او كفيدهاء جملت للتجلى

وله فيه مهنثا بعيد الاضحى واثار فيها الى اسباب عزمه على تجديد

قنطرة وادي ميلان واجاد في تشبيه اقواس القنطرة

كذلك ترى حاليك في اطول العمر
وتصحب ما استقبلت منشرح الصدر
كعاشر يوم في الطلاقة والبشر
ومنك تهنى بالامان من العسر
زمانك ان العيد في عاشر الشهر

تعمت في الاضحى باحظى من الفطر
تودع ما استدبرت لا عن ملالة
وتبدي لك الايام ما بعد عشرها
قمنها تهنى باتصال جديدها
ولولا اتباع الدين لم يدر خاضر

وتلك الالهى ترمي بها بدن النحر
كايام عيسى وهو منك على ذكر
وقصرتها وهي الطوال عن الحصر
من الضر فيها كنت حربا على الضر
تطلع من تلقائه ضادق الفجر
ويصلى حليف الحيف منه بلا جهر
كما هو لا يصغى لساع ولا مفر
وذا الناي والكاسي النيه وذا الطمر
على خلقه قرضا يلاقيك في الحشر
باحوال مليان على شاطيء النهر
قريبا لمن يعشي به نازح الغور
ومن فرس ينحط بطنا الى ظهر
وولى وقد اشفى الحمار على الكسر
واصحيت حزما لم يكن قبل في سكر
بجسر بديع الوضع يا لك من جسر
علته سيف منه سلت من الصخر
وقالت له هذا الجزاء على الجور
وهي صموت وهو يحمل في زئر
على انه الجرار في واسع القفر
لترقص او تاتى لوعد على قدر

(١)

وملبسها المرقوم بالبيض في الصفر
تصب في اجوافها وهي لا تدري
يلوذ به الساعون في القر والحمر
براءته فيما توخيت من اجر
ولا غمل الا واحكمت في الاجر
على انك المذكور في اخر الدهر
تزيدك اعلاء ولم ترض بالنزر
فالحفته من ثوب عمرك بالشطر
بصير بما ياتي من المد والجزر
وكنت المجلي بين فرسانها العشر
بعث لها من سرب فهمك بالنصر
تصر الى ذات الشمال على القور
الى الارض من قبل الدنو من الوكر
باسهل الفاظ على المطلب الوعر
نرد على اعضائه شهقة المكر

فان عن منى شطوا فمترك النوى
وما في استوا الايام في الطيب بدعة
يمينك قد البستها الامن ضافيا
تسرك سراها فان لاح لائح
براي اذا ما الخطب اظلم ليله
وعدل يعم العف والبر ظله
وحلم تزول الراسيات وطوده
وبسط نوال فيه سويت من دنا
واقضت وجه الله فيه تحننا
وقفت وقد مرت بك الحال مرة
فعانيت في ذاك المجال مداحضا
فمن حمل يهوى على ام راسه
ومن ذي حمار ضاع قوت صغاره
فايقظت عزما لم يكن قبل نائما
وخلصت ما بين السلامة والردى
اذا وصل التيار ظل فنائه
والقت على الانحاء اقلاد بطنه
تمدد له حتى تفرق جمعه
على انها خمس لوت بخميسه
قوائم قامت مثل خود تعاقت
وصاغت من الابريز منظوم تاجها
تروقك حتى لا ترى كاعتدالها
واعجب من ذا ان مليان كله
فاصبح من تلك الممالك ملجأ
وبرأته من وصمة الظلم جاعلا
فلا حجر الا واعجلت حقه
وانت الذي سايقتهم فسبقتهم
وفكرت بعد الجسر في كسب خصلة
والقيت ميت العلم للملك ثانيا
وجاريت في ميدانه كل فارس
وخاطبت منهم حلبة السبق فاثنت
وكم طيرت من مكنن البحث نكتة
فمرت الى ذات اليمين فردها
فما هو الا ان علاها فاخذت
وما فتئ الالاب مثلك ناطقا
وقتك اذى المياف في ذاك حسة

المجلة التونسية

مجلة علمية أدبية أخلاقية
تصدايقها المشيئة من فلاسفة بني جبال مع الزيتونة في المشرق والمغرب
شهرية وسنتها عشرة أشهر

الجزء الرابع | تونس في شهر ذي الحجة ١٣٥٩ وفي جاني ١٩٤١ | المجلد الرابع

صاحب المجلة والمدير :

محمد الشاذلي بن القاضى

المدرس من الطبقة الاولى بجامع الزيتونة

والخطيب الاول بجامع حمودة باشا

المراسلات :

ترد باسم مدير المجلة بمحل الادارة

رئيس قلم التحرير :

محمد المختار بن محمود

المفتي الحنفي

بالديار التونسية

الادارة :

نهج الباشا رقم ٣٣ بتونس - تليفون ٢٦-٤٩

حساب جاري بادرارة البريد رقم ٣٤٢٢

نمن الجزء ثلاثة فركات

صفحة	المقال	صاحبه
	القرآن الكريم	
٩٤	تفسير فاتحة سورة قد افلح المؤمنون	محمد الشاذلي ابن القاضي مدير المجلة
٩٩	اعجاز القرآن	العالم الفاضل الشيخ علي النيفر المدرس من الطبقة الاولى بجامع الزيتونة
	الحديث الشريف	
١٠٥	الرجاء مع الخوف	العلامة التحرير الشيخ الصادق المحرزي الاستاذ بجامع الزيتونة
١١٠	فضل الاكتساب ومذمة السؤال	الشيخ محمد الهادي ابن القاضي امين مال المجلة
	الفتاوي والاحكام	
١١٣	الشهادة في الوقف بالتسامع	المنعم الشيخ الشاذلي ابن القاضي
	التاريخ	
١١٤	عادة تقبيل اليد	العالم المؤرخ امير الامراء سيدي محمد بن الخوحة مستشار الحكومة
١١٨	القضاة الشرعيون في النديم	العلامة التحرير فضيلة الشيخ سيدي محمد البشير النيفر المفتي المالكي
١١٩	تهنئة الامير الحليل ابقاه الله (قصيدة)	العالم الاديب الشيخ محمد المقداد الورتاني

الاشتراك

عن سنة بالحاضرة وبلدان المملكة والجزائر والمغرب	وصولات الاشتراك لا تعتبر الا اذا
الاقصى وسوريا فرنكات ٣٠	كانت ممضاة من امين المال
في الخارج غير البلاد المذكورة فرنكات ٤٠	محمد الهادي ابن القاضي
	والمخاضات المالية لا تكون الا معه

المجلة التونسية

مجلة علمية أدبية أخلاقية
تصديدها شهرية وستة عشر شهرا
شهرية وستة عشر شهرا

الجزء الرابع تونس في شهر ذي الحجة ١٣٥٩ وفي جانفي ١٩٤١ المجلد الرابع

ساحب المجلة والمدير

محمد شاولي بن القاسمي

المدرس من الطبقة الاولى بجامع الزيتونة
والخطيب الاول بجامع حمودة باشا

المراسلات:

ترد باسم مدير المجلة بمحل الادارة

حساب جاري بادارة البريد رقم ٣٤٢٢

رئيس قلم التحرير

محمد المختار بن محمود

المفتي الحنفي
بالديار التونسية

الادارة:

نهج الباشا رقم ٣٣ بتونس - تليفون ٤٩-٢٦

ثمن الجزء ثلاثة فرنكات

القرآن الكريم

سورة قد افلح

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴾

ان الله تعالى اذا اراد بعبد خيرا شرح صدره للايمان واستعمل جوارحه فيما يرضي الملك الديان والسعيد من اهتدى بهدي القراءان ونشطت اعضاؤه للعمل بما جاء به الاسلام فيحق بعد ذلك ان يوسم بالفلاح ويعد من اهل الايمان والنجاح

والفلاح اسم للفوز والبقاء والنجاة والمصدر الافلاح قال شاعرهم : ولكن ليس للدنيا فلاح * اي ليس لها بقاء وقول المؤذن : حي على الفلاح اي اقبل ايها الانسان على النجاة باداء ركن الاسلام وهو الصلاة فقوله تعالى قد افلح المؤمنون اي قد دخلوا في النجاة او صاروا ناجين وظفروا بالمراد وقد لتثبت الامر المتوقع والمؤمنون يتوقعون من الله البشارة بنجاتهم وفوزهم فبشرهم الله تعالى بما دل على ثبات ما يتوقعونه المستفاد ذلك الثبات من قد والمؤمنون جمع مؤمن والمؤمن هو الذي آمن وصدق بالله ربا وبمحمد نبيا وبالملائكة والكتب المنزلة وباليوم الآخر فالإيمان هو التصديق والعبد المؤمن هو المصدق بما جاء به رسول الله وعلم ضرورة انه من دين الاسلام .

وقد جاءت الآية الكريمة على صيغة الاخبار متضمنة للوعد بذلك الفلاح في العاجل والآجل ولثواب الآخرة أعظم وأبقى .

ولما كانت صفة الايمان يشترك فيها البر والفاجر والطائع والعاصي فيقال عليهم بالتشكيك بحسب ما تظهر على المؤمنين من آثار الايمان وما يقومون به من واجبات الاسلام وما يتحلون به من شريف المناقب وكريم الصفات بين الله للناس أي المقامات اعلى وأشرف وأي الصفات التي ينال بها العباد رضاء الله فيشملة سبحانه بمشوبته وبورثه الفردوس من جنته .

فذكر سبحانه لذلك ست صفات من تحلى بها كان هو المؤمن الكامل الذي ينتفع بإيمانه اعظم انتفاع وحسبك من المؤمن الصالح ما يظهر عليه من الآثار في نفسه اولا وفي عشرينه ثانيا وفي المجتمع

الذي يبلغه آثار ايمانه ان ضيقا وان متسعا . فان مثل ايمان احدكم ككشجرة ياتعة بقدر ما يرعاها صاحبها تنمو وتزكو ويعظم الانتفاع بها . فان هو بالغ في حضيا ورعايتها نمت واعطت اكلاها كل حين وانتفع بها القاصي والداني وبلغت ثمرتها أطراف المعمورة . وان هو قصر ضعف انتاجها حتى يكاد لا يتعدى سواه . وان هو اهملها منعت خيراتها ولم يرزق من ثمارها وما بقي له الا ظلها يستظل به وبقي بها عين الشمس ولربما مسه شظا من فيحها فيريده لو كان يعلم .

فلتق الله فيما انعم به عليه وكيف يرضى العاقل من امره بالدون ويبوء بالنقيصة ولا يكون من عباد الرحمن الذين وصفهم بقوله : قد افلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون . وهذه هي الصفة الاولى التي بها الفلاح وبيان هذه الصفة يستدعي الكلام على الصلاة ومشروعيتها وصفاتها التي من بينها الخشوع فنقول :

الصلاة كلمة عربية استعملها العرب قبل الاسلام بمعنى الدعاء والاستغفار والعبادة واطلقت في الشرع على العبادة المخصوصة فهي اما من قبيل المشترك او من قبيل الحقيقة والمجاز الذي صار بعد حقيقة شرعية ورجح شيخنا سيدي محمد الطاهر ابن عاشور ابقاء الله في دورس التفسير التي حضرناها عليه ادام الله النفع به انها تستعمل في اللسان العربي بمعنى العبادة بكيفية مخصوصة (١) واشد عليه قول الاعشى يراوح من صدوات المليك طورا سجودا وطورا جوارا

وعليه فاطلاق الصلاة على العبادة المخصوصة في الاسلام المفتحة بالتكبير والمختمة بالتسليم يكون ذلك تخصيصا للفظ ببعض مدلولاته يعني بذلك خصوص العبادة التي جاء بها الاسلام دون غيرها من العبادات التي عرفها العرب وهذا هو الواجب في تفسير الصلاة

ولا التفات الى من قال لم يكن للعرب صلاة معروفة الا ما كانوا يدعون به الله عند التلبية والا ما اخبر به القرآن في قوله تعالى : وما كان صلاتهم عند البيت الامكاء وتصدية . والمكاء - الصفير والتصدية التصفيق . فان العرب كثيرهم من اهل الملل عرفت العبادة بالصلاة من شريعة ابراهيم ومن شريعة موسى وعيسى عليهم السلام والبيت الآنف الذكر يدل على ذلك

وربما اطلقوا اسم الصلاة على الطواف . ويكون نعي القرآن عليهم في قوله تعالى وما كانت صلاتهم عند البيت الامكاء وتصدية . لبيان ان هذا الطواف الذي هم عليه ليس هو العبادة المشروعة التي جاء بها ابراهيم عليه السلام . قال ابن عباس كانت قریش يطوفون بالبيت عراة يصفرون ويصفقون . فطوافهم الذي حسبوه عبادة هو في الحقيقة ليس من العبادة في شيء .

فالذين يقولون انها حقيقة شرعية في العبادة المخصوصة فهم لا ينكرون استعمالها في لسان العرب في العبادة وما استعمالها في الطواف الا من هذا القيل والاستعمال مسبوق بالوضع الا ان علماء الشرع غلب استعمالهم لها في الصلوات المشروعة في الاسلام بكيفية الخاصة حتى اذا اطلقت لا تصرف الى غيرها كما هو الشأن في الحقائق العرفية على ما قرره القرآن في رحمه الله

وأما مشروعية الصلاة في الاسلام فانها وقعت في اول ما شرع من الدين وقد روى جماعة من اهل العلم فيما حكاه ابن حجر انه لم يكن قبل الاسراء صلاة مفروضة الا ما كان وقع الامر به من صلاة الليل من غير تحديد

ونقل عن الحربي ان الصلاة كانت مفروضة ركعتين بالغداة وركعتين بالعشي وذلك قوله تعالى :
وسبح بحمد ربك بالعشي والابكار . وقد روي ان عبادة الليل كانت قاصرة على ترتيل القرآن ومما يدل على مشروعية الصلاة قبل الاسراء

ما ورد من صلاته صلى الله عليه وسلم عند الكعبة وتخرج قريش من ذلك واخفائه صلى الله عليه وسلم صلاته عنهم اولا الى ان اسلم عمر وصلاة ابي بكر وغيره من الصحابة وما تحملوه من اذاية قريش لهم وصدهم عن الصلاة بالمسجد الحرام وبناء ابي بكر مسجدا بقاء دارة ليصلي فيه
اما الصلوات الخمس فقد فرضت ليلة الاسراء والاسراء وقع قبل الهجرة بسنة وبه جزم ابن حزم وحكى عليه الاجماع . وقيل قبل الهجرة بسنتين وقيل بثلاث سنين

اخرج البخاري وغيره من اصحاب السنن عن انس ابن مالك رضي الله عنه ما حدث به أبوذر رضي الله عنه من حادثة الاسراء والمعراج التي فرضت فيها الصلوات الخمس والحديث يطول بنا ذكره والاحاديث في هذا الباب كثيرة كلها تدل على ان فرضية الصلوات الخمس كانت ليلة الاسراء والغرض الآن ذكر فرض الصلاة فلنكتف بذلك

بقي علينا ان نعلم كيفية الصلاة المفروضة . اخرج البخاري عن ام المؤمنين عائشة رضي الله عنها انها قالت : فرض الله الصلاة حين فرضها ركعتين ركعتين في الحضر والسفر . فقرت صلاة السفر وزيد في صلاة الحضر وفي رواية عن عروة بن الزبير عنها فرضت الصلاة ركعتين ثم هاجر النبي صلى الله عليه وسلم ففرضت اربعا . وهذه الرواية اخرجها البخاري ايضا في كتاب الهجرة . وفي مسند الامام احمد بنفس الاسناد عنها رضي الله عنها انها قالت الا المغرب فانها كانت ثلاثا . وروى ابن خزيمة وابن حبان والبيهقي من طريق الشعبي عن مسروق عن عائشة رضي الله عنها قالت فرضت صلاة الحضر والسفر ركعتين ركعتين فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة واطمأن زيد في صلاة الحضر ركعتان ركعتان وتركت صلاة الفجر لطول القراءة وصلاة المغرب لانها وتر النهار ومثل ذلك ما اخرجه مسلم وابوداود والنسائي وابن ماجه

وقد وردت النصوص الدالة على فرضية الصلاة قال تعالى ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا ولم يبين القرآن صريحا اعداد الركعات وانما ذكر اوقاتها اجمالا قال تعالى فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد في السموات والارض وعشيا وحين تظهرون قيل لابن عباس رضي الله عنهما هل تجد الصلوات الخمس في القرآن ؟ فقال نعم وتلا هذه الآية

وقد كانوا يعبرون عن الصلاة بالتسبيح من باب اطلاق اسم البعض على الكل على طريقة المجاز المرسل يقولون سبح الغداة مثلا اي صلى الفجر والمعنى على هذا التفسير فصلوا لله حين تمسوت صلاة المغرب والعشاء وقوله وحين تصبحون صلاة الفجر وقوله وعشيا صلاة العصر وقوله وحين تظهرون صلاة الظهر والاطهر في الدلالة آية سورة الاسراء وهي قوله تعالى : أقم الصلاة لدلوك الشمس الى غسق الليل وقرءان الفجر ان قرءان الفجر كان مشهودا فهذه الآية جامعة لاوقات الصلوات الخمس مع الامر بالصلاة صريحا في قوله أقم الصلاة وقوله لدلوك الشمس يقال دلكت الشمس اذا زالت عن كبد السماء او اصفرت او غربت (١) فعلى المعنى الاول وقعت الاشارة الى صلاة الظهر والعصر والمغرب وهذا ما ذهب اليه الجمهور ويمكن ان يقال المعنى اقم الصلاة لكل دلوك والاول هو الزوال والثاني هو الاصفرار والثالث هو الغروب ولكل منها صلاة الدلوك الاول تصلى عنده الظهر والدلوك الثاني تصلى عنده العصر والدلوك الثالث تصلى عنده المغرب وعلى هذا الوجه تكون الآية دلت بطريق الاشارة على العدد وانها خمس صلوات .

واما على قول الجمهور فان المراد بدلوك الشمس زوالها وهو وقت ممتد نهايته ما ورد في قوله الى غسق الليل وهذا الوقت الممتد تقع فيه الصلوات الثلاث الظهر والعصر والمغرب فيكون اشير به اليها ثم قال تعالى الى غسق الليل وهو الظلمة وقد اشير به الى العشاء ، وقوله وقرءان الفجر اشير به الى صلاة الفجر .

واما قوله تعالى : اقم الصلاة طرقي النهار وزلفا من الليل فهي اشد اجلالا من الآية المتقدمة في الدلالة على الوقت .

وقد استبسط بعض العلماء العدد وحصرها في الخمس في القرآن من ذكر الوسطى في قوله تعالى حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين .

وقد بين صلى الله عليه وسلم ما نزل به القراءان للناس قولاً وفعلاً ونقل عنه بالتواتر العملي وعليه اجماع المسلمين من كافة الفرق والمذاهب كاجماعهم على ان جاحد الصلوات الخمس المنكر لها لا يعد من المسلمين .

وقد اهتم القراءان والسنة بشان الصلاة حتى قال العلماء ليس من المأمورات ما اهتمت به الشريعة كالصلاة فقد بين القراءان افتراضها على اساليب شتى فتارة بالامر الصريح كآيات التي مرت بنا وتارة بالثناء على فاعلها والذم لتاركها كآيات التي نحن بصدد تفسيرها .

ومن تتبع نصوص الشريعة من الآيات والاحاديث تجللى له وما على الصبح فتناع ان الصلاة عماد الاسلام والفرقان بين الهدى والضلال والفلاح والخسران المبين فقد اخرج الامام احمد رضي الله

عنه قال صلى الله عليه وسلم : من ترك الصلاة متعمدا فقد برىء من ذمة محمد صلى الله عليه وسلم .
وسئل صلى الله عليه وسلم أي الإيمان أفضل فقال الصلاة لمواقيتها . متفق عليه عند أصحاب السنن .
وفي البخاري ومسلم : من حديث أبي هريرة قال صلى الله عليه وسلم مثل الصلوات الخمس كمثل نهر غمر غمر بباب أحدكم يقتحم فيه كل يوم خمس مرات فما ترون ذلك يبقي من درنه ؟
قالوا لا . قال صلى الله عليه وسلم فإن الصلوات الخمس تذهب الذنوب كما يذهب الماء الدرن .
وأخرج أبو داود والنسائي وابن ماجه أن رسول الله قال : خمس صلوات كتبتن الله على العباد فمن جاء بهن ولم يضيع منهن شيئا استخفافا بحقهن كان له عند الله عهد أن يدخله الجنة . ومن لم يأت بهن فليس له عند الله عهد أن شاء عذبه وإن شاء أدخله الجنة .

ولما كانت الصلاة أعظم عبادة يعبد بها العبد ربه ويناجي فيها مولاه نبيه الشارع على أكمل الحالات التي يكون بها العبد من أهل الفلاح وهي حالة الخشوع إلى المعبود سبحانه في الصلاة والخشوع التذلل مع الخوف وسكون الجوارح روى ابن جرير وغيره عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال خاشعون في صلاتهم خائفون ساكنون وفسره مجاهد بأنه غص البصر عما حوله وخفض الجناح وهذا المعنى لازم للأول وعن قتادة في وصف الخشوع هو تنكيس الرأس في الصلاة قال علماءنا ومن السنة أن ينكس المصلي رأسه وينظر إلى موضع سجوده حال القيام وإلى حجرة حال الجلوس وترك الالتفات يميناً وشمالاً . وروي عن أبي الدرداء في تفسيره للخشوع أنه اعظام المقام وإخلاص المقال واليقين التام وجمع الاهتمام . بأن يكون مستحضراً قلبه لمناجات ربه لا يشتغل بما سواه ولا يلتفت فإن الالتفات من الشيطان كما ورد في الصحيح فيما يرويه البخاري وأبو داود والنسائي عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وعن أبيها قالت سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الالتفات في الصلاة فقال هو اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة العبد .

فالالتفات والعبث بالثياب وأعضاء البدن ونحو ذلك ينافي الخشوع . وعده في الكشف من الخشوع أن يستعمل المصلي الآداب ويتوقى ككف الثوب والتعطيط والتثاؤب والتغميض وفرقة الأصابع وتشبيكها وقلب الحصى .

وقد اختلف العلماء في الخشوع هل محله القلب أو الجوارح وقد علمت مما مر أنه يشمل القلب والجوارح معا فيخشع بقلبه وتظهر آثاره على الجوارح .

وبالجملة فإن الخشوع في الصلاة الذي مدح الله أهله هو حالة تذلل وإتضاع لله تعالى وعدم التفات القلب فيها إلى شيء من أحوال الدنيا سوى تعظيم الباري بالخشوع والتلاوة والتسبيح والتكبير وكل ما هو من أفعال الطاعة والعبادة والخضوع له بجميع الجوارح لا يشتغل بغير أفعال الصلاة فالذين هم في صلاتهم خاشعون هم الخائفون في حالة عبادتهم من هبة الله تعالى المتذللون لخبروته الخاضعون لجلاله قد ألزموا أبصارهم مساجدهم حال قيامهم بين يدي معبودهم لا يسترسلون مع حديث النفس ومن كان هذا حاله في صلاته لا جرم أن يكون من أهل الفلاح أما إذا كان القلب غافلاً فلا ريب أن العبادة تكون شبحاً بلا روح وذلك مدعاة لعدم القبول والمؤمن إنما يسعى وراء قبول أعماله لينال رضا الله ومثوبته وذلك هو الفلاح الموعود به ولنعم اجر العاملين الخاشعين .

محمد بن علي بن الفاضل

اعجاز القرآن

(٢)

بقلم العالم التحرير الشيخ
علي النيفر المدرس بالجامع الاعظم

(النوع الثاني) من انواع اعجاز القرآن وهو اخباره بالمغيبات مما كان او يكون اما اخباره عن الامور المستقبلية فتقع كما اخبر به فذلك من حديث البحر ولنورد جملة منها فمن ذلك قوله تعالى (ألم غلبت الروم في ادنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين الله الامر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم وعد الله لا يخلف الله وعده) كادت هذه الآية الكريمة أن تعين السنة التي تكون فيها غلبة الروم على الفرس وذلك بالتعبير فيها بالسنين ويقول في بضع سنين والبضع نهايته التسع ثم اكد ذلك بقوله وعد الله لا يخلف الله وعده مما لا يصدر الا عن يقين تام ولقد قاتل الروم الفرس عند راس سبع سنين من غلبة الفرس عليهم فغلبوهم كما وعدت به الآية الشريفة وكان ذلك سنة سبع من الهجرة فكان سببا في اسلام عدد من الناس غير قليل .

ومن آي التي من هذا القبيل قوله تعالى مسلينا نبيه عليه الصلاة والسلام على فراق مكة حين اشتاق اليها وهو في طريق هجرته الى المدينة بالحجفة (إن الذي فرض عليك القرآن لرادك الى معاد) فردة الى مكة يوم الفتح ومن هذا القبيل قوله تعالى (لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين محلقين رؤسكم ومقصرين) فكان كذلك .

ومنها قوله جل من قائل (انا كفيناك المستهزئين) وهم نفر من قريش كانوا بمكة ينفرون الناس من الاسلام ويؤذونه عليه الصلاة والسلام وقد بشر النبي صلى الله عليه وسلم بهذه الآية اصحابه حين نزلت عليه فأهلك الله المستهزئين في اقرب وقت كما بشرت به الآية .

ومن هذا القبيل ايضا قوله تعالى متحديا بالقرآن (وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة اعدت للكافرين) وقع ما اخبرت به الآية الكريمة فلم يحاولوا الاتيان بسورة من مثله كما قال تعالى (ولن تفعلوا) .

ومن هذا القبيل ايضا قوله سبحانه (انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون) لم يقدر احد من اعداء الاسلام ان يغير ولو حرفا واحدا من القرآن بل ولا حركة منه على شدة حرصهم على ذلك . ومن هذا القبيل ايضا قوله تعالى (والله يعصمك من الناس)

فلقد عاش صلى الله عليه وسلم بعد ذلك ما عاش فلم يقدر احد من اعدائه على قهره على كثرتهم وتبالكهم على ذلك حربا وسلبا مع تعريض نفسه في القتال للاخطار فقد كان عليه الصلاة والسلام يتقدم اصحابه في مواقع النزال كما روي عن بعضهم أنه قال كنا اذا احمرت الحدى تنبى برسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يوم خنين على بغلة كما قيل لا تصلح للطلب ولا تنفع للهرب وهو منفرد عن اصحابه ينادي باعلى صوته انا النبي لا كذب انا ابن عبد المطلب والاعداء كثيرون ومع ذلك وقاه الله شرهم ورد كيدهم في نحورهم ولم يصب رسول الله باذى منهم والله المنة ولقد جاءه اعرابي مرة وهو نائم فاخترط سيفه وقال من ينجيك مني فقال صلى الله عليه وسلم (الله) فوقع السيف من يد الاعرابي . ومن الآيات المندرجة في هذا النوع قوله تعالى (ليظهره على الدين كله) وقوله (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض الآية فكان الامر كما قال اصدق القائلين اظهر الله دين الاسلام وممكنه في الارض واستخلف المسلمين فيها ومكلمهم ايها من اقصى المشرق الى اقصى المغرب مع ان المسلمين كانوا حين نزلت الآيات قليلين مستضعفين .

وكذلك قوله تعالى (اذا جاء نصر الله والفتح ورايت الناس يدخلون في دين الله افواجا) الى آخر السورة لم ينتقل عليه الصلاة والسلام الى الرفيق الاعلى الا بعد ان لم يبق موضع من بلاد العرب لم يدخله الاسلام هكذا ذكر بعضهم في وجه اعجاز هذه السورة من ناحية الاخبار بالغيب وهناك وجه آخر في اعجازها من هذه الناحية ايضا وهو انها ناعية للنبي صلى الله عليه وسلم على ما فهمه منها جمهور الصحابة رضي الله عنهم كما روي ذلك في الصحيح عن سيدنا عمر بن الخطاب وسيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهم اجمعين .

ومثل هذه الآي في الاخبار عما سيقع قوله تعالى (وإذ يعدكم الله احدى الطائفتين انها لكم) فكانت لهم يوم بدر . وكذلك قوله سبحانه (سيهزم الجمع ويولون الدبر) وقوله (قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم) وقوله (لن يضروكم الا اذى وان يقاتلوكم يولوكم الادبار ثم لا ينصرون) وقوله (وعدكم الله مغنم كثيرة) وقوله (واخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب) وقوله (سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب) وقع جميع ذلك كما اخبر به القرآن الكريم .

واما اخباره عن امور قد كانت ولكن لا يعلم بعضها الا الراسخون في العلم من اهل الكتاب فضلا عن جميعها فكخبره عن قصص الانبياء وبده الخلق وما حرم اسرائيل على نفسه وقصة لقمان وابنه ونحو ذلك وقد ورد ان اليهود قالوا للمشركين سلوة عن الروح وعن ذي القرنين وعن اهل الكهف فان سكت او اجاب عن الجميع فليس بنبي وان سكت عن الروح واجاب عن الاخيرين فهو نبي مرسل كما تجده في التوراة فنزلت سورة الكهف على الوجه الذي يشهد بنبوته صلى الله عليه وسلم وفي جميع ذلك لم يؤثر عن احد من اهل الكتاب تكذيبه او الرد عليه بل ما منهم الا من

سكت مدعنا فمن مؤمن به سبقت له السعادة ومن حسود مصر حقت عليه كلفة العذاب ولهذا استشهد الله على صدق رسوله باهل الكتاب قال تعالى (قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب) ولا يخفى ان صدور هذه الاخبار عنه عليه الصلاة والسلام معجز خارج عن المعتاد اذ ان ذلك لا يعلمه الا الاحاد من الراسخين في العلم من اهل الكتاب ممن اقطع لدراستها واني لمن نشأ في امية وبين فئة جاهلية معرفة ذلك مع عدم مخالطته لمن يعرفه ونشأته بينهم وحاله معلومة من جميعهم كما قال تعالى (وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه يمينك اذ الارتاب المبطون) وكما قال سبحانه بعد ذكر قصة نوح عليه السلام (تلك من انباء الغيب نوحيها اليك ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا) الى غير ذلك من الآي التي تحوم حول هذا المعنى فهذا وجه من وجوه اعجاز القرآن الكريم (الثالث) من وجوه اعجازة جمعه لما يرتبط بمصالح الدين والدنيا على وجه يفوت مقدور البشر عادة .

نزل القرآن المبين لارشاد الناس اجمعين وهدايتهم الى ما يصلحهم في معاشهم ومعادهم ولذا كان جامعا بين تصحيح العقيدة والرد على المخالفين وتشريع العبادات والنظم العامة من سياسية واجتماعية ومدنية كل ذلك بأسلوب حكيم ونظر منتج غير عقيم .

ويمكن ارجاع ما اشتمل عليه القرآن من ذلك الى اربعة اصول هي العقائد ومكارم الاخلاق والعبادات والمعاملات .

اما القسم الاول وهو العقائد من آلهيات ونبويات فقد بينها القرآن أتم بيان ورد على منكرها باوضح برهان حتى قال الامام فخر الدين الرازي - وناهيك به - قد تأملت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية فما رايتها تشفي غليلا ولا تروي غليلا ورايت اقرب الطرق طريقة القرآن - وقال شيخ الاسلام ابن تيمية - احسن الادلة العقلية الادلة التي بينها القرآن وارشد اليها الرسول فينبغي ان يعرف ان اجل الادلة العقلية واكملها وافضلها مأخوذ عن الرسول .

ولندكر مثالا من ذلك قال تعالى في الاستدلال على وجود الصانع (ام خلقوا من غير شيء ام هم الخالقون) المعنى والله اعلم أوجدوا من غير موجد ام هم اوجدوا انفسهم كلا الاجتماعين باطل فكان الحق انهم وجدوا بايجاد صانع حكيم .

وقال تعالى في الاستدلال على وحدانية الخالق (لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدنا) وقال ايضا (وما كان معه من اله اذا لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض) ففي الآيتين برهان على وحدانية الصانع وانه يجب له التفرد بالخلق والتصرف في العالم كله وعدم الشريك .

وقال سبحانه في الاستدلال على ان الرسول انما يكون بشرا لا ملكا (ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون) وذلك ان المشركين طلبوا ان يكون الرسول ملكا ليتيقنوا رسالته فأخبروا في هذه الآية بان ذلك لا يقع لانه ان كان مع بقائه على صورته الملكية لم تمكنهم رؤيته ولا الاجتماع به والاخذ عنه وان تمثل لهم في صورة رجل التبس عليهم الامر وظنوه بشرا فلم يؤمنوا به .

وقال جل اسمه مستدلا على صحة البعث (قال من يحيي العظام وهي رميم قل يحييها الذي انشاها اول مرة وهو بكل خلق عليم) الى غيرها من الآي الواردة في هذا المعنى .

واما القسم الثاني (وهو مكارم الاخلاق فقد اشتمل القرآن على اصولها وهي على ما ذكره علماء الاخلاق ثلاثة الحكمة والعفة والشجاعة وعلى فروعها من الصبر والحلم والبذل والوفاء والصدق والعدل وغيرها حائنا عليها اتم حث محرضا عليها اكمل تحريض حيث كانت دعامة العمران واساس سعادة بني الانسان بها تحيي الامم وتسير في المنهج الواضح الامم .

فمن الآي الحائنة على الحكمة المنوّهة بشأن العلم قوله تعالى (ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا) وقوله سبحانه (قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون) وقوله (وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون) وقوله (انما يخشى الله من عباده العلماء) وقوله (وقل رب زدني علما) وقوله (ن والقلم وما يسطرون) وفي قسمه تعالى بآلة العلم وهي القلم شرف للعلم عظيم وفي قصة آدم واسجاده للملائكة له حين عليه الله الاسماء تنويه بشأن العلم ما بعده تنويه .

ومن الآي الحائنة على العفة قوله سبحانه (قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك اذكى لهم ان الله خبير بما يصنعون وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن) الآية .

ومن الآي الحائنة على الشجاعة المادية قوله تعالى (يا ايها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا) الآية وقوله ايضا (قل لو كنتم في يوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم) الآية ومنها في الحث على الشجاعة الادبية وهي الصراحة قوله تعالى (يا ايها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على انفسكم او الوالدين والاقرين) .

ومن الآيات الواردة في الصبر قوله تعالى (واصبر وما صبرك الا بالله) وقوله (ان الله مع الصابرين) وقوله (ولئن صبرتم هو خير للصابرين) وقوله (وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر) . ومنها في الحث على الحلم وسعة الصدر قوله (والكاضمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين) وقوله (خذ العفو وامر بالعرف وأعرض عن الجاهلین) .

ومنها في الحث على البذل قوله تعالى (من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له اضعافا كثيرة) الآية وقوله ايضا (مثل الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله كمثل حبة انتبت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء) الآية .

ومنها في الحث على الصدق قوله تعالى (ان الله مع الذين صدقوا والذين هم متقون) وقوله ايضا (ليجزي الله الصادقين بصدقهم) .

ومنها في الحث على العدل قوله (ولا يجز منكم شئنان قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو اقرب للتقوى) وقوله (ان الله يحب المقسطين) وقوله (واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل) .

ومنها في الحث على الوفاء بالعهود قوله (واولفوا بالهد اذا عاهدتم) وقوله (والموفون بعهدهم اذا عاهدوا) وفي التحاشي عن الخيانة ولو لمن لاحت منه بوادرها قوله جل من قائل (واما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء ان الله لا يحب الخائنين) .

ومنها في الحث على اداء الامانة ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل .

ومنها في التواضع ولا تمس في الارض مرحا .

ومنها في المداراة ادفع بالتي هي احسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم .

ومنها في الصفح والعفو فمن عفا واصلح فاجرة على الله .

ومن الآي الواردة في الاخلاق غير ما تقدم قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا الآية .

وفيما اوردناه كفاية فليس غرضنا من ذكرها جمع الآيات القرآنية الواردة في الاخلاق فهي اكثر من ذلك بكثير ولا شرح معانيها وتفصيل ما تشير اليه فذلك لا يسعه هذا المقال .

واما (القسم الثالث) وهو العبادات فالقرآن تكفل ببيانها ايضا من صلاة وصوم وزكاة وحج والآيات الواردة فيها معلومة للجميع لا نطيل بذكرها .

واما (القسم الرابع) وهو المعاملات فقد اوضحها القرآن ايضا وقعد قواعدها واصل اصولها وهي على ضربين : ما يتعلق بعلاقة المرء مع اهله وذوي قرابته من آباء وبنين وغيرهم وما يتعلق بعلاقته مع سائر الناس .

فالضرب الاول وهو علاقة المرء مع اهله بينها القرآن بتشريع احكام النكاح والطلاق والنفقة وحسن المعاشرة كقوله في تشريع النكاح (فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع) وقوله في الاقتصار على الواحدة اذا خشي عدم العدل بين الزوجات (فان خفتم الاتعدوا فواحدة) وقوله في النفقة (الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما انفقوا من اموالهم) وقوله في الحقوق الواجب مراعاتها من كل من الزوجين للآخر (ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف) وقوله في حسن المعاشرة (وعاشروهن بالمعروف) وقوله في الطلاق (فامساك بمعروف او تسريح باحسان) وقوله ايضا (وان يفرقا يغن الله كلا من سعته) الى أشباه ذلك من احكام الزوجية .

واما علاقة المرء مع ذوي قرابته فقد بينتها آيات قرآنية مثل قوله تعالى في شان الابوين ووصيائه لانسان بوالديه حسنا الآية وقوله واحفض لها جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا وفي هذه الآية اشارة الى حقوق الانشاء على الآباء من التربية وقوله في شان ارضاع الانباء والوالدات يرضن اولادهن حولين كاملين لمن اراد ان يتم الرضاعة وقوله في الوفاء بحقوق ذي القرابة العامة وآت ذا القربى حقه وقوله وبالوالدين احسانا وذو القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل الآية والذين يصلون ما امر الله به ان يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب .

واما الضرب الثاني وهو علاقة المرء مع سائر بني جنسه فقد بينها القرآن ايضا كوجوب النصح

للمسلمين بل للناس عامة بواسطة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر قال تعالى ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون وقال ايضا كنتم خير امة اخرجت للناس تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله وكاعتبار المسلم سائر المسلمين اخوة له والاصلاح بينهم اذا تشاجروا قال تعالى (انما المؤمنون اخوة فاصلحوا بين اخويكم) وقال ايضا (واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا) وقال (لا خير في كثير من نجواهم الا من امر بصدقة او معروف او اصلاح بين الناس) وكالاتحاد وعدم الخروج عن جامعة المسلمين قال تعالى (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا .
وكالتشاور وعدم الاستبداد بالرأي المأخوذ من قوله تعالى وامرهم شورى بينهم ومن قوله وشاورهم في الامر .

الى غير ذلك من الآي التي نظمت علاقات المسلم مع المسلم بل ومع سائر البشر مما يطول ذكره اجمالا فضلا عن تفصيله .

ومن علاقات المرء مع بني جبهه ما يشأ عن عقود المعاملات وقد اقامها القرآن على اساس متين مثل اباحته للبيع وتحريمه للربا في آية واحل الله البيع وحرم الربا ويجابه الوفاء بالعقود في آية يا ايها الذين آمنوا اوفوا بالعقود ومثل تحريمه المسير في آية يا ايها الذين آمنوا انما الحمر والمسير والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل انتم منتهون ومثل تشريعه القصاص في الدماء قال تعالى ولكم في القصاص حياة والحد في الجنايات كالسرقة في آية السارق والسارقة فاقطعوا ايديهما والآية والحراية في آية انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فسادا ان يقتلوا الآية فهذه القوانين الالهية الحكيمة المشتعل عليها القرآن يستحيل عادة على رجل واحد مهما بلغ في غزارة العلم وكمال العقل ان يحيط بها او بجملة منها فكيف بمن يعلم الجميع احوال نشأته واحوال بيئته من كونه نشأ اميا لا يقرأ ولا يكتب ولا خالط من اهل العلم احدا وكونه ظهر في امة امية لا تقرأ ولا تكتب ايضا فلا جرم كان ذلك معجزة من معجزات القرآن .

كفكك بالعلم في الامسي معجزة في الجاهلية والتاديي في اليتيم
(يتبع) علي النيفر



الحديث الشريف

باب الرجاء مع الخوف من صحيح البخاري

وقال سفيان ما في القرآن آية أشد علي من (لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والانجيل وما أنزل اليكم من ربكم) حدثنا قتيبة ابن سعيد حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن عن عمرو بن عمرو عن سعيد بن ابي سعيد المقبري عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ان الله خلق الرحمة يوم خلقها مائة رحمة فأمسك عنده تسعا وتسعين رحمة وأرسل في خلقه كلهم رحمة واحدة فلو يعلم الكافر بكل الذي عند الله من الرحمة لم يئأس من الجنة ولو يعلم المؤمن بكل الذي عند الله من العذاب لم يأمن من النار

❀ الشرح ❀

بقلم العلامة الشيخ الصادق المحرزي
الاستاذ بجامعة الزيتونة الاعظم

الرجاء تعلق القلب بامر محبوب من جلب نفع او دفع ضرر متوقع الحصول والخوف فزع القلب من مكروه يناله او محبوب يفوته وهما في حق الله تعالى اعلان من اصول الدين يبتي عليهما المدح والدم في العاجلة والثواب والعقاب في الآجلة وقد جاء في التحريض عليهما اثار كثيرة فمما ورد في الرجاء من التنزيل (كتب ربكم على نفسه الرحمة) وفي النهي عن القنوط (لا تقنطوا من رحمة الله) ومن الاثر قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث القدسي انا عند ظن عبدي بي فليظن بي خيرا وروي ان سيدنا عليا كرم الله وجهه قال لرجل اخرجه الخوف الى القنوط لكثرة ذنوبه يا هذا يأسك من رحمة الله اعظم من ذنوبك وورد في الخوف من التنزيل ترغيبا (لمن خاف مقام ربه جنتان) وقوله تعالى (وإياي افارهبون) وفي الحديث القدسي يقول الله تعالى لا اجمع لعبدي بين خوقين وامنين فان خافي في الدنيا أمنت يوم القيامة وان امني في الدنيا اخفته يوم القيامة ، وقال بعض العارفين من علامات السعادة ان تطيع وتخاف ان لا تقبل ومن علامات الشقاء ان تعصي الله وترجو ان تنجو ويؤيده ما اخرجه

ابن ماجة بسنده عن عائشة رضي الله تعالى عنها انها قالت قلت يا رسول الله الذين ياتون ما اتوا وقلوبهم وجلة أهو الذي يسرق ويزني ويشرب الخمر وهو على ذلك يخاف الله قال لا يا ابنة الصديق ولكن هو الذي يصلي ويصوم ويتصدق ويخاف ان لا يقبل وقال ابو علي الروذباوي الخوف والرجاء كجناحي طائر اذا استويا سعد بهما من وفقه الله الى اعلى الدرجات ولا يخفى ان استجاب الجمع بين الخوف والرجاء منطور فيه حالة الصحة واما في حالة المرض والاشراف على الموت فيستحب تغليب الرجاء لحديث لا يموتن احدكم الا وهو يحسن الظن بالله . وقد تعرض ابو حامد الغزالي في الاحياء للكشف عن حقيقة الرجاء فذكر ان الامر المحبوب الذي يرتاح القلب بانتظاره لا بد ان تكون له اسباب فان كان انتظاره لاجل حصول اكثر اسبابه فاسم الرجاء عليه صادق وان كان ذلك الانتظار مع انخراط اسبابه واضطرابها فاسم الغرور والحقق عليه اصدق من اسم الرجاء وان لم تكن له اسباب معلومة الوجود ولا معلومة الانتفاء فاسم التمني اصدق على انتظاره لان انتظاره حينئذ من غير سبب يتوقع به الحصول فاذا ن اسم الرجاء انما يصدق على انتظار محبوب تمهدت جميع اسبابه الداخلة تحت اختيار العبد ولم يبق الا ما ليس بداخل تحت اختياره مما يصرف الله به عن عبده القواطع والمفسدات وذلك فضل من الله . ثم قال فالعبد اذا بث بذر الايمان في القلب وسقاه بماء الطاعات وطهره عن شوك الاخلاق الرديئة وانتظر من فضل الله تعالى شتيته على ذلك الى الموت وحسن الخاتمة المفضية الى المغفرة كان رجاءه حقيقيا ممدوحا في نفسه وان قطع عن بذر الايمان تمهده بماء الطاعات وترك القلب مشحونا برذائل الاخلاق منهمكا في طلب لذات الدنيا ثم انتظر المغفرة فانتظاره حق وغرور . قال صلى الله عليه وسلم الاحق من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله الجنة . وفي الحديث الاحق يصيب بحمقه اعظم من فجور الفاجر وقال تعالى (فضلف من بعدهم خلف ورتوا الكتاب ياخذون عرض هذا الاذنى ويقولون سيفقر لنا) وبما تقرر من كلام حجة الاسلام الغزالي من ان الرجاء المحمود انما يحصل بتعاطي اسبابه التي جاء بها الكتاب العزيز والسنة النبوية ينضح وجه جمع البخاري رحمه الله تعالى في باب الرجاء مع الخوف بين حديث الرحمة المقتضي للرجاء والاثر المنقول عن سفيان المقتضي للخوف من عدم تعاطي اسبابه . وصدر بالاثر لتقدم السبب عن المسبب فقال : وقال سفيان : ما في القرآن آية اشد علي من (لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والانجيل وما انزل اليكم من ربكم) اختلف في المراد بسفيان المنقول عنه الاثر فقيل الثوري كما في العيني وقيل ابن عينة كما في القسطلاني وتوقف ابن حجر في المراد منهما . وكلاهما من ائمة الهدى قال في الفتح روى ابن ابي حاتم ان الآية نزلت في سبب خاص لما خرجه بسند حسن عن ابن عباس رضي الله عنهما قال جاء مالك بن الصيف وجماعة من احوار اليهود فقالوا يا محمد الست ترعم انك على ملّة ابراهيم وتؤمن بما في التوراة وتشهد انها حق . قال بلى ولكنكم كنتم منها ما امرتم ببيانها فانا ابرأ مما

أحدثتموه. قالوا ونحن نتمسك بما في أيدينا من الهدى والحق ولا تؤمن بك ولا بما جئت به. فانزل الله الآية الكريمة ارغاماً لهم بأنهم ليسوا على شيء من الحق والهدى حتى يقيموا التوراة والانجيل وما انزل اليهم من ربهم من الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والعمل بشريعته. قال العيني وجه أشدية الآية على سفيان ما فيها من تكليف اهل الكتاب من العمل بكتابتهم واحكام ما انزل على النبي صلى الله عليه وسلم وهذا الحكم وهو وجوب العمل بالشرعية المحمدية كما يتناول اهل الكتاب يتناول المسلمين بالاحرى لنزولها على نبيهم صلى الله عليه وسلم واقامة الكتاب تكون باقامة جميع ما اتى به ولذا قال اشد آية نزلت على الاطلاق ثم قال العيني وقيل اخوف آية نزلت في القرآن العظيم قوله تعالى (من يعمل سوءاً يجز به) قلت وقد خفف وطأنها على رسول الله صلى الله عليه وسلم بفضل ابي بكر الصديق رضي الله عنه بما اخرج الترمذي في سننه عن ابي بكر رضي الله عنه قال كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابا بكر الا اقرئك آية نزلت فقلت بلى يا رسول الله فاقراؤها فلا اعلم الا اني وجدت انفصاما في ظهري حتى تمطأت لها. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مالك يا ابا بكر؟ قلت يا بني انت وامى يا رسول الله وأينالم يعمل سوءاً وأنا لمجزؤن بكل سوء عملناه فقال لا ورحمك الله يا ابا بكر اما انت واصحابك المؤمنون فتجزون على ذلك في الدنيا حتى تلقوا الله ليس عليكم ذنوب فان كل ما اصاب المسلم فهو كفارة له حتى الشوكة يشاكها واما غيركم فيجمع لهم ذلك ويجازون عليه يوم القيامة

واما حديث الباب فرواه البخاري رحمه الله تعالى بسنده عن ابي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ان الله خلق الرحمة يوم خلقها مائة رحمة فامسك عنده تسعا وتسعين رحمة وارسل في خلقه كلهم رحمة واحدة وفي رواية بها يتراحم الخلق حتى ان الفرس لترفع حافرها عن ولدها خشية ان تعيه فلو يعلم الكافر بكل الذي عند الله من الرحمة لم ييأس من الجنة ولو يعلم المؤمن بكل الذي عند الله من العذاب لم يأمن من النار) مناسبة الحديث للترجمة بما اشتمل عليه من الوعد والوعيد المقتضين للخوف والرجاء مع التنويه بشأن رحمة الله وعظمتها المقصودة من الرجاء وهي في الاصل رقة وانعطاف تقتضي الفضل والاحسان ولما كانت بهذا المعنى مستحيلة على الله تعالى اختلف المتكلمون في تأويلها اذا نسبت اليه تعالى فاولها ابو الحسن الاشعري بارادة الاحسان فتكون راجعة لصفة الارادة وهي قديمة باتفاق الاشاعرة والماتوريدية وذهب القاضي ابو بكر البقلاني الى تأويلها بالاحسان فتكون من صفات الافعال وهي حادثة باتفاق لانها عبارة عن التعلق التجيزي للقدرة وهو حادث عندهم وهذا الخلاف فيما لم تقم قرينة تعين الحمل على احد المعنيين والواجب العمل على ما قامت عليه فمما دلت القرينة فيه على الحمل على صفة الفعل حديث الباب لتسلط الخلق عليها ومما قامت فيه القرينة على الحمل على الارادة قوله تعالى (ربنا وسعت كل شيء رحمة

وعلمنا (فهذا ظاهر في الإرادة لان الوسع عبارة عن عموم التعلق وبدل على ذلك ايضا اقترانها بالعلم وان وسع الرحمة كوسع العلم وهذا ظاهر في الإرادة واما ما يتعين فيه مذهب القاضي فقوله تعالى (هذا رحمة من ربي) إشارة الى السد وهو احسان من الله لا ارادة الله القديمة ويحتمل الامرين قوله تعالى (الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم) فيحتمل الرحمن الرحيم انه يريد الاحسان او الاحسان نفسه قال الشهاب القرافي في الفرق السادس والعشرين بعد المائة بعد ما ذكر المذهبين ان مذهب الشيخ الاشعري اقرب من مذهب القاضي رضي الله عنهما وسبب ذلك ان الرحمة التي وضع اللفظ بازائها وهو حقيقة فيها هي رقة الطبع واذا رقت طبعك على انسان فان هذه الرقة في القلب يلزمها امران احدهما ارادة الاحسان اليه والثاني الاحسان نفسه فهما لازمان للركة التي هي حقيقة اللفظ والتعبير بلفظ الملزوم عن اللزوم مجاز عري شائع غير ان ارادة الاحسان الزم للركة فان كل من رحمته واحسنت اليه فقد اردت الاحسان اليه وقد تريد الاحسان وتقتصر قدرتك عن الاحسان اليه فالارادة اكثر لزوما للركة واذا قويت العلاقة كان مجازها ارجح فمجاز الشيخ ارجح لانه الارادة ثم قال القرافي وعلى مذهب الشيخ يخرج ما افتى به ابن يونس من فقهاء المالكية بان الحالف برضى الله ورحمته وسخطه اذا حنث تلزمه كفارة واحدة لانه كرر الحلف بصفة واحدة وهي الارادة واما على قول ابي بكر الباقلاني فلا تلزمه الكفارة لانه حلف بصفة حادثة وينهى عن الحلف بالحادث . وقوله صلى الله عليه وسلم في حديث الباب (فلو يعلم الكافر بكل الذي عند الله من الرحمة لم يياس من الجنة ولو يعلم المؤمن بكل الذي عند الله من العذاب لم يأمن من النار) مثالان من باب الترغيب والترهيب على وزان قوله تعالى (نبئ عبادي اني انا الغفور الرحيم وان عذابي هو العذاب الاليم) اتي بهما على سبيل الغرض والتقدير بدليل لو الامتناعية قال الكرمانى ولو ها هنا لامتناع الجواب لامتناع الشرط على حد قولك لو جئتني لاكرمك فهي في الحديث تدل على انتفاء عدم اياس الكافر من الجنة لعدم علمه بكل الذي عند الله من الرحمة وبذلك يحصل له الاياس من دخول الجنة كما ان المؤمن لا يعلم بكل الذي عند الله من العذاب ويأمن . من النار ثم قال وليست لو لانتفاء الشرط لانتفاء الجواب كما قال به ابن الحاجب وخرج عليه قوله تعالى (لو كان فيهما الهة الا الله لفسدنا) قال ابن هشام في المغني دعاء لذلك ان الآية مسوقة لنفي التعدد في الآلهة بامتناع الفساد لان امتناع الفساد لامتناع تعدد الآلهة لانه خلاف المفهوم من سياق امثال هاته الآية ولانه لا يلزم من انتفاء الآلهة انتفاء الفساد لجواز وقوع ذلك وان لم يكن تعدد في الآلهة لان المراد بالفساد فساد نظام العالم عن حالته وذلك جائز ان يفعله الاله الواحد سبحانه . ووفق سعد الدين التفتزاني بين القولين بان للو استعماليين الدلالة على ان علة انتفاء الثاني في الخارج هي انتفاء الاول من غير التفات الى الاستدلال ولا ان علة العلم بانتفاء الثاني ما هي حتى يرد عليه بحث ابن الحاجب

بل النفي مقرر في ذاته وهذا في اللغة والثاني الاستدلال فيكون العلم بنفي الثاني علة العلم بنفي الاول من غير التفات الى ان علة الانتفاء في الخارج ما هي وهذا اصطلاح المناطقه وعليه الآيه ثم قال السعد فالتبس على ابن الحاجب احد الاستعمالين بالآخر . اهـ قال الشيخ الامير والحق ان الثاني لغوي ايضا كما افاده السيد والا لما اتى عليه القراءن . ونقل الشهاب القرافي عن ابن عصفور استعمالا ثالثا لو هو ان تكون لمجرد الربط كأن وخرج عليه قوله تعلى (لو ان ما في الارض من شجرة اقلام والبحر يمده من بعده سبعة ابحر ما نفدت كلمات الله) وقوله صلى الله عليه وسلم نعم العبد صيب لو لم يخف الله لم يعصه وتسمى لو هذه بالنصيبة والحديث عاها شهير طويل الذيل واحسنه ما نقل عن الشيخ عز الدين ابن عبد السلام ان الشيء الواحد قد يكون له سببان فلا يلزم من عدم احدهما عدمه وكذا هنا الناس في الغالب انما لم يعصوا لاجل الخوف فاذا ذهب الخوف عصوا فاخبر صلى الله عليه وسلم ان صهيبا اجتمع له سببان يمنعه من المصيبة الخوف والاحلال . قال ابن حجر واستشكل التركيب في قوله صلى الله عليه وسلم بكل الذي عند الله من الرحمة بان كلا اذا اضيفت الى الموصول كانت لعموم الاجزاء لا لعموم الافراد والغرض من سياق الحديث تعميم الافراد واجيب بانه وقع في بعض طرقه ان الرحمة قسمت مائة جزء فالتعميم لعموم الاجزاء في الاصل او ان الاجزاء نزلت منزلة الافراد مبالغة في الرحمة قال تعالى (وسعت رحمتي كل شيء) قال العلامة جبار الله وللتبنيه على عظمة رحمة الله تميزت الرحمة عن صفاته الزكية باسمين من اسمائه الحسنى واسم الرحمن خصوصية وهي عدم جواز اطلاقه على غير الذات العلية كاسم الجلالة وقد سمي بمسيلة نفسه برحمن اليمامة عنادا وكفرا فلم يشتهر به واشتهر بمسيلة الكذاب لعنه الله ثم قال والرحمن ابلغ من الرحيم لان زيادة المبني تدل على زيادة المعنى ومما طن اذني من ملح العرب انهم يسمون محملا من محامل الحجاز بالشقذف وهو محمل خفيف ليس في ثقل محامل العراق فقلت لرجل منهم في طريق الطائف ما اسم هذا المحمل مشير الى محمل العراقي فقال ليس اسمه الشقذف فقلت بلى هذا اثقل فقال فاسمه شقذاف فزاد في بناء الاسم لزيادة المسمى . فان قيل اذا كان اسم الرحمن ابلغ من اسم الرحيم فلم قدم في البسملة اسم الرحمن وكان القياس الترتي من الاثني الى الاعلى ؟ قلت يجاب عن هذا بانه لما قال الرحمن فتناول جلال النعم وعظائمها واصولها اردفه باسم الرحيم كالتمعة ليتناول ما خفي ودق منها فهو من باب الحيلة والاستيعاب لدقائق الرحمة . وبما تقرر في الاذهان يظهر وجه التعليق على اسم الرحمن في حديث سيد ولد عدنان كلمتان حبيبتان الى الرحمن خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم .

فضل الاكتساب

ومذمة السؤال

للشارع عناية تامة بالعمل وحث على الاشتغال وترك البطالة ومن اصرح ما جاء في ذلك حديث ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : لان يأخذ احدكم حبله فيحطب فيبيع فيأكل ويتصدق خير له من ان يسأل الناس أعطوه أو منعوه ففي هذا الحديث استنهاض لهمم المؤمنين ان يتصفحوا وجوه الرزق ويتلوهوا اسبابه أيا كان نوعها بلغت مبلغ الشرف والمكانة أم هبطت الى مواطن الضعة والمهانة كان يأخذ من أحواله الضرورة حبلًا يذهب به الى الغابة يجمع الوقود والحطب ويرجع به على ظهره لبيعه ويأكل بثمنه حتى يقيم اود صلبه ويحفظ ماء وجهه من مذلة السؤال والاستجداء خصوصاً وهو لا يعلم ما تقضي اليه مغبة السؤال يعطى فيطمئن خاطره أم يحرم ويرفض طلبه فيندى جبين انسانيته وتتسلم عزة التوحيد التي فطره الله عليها .

وقد امر الله تعالى بالسعي والعمل لاكتساب الرزق ويسر كل انسان لما خلق له وربط الاسباب بمسبباتها وضمن الرزق مع ذلك لكل حي حيث يقول (وما من دابة في الارض الا على الله رزقها) وقال جل شانہ (فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه) .

فالرزق مضمون وطريقه العمل والتشجير والسعي له في طريق التحصيل . قال عمر رضي الله عنه لا يقعد احدكم عن طلب الرزق ويقول اللهم ارزقني فقد علمتم ان السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة وقال لقمان الحكيم لابنه يا بني استغن بالكسب الحلال عن الفقر فانه ما افتقر احد قط الا اصابه ثلاث خصال رقة في دينه وضعف في عقله وزهات في مروءته واعظم من هذه الثلاث استخفاف الناس به

ولا تظن ان الاهتمام بامر المعاش وتحصيل الكسب قد يلبس الانسان عن امر آخرته ويشغله عن عبادة ربه حق عبادته فان العاقل الكيس من جمع بين الحسنيين ووفق بين العاملين فيكون عمله لمعاشه ذريعة لمعاداة والاعمال بالنيات كما جاء في حديث سيد الكائنات .

واعلم ان الناس ثلاثة رجل شغله معاشه عن معاداة فهو من الهالكين ورجل شغله معاداة عن معاشه فهو من الفائزين ولا يقوى عليه الا عباد الله المخلصون والا قرب الى الاعتدال هو الثالث الذي شغله معاشه لمعاداة فهو من المقتصدين بحيث لم يجعل الدنيا كل همه ولكنه استعملها مطية لآخره وهو من تأدب في طلبها بأداب الشريعة ووقف عند الحدود المسنونة الصحيحة .

واعلم ان طرق المعاش والكسب مفتوحة في وجه المسلم فعليه بتعاطي ما يتسر له منها ولا يركن الى البطالة ويكون من هؤلاء الكسالى العجزة الذين اصبحوا عالة على المجتمع الانساني وسبة الصقت به حيث آثروا الراحة على العمل والقعود على الكسب الحلال يتجولون في الطرقات يباؤون الناس الخافا مخلدن الى الضعة والمسكنة فعملهم هذا الى التحيل اقرب منه الى التسول وطلب النوال .

وان الارض مع اتساع رقعتها وكثرة الاعمال التي عليها لم تضق بان يعنى كل امريء من هؤلاء بعمل يكون فيه مرتزقه ومنه مورده اللهم الا ان يكون عاجزا لا توايه صحته فان هذا يستحق الرحمة والاحسان

واصول المكاسب كما قال الماوردي الزراعة والتجارة والصناعة وهل التجارة اطيب كما هو مذهب الشافعي او الزراعة اطيب لانها اقرب الى التوكل هو اختيار القسطلاني . وفي صحيح البخاري عن المقدم بن معديكرب عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : ما أكل أحد طعاما قط خيرا من ان يأكل من عمل يده فالصواب ما نص عليه الرسول صلى الله عليه وسلم وهو عمل اليد فان كان زراعا فهو اطيب المكاسب وافضلها لانه عمل بيده ولان فيه توكلا ولان فيه نفعا عاما للمسلمين والدواب وقال في الروضة حديث المقدم هذا صريح في ترجيح الزراعة والصناعة لكونهما من عمل يده ولكن الزراعة افضلها لعموم النفع بها للاآدمي وغيره وعموم الحاجة اليها .

وان هذا الدين الحنيف ليحض على العمل ويحث على الجد ولو مع سعة وغنية .

فان نبي الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده فقد كاف عليه السلام بعمل الدروع الحربية لياكل من ثمنها وذلك مع اتساع ملكه الى ابعاد حد وتسخير الجبال والطير له وحسبك قوله جل من قائل (يا داود انا جعلناك خليفة في الارض) ومع هذا الملك الواسع والسلطان العريض لم ينزع الى الراحة وكان في مكنته ان ينال من مشتهيات نفسه عيشا رغدا بلا شقاء ولا تعب .

بل كان جميع الانبياء يعملون لكسب رزقهم .

وكان اصحاب رسول الله (صلعم) يتجرون في البحر والبر ويعملون في نخيلهم والمقدوة بهم ولو تتبعث الآثار والاعبار في هذا الباب لوجدتها اكثر من ان تحصي من ذلك ما رواه احمد من حديث رافع بن خديج قيل يا رسول الله اي الكسب اطيب قال عمل الرجل بيده وكل عمل مبرور (وما رواه احمد ايضا من حديث ابي هريرة (خير الكسب كسب العامل اذا نصح) وسئل ابراهيم عن التاجر الصدوق اهو احب اليك ام المتفرغ للعبادة فقال (التاجر الصدوق احب الي لانه في جهاد ياتيه الشيطان من طريق المكيال والميزان ومن قبل الاخذ والعطاء فيجاهده) كما ورد في ذم السؤال واستجداء الناس ما لا يحصى كثرة من الاخبار والآثار من ذلك ما رواه الترمذي من حديث ابي كبشة الانماري (ولا فتح عبد باب مسألة الا فتح الله عليه باب فقر) وقال حديث

حسن صحيح وفي الخبر ان الله يحب المؤمن المحترف وقال ابن مسعود رضي الله عنه اني لأكره ان أرى الرجل فارغا لا في امر دنياه ولا في امر آخرته وقال الهيثم ربما يبلغني عن الرجل يقع في فاذكر استغنائي عنه فيكون ذلك علي . وقال ايوب كسب فيه شيء احب الي من سؤال الناس وقال معاذ ابن جبل رضي الله عنه (ينادي مناد يوم القيامة اين بغضاء الله في ارضه فيقوم سؤال المساجد) فهذه مذمة الشرع للسؤال والاتكال على كفاية الاغيار ولا ينجيك من ذلك الا الكسب والعمل والاتجار واعلم ان المدنية الاسلامية تستثير الهمم نحو العمل لتبقي على المسلم عزته وكرامته التي فطره الله عليها والله العزة لرسوله وللمؤمنين والعزة لا تكون بالاستجداء والكسل بل بالجد والعمل والله تعالى خلق الخلق للحياة والعمل وامرهم بالسير في الارض والسعي فيها وعمارها بما استطاعوا من قوة وما وهبهم من علم وحكمة ومن فهم ان مجرد الايمان كاف في تحقيق معنى العزة بدون عمل وجد متواصل فلم يدرك سنن الله الكونية ولم ينق سر الاسلام قال تعالى اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله وليس العمل في الاسلام قاصرا على التعبد واقامة الشعائر وليس العمل الديني هو عمل الانسان لنفسه وحدها فليس القصد ان نكتفي بصلاة وتسيح انما امرنا بالعمل لربنا نعبده ولديننا نصره ولاهلنا نصلمهم ولامتنا نخدمها باستخدام قوانا الفكرية والبدنية في كل ما فيه نفع المجموع وان نستخرج خيرات الارض التي سخرها لنا ، فعملنا لا يكون في المسجد وحده بل في المسجد والمصنع والمكتب والعمل وكل مسلم يستطيع ان يعبد ربه وهو في وظيفته او صنعته متى راقب ربه قبل ان يراقب رؤساء وادى واجبه كاملا مخلصا محسنا فيه والله كتب الاحسان على كل شيء واقل محترف يخشى الله في حرفته فلا يهمل فيها ولا يغش لا يقل ثوابا عن عابد مبتلي ، روي ان النبي (صلم) كان جالسا مع اصحابه يوما فنظروا الى شاب ذي جلد وقوة وقد بكر يسعى فقالوا : ويح هذا لو كان شبابه وجلده في سبيل الله فقال النبي (صلم) لا تقولوا هذا فانه ان كان يسعى على نفسه ليكفيها عن المسالة ويغنيها عن الناس فهو في سبيل الله وان كان يسعى على ابوين ضعيفين او ذرية ضعاف ليغنيهم ويكفيهم فهو في سبيل الله وان كان يسعى تفاخرا وتكاثرا فهو في سبيل الشيطان .

وان في حياة رسول الله لادلة محسوسة على فضل العمل فلقد رعى الغنم في شبابه واشتغل بالتجارة وسافر وتقل وهو دون العشرين وقد بلغ من تمجيد الاسلام للعمل ان رسول الله (صلم) لما هاجر من مكة الى المدينة وكانت الهجرة وقتشد افضل الاعمال واعظمها اجرا جاءه قوم يبأيونه على الهجرة بعد ان فتح مكة فقال الا لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد و عمل اي جهاد النفس وجهاد الشهوات والذائل والمنكرات و عمل ينفع الاهل والدين فما بال الناس اخلدوا الى الراحة واطمأنوا للخمول ولا يستمعون لقول الرسول (الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والاحق من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله الاماني)

الفتاوى والفتاوى

الشهادة في الوقف بالتسامع

نقل العلامة المنعم الشيخ الشاذلي ابن القاضي في كتابه تنقيح الفتاوى التونسية عن شيخه شيخ الاسلام في عصره الشيخ احمد كريم في مسألة الشهادة في الوقف بالتسامع ما نصه :

لا بد من تحرير امرين فيها - الاول ان يكون المشهود به الوقف بسند السماع لا السماع بانه وقف وكثيرا ما ترد الوثائق السماعية بهذا الوجه . وذلك ان غالب الموثقين في عصرنا يكتبون شهوده يشهدون بانهم لا زالوا يسمعون سماعا قاشيا مستقيضا على السنة الثقات من اهل العدل وغيرهم بان كذا وكذا (اي من الربع او العقار) وقف على كذا وكذا (اي فلان وفلانة الخ) وقد سمعت من بعض العصريين انه يكفي بذلك لحمل الباء الاولى على السببية والثانية على التعدية ولا يخفى ما في ذلك من الاجمال لقيام الاحتمال .

الامر الثاني التفرقة بين الشرائط المصححة لاصل الوقف والزائدة على ذلك فمرادهم باصل الوقف في قولهم ان الشهادة بالتسامع يثبت بها اصل الوقف لاشراطه كل ما يتوقف عليه اصل الوقف فتقبل فيه تلك الشهادة وما زاد على ذلك كاشتراط الواقف شروطا في وقفه كقوله للذكر مثل حظ الانثيين طبقة بعد طبقة ومن مات عن فرع قام فرعه مقامه الى غير ذلك فلا تقبل فيه تلك الشهادة بل ولا في اصل الوقف ان تضمنت ذلك كما هو بين واما بيان المصرف في الجملة فهو من اصل الوقف فنتبه وفي الحاوي للزاهدي في فصل الشهادة بالتسامع من كتاب الوقف تفصيل حسن ونصه :

لكن هنا تفصيل وذلك ان عمر الشاهد ان كان انقص من مدة الوقف فالحكم هكذا وان

ان الدعوة الى التواصل والخلود الى الراحة وترك السعي كانت هي السبب المباشر في التأخر والانحطاط وكرة العمل واحتقار الحرف وعدم تقدير المهن كل ذلك أوجب ما نحن فيه من الفقر والمهانة وليس ذلك من الاسلام في شيء بل ان هذا الدين لا يكفي بالحض على العمل وإباحة طيبات الحياة بل يبيح التجميل والتزين فيقول قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة . ويقول يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وبعد فما اجل هذا الدين وما اقبح الجهلة المنتطعين ورحمة الله على امرئ اخذ دينه من المنبع الصافي كتاب الله وسنة نبيه والسلام على من اتبع الهدى وتمسك بالعروة الوثقى .

محمد الهادي ابن القاضي

كان أزيد منها أو مساويا لها فانما تقبل اذا لم يفسر شهادته بالتسامع، وكذا اذا كانت الدعوى بين وقفين حجة كل منهما مغايرة للآخر وشهدوا على الاصل . ولو شهدوا بالتسامع على شرط الوقف ان كان مذكورا حقيقة لا تقبل اجماعا لانه لا يشتهر كما يشتهر اصله وان كان مذكورا معنى بان وقف على ابناء فلان او بناته فانه في المعنى شرط صرف غلته الى ابنائه دون بناته او بناته دون ابنائه لا تقبل عند البعض لانها على الشرط وتقبل عند البعض لانها على الاصل والشرط المتضمن فيه لا يكون معتبرا وهو الصحيح اه كلام الزاهدي في الحاوي . وهذا من الحسن بمكان وبه تنقطع مادة الاقتعال بقدر الامكان اه كلام الشيخ احمد كريم وعلق عليه ناقله الشيخ الشاذلي ابن القاضي بما نصه : وانا اقول ذكر خير الدين الرملي في كتاب الشهادات من الفتاوى الحيرية في ضمن سؤال طويل انه اذا شهدا بانهما سمعا سمعا مستقيضا واخبرهما الثقات وغيرهم ممن لا يمكن تواطؤهم على الكذب ان هذا المحدود وقف فلان فهل بهذه الشهادة يثبت الوقف او لا يثبت لكونهم شهدوا بانهم سمعوا انه وقف ولم يشهدوا بانه وقف لانهم سمعوا ؟

واجاب بانه لا يثبت الوقف بهذه الشهادة بلا شبهة باجماع علمائنا لانها ليست بشهادة على الوقف بالسمع وانما هي شهادة على السماع بالوقف والشهادة على الوقف بالسمع ان يقول الشاهد اشهد به لاني سمعت من الناس او بسبب اني سمعت من الناس ونحوه . اه كلام الحيرية . وبه يتايد ما ذكره شيخنا من الامر الاول .

وقد نقل لي شيخنا العلامة الشيخ سيدي حسن عباس الملقى الحنفي : ان الذي كان يحمل الباء الاولى - في كلام الموثقين - على السببية والثانية على التعدية هو شيخ الاسلام شيخنا العلامة سيدي محمد معاوية رحمه الله تعالى ، قال وقد انفصلنا في المجلس الشرعي بدار الشريعة مع شيخ الاسلام سيدي احمد بن الحوجه وكاهيه (في عصره) الشيخ سيدي احمد كريم والشيخ الملقى سيدي محمد البارودي والشيخ سيدي محمد بيرم القاضي الحنفي على ان الوثائق القديمة المطبوعة اذا احتج بها وكان الشاهدان شهدا بالسمع انه وقف قبلها حملا على ما قاله شيخ الاسلام سيدي محمد معاوية للاضطرار الى قبولها . واما الوثائق الجديدة التي تقام عن إذن واحد من المجلس فلا قبلها الا اذا شهد الشاهدان بانه وقف بسبب السماع . اه كلام الشيخ حسن عباس رحمه الله ثم اعلم ان الشهادة بالتسامع هي حجة عندنا معاشر الحنفية يفتك بها من يد الحائز وهو المدعى عليه الذي يدعي ان المدعى في حوزة وتصرفه . قال شيخ الاسلام البيروني الثاني في رسالته التي في الخط :

قال في البرازية ولما احتيج في الوقف الى ان يكون باقيا الى ممر الاعصار جوز الشهادة بالتسامع اه كلام البرازية فقلوه : ولما احتيج في الوقف الى ان يكون باقيا جوز الشهادة بالتسامع فيه دليل على ان شهادة السماع يتنزع بها من يد الحائز عندنا . اه كلامه رحمه الله . والله الموفق للصواب

التاريخ

صفحة من تاريخ تونس

عادة تقبيل اليد

بلقم العلامة المؤرخ امير الامراء سيدي
محمد بن الخوجه مستشار الحكومة التونسية

كان المسلمون في القرون الاولى يحيون بعضهم بعضا بالمصافحة الواردة في السنة النبوية وهي ان يعقد المتصافحان يمينيهما واحدة مع الاخرى كأنهما يتعاهدان على الصفاء والوفاء وهناك ساعة المغفرة التي يدعو بها المسلم لآخيه والله ولي القبول، وجوزوا تقبيل اليد عند البيعة فان عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه كان من الستة الذين رجحهم عمر للخلافة لما احس بحضور اجله ليختاروا فيما بينهم واحدا منهم ليكون خليفة للمسلمين بعده فلما التحق عمر بربه تقدم عبد الرحمن لاصحابه المرشحين للخلافة معه وقال لهم ما معناه ان الخليفة واحد ونحن ستة فليتنازل منا ثلاثة لفائدة الثلاثة الباقيين ليسهل الاختيار وكان وجوه الصحابة واقفين بالباب فتنازل ثلاثة حسب اشارته لفائدة الآخرين وهم عثمان وعلي وعبد الرحمن نفسه واذ ذاك قال عبد الرحمن لاصحابه انا ايضا غير قابل للخلافة ثم سارر عثمان بقوله اذا اخترت لها عليا فهل انت مبايع له فاجابه عثمان نعم وقال بعد ذلك سرا علي اذا اخترت لها عثماناً فهل انت مبايع له فاجاب علي نعم وعندها التفقت عبد الرحمن لعثمان وقال له ابسط يدك لاباعك ياعثمان وتقدم نحوه وباعه واقتدى به علي فوجوه الصحابة الحاضرين وتمت بذلك التدبير الحكيم ببيعة عثمان بن عفان رضي الله عنه وعن الصحابة اجمعين (١)

ولما اصبحت مملكة الاسلام متلاوحة الاطراف بكثرة الفتوح اختلط المسلمون بسكان البلاد التي خضعت لحكمهم واقتبسوا من اخلاقهم واوضاعهم الشيء الكثير وتدرجهم في مدارج الحضارة والترف والبذخ كانوا يتباعدون شيئاً فشيئاً عن سيرة السلف الصالح لان الحضارة جعلتهم بحكم الضرورة طبقات طبقة العلماء وطبقة سراة الامة وطبقة العامة والله فضل بعضكم على بعض ومن مزالق

(١) حكيت هذه الواقعة ذات يوم للعلامة الاستاذ شارليقي مدير المعارف بتونس سابقاً ثم قيدهم مشيخة العلوم بباريس فاعجب بكذاء عبد الرحمن بن عوف وقال ان هذا التدبير الحكيم لو حصل في الزمن الحاضر لعد الناس صاحبه من اعظم اهل السياسة واقدروهم على حل المشاكل الخطيرة

الحضارة عجب الانسان بنفسه وحبه الامارة ولو على الحجارة كما في المثل المعروف وكان لبلاد فارس ذات التمدن القديم بعد دخولها في الاسلام التأثير العميق في اخلاق العرب وهم نشؤوا على الفطرة والبساطة وفي الحديث يولد المرء على الفطرة فأبواه يمجسانه

ومعلوم ان الناس طبقات كما قدما واهل الرعي الاول في هذا المقام هم الامراء والوزراء واهل العلم . والشرع لا يمنع تقبيل اليد في احوال ثلاثة يد الملك العادل ويد العالم العامل من تليذه ويد الوالد من ولده ولكن هذه المستثنيات تناولها التدليس بتطاول ايدي غيرهم وبسطها للتقبيل وعمت هذه العادة بلادنا في القرون الاخيرة فصار تقبيل اليد حقا على التابع نحو متبوعه وصار المأمور الكبير لا يتحاشى عن بسط يده للمأمورين الذين حوله وهؤلاء بدورهم يقبل ايديهم من حولهم من اهل قرايتهم ومن لفيف الناس الذين تدعوهم الحاجة للاختلاط بهم وبلغ الحال بعض الوزراء خلال القرن الماضي لقبول تقبيل يده من عموم مأموري وزارته كل صباح كانه ولي الامر بالذات وبهذا الصنيع اقتضى عموم المتوظفين مكان لكل مأمور مخزني قسم من الاعوان وكثير من العامة لا يخافون عن تقبيل يده اينما كان ولو في الطريق والعامة يتبعون بعضهم بعضا ان خيرا فخير وان شرا فشر ناهيك ان كبير الحصيان بالسلطان او بدار الوزير كان في الزمن الماضي يجلس بدورة صباح كل يوم على كرسي بسقيف سراية سيده فيأتي لتقبيل يده بقية الطواشي و زمرة العبيد الملاحقين بخدمة المكان (١) .

(١) هؤلاء الحصيان كان لهم شان في عهد الدور القديم فلقد وقع بيدي امر صدر من الخصي سرور واغة الخرنادر على عهد المولى محمود باي في ولاية عريفة بدار المبعدين المحكوم عليهم بالنفي وعبارة هذا الامر تضحك الثكلى لذلك اثيرت قلها هنا بحروفها تفكهة للقراء واتعاما للمقصود مما نحن بصدده قال الخصي المشار اليه :

الحمد لله كتبنا امرنا هذا على بركة الله تعالى وحسن عونه وتوفيقه بيد سي (كذا) سعادة عتيقة محبنا الحاج عثمان اتنا اوليناها على بركة الله تعالى وحسن عونه وتوفيقه عريفة دار نقي لتنتظر على ذكورها واناثها وكبارها وصغارها كلهما لنظرهما (كذا) من جميع امورهما وشؤونهما وكافة اسبابهما (كذا) العريفة كذلك العادية وكل ذلك فضلا منا اليها كتفضل سيدنا علينا بامرنا المطاع الواجب اليه الاتباع فعلى الواقف على امرنا هذا ان يعمل بمقتضاة ولا يخالف سبيله ورفعا يد من كانت قبلها وبحرمتها وعدم الجسارة عليه (كذا) ولا تقاس بما يقاس به غيرها والسلام من الفقير الى ربه الغني سرور واغا خرنادر عني الله عنه امين في ١ اشرف الزيعين ١٢٣٦ هـ بحروفه وتحريفه مذيلا بطابعه

هذا وبقدر تداعي هيكل الاخلاق الفاضلة بين الناس تكثر يومئذ تقشي النقائص والعيوب في الاوساط التونسية فكان اغلب الناس لا يشعر لا تغتفر في نظر الشرع بل وفي ظر اهل الاذواق السلية ايضا وكان من حسن الحظ وزهاء الطالع انتباه المشير محمد الصادق باي لتلك الحالة نسعى لتداركها اثر صعوده للعرش الحسيني وجعل ترتيبا لضبط قواعد التحية بين اهل الدولة وبين الناس وحصر التحية بتقبيل اليد في شخص الامير الجالس على الكرسي الحسيني ومما تضمنه هذا الترتيب قوله : ان التحية بتقبيل اليد للتعظيم من خواص الملوك عرفا وقد توسع الناس فيها مع النوا وغيرهم من رجال دولتنا توسعا ادى الى سئامة وتعطيل وغير ذلك فحجونا ذلك عن غير المذكور بن اعلاء (هم الملك وولي العهد حال خروجه بالمحلة والوالد من ولده) كائنا من كان تحجيرا بحكما ولا عذر بعد هذا المنع لمن خالفه بمديدة للتقبيل او قبل يد غيره واجلال اصحاب الرتب والمناصب ومعرفة الادنى بحقوق من فوقه باق على حاله والآداب الانسانية لا تمس هذا الامر بل يزيد بها قوة اهـ

ولما صدر هذا الترتيب عزم سمو الباي نشره بتونس وبالأفاق وحذر العمال من مخالفته لما اشتهر وان بعض عمال البوادي كانوا يقبلون من منظوريهم ليس تقبيل ايديهم فقط بل وحتى ارجلهم وبعث سموه بنص هذا الترتيب لاهل المجلس الشرعي لاجراء العمل بمقتضاها في دار الشريعة (١) واكد الوصاية لمشايخ المدينة والرياضين بان يسهروا على تنفيذها بين الناس (٢) الا ان الناس انتبهوا رغم ذلك من سباتهم العميق بفضل الاصلاحات الصادقية الكثيرة

التي منها تاسيس المدرسة الصادقية وضبط احوال التعليم بجامع الزيتونة على يد المصلح الكبير الوزير

(١) لما اتصل اهل المجلس الشرعي بالامر العلي القاضي بمنع تقبيل اليد قرؤوه وتبدروا معانيه واجابوا عنه سمو الباي بلسان شيخ الاسلام بالمكتوب الآتي نص عبارته :

الدولة الشاهجة الصادقية المحمدية العريق في الملك اصلها الكامل بغايات المفاخر وصلها المنتشر ذكرها المرفوع قدرها لا زالت بالنصر محفوفة وبجميع المحاسن موصوفة اما بعد سلام يؤدي به من التعظيم واجبا ويكافي مالها من الرفعة ويناسبها فالمنهي الى الحضرة السامية انه اجتمع بدار الشريعة اهل مجلسها لتلقي الكتاب الملكي المتعلق بقانون التحية ومقابلته بما يتعين من الاطلاع المصحوب بالاجلال اولوالا الامتثال له والعمل به ثانيا ووقعت الاحاطة بمضمونه والتواصي بالجري على ما امر به واشاعته والله تعالى نسال ان يقي مولانا في سماء المعالي بدرا طالعا وفي أفق المكارم فجرا ساطعا والاسلام من الداعي لمولانا الفقير الى رحمة ربه محمد بيرم لطف الله تعالى به وكتب في غرة ذي الحجة من عام ١٢٧٦ اهـ

(٢) سمعت من بعض نقاة المعمرين الماضين ان الاناث من العبيد المستخدمات بمطبخ بعض الاكابر من اهل المغرن كن يقبلن يد سيدتهن يوم العيد ويقبان عضائد باب بيتها في بقية ايام العام فعوذ بالله من هذا الجهل المركب .

خير الدين بحيث صار تقبيل اليد مما لا يتجاهر به عشاقه ولا يقبلونه ممن دونهم الا في خفاء . بقي بمحفوظي ان المؤدب الذي كان يعلمنا القرآن بالمدرسة الصادقية لما يتقدم له التلاميذ لتقبيل يده يبسطها لهم ويقول لهم في ان واحد السماح السماح مكررا تبرئة لذمته من لوم متوقع واتفق ذات يوم ان الوزير محمد خزندار (١) فتح بابه لقبول التهانى بعيد الفطر فوفد عليه الموظفون والاعيان وكان في جلستهم المرحوم السيد حسن ابن القائد احمد (٢) فلما دخل بسقيف الدار الوزيرية تلقاه معين الوزير وبر به واجلسه بقاعة الانتظار ودخل بعده زائر اخر من اعيان التونسيين ففعل المعين معه كذلك واجلسه حذوة وجاء ثالث ورابع فتلقاهما كذلك بالرحب والقبول فاعجب السيد حسن بكمال تربية المعين المشار اليه وسأل جليسه من هو هذا الرجل الحسن التربية فاجابه صاحبه بقوله هو فلان وهو مستكمل الصفات الحسنة كما قلتم لا يعتوره الا كونه ليس اصيل الحاضرة التونسية فابتدرة السيد حسن هازئا به وقائلا له نعم انه ليس له عراقه في المجد التونسي كحضرة الوزير الذي جئتم لتقبيل يده فبهت الذي كفر .

ويلوح ان تقبيل اليد ما زال امرة في تقاصر الى هذا الزمان لان الخاصة وهم اهل العلم واهل المخزن أعرضوا عنه في غير الاحوال الاستثنائية والعامة لا مبدأ لهم الالهم الا التطور السريع والاقضاء بالخاصة اما ترى ان اهل الشبيبة من طبقة العامة صاروا يتجولون بالطرقات مكشوفي الرؤوس اقتداء ببناء سراة الامة بحيث يعسر عليك التمييز اليوم بين الشاب المسلم وبين الشاب الاروباوي او الشاب اليهودي

بقيت حالة وحيدة في تقبيل اليد ليس في وسع القانون جررها للخضوع والخنوع لحكمه وهي حالة تقبيل يد المحبوب من حبيبه فهذه الحالة الشاذة خاضعة فقط لسلطان الوجدان والوجدان من اعمال القلوب والقلب احد الاصغرين والاخر هو ترجمانه واستغفر الله لي ولصاحب المجاة ولقراءها الاكرمين وتعميم الدعاء من مظنات الاجابة والحمد لله بدءا ونهاية محمد بن الحوجه

(١) اصله يوناني من جزيرة ساقص حيء به صغير السن من مسقط راسه فامتلكه الوزير شاكير صاحب الطابع واحسن تربيته ولم يلبث حتى ظهرت نجابته وصدقه واماته فاخذ يتدرج في مدارج المعالي بالبلاط الملوكي على عهد المولى حسين باي الثاني واخلافه بكرسي الملك الى ان بلغ لدرجة الوزارة فاشتر كل الوزارات واحدة بعد الاخرى عدا وزارة القلم واشتهر بلقب خزندار اكتسابا من سيده شاكير لا مباشرة لهذه الحطة وكان من اهل الجدة والكد والعمل حسن السلوك ثقة امينا في تصرفاته اكتفت به الدولة في سفارات عدة شرقا وغربا تشرف بمصاهرة مال البيت اهل النسب الزكي واوصى دفنه في مقابرهم توفي رحمه الله سنة ١٣٠٦ بعد ان باشر الخدمة في ست دول حسينية وتولى الوزارة الكبرى مرتين .

(٢) اصله من البيوت العربية في المجد بالجزائر مسقط راسه وفيها تزوج بابنة الداوي مصطفى باشا وهزته ارباح الاقدار لتونس في اواخر الدولة الصادقية ولم يلبث حتى انخرط في سلك متوظفها الى ان صار وكيل لادواقف المدرسة الصادقية في سنة ١٣٠٣ ثم عاملا على حلق الوادي في سنة ١٣١٠ وكان رحمه الله سيدا كريما شهما هاما ابي النفس صادق اللهجة يجهر بالقول ولا يخشى ملامة توفي عن نحو ثمانين سنة خلال عام ١٣١٤ .

القضاة الشرعيون

في القديم

بقلم العلامة النحرير صاحب الفضيلة
الشيخ سيدي محمد البشير النيفر المفتي المالكي

النفطي

هو ابو عبد الله محمد بن خلف الله النفطي ولي قضاء الجماعة بعد ابن عبد الرافع . قال الزركشي في تاريخه (صحيفة ٨٨) : وفي السنة المذكورة (٧٦٦) مات قاضي الجماعة الفقيه عمر بن عبد الرافع فوق الكلام في مجلس السلطان في تقديم قاض وحضر المجلس امام الجامع الشيخ ابن عرفة وقال بعض الناس جرب العادة ان قاضي الانكحة يولى القضاء وكان اذ ذاك قاضي الانكحة الشيخ ابن حيدرة فقال الشيخ ابن عرفة : الله يوفق الناس في خلقه فالاولى تقديم ابن القطان من اهل سوسة وقال السلطان : ما ناتي به من القرى حتى تكون تونس قد خلت ممن يصلح وامر بتقديم محمد بن خلف الله النفطي اه .

ويظهر ان السلطان قال هذه الكلمة لتخف بها كلفة ميزان ابن القطان التي كان الشيخ ابن عرفة يعمل بالنية الصالحة لترجيحها ، وانما وقع اختيار السلطان على ابن خلف الله النفطي ليدعده حفظها له .

قال الزركشي في تاريخه (صحيفة ٨٨) :- وكان « اي ابن خلف الله » قد نزع اليه « أي الى السلطان » من بلدة نقطة مغاضبا لمقدمها عبد الله بن علي بن الخلف فرعى له السلطان نزوعه اليه ثم ولاية قود العساكر الى الجريد وحرهم فكان له فيها غناء واستد بعده مرات بجباياتهم يبعثون بها الى السلطان ومرات بمصانعة العرب على الارجاف بعسكرة اه .

وفي هذا من العبرة ان من اهل العلم في القرون الخالية من تستكفي به الحكومة في مهمات شئونها السياسية ، وبهذا كان لصاحب الترجمة المكاتبة من قلب السلطان ، حتى اذكى ذلك نار العداوة في قلب الحاجب احمد بن ابراهيم المالقي لصاحب الترجمة وترى به الدوائر حتى قتله خنقا في محبسه قال الزركشي في تاريخه « صحيفة ٨٩ » : وكان ابن المالقي يغص بمكانه « اي ابن خلف الله » عند السلطان ولم يزل في نفسه منه الى ان هلك السلطان وتقبض عليه كما سيذكر اه .

وقال عند الكلام على دولة الامير خالد ابن الامير ابراهيم الذي بويع في رجب سنة ٧٧٠ « صحيفة ٩٠ » ما نصه : واستبد عليه « اي الامير خالد » منصور عتيقه وابن المالقي فلم يكن له

الادب

القصيدة التي قالها الاديب الفاضل الشيخ محمد المقداد الورتاني في تهنئة الامير عند حلوله بقصر
مرناق عام ١٣٤٧ وبالمولد الشريف في فصل الربيع .

روض له تتزايد الاشواق	حث الخطى ان المني مرناق
يعلو سناه السيق الخفاق	اين الامير يحل في قصر الهنا
والراية الحمراء والاشراق	فكأنما الباشا بقصر هنائه
من فوقه فبارك الخلاق	بدر بهالته ونجم طالع
وذووا المكارم بشرهم سباق	ان جئته سبق المكارم بشرة
يا حبذا الاخلاق والاعراق	ملك شريف والوزير قبيله
في تونس ولها التقى مصداق	ذي دولة الاشراف ابرك دولة
او حدثت بنظيره الآفاق	ما ان توفى ذا بتونس سابقا
ونبوغها او يدعيه عراق	فالشام لا تعلق فضائل تونس

حكم عليهما وكان اول ما افتحجا به امرهما ان تقبضا على قاضي الجماعة حيثنذ محمد بن خلف الله من
طبقة الفقهاء لماكان في نفس المالقي منه واودعاه السجن مع محمد بن رافع المتقدم الذكر ثم ان المالقي
بعث اليهما من داخلهما في الفرار من الاعتقال حتى دبره معه وظهر على امرهما فقتلتهما في محبسهما
ختقاه وعند الله تجتمع الخصوم والله عزيز ذو انتقام وولي بعد الشهيد ابن خلف الله النفطي .

ابن حيدرلة

وهو قاضي الانكحة ابو العباس احمد بن محمد بن قاسم بن محمد بن حيدرلة وصفه الزركشي
بالفقيه العالم الحافظ وقال في شأنه الشيخ بابا في نيل الابتهاج ما نصه : الامام الحافظ احد الاوتاد
بتونس معاصر لابن عرفة وقع بينهما نزاع في مسائل اخذ عن ابن السلام وغيره قال تلميذه ابو
الطيب بن علوان : سيدنا الامام العلامة قاضي الجماعة الحافظ لمذهب مالك من التبديل والتحريف
فارس علم التجريح والتعديل القائم على الاحكام المحررة اه ومن هذه التحلية يستفاد انه كان محدثا
فقيها توفي « على ما في تاريخ الزركشي » آخر شهر ربيع الانور سنة ٧٧٨ ودفن في الزلاج .

(يتبع)

انى لهم عزمات احمد باينا تخشى شدائد بأسه الطراق
ملك كما بدر السما بروجه متنقل رحالة افاق
فشتاؤه قصر الاسود بحمة قصر الهنا لربيعه مشتاق
في مايه شهر الزهور ونفحها مرسى الظريف لصيفه تواق
فيها قصور التاج والصفصاف وال بحر الذي لنسيمه استنشاق
ان حل في احد الثلاث اناره وسواه ان غاب الامير محاق
فتراه من فرط الاسى متخشعا واتابه ما لا يطاق فراق
واذا الامير يعود يسم ثغره وتقام في افراحه الاجواق
وتسابق السكان يسدون الهنا وتطاولت لقدمه الاعناق



فاسرع لمرنانك بباب علاوة فلنحوه سير الرفاق سباق
وبرادس قف وانظر الفحص النظيد ر عليه من حلل الجمال رواق
يغريك بالتعريس في تلك الربى الحسن والاشراف والايانق
وامرر بقنطرة ليحيى من بني حفص بناها العطف والارفاق (١)
غاصت دعائهما بمليان وما في غيرها سبع القرون تهاق
وطريق سعد بعدها فال لما يرجى واحمد للرجا حقا
فاذا وصلت القصر صل تشكرا في مسجد تأسيسه ميثاق
وهنا بلغت القصد فالثم راحة منها ينال الامن والاعلاق



فالجنود حول قصره متحفز ما دمدت برعودها الابواق
فمتى نواوا للحرب ليلا غارة طارت لتصبح العدة عتاق
ان شتها للسبق فهي بروقه او للحاق كما علمت براق
ربطت حياض الخيل في اسطبله وبروزها في عرضها افراق
نبتت بورتان قوائم سبقها وشرابها سراط او ملاق
منها المدنس والكميت واشقر او اشهب او ادهم دعاق
فهي النور شقائق وسلافة وصحائف والعنبر العباق

(١) قنطرة وادي مليان برادس بناها ابو زكريا يحيى الحفصي باني جامع القصبه في واسط
النصف الاول من القرن السابع بمال وحده في متروك متسول .

او اخضر كالسفال حباله
 وأحم ممزوج السواد بصفرة
 وارش من نقط القطاة اهابه
 او ازرق كاللاوتراي صفيها
 او اغبر من خلف احوى سابق
 او اصفر والعرف ليل اوضيا
 وترى الحماري كالسراب مضيبا
 ومن النواذر مثل افرس محسن
 لله هاتيك الحيات متونها
 واميرنا راس الفوارس ان علا
 بثلاثة ويمينه اطلاق
 عبد الحبوش الى الملوك يساق
 لكنه من قبلها حلاق
 وصيله عند اللقآ بعاق
 سرحان عمرة فر منه عناق
 يعزى لقوم جدهم اسحاق (١)
 فمشيه زمن الشباب مذاق
 يلقى هناك الابلسق اللقلاق
 عز وراكها بها طراق
 صهواتها فهو الكمي المزاق



فانظر لنبي القرنين شرقا حارسا
 والغاب غربا والربى بجنوبه
 فكان ذا القرنين يعرض حيشه
 لا يرتضى الوقواق من اتباعه
 بحر من الشجر المبارك زاخرا
 عجا لبحر وهو ظل وارف
 والطير فيه بلابل وقواخت
 ففخارها بصفيها وتقوقها
 فتبايت لغة ولونا مثلما
 والروض يبدو منه سرو شاهق
 من طول قامته وقصر ثيابه
 خزنوبه خضر القباب وظله
 ياتين اوزرة وقك ظلاله
 من نوعه لون فزيد نسبة
 او صقلبي في سواد قميصه
 والتونسي الفاقع الازكي شفا
 ووقوفه الاعجاب والاشفاق
 دون السهيلي للرياض رواق
 والقصد منه الهند والقفجاق
 وفتوحه ياجوج والوقواق
 وحدائق تجلي بها الاحداق
 نسجت سماه الورق والاوراق
 الحانها المزموم والعشاق
 بصباغها اليمون والشقراق
 حجاج مملكة جادة وقزاق
 اقزام قصر بينهم عملاق
 عريت كما بلقيس منه السباق
 من نوع مغروس النمار طباق
 الطعم شهد واللبوس رقاق
 عبد تبسم نغمة البراق
 تبدو جوانب جسمه ومراق
 لا يعترى معه الحلوق حلاق

ومبكر الاتاج بشير بادف
غمزت عليه العين ، هي كحيلة
فرهى من التفاح ورد خدود
والخوخ يظهر قانيا ومصفرا
والشمش العذب النسيب لشاشه
رمانه الاقداح اقم سمكها الـ
والبرد قال مذهب ومفضض
واتى الكمثرى للجماعة قائلا
نمرات مرنان لدولة احمد
مرناق سهل اخذ قرطاجنة
(١) جازاه حسان به عن سلمه
فهواؤه للنازلين به شفا
(٢) عاش الصقلي في القرون ثلاثة
في ابر وبعش احمد مثله
جازاه خالقه بما يرضى فقد
ملك سواء في العدالة عنده
وله قناطير المزايا وهي من
وحضوره بسرائر الملك التي
فتحفه وزراؤه انصاره
فهم الكماة شهامة وسياسة
للشعر والتاليف من حسناكم
شجنت بتخليد النناء وزانها
تلتف الايدي فئاس ماحوت
لما رفعت شأنها وبما حوت
في مثلها والعلم والعيش الهني

حلى ققصر بالضعيف لحاق
وهزت به الاعناب وهي رحاق
وهو الفاوذج قد حوته حفاق
كاس من الشاه اللذيذ دهاق
جسم لطيف والقلوب دفاق
ياقوت بين قصوصه الاوراق
للدوح اجمل زينة وخلاق
سر الحياة من النهود يذاق
تجبي واورثها له مرنان
وبه نسمي ذلك الرستاق
والسلم تعرف نفعه الحذاق
والماء فيه مروق رقرق
ماسه في روضه ازهاق
في صحة ونواله دفاق
أرضى الخلائق والجزاء وفاق
ولدى المبصرة قائد ويماق
كل الملوك مثاقل واواق
في تونس تحيي بها الارماق
والآل والاجناد والواجاق
ودماؤهم لفدا الامير تراق
والى صحائف ما يذاع فباق
شعر به في مدحكم اغراق
ومدورها لصدورهم ترياق
كي يستفيد القطر والآفاق
ببلادنا يتحتم الانفاق

(١) حسان ابن النعمان فاتح قرطاجنة سنة ٧٨

(٢) الصقلي عاش فوق ثلاثمائة عام وبلغ اليه المهدي ابن تومرت في قرية ابر بمرناق تحية
الامام الغزالي ببغداد وذلك في اوائل القرن السادس

العلم والتهديب والتدريب في
 لكنها من غير سعد للفتى
 ابناء تونس ما لهم حول ولا
 فكانما السبع العجاف سنينهم
 ما كان اجدرهم برحمة ربهم
 فيدوم احمد منجدا حتى نرى
 والعيش في رعد وأمن سابع
 فامر بما يرضي الاله وقطرنا
 ان الرغائب في الحياة كثيرة
 فيهن ان طال الرجا لصعابها
 لكن لنا راي الامير وعزمه
 ما دام احمد والحياة طويلا
 واذا تالق بارق ليصينا
 يا وارثا ملكا يخلد يننا
 انت المحب للقلوب سماحة
 قربت كاتب عرشكم ومؤرخا
 الحفتموه تعطفوا بقصوركم
 وامرتم والامر منكم نافذ
 وانيط بالهادي الوزير قضاؤها
 مدحي لكم كقريرض شاعر ورغة
 فاز نظمنا في الجنب قصائدا
 ياخير من ملك البلاد بعده
 هذا الهناء بمولد وريعه
 مرناسق اشرق بالامير وحسه

هذي الحياة يكون الاستحقاق
 فجميع ما ياتي به اخفاق
 قوى ولا جاة ولا ارزاق
 والعيش صعب والشراب زغاق
 حتى يعود الى الربوع فواق
 ظل الهناء وتعمر الاسواق
 ويزداد عن ساحاتنا الاقلاق
 فالناس عندكم لهم اطراق
 والى معاليها النهى عشاق
 وتاخر المسير ليس يطاق
 فامضات لرتقها فتاق
 لا يختشى ببلادنا ارهاق
 بشطاه فهو الحلب الالاق
 لا يعتره تصدع وشقاق
 جذبكم لصدورها الاعماق
 لبلاطكم وبمدحكم نطاق
 يا حباذا الانعام والالحاق
 بماآرب يغدو بها الاغداق
 سيف الامير ودرعه ونطاق
 في جددكم فانهل عنه وثاق (١)
 فبيدنا من جودكم اطواق
 وقضى بهذا الاجماع والاطباق
 زمن الربيع اليكم ينساق
 ان ارخوه باحمد اشراق

١٣٠٢ ٥٥

١٣٥٧

محمد المقداد الورتاني

(١) محمد الورغي المتوفى عام ١١٩٠ مدح محمد الرشيد ابي حسين بن علي تركي جد جد اميرنا
 احمد باشا باي بن علي بن حسين بن محمود بن محمد الرشيد .

المجلة الزيتونية

مجلة علمية أدبية أخلاقية
تصديدها المبدئية منذ سنة ١٩٦٠ مع الزيتونة الزيتونية
شهرية وستة عشر شهرا

المجلد الرابع

تونس في محرم الحرام ١٣٦٠ وفي فيفري ١٩٤١

الجزء الخامس

صاحب المجلة والمدير :

محمد شاذلي بن القاضى

المدرس من الطبقة الاولى بجامع الزيتونة

والخطيب الاول بجامع حمودة باشا

المراسلات :

ترد باسم مدير المجلة بمحل الادارة

رئيس قلم التحرير :

محمد المختار بن محمود

المفتي الحنفى

بالديار التونسية

الادارة :

نهج الباشا رقم ٣٣ بتونس - تليفون ٤٩-٢٦

حساب جاري بادرارة البريد رقم ٣٤٢٢

ثمن الجزء ثلاثة فرنكات

صفحة	المقال	صاحبه
١٢٦٠	توفي الله عيسى عليه السلام - ورفعته اليه	
.....	ونزوله آخر الزمان	العلامة النحرير صاحب الفضيلة للشيخ سيدي محمد
	البشير النيفر المفتي المالكي	
	الحديث الشريف	
١٣٢٠	فضل من علم وعلم (ختم)	محمد الشاذلي ابن القاضي مدير الميخلة
	التاريخ	
١٤٣٠	متى ظهرت الطباعة العربية بتونس	العلامة المؤرخ امير الامراء سيدي محمد بن الخوجة
	مستشار الحكومة	
١٥١١	تاريخ هجرة محمد صلى الله عليه وسلم	
	من مكة الى المدينة والتاريخ بها	العالم الاديب الشيخ محمد المقداد الوزتاني

المنعم الشيخ القروي ؟

انتظر ترجمته وادوار حياته بقلم العلامة امير الامراء سيدي محمد بن الخوجة في العدد المقبل

اعذار

ضاق العدد عن نشر بقية المقالات والقضائد فنعتذر لاصحابها مع الوعد بنشرها في العدد القابل ان شاء الله .

المجلة التونسية

مجلة علمية أدبية أخلاقية
تصديدها شهرية وستة عشر شهرا
شهرية وستة عشر شهرا

الجزء الخامس | تونس في محرم الحرام ١٣٦٠ وفي فيفري ١٩٤١ | المجلد الرابع

صاحب المجلة والمدير :

محمد شاذلي بن القاسبي

المدرس من الطبقة الأولى بجامع الزيتونة
والخطيب الأول بجامع حمودة باشا

المراسلات :

ترد باسم مدير المجلة بمحل الإدارة

رئيس قلم التحرير :

محمد المختار بن ميمون

المفتي الحنفي
بالديار التونسية

الإدارة :

نهج الباشا رقم ٣٣ بتونس - تليفون ٤٩-٢٦

حساب جاري بإدارة البريد رقم ٣٤٢٢

ثمن الجزء ثلاثة فرنكات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنِي مَرْيَمَ وَرَافِعُكَ
إِلَيَّ (سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ) فَلَمَّا نَوَقَّيْنِي
كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبُ عَلَيْهِمْ (سُورَةُ الدَّافِدَةِ)

توفي الله عيسى

ابن مريم عليه الصلاة والسلام - ورعنا اليه - ونزوله

بقلم العلامة الجليل صاحب الفضيلة الشيخ
سيدي محمد البشير النيفر المفتي المالكي

سألني سائل من حذاق طلاب العلم والتحقيق بجامعة الزيتونة عشية يوم التروية من هذا الشهر المنصرم عن مسائل طال فيها البحث والجدال بين ثلثة من تلاميذ الجامع الاعظم في الايام الاخيرة فاجبته عنها بما وعته الذاكرة واطمأن له قلبه ، ثم عقدت العزم على ان اكتب فيها بتوسع وانشر في المجلة الزيتونية المباركة ما يوفق الله بمعونه ومنه الى كتابته وتحريره قايما بما يجب من نشر الحق وتعميمه لفائدته .

تلكم المسائل هي (١) توفي الله عيسى بن مريم عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام (٢) ورفعنا اليه (٣) ونزوله آخر الدنيا وهي مسائل ثارت فيها شبه تمسك بعناكبها قليل من اهل العلم بالشرق والمغرب فخرجوا فيها عما كان عليه سلف هذه الامة الصالح من أئمة التفسير والحديث .

وأرجو بتوفيق الله ان يكون ما أخطه فيها بقلم الانصاف والتحري وتحكيم الكتاب والسنة وقههما فيما موزونا بميزان الروية والاعتدال - ارجو ان يكون ما اخطه فيها كاشفا للشبهة رافعا لمن وقع فيها الى مستوى الحق ، وما توفيقني الا بالله عليه توكلت واليه أئيب .

توفي الله عيسى عليه الصلاة والسلام

جاء ذكر توفي الله المسيح عيسى ابن مريم في آيتين من القرآن الحكيم الاولى آية آل عمران :

اذ قال الله يا عيسى اني متوفيك ورافعك الي والثانية آية المائدة : فلما توفيتني كنت انت الرقيب عليهم فسبق الى فهم بعض طلبة العلم : على غير روية ولا تبصر ان الآيتين ظاهرتان او صريحتان في موت عيسى عليه السلام كما مات الرسل من قبله ، وتذرعوا بهذا الى رد الاحاديث المستفيضة المتواترة في معناها الناطقة بنزوله آخر الدنيا بشبهة مخالفتها لما في كتاب الله تعالى - وما هي بالتى تخالفه - ولو نظروا نظرة عادل ضليع باللغة وفهم الكتاب العزيز آخذ بالسنة التي بين بها الرسول صلى الله عليه وسلم للناس ما نزل اليهم لانتهوا الى مستقر الحقيقة في فهم الآيتين .

شاع استعمال التوفي في الامامة فيما بين العامة والخاصة حتى صار مثل وفاة الله لا يسبق الى الفهم منه الا امامه وقبض روحه ، ولكن التوفي لغة ليس هو الامامة بل اعم منها ، وقد صرح بهذا غير واحد من ائمة التفسير منهم الامام ناصر الدين البضاوي قال في تفسير آية المائدة : فلما توفيتني كنت انت الرقيب عليهم ما نصه : والتوفي اخذ الشيء واقفا والموت نوع منه قال الله تعالى : الله يتوفى الانفس حين موتها اه ولكن من ائمة اللغة مثل هذا .

قال ابن منظور في لسان العرب عند الكلام على مادة وفى ما نصه باختصار : وقال غيره « اي غير الجوهوي الذي نقل عنه فيما قبل « توفي الميت استيفاء مدته التي وفيت له وعدد ايامه وشهوره واعوامه في الدنيا ومن ذلك قوله عز وجل الله يتوفى الانفس حين موتها أي يستوفي مدد آجالهم في الدنيا اه المقصود منه .

فتبين بما نقلنا عن البضاوي وابن منظور ان التوفي ليس هو الامامة ولو كان اياها لرأيت معنى قوله تعالى : الله يتوفى الانفس حين موتها : الله يميت الانفس حين موتها وهو مما لا يرضى احدنا بمثله لكلامه فما بالك باعلى الكلام وابلغه . اذن فقوله تعالى : اني متوفيك وقوله : فلما توفيتني ليسا بنصين ولا ظاهرين في الامامة ، ومن القواعد اصولية ان الاعم لا اشعار له بأخص معين .

فمعنى الآية الاولى والله اعلم : اني مستوفي اجلك من الدنيا وهو الاجل الاول الذي كتب الله له فيه ان يبعث الى بني اسرائيل مصدقا لما بين يديه من التوراة وليحل لهم بعض الذي حُرّم عليهم . ومعنى الآية الثانية والله اعلم : فلما استوفيت اجلي من الدنيا وليس استيفاء الاجل بنص ولا ظاهر في الامامة التي يحاول بعض طلبة العلم حمل الآيتين عليها توسلا بها الى التكذيب بنزوله الذي لم تتسع قلوبهم للاعتقاد به وهذا الوجه في تفسير التوفي ذكره غير واحد من المفسرين ويؤخذ من بعضهم ترجيحه اذ صدر به .

وقد حمل التوفي في آية آل عمران على وجوه أخر .

ومن اجمع الكلام لما حمل التوفي عليه فيها مع الاجاز كلام الحافظ ابن كثير . قال عند الكلام على الآية ما نصه :

اختلف المفسرون في قوله تعالى اني متوفيك ورافعك الي فقال قتادة وغيره : هذا من المقدم والمؤخر تقديره اني رافعك الي ومتوفيك يعني بعد ذلك وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس اني متوفيك اي مميتك ، وقال محمد بن اسحاق عمن لا يهتم عن وهب بن منبه قال توفاه الله ثلاث ساعات من اول النهار حين رفعه اليه . . . قال مطر الوراق أي متوفيك من الدنيا وليس بوفاة موت وكذا قال ابن جرير توفيه رفعه . وقال الاكثرون المراد بالوفاة هنا النوم كما قال تعالى : وهو الذي يتوفاكم بالليل اه المراد منه .

وحاصله ان في التوفي وجوها (١) انه بمعنى الامامة والكلام على التقديم والتأخير أي اني رافعك الى سمائي ومميتك بعد نزولك (٢) وانه بمعنى الامامة وليس في الكلام تقديم وتأخير على ان الله توفاه ثلاث ساعات حين رفعه اليه (٣) وانه بمعنى توفيه من الدنيا بمعنى استيفله اجله منها وليس بوفاة موت (٤) وانه بمعنى النوم .

واقول هذا هو مراد ابن عباس من الامامة التي نقلها ابن كثير عنه على ما نقل القرطبي عن الربيع بن انس قال في تفسير هذه الآية : وروى ابن طلحة عن ابن عباس معنى متوفيك مميتك ، الربيع بن أنس : وهي وفاة نوم قال الله تعالى وهو الذي يتوفاكم بالليل اي ينيكم لان الوفاة اخو النوم كما قال صلى الله عليه وسلم لما سئل أفي الجنة موت قال لا النوم اخو الموت والجنة لا موت فيها اخرجه الدارقطني اه كلامه .

وانما صرف الربيع بن انس الامامة في كلام ابن عباس الى وفاة النوم ولم يحملها على موت كموت الرسل من قبله لانه صح عنه من التصريح بنزوله كما تراه متقولاً عنه في تفسير آية آل عمران : وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته وآية الزخرف : وانه لعلم للساعة وكل من ينقل عنه تفسير التوفي بالامامة فانما يعني منها انها امامة موقته ثم احياه الله وانه ينزل آخر الدنيا او يعني من الامامة الخروج من الدنيا . هذا هو الذي تعطيه الاحاطة الواسعة باقوال محققي المفسرين في الموضوع وقد نقل عن الامام مالك رحمه الله وهو في العتبية انه قال مات عيسى ابن ثلاث وثلاثين سنة فحمل ابن رشد الموت في كلامه على الخروج من عالم الارض الى عالم السماء او الموت الموقت لان مالكاً رحمه الله صرح بنزوله وسياتي النقل عنه قريباً .

على ان القرطبي قال في تفسيره : والصحيح ان الله رفعه الى السماء من غير وفاة ولا نوم كما قال الحسن وابن زيد وهو اختيار الطبري وهو الصحيح عن ابن عباس وقاله الضحاك اه وعليه فرواية تفسير التوفي بالامامة عن ابن عباس لا تصح والصحيح عنه ان المراد توفيه من الدنيا وهو اختيار شيخ المفسرين ابن جرير الطبري .

ومما يرجحه على ما ظهر للعبد « والله أعلم » انه هو المناسب للتوفي في آية المائدة : فلما توفيتني كنت انت الرقيب عليهم . اي لما استوفيت احلي من الدنيا . ويبعد ان يكون معناه : فلما انمتي او توفيتني ثلاث ساعات وقد اقتصر عليه ناصر الدين البضاوي .

فتمحص من هذا ان التوفي في الآيتين ليس بنص ولا ظاهر في معنى الامانة وان الذي اخترناه في معناه هو الذي اختاره جماعة من المفسرين في مقدمتهم ابن عباس على ما هو الصحيح عنه وكفى بهذا في تحقيق معنى التوفي .

رفعه الى السماء

جاء ذكر رفع المسيح عليه السلام في آيتين أيضا احدهما آية آل عمران : ورافعك الى الثانية آية النساء : وما قتلوه يقينا بل رفعه الله اليه وقد اتفق المفسرون سافا وخلفا على ان الرفع رفع للجسد والروح جميعا ومنم السيدان الالوسي وصديق حسن خان من اوسع متاخري المفسرين علما واطلاعا وادقمهم فيما واشدهم استقلالا وهو صريح الاخبار الواردة في رفعه عليه السلام وظاهر القرآن العزيز حتى يكاد يكون صريحا فيه .

ذلك ان الله قال : وما قتلوه يقينا بل رفعه الله اليه فرد زعم القائلين بصلبه بقوله : بل رفعه الله اليه وهو لا يكون ردا عليهم الا اذا كان الرفع رفعاً للروح والجسد ولو كان رفعاً للروح فحسب . كما يذهب اليه اصحاب هذه النزعة الجديدة لما صح ان يكون قوله بل رفعه الله اليه تكذيبا لهم لان رفع الروح يكون مع القتل . وقد كنت حاجت بهذا . ولم اره لاحد ممن كتب في تفسير الآيات . بعض من ناظرته في الموضوع فحججته ولم يحرج جوابا .

وبعد هذا فرفعه بجسده وروحه عليه السلام فضلا عن كونه صريح الاخبار وظاهر القرآن هو صريح ما في انجيل برنابا فقد جاء في الفصل ٢١٥ منه ما نصه :

ولما دنت الجنود مع يهوذا (١) من المحل الذي كان فيه يسوع (٢) سمع يسوع دنو جم غفير فلذلك انسحب الى البيت خائفا وكان الاحد عشر (٣) نياما فلما رأى الله الخطر على عبده امر جبريل وميخائيل ورفائيل وأوريل سفراء ان ياخذوا يسوع من العالم فجاء الملائكة الاطهار واخذوا يسوع من النافذة المشرفة على الجنود فحملوه ووضعوه في السماء الثالثة صلبة الملائكة التي تسبح الله الى الابد اه .

وانجيل برنابا هذا يمتاز على الاناجيل المتداولة بآيات التوحيد وانكار الصلب والبشارة الصريحة بنينا صلى الله عليه وسلم وقد كان ترجم الى العربية وطبعه الشيخ السيد محمد رشيد رضا منذ بضع وثلاثين سنة .

(١) يهوذا هو مبعوث اليهود لآخذ المسيح عليه السلام للصلب (٢) يسوع هو عيسى عليه السلام (٣) (الاحد عشر النيام) تلاميذ المسيح .

نزوله آخز الدنيا

تظاهرت الاخبار على نزول المسيح عليه السلام آخر الدنيا وقد اخرج هذه الاحاديث البخاري ومسلم وابو داود والترمذي وابن ماجة واحمد وصرح غير واحد من اهل العلم بتواترها ولعلمهم يعنون النواتر المعنوي وتلقاها علماء الساف بالقبول وعد الشيخ ابو الحسن الاشعري رضي الله عنه الاعتقاد بنزوله فيما عدة من عقائد اصحاب الحديث واهل السنة .

قال في كتاب مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين ما نصه :

جملة ما عليه اصحاب الحديث واهل السنة الاقرار بالله وملائكته وكتبه ورسله حتى قال ويصدقون بخروج الدجال وان عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام يقتله اه وقد اورد كلامه على طوله ابن القيم في الباب الاول من كتابه حادي الارواح الى بلاد الافراح فليرجع اليه من اراد الاستفادة منه وحديث نزوله وان لم يخرج ماله في الموطا فقد كان يعتقد به وحاشا مثله وهو من صميم ائمة الحديث والسنة ان يخرج عما عليه اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والتابعون لهم قال في العتبة : قال مالك بينا الناس قيام يسمعون لاقامة الصلاة فتغشاهم غمامة فاذا عيسى قد نزل اه

وقد ذهب جمع من اهل العلم وائمة التفسير الى ان نزوله جاء في آيتين من كتاب الله تعالى : الاولى آية النساء : وان من اهل الكتاب الا ليؤمن به قبل موته والثانية آية الزخرف : وانه لعلم للساعة اما الآية الاولى فقد قال فيها الحافظ ابن كثير في تفسيره ما نصه :

قال ابن جرير اختلف اهل التاويل في معنى ذلك فقال بعضهم معنى ذلك : وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته يعني قبل موت عيسى يوجه ذلك الى ان جميعهم يصدقون به اذا نزل لقتل الدجال اه .

وحاصله ان المعنى وما من اهل الكتاب الا ليؤمنن بعيسى قبل موته اذ انزل والمراد من الكتاب على هذا من يكونون موجودين عند نزوله لا اهل الكتاب عامة ومعن قل عنه تفسير الآية بهذا ابن عباس من طريقي ابن جبير والعوفي ثم قال ابن كثير :

قال ابن جرير وقال آخرون يعني بذلك : وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به : بعيسى قبل موت الكتاني اه .

وحاصله ان المعنى : وما من اهل الكتاب الا ليؤمنن قبل موته بعيسى عليه السلام ايمانا صحيحا وذلك اذا اشرف على الموت واطل على عالم الحق فيؤمن اليهودي بانه رسول الله ولم يصب ويؤمن النصراني بانه عبد الله ولم يصب ايضا ، وقد رجح الاول ابن جرير وابن كثير وهو مروي عن ابي هريرة في الصحيح ولعل الثاني اظهر والله اعلم .

وأما الآية الثانية فقد جاءت في سياق حديث عن المسيح عليه السلام وقبلها : ولما ضرب ابن مريم مثلاً إذا قومك منه يصدون وقالوا له تنسأ خير أم هو ؟ ما ضربوه لك إلا جدلاً بل هم قوم خصمون . ان هو إلا رجل انعمنا عليه وجعلناه مثلاً لابي اسرائيل : وانه لعلم للساعة ، وقرئى علم يكسر العين وسكون اللام وعلم بفتحهما .

قال الحافظ ابن كثير في تفسيره ما نصه : الصحيح انه « اي الضمير عائد على عيسى عليه الصلاة والسلام فان السياق في ذكره ثم المراد بذلك نزوله قبل يوم القيامة . . . ويؤيد هذا المعنى القراءة الاخرى : وانه لعلم للساعة اي اشارة ودليل على وقوع الساعة قال مجاهد وانه لعلم للساعة اي آية للساعة خروج عيسى ابن مريم عليه السلام قبل يوم القيامة وهكذا روي عن ابي هريرة وابن عباس وابي العالية وابي مالك وعكرمة والحسن وقتادة والضحاك وغيرهم وقد تواترت الاحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه اخبر بنزول عيسى عليه السلام قبل يوم القيامة اما ما عادلا وحكما مقسطا هـ . - كلام ابن كثير

وهذا هو الوجه الظاهر في تفسير الآية ويقابله وجوه ثلاثة آخر احدها ان الضمير للقرءان لانه دل على اقتراب الساعة ثانيا ان الضمير للمسيح اي ان حدوثه من غير اب وحياء للهوقي دليل البعث وعلامة امكانه ثالثا انه لنينا صلى الله عليه وسلم فان بعثه من امارات الساعة والاول اولى واقرب فتتمحص من هذا ان نزول عيسى عليه الصلاة والسلام تظاهرت عليه الاحاديث المتواترة في معناها ونطق القرآن العزيز في آيتين منه على اختلاف بين اهل التفسير واجمع عليه اهل السنة واصحاب الحديث فكيف يسم احدا انكاره فيما بعد .

هذا ما يسر الله ان نقوله « والله يدعوا الى دار السلام ويهدي من يشاء الى صراط مستقيم فرغ من جمع هذا وتحريره عيد ربه محمد البشير النيفر في الثالث والعشرين من ذي الحجة عام ١٣٥٩

الحياة فضيلة

حدث ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال :
« الحياة من الايمان ، والايمان في الجنة ، والبذاء من الجفاء ، والجفاء في النار » .
وقال بعض الحكماء : « من كساة الحياة ثوبه ، لم ير الناس عيبه » .
وقال صالح بن عبد القدوس :
إذا قل ماء الوجه قل حياة ولا خير في وجه اذا قل مأوأة
حياؤك فاحفظه عليك وانما يدل على فعل الكريم حياؤه
يظن بعض الناس ان الحياة منشأ ضعف في النفس وقد اخطأوا كثيرا والحقيقة ان الوقح اذا تكمن في النفس لا يزال يدفع صاحبه حتى يسقط اعتباره .

الحديث الشريف

فضل من علم وعلم

أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ قَالَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْعَلَاءِ قَالَ : حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ أَسَامَةَ عَنْ
 بُرَيْدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ أَبِي بُرَيْدَةَ عَنْ أَبِي مُوسَى عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :
 مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ كَمَثَلِ الْغَيْثِ الْكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضًا فَكَانَ
 مِنْهَا نَقِيعَةٌ قَبِلَتْ الْمَاءَ فَأَنْبَتَتْ الْكَلَاءَ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ وَكَانَتْ مِنْهَا أَجَادِبٌ أَمْسَكَتْ
 الْمَاءَ فَفَنَعَ اللَّهُ بِهَا النَّاسَ فَشَرَبُوا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا وَأَصَابَ مِنْهَا طَائِفَةٌ أُخْرَى إِنَّمَا
 هِيَ قِيعَانٌ لَا تَمْسِكُ مَاءً وَلَا تَنْبِتُ كَلًّا فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقَهُ فِي دِينِ اللَّهِ وَنَفَعَهُ
 مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ فَعَلِمَ وَعَلِمَ وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ
 الَّذِي أَرْسَلْتُ بِهِ .

البيان *

إن الله تعالى جلت حكمته وعظمت قدرته أرسل رسوله صلوات الله عليه وسلامه بالهدى ودين
 الحق ليخرج الناس من الظلمات الى النور فميز به بين الحق والباطل والهدى والضلال والرشاد
 والقي والعلم والجهل والمعروف والمنكر وطريق أولياء الله السعداء وأعداء الله الأشقياء .
 فدعى الرسول الناس لتوحيد الله تعالى على طريق البشارة والانذار وأرشدهم الى الحق والى
 الطريق المستقيم وعلمهم ما شرع الله لهم بما فيه صلاحهم في الدارين حتى يكونوا عباداً لله اختياراً
 كما هم عباد له تعالى اضطراراً ولكن حالات الناس في القبول والاعراض مختلفة ومراتبهم في الاهتداء
 والمعرفة متفاوتة وقد أفصح عن ذلك القرآن وبينه الرسول في غير ما حديث منها حديث الباب .
 والكلام على هذا الحديث من وجوه من خرج من اصحاب السنن وسنده في رواية البخاري
 وما تضمنه الاسناد من اللطائف . وفي بيان معناه . وفي تنزيله . وفيما اشتمل عليه الحديث من المعاني السامية

* درس ختم امحديث الشريف الذي القاها مدير المجلة محمد الشاذلي ابن القاضي بعد عصر
 يوم الثلاثاء في ٢٧ رمضان المعظم عام ١٣٥٩ المنصرم بجامع جودة باشا المرادي

الحديث أخرجه البخاري في كتاب العلم فحسب وأخرجه الإمام مسلم في فضائل الرسول صلى الله عليه وسلم وأخرجه النسائي في العلم، وترجم له البخاري باب فضل من علم وعلم فهو رضي الله عنه عقده على قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث فعلم وعلم ومأخذ الفضيلة من الحديث انه مسوق في معرض المدح على سبيل التمثيل على ما ذكر في العمدة، ورجاله في رواية البخاري خمسة وهم :

محمد بن العلاء ويكنى بأبي كريب وهو قد اشتهر بكنيته قالوا في ترجمته هو صدوق مكثر لرواية الحديث ظهر له بالكوفة مائة ألف حديث مات سنة ٢٤٨ ثمان واربعين ومائتين .

الثاني أبو أسامة حماد بن أسامة بن زيد الهاشمي القرشي الكوفي وشهرته بكنيته أيضا قالوا في ترجمته هو ثبت صدوق حافظ حجة روي عنه انه قال كتبت باصبعي هاتين مائة ألف حديث مات سنة ٢٠١ احدى ومائتين وهو ابن ثمانين سنة .

الثالث بريد بن عبد الله ابن أبي بردة بن أبي موسى الاشعري رضي الله عنه هو من الاعلام وثقة ابن معين وغيره وقد روى له اصحاب السنن .

الرابع ابو بردة ابن ابي موسى الاشعري رضي الله عنه واسمه عامر وقيل الحرث سمع اباة وعلى ابن ابي طالب وابن عمر وابن سلام وعائشة وغيرهم وروي عنه عمر ابن عبد العزيز والشعبي وغيرهما ولي قضاء الكوفة بعد القاضي شرح قال الواقدي توفي سنة ثلاث ومائة وكان ثقة كثير رواية الحديث .

الخامس أبو موسى الاشعري الصحابي المشهور واسمه عبد الله وهو من عمال الرسول استعمله على زبيد وعدن وساحل اليمن ، واستعمله عمر على الكوفة والبصرة ومات سنة خمس واربعين عن ثلاث وستين سنة .

وقد اشتملت هذه الرواية على لطائف في الاسناد - أولها ان فيها التحديث والعنعنة - الثاني ان الرواة كلهم كوفيون - الثالث ان بريد يرويه عن جده ابي بردة وأبو بردة يرويه عن أبيه أبي موسى الاشعري رضي الله عنه .

قال صلى الله عليه وسلم : مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم ، المثل له مفهوم لغوي وهو النظر ومفهوم عرفي وهو القول السائر ومعنى مجازي وهو الحال الغريبة والصفة العجيبة وهو المعنى المراد في هذا الحديث ، كانه قيل الصفة العجيبة لما بعث به صلى الله عليه وسلم من الهدى والعلم كصفة الغيث المنهل العام الذي أتى الناس في حال حاجتهم اليه . وكذلك كان حال الناس كافة قبل مبعثه عليه الصلاة والسلام متعطشين الى من يحيي منهم ميت القلوب .

وما بعث به صلى الله عليه وسلم هو دين الله المتين وشرعه المشتغل على مصالح العباد في الدارين رحمة منه سبحانه بالعالمين قال تعالى وما أرسلناك الا رحمة للعالمين .

وكانت بعثته صلى الله عليه وسلم عامة خاتمة لسائر الاديان وناسخة لما سبقها من الشرائع وذلك مما خص به مولانا الديان رسوله وحبيبه وصفيه في هذا الشأن .

وعموم بعثته صلى الله عليه وسلم أفصح عنها القرآن قال تعالى : وما أرسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا . وبينها الرسول بافصح لسان من ذلك ما رواه عمر بن شعيب عن أبيه عن جده ان رسول الله صلى الله عليه وسلم عام تبوك قام من الليل يصلي فاجتمع رجال من أصحابه يحرسونه حتى اذا صلى وانصرف اليهم قال لهم : اعطيت الليلة خمسا ما اعطيتم أحد قبلي اما اولاهن فارسلت الى الناس كلهم عامة وكان من قبلي يرسل الى قومه - الحديث - والمراد بعموم رسالته صلى الله عليه وسلم انه مبعوث برسالة من الله الى الثقلين بما يعم من كان في زمانه ومن يأتي بعدهم الى آخر الزمان . وأما غير من الرسل عليهم من الله أفضل الصلاة وأزكى التسليم فان الرسول كان يرسل الى قومه على معنى انه يرسل الى طائفة من الناس او كلهم ثم تنسخ بشريته شريعة أخرى وبما تقرر تظهر الخصوصية ويتضح الجواب عما استشكل من الخصوصية في عموم رسالته صلى الله عليه وسلم مع ان نوحا عليه الصلاة والسلام عمت رسالته . قال الحافظ ابن حجر في الفتح : يحتمل ان يكون معنى الخصوصية لنبينا صلى الله عليه وسلم في ذلك بقاء شريعته عليه الصلاة والسلام الى يوم القيامة ونوح وغيره بصدد ان يبعث نبي في زمانه أو بعده فينسخ بعض شريعته .

ولكن يبقى علينا قوله عليه الصلاة والسلام وكان من قبلي يرسل الى قومه وما ورد في كثير من الآيات ان ارسال نوح عليه السلام كان الى قومه كقوله تعالى في سورة .

فالجواب عنه انه ارسل الى اهل الارض قبل ان يتفرق الناس ويعمروا الاقطار فكلهم قومه . قال ابن حجر يحتمل انه لم يكن في الارض عند ارسال نوح الا قومه فبعثه نوح خاصة لكونها الى قومه فقط وهي عامة في الصورة لعدم وجود غيرهم لكن لو اتفق وجود غيرهم في مكان آخر لم يكن مبعوثا اليهم ويؤيده ما ورد في حديث الشفاعة : عند ما يلتجئ اهل الموقف الى نوح يقولون له (انت أول رسول الى اهل الارض) وبه يحصل الجمع بين الاحاديث ايضا .

وهذا الجواب اظهر من قولهم ان نوحا كان مبعوثا الى اهل الارض بعد الطوفان لانه لم يبق الا من كان مؤمنا معه وقد كان مرسل اليهم فان هذا العموم لم يكن من اصل البعثة وانما هو امر اتفق بعد الطوفان فانحصر الخلق في الموجودين بعد هلاك سائر الناس وعليه فتكون رسالته في الاصل خاصة وما حدث من العموم انما اتفق بالحادث الذي وقع وهو انحصار الخلق في الموجودين لانه يرد على هذا الجواب ان الله تعالى عاقب اهل الارض بالطوفان وهذا العقاب حصل بعد الاعراض عن قبول دعوة الرسول والمعاندة وطول الحجاج ويستحق العقاب من دعى الى الحق فاعرض ونأى قال تعالى (وما كنا معذنين حتى نبعث رسولا) فاستحقاقهم العذاب كان بعد بلوغ الدعوة

اليهم من الرسول واعراضهم عن القبول ونوح عليه السلام قد دعا على كل الكافرين فقال (رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا) فلمو كانت دعوته لم تشمل الجميع ما كان يدعو على من لم يدعه للايمان فلم يؤمن به .

واما ما نحا اليه ابن عطية في تفسيره من ان نوحا عليه السلام دعا قومه الى توحيد الله فبلغ بقية الناس فتمادوا على الشرك فاستحقوا العذاب فهذا وان كان يمكن ان يقال في اصل استحقاق العذاب على ما فيه لكنه لا يتم مع دعاء نوح على جميع الكافرين بالهلاك كيف يدعو عليهم وهو لم يكن مرسلا اليهم ولا دعاهم للايمان ولا أبلغهم الحق الذي جاء به من عند الله !

واما بما ذكرنا فيسقط التوقف من اصله وتكون رسالة نوح عليه الصلاة والسلام لا تساوي عموم رسالة النبي صلى الله عليه وسلم التي عمومها لمن كان موجودا في عصر البعثة ولمن يوجد بعده من غير تبديل ولا نسخ الى ان يرث الله الارض ومن عليها وهو خير الوارثين .

وقد توهم بعض المعاندين من اهل هذا العصر استشكالا على عموم رسالة النبي صلى الله عليه وسلم مع انه دعا الناس وخاطبهم بالقرآن الذي جاء بلغة خاصة وهي لغة العرب .

وجوابنا عن ذلك ان الله تعالى قال في محكم التنزيل وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ، فالآية تدل بعمومها على كون الرسول المرسل يتكلم بلغة من يظهر فيهم لان الرسول يدعو الناس فيخاطبهم بما يفهمون ليحصل المقصود من البعثة وهو أول من يدعو أهله وعشيرته ثم تتسع الدعوة حتى تشمل كل من هو مقصود بالخطاب وقد يكون خاصا وقد يكون عاما وعلى كل التبليغ الاول انما يكون للمتصلين به الذين بعث فيهم فينطق بلسانهم ويتكلم بلغتهم ليفهموا منه . مقاصده اولا ثم يبلغ الشاهد الغائب ويحصل التبليغ لغير أهل تلك اللغة من الذين هو مرسل اليهم بالتراجم

اضف الى ذلك ان كون الرسول يظهر في قوم وينتسب الى اصلهم ويتكلم بلغتهم أمر بشري لا مناص منه وهي سنة الله في المرسلين ولن تجد سنة الله تبديلا ، والنبي صلى الله عليه وسلم أول ما دعا آل بيته وخاصة وخاطبهم بالقرآن ثم جهر بالدعوة وخاطب قريشا وتلى عليهم القرآن ثم دعا قبائل العرب عامة ثم كتب الى رؤساء الامم ودعاهم الى الاسلام على طريق ملوكهم وضمن كتبه آية (قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ان لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا اربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون) وكانت كتبه باللغة العربية وعند ما يتصل الملك بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يحضر ترجمانه فيتلوه عليه ترجمة كتاب رسول الله وبذلك بلغ صلى الله عليه وسلم رسالته للامم ودعاهم لتوحيد الله وتصديق رسالته . واخذ ما جاء به من الهدى والعلم . ودعوة الرسول تشمل كل مكلف عاقل بالغ خال عن العوارض التي تمنع التكليف كالحنن والصبا فمثل هؤلاء غير مخاطبين بتكليف الشريعة .

قال منلا خسرو في المرأة : التكليف موقوف على اهلية المكلف قال عليه الصلاة والسلام رفع القلم عن ثلاث وعد منها الصبي حتى يحتلم والمجنون حتى يفيق . وهل الغافل يتوجه اليه الخطاب ؟ قال الامام ابن السبكي في جمع الجوامع الصواب امتناع تكليف الغافل والمجبأ وكذا المكره . قال سعد الدين التفتزاني في حواشيه على العصد : ان الغافل الذي لا يتوجه اليه الخطاب هو الذي لا يفهم الخطاب كالصبيان او يفهمه لكنه لم يقل له انه مكلف كالذي لم تبلغ اليه دعوة نبي فظهر ان الغافل عن التصور هو الذي لا يجوز تكليفه لا الغافل عن التصديق . قال العطار في حواشيه على المحلي : واعتبر تكليف الغافل تكليفا محالا لخلل في الأمور .

فعلينا ان المنقطع الذي لم تبلغه دعوة الاسلام غير مكلف قال الكمال ابن الهمام في المسابقة : قال الاشاعرة وحفنية بخارى لا يجب ايمان قبل البعثة فمن مات ولم تبلغه دعوة رسول ليس من اهل النار . وهل دعوة الاسلام بلغت الكفاة ؟

قال الامام ابن رشد في المقدمات : الصحيح ان دعوة الاسلام قد بلغت جميع العالم . اه قالوا وما صححه ابن رشد لا يناقذه ما ظهر من الخلق في الجزر الخالدات ايام الامير ابي الحسن المديني وهم خلق كانوا يسكنون الجزر المذكورة لا يعرفون النبوة ولا بلغتهم دعوة نبينا عليه الصلاة والسلام ولم يكونوا على دين قط . اي ومثلهم ما ظهر بعد ذلك من الخلق بعد استكشاف الدنيا الجديدة ، قالوا لجواز حمل كلام ابن رشد على جل العالم الذي تيسر الوصول اليه وعثر عليه اذ لا يعلم جنود ربك الا هو فمثل هؤلاء الناس اذا لم تبلغهم الدعوة وكاف حالهم كما ذكرنا هم الذين يحكم عليهم بانهم تحت المشيئة .

فعلت مما تقدم انه اذا كان هناك من البشر من لم تبلغه الدعوة يحكم بانه تحت المشيئة ولا يحكم بكفره . ولا يلزم في بلوغ الدعوة ان يدعوهم امير المسلمين بل بذلك وبما يصل الى عليهم من المسلمين ان الرسول صلى الله عليه وسلم مرسل بشريعة عامة الى كافة البشر فالعلم الحاصل بمجرد السماع كاف ولا يتوقف امرهم على دعوة امير المسلمين . قال امام دار الهجرة مالك ابن انس رضي الله عنه في المدونة من قربت داره من الكفار اي من ديار المسلمين فلا يدعى الى الاسلام لعلمهم بالدعوة اي بل يقاتلون من غير دعوة الى الاسلام لانهم علموا انهم مخاطبون بالاسلام فكفروا به .

ونقل الكمال ابن الهمام عن صاحب المحيط : بلوغ الدعوة حقيقة او حكما بان استفاض الخبر شرقا وغربا انهم الى ما ايدعون فاقية ظهور الدعوة مقامها انتهى كلام المحيط واستدل على اعتبار فشو الخبر بحديث مسلم عن ابن عوف كتبت الى نافع اساله عن الدعاء قبل القتال فكتب الي انما كان ذلك اول الاسلام قد اغار رسول الله صلى الله عليه وسلم على بني المصطلق وهم غارون (أي غافلون) وانعامهم تسقى على الماء فقتل مقاتلهم وسمى ذراريمهم . اه فهذا يدل على ان فشو الخبر يعتد به في عدم وجوب دعوة مبتدأة ويحكم به بكفر من لم يسلم لكن كل ذلك اذا علمنا ان الخبر وصل اليهم قال ابن الهمام ولا شك ان في بلاد الله تعالى من لا شعور له بهذا الامر فالمدار على ظن ان هؤلاء القوم لم تبلغهم الدعوة فيدعون . اي فمن مات منهم قبل الاسلام وقبل التبليغ هو تحت المشيئة . وبذلك جزم ابن نجيم في البحر قال والدعوة تشمل الحقيقة والحكمة والحقيقة باللسان والحكمة انتشار الدعوة شرقا وغربا قال وقد نص محمد عليه في السير الكبير

وقد بين صلى الله عليه وسلم ما بعث به فقال من الهدى والعلم قال الامام الالوسي : الهدى في الاصل مصدر هدى أو عوض عن المصدر والكل في كلام سيويه ، ولم يجيء من المصادر بهذه الزنة

الا قليل كالتقى والسرى والبكى بالقصر في لغة ولقى . والمراد به اسم الفاعل باحد الوجوه المعروفة في امثاله . ويتعدى الى المفعول الثاني باللام والى يقال هداك كذا والى كذا اذا لم يكن فيه فهداه اليه واما تعديته بنفسه كقولهم هداك كذا فمحتمل للحالين ما كان فيه وما لم يكن وهو لفظ مؤنث عند ابن عطية ومذكر عند اللحياني وبنو أسد يؤنثونه كما قال الفراء فهو كالهداية . والهداية دلالة بلطف ولذا أطلق على المشي برفق تهادى قال الشاعر يصف نسوة :

قلت أذ اقبلت وزهر تهادى كنعاج الفلا تعسفن رملا

وأما قوله عز وجل فاهدوهم الى صراط الجحيم فوارد على الصحيح مورد التهكم على حد قوله تعالى فبشرناهم بعذاب اليم

وقال صاحب الكشف الهداية الدلالة الموصلة الى البغية . قال الجلال الدواني والمذكور في كلام الاشاعرة أن المختار عندهم ما ذكره في الكشف وعند المعتزلة خلافه قال والتوفيق أن كلام الاشاعرة في المعنى الشرعي وغيره مبني على المعنى اللغوي أو العرف

قال اللوسي والحق عند أهل الحق ان الهداية مشتركة بين المعنيين المذكورين وعدم الاهلاك قال وبه يندفع كثير من القيل والقال . انتهى ما به الحاجة من كلامه رحمه الله

والمراد بكون ما بعث به صلى الله عليه وسلم هدى ان الله تعالى جعل في دعوة الرسول والقرءان الذي بعث به هدى للناس ليخرجوا من الظلمات الى النور ويدلهم على طريق السعادة الراغبين فيها قال الراغب الاصفهاني في غريب القرءان :

هداية الله الناس على اربعة أوجه - الهداية التي عم بجنسها كل مكلف من العقل والفطنة والمعارف الضرورية التي أعطى منها على العموم كل شيء بقدر فيه حسب احتماله كما قال سبحانه (قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى)

الثاني الهداية التي جعل الله للناس بدعائه إياهم على السنة الانبياء وانزال القرءان ونحو ذلك وهو المقصود بقوله تعالى (وجعلنا منهم أئمة يهدون بامرنا)

الثالث التوفيق الذي يختص به من يهتدى وهو المعنى بقوله تعالى والذين اهتدوا زادهم هدى الرابع الهداية في الآخرة الى الجنة وهو المعنى بقوله عز وجل ونزعنا ما في صدورهم من غل تجري من تحتهم الانهار وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله الآية وهذه الهدايات الاربع مرتبة فان من لم تحصل له الاولى لا تحصل له الثانية بل لا يصح تكليفه ومن لم تحصل له الثانية لا تحصل له الثالثة والرابعة . وقد يحصل البعض ولا يحصل الباقي وبهذا التفصيل نعلم ان الهداية باعطاء العقل والتمييز ومعرفة اسباب الحياة . والتوفيق والسواب وادخال الجنة كل ذلك مختص به تعالى وهي الهداية التي نفاها الله عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن البشر قاطبة في مثل

قوله تعالى ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء . وكل هداية اثبتها الله عز وجل للنبي او للبشر فهي من الهداية التي هي تعريف طرق الفلاح ودعاء الناس الى الحق ومجانبة الضلال . فالرسول هاد بما بعث به الى الحق والى الصراط المستقيم وما بعث به هدى ونور

وقوله صلى الله عليه وسلم (والعلم) العلم هو صفة توجب تميزا لا يحتمل متعلقه النقيض . والتعلق هو النسبة بين العالم والمعلوم قال في المواقف : العلم لا بد فيه من اضافة اي نسبة مخصوصة بين العالم والشئ المعلوم وبذلك النسبة يكون العالم عالما بذلك المعلوم ويكون المعلوم معلوما لذلك العالم وتلك الاضافة وهي النسبة هي التي يسميها علماء الكلام التعلق

والعلوم من حيث هي مختلفة منها علوم شرعية وهي ما وقع تلقي أصله من الرسول - ومنها علوم غير شرعية وهي ما استفيد من طريق العقل أو التجربة أو النقل مثل الحساب والطب واللغة . والعلوم الشرعية منها ما تجب معرفته على الكفاية ومنها ما يجب طلبه ومعرفته عينا قال صلى الله عليه وسلم : طلب العلم فريضة على كل مسلم

قال الامام الغزالي في الاحياء : اختلف الناس في العلم الذي هو فرض عين على كل مسلم الذي جاء في الحديث ففترقوا فيه أكثر من عشرين فرقة وكل فريق نزل الوجوب على العلم الذي هو بصدده وقال أبو طالب المكي هو العلم بما تضمنه قوله صلى الله عليه وسلم بني الاسلام على خمس شهادة أن لا إله الا الله وأن محمدا رسول الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة والحج وصوم رمضان

قال حجة الاسلام والذي ينبغي ان يقطع به المحصل ان المراد بالعلم في قوله صلى الله عليه وسلم طلب العلم فريضة على كل مسلم هو علم المعاملات التي كلف العبد العاقل البالغ العمل بها وهي ثلاثة : اعتقاد - وفعل - وترك . ويدخل فيها ما يرجع الى الاخلاق الى ان قال : فمن وجبت عليه التكليف الشرعية أول ما تجب عليه معرفته الايمان بالله واذا انتقل من حال الى آخر وجب عليه معرفة حكم الله فيه وهكذا فاذا دخل في وقت صلاة وجب عليه تعلم الصلاة واذا أدركه شهر رمضان وجب عليه تعلم ما يتعلق بالصوم واذا تعامل مع الناس بنوع من أنواع المعاملات وجب عليه تعلم ما يجوز فيه وما يحرم وعلى هذا القياس .

وما زاد على القدر الواجب عينا هو واجب على طائفة وفضيلة لباقي الناس . اه
ورأس العلم معرفة الله وفائدته العمل بما علمه الله . والمراد بالعلم في الحديث ما دلت عليه الادلة الشرعية من القرآن وحديث الرسول صلى الله عليه وسلم وهو الذي مثله الرسول بالغيث الكثير الغيث اسم للمطر كله وجمعه الغيوث ووصفه في الحديث بالكثرة اي المطر المنهمل الذي يسقي الارض ويحصل به النفع

وقوله صلى الله عليه وسلم اصاب ارضا فكان منها نقية الارض النقية هي الطيبة وهي رواية مسلم
وقوله قبلت الماء اي استقر فيها واختلط باجزائها فانبتت الكلا والعقب الكثير

والكلأ والعشب والحشيش أسماء للنبات لكن الحشيش مختص باليابس منه والعشب والكلأ بالقصر يختصان بالرطب والكلأ بالهزم يقع على اليابس والرطب وهو المذكور في الحديث وعطف عليه العشب من عطف الخاص على العام . وقوله الكثير صفة للعشب . وهذا وصف للطائفة الاولى من الارض التي أصابها الغيث فانتفعت به وانبتت النبات فكان منه الرطب واليابس فانتفع به وقوله وكانت منها اجادب الاجادب جمع جذب على غير قياس وقياسه أن يكون جمع أجذب قال الخطابي الاجادب صلاب الارض التي تمسك الماء ولا يسرع شربها له وقال الاصمعي الاجادب ما لا ينبت . وقوله أمسكت الماء أي استقر على وجه الارض فنفع الله بها الناس وبين وجه النفع فقال فشرّبوا وسقوا وزرعوا أي شرب منه الناس وسقوا دوابهم وأراضهم فزرعوها وهذا وصف للارض التي تعدى النفع منها الى غيرها ولم تنتفع هي .

وقوله وأصاب منها طائفة أخرى انما هي قيعان القيعان جمع القاع وهو الارض السبخة أو اللساء التي لا تنبت .

وقوله لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ بمعنى أنها لا تنتفع من الماء الذي يصيبها ولا ينتفع منها غيرها وهذا وصف لطائفة أخرى من الارض لا تنتفع مما أصابها ولا ينتفع منها غيرها وذلك ما جعله الرسول عليه الصلاة والسلام مثالا لمن قبل ما بعث به ومن لم يرفع بذلك رأسا فقال صلى الله عليه وسلم : فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به

الفقه في أصل اللغة الفهم يقال فقه بالكسر كفرح وأما الفقه الشرعي فقال الهروي وغيره يقال فيه فقه بالضم وقال ابن دريد بكسرهما معا قال في العمدة وهو في الحديث بالضم لان المراد به المعنى الشرعي فيكون مضموما على المشهور

ومن لم يرفع رأسا هو المتكبر الذي لا يلتفت الى ما يقال له وفي هذا التمثيل بيان مثال ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم من الهدى والعلم وفيه بيان مثال الناس في الانتفاع به والنفع والاعراض قال العيني في العمدة : في الحديث تشبيه ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم من الدين بالغيث العام الذي يأتي الناس في حال حاجتهم اليه وتشبيه السامعين له بالارض المختلفة والاول وهو تشبيه الدين بالغيث تشبيه المعقول بالمحسوس والثاني وهو تشبيه الناس بالارض المختلفة تشبيه محسوس بمحسوس قال ويحتمل أن يكون تشبيها واحدا من باب التمثيل أي تشبيه صفة العلم الواصل الى أنواع الناس من جهة اعتبار النفع وعدمه بصفة المطر المصيب أنواع الارض من تلك الجهة وقوله وذلك مثل من فقه في دين الله الخ تشبيه آخر ذكر كالتيجة للاول وليان المقصود منه . اه وهذا الاحتمال الثاني هو الاجزّل لان وجه الشبه فيه هو الهيئة الحاصلة باعتبار النفع في قبول المحل لما يصل اليه من الخير مع

ظهور أماراته وانتشارها على وجه عام الفائدة وعدم الانتفاع وعدم القبول ولا يخفى ان هذه الهيئة منتزعة من أمور متعددة واعتبار الهئات المتعددة المركبة في التشبيه له الوقع الحسن في النفوس

قال الشيخ عبد القاهر في قول الشاعر :

وكان اجرام النجوم لوامعا درر نثرن على بساط ازرق

لو قلت كان النجوم درر وكان السماء بساط ازرق كان التشبيه مقبولا لكن أين هو من التشبيه الذي يربك الهيئة التي تملأ النواظر عجا وتستوقف العيون وتستنطق القلوب بذكر الله من طلوع النجوم مؤتلفة متفرقة في اديم السماء وهي زرقاء زرقتها بحسب الرؤية ضاياه والنجوم تبرق وتتلالا في اثناء تلك الزرقة ومن لك بهذه الصورة العجيبة اذا جعلت التشبيه مفردا

ومن هنا قال الامام المازري : الحديث من بديع الايجاز والبلاغة ومن بديع التشبيه والتقسيم فانه جعل اقسام الارض ثلاثة اثنان محمودان وهما الاولان - يعني التقيه الطيبه والاجادب - ثم أتى بكلام واحد يتضمن ثلاثة اثنان محمودان وذلك قوله عليه الصلاة والسلام فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم فهذاان مثلان للمثالين الاولين على ترتيبهما في التقديم والتأخير فالاول هو الذي انتفع به في نفسه وعلم غيره مثل الارض التي قبلت الماء فانتفعت في نفسها بالري والثروي وانتفع الناس برعي ما انتبت ، والثاني وهو الذي حفظ وتحمل ولم يفتح له بالتفقه فيه وبلغه غيره مثل الارض التي لم تقبل الماء ولكنها امسكت له لمن شرب منه ، والثالث وهو الذي لم يعمل بما بلغه ولا قبله ولم يرفع به رأسا فهو كالارض التي هي قيعان لا تثبت ولا تمسك

فانت ترى ان المازري في هذا التقسيم الذي نزل عليه الفاظ الحديث اعتبر ان الحديث اشتمل على اقسام ثلاثة في المشبه والمشبه به . وفي كلام الامام النووي ما يويد كلام المازري فقال النوع الثاني من الناس لهم قلوب حافظة لكن ليست لهم قلوب ناقبة ولا رسوخ لهم في العلم يستنبطون به المعاني والاحكام وليس عندهم اجتهاد في الطاعة والعمل بالعلم فهم يحفظون حتى ياتي طالب محتاج متعطش لما عندهم من العالم فيأخذ منهم فينتفع به . اه قال الابي : والى هذا ينظر قوله صلى الله عليه وسلم رب حامل فقه الى من هوأ فقه منه

ولكن كل من المازري والنووي لم يبين مأخذ القسم الثاني في المشبه من الحديث قال في المصاييح فان قلت ليس في الحديث تعرض الى القسم الثاني وذلك انه قال في الحديث فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم وهذا القسم الاول ثم قال ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدى الله الذي ارسلت به وهذا هو القسم الثالث فاين القسم الثاني ؟ قال احيب عن ذلك باحتمال ان يكون ذكر من الاقسام اعلاها وادناها وطوي ذكر ما بينهما

لغفهم من اقسام المشبه به المذكورة لولا

وقال الأكرماني ويحتمل لفظ الحديث لتلث القسمة في الناس بان يكون قوله نفعه صلة موصول محذوف فيقدر قبل لفظة نفعه كلمة من بقرينة عطفه على من فقه فيكون تقدير الكلام ذلك مثل من فقه في دين الله ومن نفعه ما بعثني الله به . كما في قول حسان بن ثابت رضي الله عنه :

امن يهجو رسل الله منكم ويمدحه وينصره سواء

كانه قال ومن يمدحه وينصره سواء . قال فان قلت ما وجه حذف من ؟ قلت اشعارا بانهما في حكم شيء واحد في كونه ذا انتفاع في الجملة كما انه لم يعطف اصاب في الاجاب . (في المشبه به) قال : وعلى هذا الجواب تكون الاقسام الثلاثة المذكورة ويكون قوله من فقه في دين الله هو القسم الثاني ومن نفعه الله فعلم وعلم هو القسم الاول ومن لم يرفع بذلك راسا هو الثالث وفيه لف ونشر غير مرتب اهـ

وهذا الجواب يمنع ان يكون القسم الثاني غير مذكور .

ثم هذا الجواب مخالف لكلام المازري الذي جعل الاقسام الثلاثة على الترتيب ولكن لم يظهر وجه ماخذ القسم الثاني من كلام المازري . قال الابي تعليقا على كلامه القسم الثاني لم يذكر في الحديث ولكنه في ضمن الاول ويدل عليه بالضرورة قال ولعل هذا هو الاجاز والبلاغة التي اراد المازري

وهذا الذي ذكره الابي هو موافق للجواب الاول الذي قلته عن المصاييح غير ان الابي جعل القسم الثاني في ضمن القسم الاول ويشير اليه بالضرورة وصاحب المصاييح المظهري جعل الاشارة اليه من المشبه به مع اتفاقهما على ان اقسام المشبه به ثلاثة واقتصر في المشبه على قسمين . وهو الذي يدل عليه كلام الخطابي حيث قال هذا مثل ضرب لمن قبل الهدى وعلم ثم علم غيره ومن لم يقبل هدى الله . وهو صريح كلام الطائي حيث قال القسمة الثنائية هي المتصورة بالمذكور في الحديث الطرفان العالي في الاهتداء والعالي في الضلال وطوي غيرهما . قال في العمدة وهو الصواب

وسلك القرطبي مسلكا آخر فذكر ان الحديث اشتمل على مثلين وفي كل مثل طائفتان الاول الطائفة الاولى منه العلماء العاملون المعلمون فهم بمنزلة الارض الطيبة والكل ممدوح والطائفة الثانية منه الجامعون للعلم الذين لم يتفقهوا فيه بيدانهم ادوة لطالبه فبؤلاء بنزلة الاجادب والكل ممدوح في الجملة قال عليه الصلاة والسلام نظر الله امرأ سمع مقالتي فاداهما كما سمعها . وانما جمع في المثل بين الطائفتين المحمودتين لاشتراكهما في الانتفاع بهما

والمثل الثاني الطائفة الاولى منه من دخل في الدين ولم يسمع العلم او سمعه ولم يعمل به ولم يعلمه لغيره ومنها من الارض السباخ واثار اليها الحديث بقوله صلى الله عليه وسلم : من لم يرفع بذلك راسا . والطائفة الثانية منه من لم يدخل في الدين اصلا بل بلغه فكفر به ومثلها من الارض الهباء المساء واثار اليها الحديث بقوله صلى الله عليه وسلم ولم يقبل هدى الله الذي جئت به . وكل من النوعين مذموم

والسباخ والمساء في كلامه اخذهما من قوله عليه الصلاة والسلام قيعان وهذا الوجه على ما فيه من الحسن ظاهر عليه التكلف وان اختاره الحافظ ان حجب في الفتح وظاهر الحديث انه طوى القسم الثاني لعلمه من التركيب وقصده صلى الله عليه وسلم من ذكر الاعلى والادنى ترغيب الناس في اعلى المقامات ، اشرف الصفات وهي حالة التقفه في الدين والاخذ من علم الشريعة باوفر نصيب وتعليم الناس ما ورثه العلماء من الرسول الكريم والاهتداء بهداه حتى يكونوا مثال الاستقامة والتقوى والتحذير والترهيب من ادنى الحالات وهي حالة الاعراض والضلال وهذا الحديث الشريف تضمن امورا لها من الشأن والاعتبار المقام الاسمى

الاول - ان ما بعث به صلى الله عليه وسلم هدى وعلم

الثاني - أن رسالته صلى الله عليه وسلم رحمة للناس

الثالث - ان شريعة الاسلام سهلة اماخذ صافية المورد عذبة المساغ

الرابع - ان اكمل صفات المسلم المعرفة والنفع والعمل

الخامس - ان اقبح ما يكن عليه الانسان الاعرض وعدم قبول الهدى

السادس - فضل من تفقه في دين الله وارشد الناس فعلم وعلم فحسنت سيرته وحمدت سيرته وعمل بما علمه الله فيما بينه وبين خالقه وفيما بينه وبين نفسه وفيما بينه وبين الناس فكان علمه باعثا له على العمل ولم يتركه جاريا مع هواه .

قال ابو ابي حاق الشاطبي في المواقات :

العلم المعتبر شرعا اعني الذي مدح الله ورسوله اهله على الاطلاق هو العلم الباعث على العمل الذي لا يخفي صاحبه جاريا مع هواه كيفما كان بل هو المقيد لصاحبه بمقتضى تعاليمه الحامل له على قوانينه طوعا او كرها

السابع - فضله صلى الله عليه وسلم على هذه الامة المهدي فعلم الناس ما يوصل الى رضى الله وهداهم الى طريق السعادة ورغبتهم في الصالحات وبشرتهم بمضاعفة الحسنات وان العمل القليل في طاعة الله له الثواب الجزيل كما جاء في حديث التسبيح الذي ختم به البخاري هذا الصحيح من قول الرسول الكريم كلمتان حببتان الى الرحمن خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم

الجائزة الشعرية

جاءنا من بعض القراء ما يتضمن انه طالع في الجرايد اليومية جائزة شعرية لمن يفوز في مسابقة بين ادباء المملكة التونسية

وابدى اقتراحا لرجال اللجنة الفنية بان ينظروا في امكان جعل الكتابة مطبوعة وان تكون اسماء اصحاب القصائد مخفية حسب المتعارف في مثل هذا الموضوع فنشرنا له هاته الفكرة التي لا باس بها

التاريخ

صفحة من تاريخ تونس

متى كان ظهور الطباعة

بالاحرف العربية في تونس

بقلم العلامة المؤرخ امير الامراء سيدي
محمد بن الحوجه مستشار الحكومة التونسية

لمبتكر فن الطباعة فضل على العالمين لانها حفظت علوم الاقدمين واثارهم من التلاشي واعانت على توسيع ميادين الثقافة ونشر نور العلم بين كافة الشعوب والاقوام ولكن من هو الرجل الاول الذي انتبه لاجاد طريقة للكتابة بالطباعة ؟ لا جرم ان معرفة اسم ذلك الرجل ليست بالشئ اليسور لان الطباعة على الحجر كانت موجودة من عهد بابل واشور انما الشئ الصحيح الذي اثبتته التاريخ هو ان فضل تهذيب الطباعة المعروفة بتمكين الطابع من اخراج مطبوعات متعددة ومتماثلة من نص واحد في وقت واحد ترجع مزيتة لرجل اروبوي اسمه يوحنا كوتشير من رجال القرن الخامس عشر للميلاد والتاسع للهجرة الشريفة فهذا الرجل توصل بعد ابحاث وجهود للحصول على تلك الغاية وما لبث مشروعه لعظيم فائدته ان صار عموميا بين اهل اروبيا وتعلمه الناس في كل بلاد ونسجوا على منواله وتوسعوا في اساليب تحسينه واتقانه الى ان بلغوا في فن الطباعة منتهاه - واوكن ما طبع باروبا من الكتب اسفار التوراة باللغة اللاطينية .

هذا هو اصل الطباعة باروبا واما الطباعة بالاحرف العربية فهي وليدة المتقدمة ظهرت لعالم الوجود في اوائل القرن السادس عشر للميلاد ونحن في اواسط القرن العشرين واول ما طبع في ذلك كتاب مزامير داود عليه السلام بمدينة جنوى عام ١٥١٦ ثم باشروا باشارة البابا طبع كتب الحكمة عند العرب من ذلك كتاب النجاة للشيخ الرئيس ابن سينا (١) طبع بالاحرف المعدنية

(١) هذه الطبعة النادرة توجد منها نسخة بخزانة جامع الزيتونة تحت عدد ٥٢١٩ بدفتر الكتب

بمدينة رومه عام ١٥٩٣ (١) ورغم تكرار طبع الكتب باللغة العربية مدى القرنين السابع عشر والثامن عشر (الحادي عشر والثاني عشر للهجرة) بباريس ورومه ولندره وليون ولبنزغ ومجريط وغيرها من عواصم اوروبا فان العالم الاسلامي لم يقبل يومئذ على الطباعة (٢) ولعلمهم كانوا يتحاشون من ذلك اتقاء تلاشي مسودات الاوراق وهي لا تخلو من ايات كريمة او احاديث شريفة او غير ذلك من الاسباب التي اساسها التورع او التمسك بما كانت عليه صناعة الوراقة والنسخ من الازدهار في عصر السلف الصالح مع انتشار تآليفهم في كافة البلاد قبل ان يعم الطبع جهات المعمورة (٣) وبالتالي لم يكن في وسعهم الا الركون للاستفادة من محاسن الطباعة وكان بمقدمة الامم الاسلامية في ذلك السبيل البلاد المصرية ومصر كانت ولا زالت ان شاء الله منبع النور العلم المضيء فاحدثوا على عهد محمد علي باشا وبامره جريدة الوقائع المصرية وطبعوا كتباً كثيرة لا سيما في التاريخ والادب وشبه ذلك قبل الشروع في طبع كتب الدين وعلوم الشريعة . وبمصر اقتدت تونس وتونس هي بيت القصيد كانت الايالة التونسية عند وفاة المشير احمد باي متهيئة للسير في مسالك التمدن العصري الذي شاهد سمو الباي محاسنه مباشرة اثناء رحلته لباريس في اواخر عام ١٢٦٢ واقتبس من عناصره الاسس الاولى لنظام دواليب الدولة التونسية فلما ارتقى بعده المشير الثاني محمد باي لكرسي الامارة زاد خطوة في طريق الرقي الكتابي بالايالة حيث قرر في الاول اتخاذ مطبعة حجرية لتعميم اوامره ونواهيه استحضراء لانها من بارس وفقاً لما كان في عزم سلفه وعاقه حضور اجله عن انجازها واول ما طبع بهذه المطبعة الحجرية لائحة تراتيب داخلية ثم بدا له بعد حين التوسع في هذا المشروع فسمي لجلب احرف معدنية مع الاجهزة التابعة لها من دار الطباعة بباريس وفيما بين ذلك ادرسه اجله المحتوم وصعد اثره الكرسي الحسيني اخوة المشير الثالث محمد الصادق باي فاحدث جريدة الرائد

(١) طبع برومه ايضاً قبل كتاب النجاة بعام اي في سنة ١٥٩٢ متن الاجرومي بالمطبعة الحجرية وقفت على ذلك باحدى خزائن الكتب بباريس وهذه الطبعة مقدر ثمنها بفهرس صاحبها بثلاثمائة وخمسين فرنكاً فليتأمل .

(٢) ينبغي ان لا ننسى ان البدع من كل نوع كانت محصورة بين المسلمين ناهيك ان قاضي مكة المكرمة كان يحكم في المائة العاشرة بجلد شارب قهوة البن وكان المحتسب بتونس يعاقب النسوة اللاتي يلبسن الجوارب (كلاسط) في اواسط القرن الماضي .

(٣) اعتنى بعضهم بضبط مؤلفات جلال الدين السيوطي وقسمها على عدد ايام عمره فاصاب كل يوم منها كراس ونيف ولا ينبغي لمن لم يتأت له الوقوف على مؤلفات السيوطي أن ينكر صحة هذه الاحصائية فان السيوطي من اوفر العلماء تاليفاً في الاسلام ليس فقط في زمنه بل قبله وبعده ايضاً ومثله واكثر منه صلاح الدين الصفدي فانه كتب اكثر من خمسمائة تاليف منها كتاب الوافي بالوفيات ترجم فيه لاكثر من اربعة عشر الف فاضل ولا توجد منه نسخة كاملة باحدى خزائن الكتب المعروفة بالعالم ونسخة جامع الزيتونة اقلها نقصا حيث احتوت على واحد وعشرين جزءاً من الستة والعشرين التي كتبها المؤلف رحمه الله .

التونسي (١) التي اعطى امتيازها لاحد تجار الاجانب ولكنه خص قسما منها بنشر الامور الرسمية وجعلها لنظر رئيس المجلس البلدي وناظر رئاسة تحريرها بلياقة الاستاذ الشيخ محمود قابادو ثم بعد صدور بضعة اعداد منها ابطل منحة الامتياز المشار اليه وجعلها والمطبعة الرسمية بما اشتملت عليه من الاجهزة والاحرف المعدنية من حقوق الدولة التونسية وحدها وكانت المطبعة يومئذ بالحفصية (٢) واقلام ادارتها بدار العشرة (٣) حيث مقر المجلس البلدي في ذلك الزمان ولم يمض غير زمن قصير حتى اقبل الناس على هذا المشروع الجديد وسابقوا للاستفادة من النتائج الناشئة عن الصحافة والطباعة وسعوا لنشر بعض الكتب في الادب والتاريخ واللغة ثم طرّقوا باب الحديث والتوحيد والتصوف والفقه الخ واول ما طبع من ذلك مجموعة قوانين دولية ثم جدول في المقابلة بين التواريخ للشيخ حسن لازاغي البوني اسماء الهجة الحسينية في التواريخ الحالية (٤) ثم كتاب سلوان المطاع لابن ظفر وكتاب واسطة السلوك في سياسة الملوك لابن زيان ثم تسلسل الطبع والنشر للكتب من كل علم وفن ولكنه

(١) صدر اول عدد من الرائد التونسي يوم الاحد في ٤ محرم ١٢٧٧
(٢) دار الحفصية المنتصبة بقسم منها ادارة الغابة في هذا الزمان كانت مصنعا للدافع في العصر الحفصي وفي عهد الدولة المرادية والدولة الحسينية الى مدة المشير احمد باي كما كانت تحتوي على معمل لضرب السكة في الزمان القديم وكما كانت ايضا محجرا صحيا اثناء ظهور الطاعون بتونس في القرن الماضي وبعد ان انتصت بها المطبعة الرسمية نحو ربع قرن انتقلت هذه المطبعة للمحل الذي كان اصطبلًا لسمو الباي ببطحاء القصبية (حيث خزانة المكاتب العامة في هذا الزمان) ومنه انتقلت في عام ١٣١٩ لدار الداي الملاصقة لدرية الدولاتي وما زالت بها الى هذا اليوم
(٣) دار العشرة هي الدار المعروفة لهذا الزمان باسم « دار حسين » (هو الوزير امير الامراء حسين المملوك مستشار المعارف كان - توفي سنة ١٣٠٤) وبها مساكن ودواوين الجنرال القائد الاعلى للجيش الفرنسي بتونس واتساعها قديما لعدد العشرة يشير لعدد اعضاء المجلس البلدي الذين كانوا يجتمعون بها تحت رئاسة المرحوم حسين المذكور اعلاا وكانت هذه الدار قبل ذلك من املاك البائليك وتعرف اذاك باسم دار اسماعيل كاهية من وزراء المولى على باي الثاني المتوفى عام ١١٩٦ وكانت في الزمان المتقدم عن ذلك مسكنا لعثمان داي وفي عهد الدولة المرادية وقع تهذيبها بالنقش حديدة البديعة المزدان بها صحنها وجدرانها وكانت في مدة الدولة الحفصية دارا للضيوف فيما روته بعض الاخبار وهي وما جاورها من الابنية القديمة كانت قصورا للامراء من بني خراسان في المائة السادسة وما زال بجوارها بقية من اثارهم وكثير من الكتاب يخطون خط عشواء عند التعريف بتاريخ هذه الدار والجرائد تنقل عنهم ما كتبوا بدون بحث ولا تعقيب وهذا هو الذي دعاني لانتهاز هذه الفرصة لذكر خبرها الصحيح باختصار والله مقلب الليل والنهار

(٤) هو عبارة عن جدول للمقابلة بين التواريخ الحالية اصدره واضعه في مفتتح كل سنة قمرية من تاريخ ظهوره في سنة ١٢٧٨ الى سنة ١٢٩٠ وفي العام التالي اعتنى صاحبه بتوسيعه وتهذيب اساليبه ووافق ذلك ولاية الوزير خير الدين مسند الوزارة الكبرى فاتخذ المؤلف لتأليفه اسما جديدا مقتبساً من اسم الوزير خير الدين حيث اسماء النزهة الحيرية وهذه استرسل ظهورها بانتظام من تاريخ نشأتها حتى عام ١٣١٨ وبعده انقطع طبعها لوفاة صاحبها في العام المذكور فظهرت باثرها في عام ١٣١٩ الرزامة التونسية لكاتب الحروف ودام صدورها حتى عام ١٣٣٥

لم يقع طبع جريدة عربية اخرى في مطبعة الرائد قبل سنة ١٣٠٥ (١) واليك بائر هذا قائمة ما تيسر لي جمعه من اسماء الكتب العربية التي طبعت بالمطبعة الرسمية التونسية من عام ١٢٧٧ الى عام ١٣٠٠ هذا ولم نسع للبحث عما طبع بعد ذلك لتعدد المطابع العربية واستغراق عددها طبعها من الكتب في هذا القرن وانا على يقين انه فائني الوقوف على كتب اخرى مما طبع بالمطبعة الرسمية في القرن الماضي وعسى ان يكون هذا التنبيه باعثا للكشف عن اسماء تلك البقية بفضل من توفرت لديهم الدواعي في هذا المقام لاتحاف هذه المجلة او غيرها من الجرائد السيارة بتلك الضالة المنشودة قياما بخدمة العلم والتاريخ

(فمما طبع في عام ١٢٧٧)

١ - مجموعة قوانين تونسية

(ومما طبع في عام ١٢٧٨)

٢ - البهجة الحسينية في التواريخ الحالية للشيخ حسن لازاغي البوني - توفي عام ١٣١٨

(ومما طبع في عام ١٢٧٩)

٣ - كتاب ساوان المطاع في عدوان الاسباع لابي هاشم محمد بن ابي محمد بن محمد بن

ظفر المكي - توفي عام ٥٩٨

٤ - كتاب واسطة السلوك في سياسة الملوك للامير موسى بن يوسف ابي حمو بن زيان العبد

الوادي - توفي عام ٧٩١

٥ - مفاوضات المجلس الاكبر .

٦ - ختم في الحديث للشيخ صالح النيفر - توفي عام ١٢٩٠

(ومما طبع في عام ١٢٨٠)

٧ - مناقب الائمة الاربعة لالحريفيشي والشعراني .

٨ - لوعة الشاكي ودمعة الباكي لصلاح الدين خليل بن ابيك الصفدي - توفي عام ٧٦٤

٩ - الواسطه الى معرفة مالطه وكشف المخبا عن فنون اروبيا لآحمد فارس الشدياق

(١) في عام ١٣٠٥ ظهر العدد الاول من جريدة اسبوعية سياسية ادبية باسم « الحاضرة » مديرها النابتة المرحوم السيد علي بوشوشة (كان يحسن خمس لغات فهما وتفهima وقراءة وكتابة مع اللغة العربية) شارك في تاسيسها نخبة من الشبان منهم صاحبنا جميل الذكر الذي مات شبحه ولم يمت ولن يموت اسمه السيد البشير صفر والفقير الحقوقي الضليلم الشيخ صالح عباس وكاتب هذه الحروف وغيرهم وكان انجاز ذلك المشروع بمساعدة جميل الذكر العلامة مسيو ريني ملي الوزير المقيم والى حصافة رايه وسداد تديره ترجم مزية تاسيس معهد ابن خلدون بتونس

توفي عام ١٣٠٥

١٠ - كتاب الموطن للامام مالك بن انس رضي الله عنه توفي عام ١٧٩

(ومما طبع في عام ١٢٨١)

١١ - ديوان سيدنا حسان بن ثابت رضي الله عنه - توفي عام ٥٤

١٢ - حاشية علي قطر الندا للشيخ حسن بن عبد الكبير الشريف - توفي عام ١٢٣٣

(ومما طبع في عام ١٢٨٢)

١٣ - كتاب كنز فنون الضباط الصغار لاحمد المورالي - توفي عام ١٣١٩

١٤ - كتاب خدمة ضباط عسكر التريس مثله

(ومما طبع في عام ١٢٨٣)

١٥ - الخلاصة النقية في امراء افريقية للشيخ محمد الباجي المسعودي - توفي عام ١٢٩٧

١٦ - شرح الرسالة السمرقندية لابي الليث السمرقندي - توفي عام ٨٦٠

(ومما طبع في عام ١٢٨٤)

١٧ - كتاب اقوم المسالك في معرفة احوال الممالك للوزير خير الدين - توفي عام ١٣٠٧

١٨ - شرح متن الاجرومية للشيخ خالد بن عبد الله بن ابي بكر الازهري - توفي عام ٩٠٥

١٩ - شرح المتن المذكور ايضا للشيخ محمد مجاهد الطنندائي المشهور بابي النجا (١١)

(ومما طبع في عام ١٢٨٥)

٢٠ - طبعة ثانية من مناقب الائمة الاربعة (انظر عدد ٧)

(ومما طبع في عام ١٢٨٦)

٢١ - كتاب المونس في اخبار افريقية وتونس للشيخ محمد بن ابي القاسم الرعيني القبرواني

المعروف بابن ابي دينار - كان حيا في عام ١٠٩٢

٢٢ - كتاب تعليم المتعلم طريق التعلم لبرهان الدين الزرنوجي - من رجال القرن السادس (٢١)

٢٣ - شرح وحيز لسكة الحديد من الحاضرة الى حلق الوادي وباردو لتيودور ديمتيس

(١) جاء في معجم المطبوعات العربية والمعرية ان المؤلف فرغ من تاليف هذه الحاشية سنة

١٢٢٣ وضبط لقبه بالفظ الطننداعي ومثل ذلك في كتاب اكتشاف القنوع بما هو متباوع

(٢) تكرر طبعه بالروسيا والمانيا والهند ومصر وتونس والاستانة نقلا عن طبعة تونس وترجم

للغة اللاتينية . والمؤلف تلميذ صاحب الهداية برهان الدين الفرغاني

(ومما طبع في عام ١٢٨٧)

٢٤ - قطعة بها صفحات ٣٦٨ مما نشر بالرئد التونسي من كتاب الحلل السندسيه في الاخبار التونسية للشيخ محمد بن محمد بن احمد بن مصطفى الوزير السراج - توفي عام ١١٤٩

(ومما طبع في عام ١٢٨٨)

٢٥ - حريدة عقد اللال في التوصل للنبي بالآل للشيخ محمود قابادو - توفي عام ١٢٨٨
٢٦ - طبعة ثانية من كتاب لوعة الشاكي ودمعة الباكي لصالح الدين خليل بن ابيك الصفدي - توفي عام ٧٦٤

(ومما طبع في عام ١٢٨٩)

٢٧ - شرح على متن اليساغوجي (١) للشيخ محمد بيرم الثالث - توفي عام ١٢٥٩
٢٨ - تاريخ الدولتين الموحدة والحفصية للشيخ محمد بن اراهيم اللؤلؤي المعروف بالزركلي - توفي عام ٩٣٢

(ومما طبع في عام ١٢٩٠)

٢٩ - شرح العالم بستان للشيخ محمد بن الحوجه الاول - توفي عام ١٢٧٩
٣٠ - زواهر الكواكب لبواهر المواكب للشيخ محمد بن علي بن سعيد - توفي عام ١١٩٩
(طبع بعضه عام ١٢٩٠ وبعضه في عام ١٢٩٣)

٣١ - منهج السالك الى آفية ابن مالك للشيخ علي بن محمد الاشعوني - توفي عام ٩٠٠
٣٢ - متن الاجرومية للشيخ محمد بن محمد بن داود الصنهاجي المعروف بالاجرومي - توفي عام ٧٢٢

٣٣ - منظومة في قواعد العربية للشيخ عبد الله الشبراوي الشافعي - توفي عام ١١٧٢

(ومما طبع في عام ١٢٩١)

٣٤ - النزهة الخيرية في التواريخ الحالية للشيخ حسن لازاغي البوني - توفي عام ١٣١٨
« انظر عدد ٢ من هذا الفهرس والحاشية التابعة له »

(ومما طبع في عام ١٢٩٢)

٣٥ - دفتر الكتب المحفوظة بخزانة المكتبة الصادقية المشهورة بالعبدلية بجامع الزيتونة
٣٦ - عقيدة الامام السيوطي المتوفى عام ٩١١ طبعت للحفظ بعنوان تلاميذ المدرسة الصادقية

(١) اسمه باكملہ ايساغوجي بورفير يوس من علماء اليونان الذين دونوا علم المنطق ومنهم ايضا المعلم ارسطاطاليس صاحب حكم الحلقة المفرغة : العالم بستان .

٣٧ - مجموعة الاحاديث القضائية مثله

٣٨ - باب ما يقال عند الكرب من الجامع الصحيح ٤/١ (ومما طبع في عام ١٢٩٣).

٣٩ - كتاب خاص الخاص لابي منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل بن محمد النعالي توفي عام ٤٩٢

٤٠ - شرح الاجرومية لعبد الرحمن بن علي بن صالح الماكودي - توفي عام ٨٠٧

٤١ - مولد خير الانام للشيخ اراهيم بن عبد القادر الرياحي - توفي عام ١٢٦٦

٤٢ - شرح صغرى الصغرى للشيخ محمد بن يوسف السنوسي الحسني - توفي عام ٨٩٥

٤٣ - قصيدة بات سعاد (١) لسيدنا كعب بن زهير رضي الله عنه - توفي عام ٢٤

٤٤ - نظم المرشد المعين على الضروري من علوم الدين لابي محمد عبد الواحد بن عاشر - توفي عام ١٠٤٠

٤٥ - متن الجزرية لشمس الدين محمد بن عمر الجزري - توفي عام ٨٣٣

٤٦ - مختصر الدر الثمين والمورد المعين للشيخ محمد بن احمد بن محمد الفاسي الشهير بمبارة - توفي عام ١٠٤٨

٤٧ - طبعة ثانية (٢) من كتاب مجموع الافادة في علم الشهادة للشيخ محمد البشير التواتي - توفي عام ١٣١١

٤٨ - كتاب نور الايضاح ونجاة الارواح للشيخ حسن الشرنبلالي - توفي عام ١١٣٩ (ومما طبع في عام ١٢٩٤)

٤٩ - كتاب تعليم القاري للشيخ محمد بن حسن البارودي - توفي عام ١٣٠٤

٥٠ - ديوان الشيخ محمود قبادو - توفي عام ١٢٨٨ (طبع بعضه في عام ١٢٩٤ وبعضه في العام التالي)

(ومما طبع في ١٢٩٥)

٥١ - شرح الاربعين النووية لسعد الدين التفتازاني - توفي عام ٧٩٢

٥٢ - القسطاس المستقيم في اختلال الحكم بنفي جنسية القايد نسيم للسوزير حسين مستشار المعارف كان بتونس - توفي عام ١٣٠٤

(١) هذه القصيدة طبعت مع ترجمتها لكثير من اللغات الارواية وتكرر طبعها بهولاندة وفرنسا والمانيا وانكلتيرة واطاليا ومصر والهند والشام وتونس والجزاير مع شروح وحواشي ومعلوم ان النبي صلى الله عليه وسلم خلع على قائمها بالبردة الشريفة التي كانت فوقه وفي كتب السير ما يفيد ان معاوية بذل فيها لكعب عشرة آلاف درهم فايبى كعب بيعها واحتفظ بها الى ان مات قالوا انها بيعت في ايام ابي جعفر المنصور باربعين الف درهم وبقيت في خزائن بني العباس الى زحفة المغول على بغداد والله اعلم بما عالت اليه بعد ذلك .

ان الرسول لسيف يستضاء به مهند من سيوف الله مسلول

(٢) لم تقف على الطبعة الاولى التي طبعت فيما يظن خلال العقد التاسع من القرن الماضي حيث كان المؤلف وهو من اهل العلم - يباشر مهمة التصحيح بالمطبعة الرسمية التونسية مع تدريس فن القراءات بجامع الزيتونة .

٥٣ - رسالة أخرى له في نازلة القائد نسيم قابض الدولة التونسية كانت (مات ببلد القرنة عام ١٢٩٠)

٥٤ - مفاوضات مؤتمر القسطنطينية في المسألة الشرقية لمدخاي شمله

٥٥ - - اطلس في الجغرافية لمحمد بن حميدة الكاتب كان بالمطبعة الرسمية

٥٦ - بلوغ الاماني في مناقب الشيخ احمد التجاني لاحمد اديب المكي - توفي عام ١٣٥٢

(ومما طبع في عام ١٢٩٦)

٥٧ - الاجنة الدانية الاقطاف بمفاخر سلسلة السادة الاشراف للشيخ محمد بن عثمان

السنوسي - توفي عام ١٣١٨

(ومما طبع في عام ١٢٩٧)

٥٨ - - لقط الدرر للقاضي الشيخ محمد السنوسي بن مهنه الكافي - توفي عام ١٢٥٥

٥٩ - درر العروض لحفيده الشيخ محمد بن عثمان السنوسي - توفي عام ١٣١٨

(ومما طبع في عام ١٢٩٨)

٦٠ - البدرية للامام جعفر البرزنجي - توفي عام ١١٧٠

٦١ - الدر المنظوم في كيفية كتب الرسوم للشيخ علي ابن الشيخ صالح النيفر - توفي عام ١٣٣٢

٦٢ - المواهب الصمدية لكشف ثام السمرة قنديه للشيخ الطاهر بن مسعود - توفي عام ١٢٣٤

٦٣ - المطلع في الفلك للشيخ محمد بن سعيد السوسي - توفي سنة ١٠٤٠

٦٤ - الدر الثمين والمورد المعين للشيخ محمد بن احمد بن محمد الفاسي الشهير بمبارة توفي

عام ١٠٤٨ (طبع بعضه في عام ١٢٩٨ وبعضه في العام التالي)

٦٥ - الجوهر المرتب في العمل بالربع المجيب للشيخ محمد المكي بن عزوز - توفي عام ١٣٣٤

٦٦ - قطعة من النصف الاول بها ٢٩٦ صفحة مما نشره الرائد التونسي في عام ١٢٩٨ من

كتاب مسامرات الظريف بحسن التعريف للشيخ محمد بن عثمان السنوسي - توفي

عام ١٣١٨

(ومما طبع في عام ١٢٩٩)

٦٦ - حاشية على قرّة العين لشرح ورقات امام الحرمين للشيخ محمد بن حسن الهدية - توفي

عام ١١٩٧ وبهامشه الشرح المذكور للشيخ محمد بن محمد بن عبد الرحمن الخطاب من

رجال القرن الحادي عشر

٦٧ - مصرع ارباب العذر في التوسل باهل بدر للشيخ احمد اديب المكي توفي عام ١٣٥٢

(ومما طبع في عام ١٣٠٠)

٦٨ - مجموعة القوانين التونسية الاولى في عصر الحماية

هذه جملة ما وقفت عليه في الموضوع الذي نحن بصددده ويرى الناظر ان اسماء المصنفات التي بهذا الفهرس جاءت متبوعة بتاريخ وفيات المصنفين والقصد من ذلك زيادة التوضيح والافهم من

باب لزوم ما لا يلزم وفي هذا القدر كفاية لمن قرن البداية بالنهاية محمد بن الحوجه

تاريخ الهجرة المحمدية والتاريخ بها

ورد لنا هذا المقال الحافل من العالم الاديب الشيخ سيدي محمد المقداد الورتاني في تحرير تاريخ الهجرة النبوية الشريفة والتاريخ بها وصف فيه هجرة النبي صلى الله عليه وسلم وما اشتملت عليه من الحوادث العظام والتشريع السامي والمنازل التي نزل فيها مع بيان الاوقات والايام والشهر وقد اشبع القول فيه عناية منه بمسألة أساسية في التاريخ الاسلامي لها اهميتها وتيمتها فجاء متمما لما سبق نشره في العدد الممتاز الصادر في المحرم عام ١٣٥٨ من المجلد الثالث

المقدمة

(١) التاريخ زمن معين ينسب اليه ما بعده وما قبله -

وتعين الازمنة وضبط الاشياء بها امر لازم في نظام الحياة تتعلق به النفوس ويحتاجه الاجتماع البشري وتتوقف عليه الاعمال ويكون المرء على بينة فيما يهيمه من شئون دينه ودنياه وحتى لا يبقى همجا او يترك سدى

فالتاريخ وتعين الاوقات ضروري في الحياة فاوقات الانسان منها ما هو لعمله في واجبات معاشه ومنها ما هو لراحته ومنها ما هو محبور عليه بالنوم الطبيعي

وعندما اضطر الانسان الى ضبط اوقاته وجد المعين الاكبر له على ذلك هو الشمس في طلوعها وغروبها واثناء سيرها فيما بينهما ثم القمر ليلا وكواكب المنازل كذاك

وقد توسع العقل في تجزئة اوقات الشمس « والحاجة ام الاختراع » فاستعمل لها اله غاية ظلال الاشباح وانتقم بادوار القمر هلالا وبدرا وبرصد الكواكب في ظهورها بعد الغروب وعند الفجر وفي غروبها فيه وتنسب اليها الامطار (الانواء)

واخترع المنقالات التي لا يخلو منها لمعرفة اجزاء الزمان حيب انسان او مكان وهاته الكواكب في الهداية والحساب من لطف الله بمخلوقاته ومن النعم الكبرى للعمران

(١) فمن الهجرة تاريخ اسلامي - وهذا الزمن مقصود لذاته - ومقصود لضبط غيره به ويطلق التاريخ على تحديد وقت متنسب لغيره اي الى زمن معين قبله وبعده كذكر الايام والشهور والاعوام في الرسائل منتسبة الى الهجرة او الميلاد او غير ذلك والتاريخ علم مخصوص له مبادئ ١٠ كسائر الفنون - فيقال علم التاريخ كما يقال علم النحو مثلا

وقد بين تعالى ما انعم به لما هو ضروري في العالم بقوله :
هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب - ويدخل
في ذلك الشهور والايام والساعات والدقائق وسائر اجزاء الزمان ذك ذلك . تنفع به
يسألونك عن الاهلة قل هي مواقيت للناس والحج
فاذا طلعت الشمس هب كل حي الى نيل معاشه بالطرق التي يسره الله لها وربما خف الكفاح
العملي في وسط النهار او يتوقف ولكن في الحقيقة لا وقوف اذ اوقات الراحة فيها اعمال اخرى حيوية
متنوعة ومن ذلك التفكير وهو اساس العمل

ومتى حنت الشمس للمغيب حنت الاحياء الى اراحة أعضائها وجوارحها وبمقدار ما يصفر
قرص الشمس يتزايد الكلال وتضعف قوى الحيوان من كد النهار فتأخذ باسباب الرجوع والهجوم
فتسكن اعضاؤها وتغيب عن الوجود كما تغيب الشمس عن هذا العالم وينقطع ضياؤها
وبما ان الاشعة من الشمس لا تموت تماما وتبقى منها عقب المغيب ذبالة في بعض الكواكب
ليلا فكذلك الجسد الحيواني عند نموه وسكونه لا تفارقه النفس التي لا تموت في منامها وفي ذلك
اشعار بعود الشمس ورجوع وجدان الانسان وفلا ترجع الشمس من الغد حمراء صافية وتعود الى
الحيوان حياته وقواه فيأخذ كل منهما كمادته في الكد وهكذا الى ان يفرغ الامد والله الباقى بعد كل احد
والحيوان الاعجم يشارك الانسان في هذا المقام وله هداية والهام وقد تماالا البشر من قديم على
تعيين اوقات يرجعون الى ضبط امورهم بها فاتخذوا هبوط آدم الى الارض زمنا ينسبون اليه ما بعده (١)
ويتحدثون منه على ما قبله واتخذوا الطوفان زمن نوح كذلك ونار ابراهيم وبناء الكعبة ووفاة موسى
وميلاد عيسى وعام الفيل وحرب الفجار وغير ذلك
والى الان يؤرخ عامة الناس في احيالهم بكسوف الشمس والزوال وتسائر النجوم ووفود
الحجرات وعام الشر (الحوج)

ومن ذلك الحرب الكبرى عام ١٩٣٢-١٩١٤ والاحتلال الفرنسي بتونس المعبر عنه عندهم
بعام النصرى ١٢٩٨-١٨٨١

ولكن العام بالطوفان غير العلم بعام الفيل مثلا
فالتواريخ تكون احيانا معلومة للكافة واخرى لبعض دون آخرين
وقد سمى الصحابة رضوان عنهم الاعوام العشرة التي اقامها صلى الله عليه وسلم في المدينة من
تاريخ هجرته الى عام وفاته باسماء مخصوصة للتمييز وضبط الاحول بها وسياقي ذلك في فصل
التاريخ بالهجرة

(١) التاريخ من هبوط آدم واما بدء الكون وخلق الارض وعمرانها فزمانه غير معلوم ولا
محدد - وقال علماء الطبيعة ان للكرة الارضية منذ كانت نلرا مائة الى الآن ثلاثمائة مليون سنة وان
عمر الحيوان والنبات مائة مليون سنة .

تاريخ هجرة محمد صلى الله عليه وسلم

من مكة الى المدينة

بعد ثلاثة وخمسين عاما من عام الفيل الذي ولد فيه صلى الله عليه وسلم ١٢ ربيع الاول و ٢٠ افريل سنة ٥٧١ من ميلاد عيسى عليه السلام وبعد نبوته صلى الله عليه وسلم وبدء الوحي بثلاثة عشر عاما وبعد الجهر بالدعوة للدين والصدع بأمر الرسالة بعشرة اعوام حصل الاذن للرسول محمد عليه الصلاة والسلام بالهجرة من مكة لما بلغ ايداء قومه له صلى الله عليه وسلم قولوا وفعلا الى حد اجماعهم على قتله فخرج ومعه ابو بكر ليلا وخفية الى غار (١) بجبل ثور وذلك في اواخر صفر ياتيهما بالقوت فيه عبد الله ابن ابي بكر ليلا ويربح عامر بن فهيرة غنم ابي بكر ليلا حول الغار لياخذها من البانها ويمحو آثار عبد الله ابن ابي بكر الذي كان ياتيهما ليلا بأخبار مكة ويبيت عندهما ويدلج من الغد الى مكة

وبعد ثلاث سافرا يوم الاثنين غرة ربيع الاول وركب صلى الله عليه وسلم ناقته القصواء اشتراها من ابي بكر بمائتين وارفد ابو بكر على ناقته تابعه عامر ابن فهيرة ليعخدمهما وامدتهما بالزاد اسماء ابنة ابي بكر ذات النطاقين (٢)

وحمل ابو بكر معه جميع ماله وهو سنة آلاف درهم - واتخذوا لهما دليلا خريتا وهو عبد الله ابن اريقط وكان يومئذ غير مومن اتاهما في الموعد بعد ثلاث وسلك بهما شاطيء البحر الاحمر وتباعد عن الطريق العظمى وكثرة السابلة

(٣) وكان عبد الله المذكور عارفا بالطرق وقد وثقا به اذ صاحب الصناعة لا يخون فيها وعند ما مروا

(١) جبل الثور جنوب مكة على بعد اميال خمسة على الطريق البعيدة السهلة نوعا والسير فيها راكبا يتجاوز الساعة وعلى الطريق القريبة الوعرة ثلاثة اميال والصعود الى صخرة الجبل راجلا في طريق ملتوية يبلغ الساعة والغار الان له مدخل غربي وآخر شرقي يدخل اليه زحفا حيث انقسام المدخل نحو ثلاثة اشبار في شبرين فقط

(٢) سميت ذات النطاقين لانها شقت نطاقها وربطت باحد الشقين الجراب الذي اتت فيه بالسفرة « زاد السفر » للنبي صلى الله عليه وسلم عند خروجه من الغار ومعه والدها ابو بكر مهاجرين الى المدينة - والسفرة طعام المسافر ثم اطلقت على وعائه ثم على ما يوكل عليه

(٣) الدليل سلك بهم الى الساحل حتى عارض الطريق اسفل من عسفان ثم سلك اسفل امج وبعد ان اجاز قديد عارض الطريق ثم سلك الحرار ثم ثنية المرة ثم القفا ثم مدلجة لقف ثم استبطن مدلجة محاج ثم مرجح محاج ثم بطن مرجح ذي المضوين ثم بطن ذي كشد ثم اخذ على طريق الجدادج ثم على الاجرد ثم ذا سلم من بطن اعداء مدلجة تعين ثم على العبايد ثم اجاز الفاجة ثم هبط العرج وهي من منازل الجادة بين مكة والمدينة ثم سلك من العرج على ثنية العاير عن يمين ركوبة حتى هبط بطن ريم ثم قدم قبا على بني عمرو بن عوف

يفديد طلبوا من صاحبة مركز هناك (مترجاة تطعم وتسقي المسافرين) وهي ام معبد عاتكة ان تبهم ما يقتاتون به فاعتذرت بفقدان ذلك فاستأذنها صلى الله عليه وسلم ومسح بيده الشريفة ضرع شاة هزيلة هناك فدرت (١) ببركته وحلبها غير مرة حتى اخذ الحاضرون كسافيتهم وابقى من الحليب لابي معبد المتغيب مع شياهه

وبلغ صلى الله عليه وسلم قبا يوم الاثنين ثامن ربيع الاول حوالى الزوال والشمس اذ ذاك بينها وبين نقطة الاعتدال ورأس برج الميزان واول الخريف « المسمى في القديم بالربيع » ساعات ١٤ وادراج ٧ وكان مدخل العام القمري وهو المحرم في ذلك التاريخ يوم الخميس الموافق ليوم الخامس عشر من شهر تموز (جويلية) سنة ٦٢٢ مسيحية على حساب التقويم الصحيح للامير الفلكي الشهر الوغ بك حفيد هو لأكو (٢) وعلى حساب غيره بالجمعة ١٦ جويلية فنزل صلى الله عليه وسلم في بني عمر وابن عوف بقبا ضيفا على كلثوم بن الهدم وصار يجلس للناس ويتحدث لهم في بيت سعد ابن خيثمة لانه كان غزبا ويقال لبيته بيت العزاب لان العزاب (٣) النبي صلى الله عليه وسلم ينزلون عنده فيه وامر كلثوم مولى له يسمى نجيجا ان ياتي لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالطيب والزمان كما علمت خريف فاتاه بهنو من ام جردان فيه رطب منصف وفيه زهو وبني صلى الله عليه وسلم يوم الثلاثاء ٢٦ من شهر سبتمبر « ايلول » مسجد قبا (٤) الذي اسس على التقوى من اول يوم فيه

(١) وقد كنت قلت في القصيدة المولدية المنشورة بالمجلة الزيتونية في ربيع الاول ومائة ١٣٥-١٣٩٩ بركانه درت بها الحليمة * ولام معبد في المجاف لبان
(٢) الوغ بك ميرزا محمد تارا علي ابن شاه رخ بن تيمورلنك ولد سنة ٧٩٦ وتقلد الملك على سمرقند وهو من اعلم علماء الفلك وكان يعتقد صحة التنجيم فالضعف البشري تغلب فيه على العلم والعقل فكان يرى من حساب طالعه انه سيقتل من يد ابنه عبد اللطيف ولأجل ذلك كان يذيقه انواع العذاب - ولامر ارادة الله نشأ عن ذلك اغارة لصدر ابنه فعمد هذا القتل ابيه بيده سنة ٨٥٤

(٣) كان صلى الله عليه وسلم عندما تمت بيعة العقبة مع الانصار وطلبوا منه الهجرة اليهم امر اصحابه في مكة بالهجرة الى المدينة حيث فشا فيها الاسلام وله بها اثني عشر قريبا فخرجوا ونزلوا بالمدينة وما حوالها والكثير منهم بقبا ولم يبق احد من المسلمين بمكة عند خروجه صلى الله عليه وسلم منها الا علي بقصد ارجاع الودائع الى اربابها ولحق به بعد ثلاث في قبا - والا بعض المستضعفين

(٤) وضع النبي صلى الله عليه وسلم اول حجر في قبلة قبا وثنى ابو بكر بحجر وثالث عمر بعث ذلك ثم اخذ الناس في البناء وكنت قلت في ميلاده صلى الله عليه وسلم شهر ٢٠ افريل والشمس حلت برج الثور وفي خروجه من غار الثور بعد الاختفاء به مهاجرا الى المدينة وبنائه مسجد قبا في الاعتدال الخريفي والشمس حلت برج الميزان سابع البروج * ميلاد برج ثور بدء هجرته * من غار نور قبا برج الموازين * وذلك في القصيدة التي مطلعها : ياتونس الانس دار العلم والدين هل هبة منك عن دارين تغنيني .

وستشر في الشهر القابل ان شاء الله بالمجلة الزيتونية .

قوم يتطهرن بالماء في الاستنجاء هداهم الله للنظافة الكاملة ووقفه إياه الحلة الطيبة هذا على حساب يوليوس وإما على حساب قريقوار فيوم ٢٣ : أقام صلى الله عليه وسلم في قبا إلى أن لحق به سيدنا علي كرم الله وجهه بعد ثلاثة أيام وقد تخلف لأرجاع الودائع إلى أربابها من منزل سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وقد كان أمينا شهيرا بينهم إذ كل من كان عنده شيء يخشى عليه بمكة يضعه عنده ورحل صلى الله عليه وسلم من قبا يوم الجمعة قاصدا المدينة وبينه وبين قبا نحو فرسخ وصلى الجمعة بالناس في منتصف الطريق برانوناه في بطن واد في مسجد بني سالم ابن عوف بين قبا والمدينة وهي أول جمعة أقامها صلى الله عليه وسلم وأول خطبة قالها فيها مطلعا : الحمد لله - الحمد لله - واستعينه واستغفره - وختمها - ولا قوة إلا بالله العظيم

وكلما تعرض له أناس في طريقه يطلبون منه النزول عليهم أو تعلقوا بزمام ناقته إلا واجاههم بقوله أتركوها فإنها مأمورة وكانت هي تجذب نفسها منهم وقد أرخى صلى الله عليه وسلم لها زمامها فلا يشنها به .

ودخل المدينة ينعم النسوة المخدرات على السطوح ينشدن ﴿ طلع البدر علينا من ثنيات الوداع - وجب الشكر علينا : ما دعا لله داع - أيا المبعوث فين ﴾ جئت بالأمر المطاع -

وفي المكان الذي بركت فيه الناقة أولا وثانيا وألقت بجرانها إلى الأرض ورزمت (صوت بدون أن تفتح فاه) - نزل صلى الله عليه وسلم واتخذ ذلك المكاث مسجدا وبينه وبين مسجد قبا نحو ثلاثة أميال ونصف ووضع رحله عند أبي أيوب خالد بن زيد بن كليب الانصاري وقال لمن طلب النزول عنده - المرء مع رحله - واستقر صلى الله عليه وسلم بالطبقة السفلى تسهلا للاجتماع بالناس ثم نقله أبو أيوب إلى الطبقة العليا حتى لا ينزل عليه تراب أو يصيبه ماء .

فاتضح بما تقرر أن الهجرة كانت في ربيع الأول وفي الاعتدال الحريفي في شهر أيلول « سبتمبر » وليست في المحرم ولا في تموز « جويلية »

هذا هو تاريخ الهجرة المحمدية والوقت الذي وقعت فيه .

ابتداء التاريخ بالهجرة المحمدية

في عام سبعة عشر من وصوله صلى الله عليه وسلم للمدينة المنورة تأسس التاريخ الاسلامي واعتبر من الهجرة النبوية على عهد سيدنا عمر ابن الخطاب الخليفة الثاني .

وقبل ذلك كان الصحابة رضوان الله عنهم يطلقون اسما على كل عام من الاعوام العشرة التي أقامها صلى الله عليه وسلم من وصوله لها إلى يوم وفاته وكل اسم من تلك السنوات مشتق مما اتفق له صلى الله عليه وسلم في كل سنة منها .

فالسنة الأولى تسمى سنة الاذن والثانية سنة الامر بالقتال والثالثة سنة التمحيص - والرابعة سنة

الترفية - والخامسة سنة الزوال - والسادسة سنة الاستيناس - والسابعة سنة الاستغلاب - والثامنة سنة الاستواء - والتاسعة سنة البراءة - والعاشر سنة الوداع - فكانوا يستفتون بذكرها عن عددها من لدن الهجرة - وقيت الاعوام السبعة التي بعد وفاته الى عام تأسيس التاريخ غفلا ليس لها اسم ولا مبدأ

في عام ١٧ ورد خطاب لسيدنا عمر من احد عماله وهو ابو موسى الاشعري يقول فيه : انه تاتينا منك كتب ليس لها تاريخ - كما رفع الى عمر صك محله (بكسر الحاء) شعبان يقال أي شعبان ؟ أهذا الذي نحن نيه أم الذي هو ءات ؟ واستشار الصحابة في ذلك فقال له الهرمزان الفارسي الذي كان ملصكا على الاهواز واسر واسلم على عهد سيدنا عمر واجرى له الفين واقامه في المدينة : ان للعجم حسابا يسمونه (مالا روز) وشرح له كيفية استعمال التاريخ - ومالا معناه شهر وروز معناه اليوم - يعنون بذلك حساب الايام والشهور - وكان الهرمزان عند وصوله للمدينة وتحدثه مع سيدنا عمر يترجم بينهما ابو موسى الاشعري الذي كان يفقه الفارسية الى ان حضر المترجم فالتحقن الخليفة هذا الامر واذن باستعماله واهل فارس حضارهم عتيقة ثم دارت الاراء في مبدأ التاريخ بالولادة او بالنبوة او بالهجرة او بالوفاة - فعمل الخليفة برأي سيدنا علي كرم الله وجهه وهو التاريخ بالهجرة التي علاها شأن الاسلام وفرقت بين الحق والباطل وبين الخوف والامن وبين اخفاء شعائر الاسلام واعلانها ولما كانت الهجرة والوصول الى قبا في ثامن ربيع الاول والى المدينة في ثاني عشر منه وهو واقع في اثناء العام العربي الذي مبدؤة المستعمل عند العرب هو المحرم جعلوا مبدأ الحساب من غرة العام العربي التي سبقت الهجرة بشهرين وكسر فزادوا على يوم الهجرة تلك المدة وقد فعل ذلك النضرى من قبل - فان ميلاد المسيح سبق باسبوع غرة شهر يناير الذي هو اول شهور العام الشمسي (١) ولما اتخذ الميلاد مبدأ للتاريخ المسيحي سنة ٣٢٥ م بعد ان كان التاريخ روميا (نسبة لرومة) (٢) اعتبروا الحساب الميلادي من غرة يناير الذي هو اول العام

(١) قد ذكر اهل العناية بالتاريخ والحساب ان ميلاد عيسى يظن انه لم يكن في ٢٥ ديسمبر كما يقولون حيث ورد ان الرعاية كانوا في ميلاده مقيمين في البرية ليلا وهم في فصل الشتاء لا يقيمون ليلا في البرية - وقد كان اتفاقهم على اليوم المذكور بعد الاختلاف فيه بعد الميلاد بنحو مائتي سنة

(٢) تقويم الرومانيين القديم ٧٥٤ قبل المسيح وضعه رومولوس في مدة الجمهورية الاولى برومة به عشرة اشهر فقط ولما بلغ الحلل فيه الى ان صار الاعتدال الربيعي واقعا في الانقلاب الصيفي - اصلى الامير نوما حساب الشهور على مقتضى الحساب اليوناني وزاد شهرين احدهما سماه جانوا روس - (جاني) واعتبره اول شهور العام والثاني سماه فبروا ربوس (فيفري)

وفي عام ٤٥ قبل المسيح اصلى جول سيزار حساب الشهور بعد ان كان فيها اضطراب وخلط وسمى الشهر السابع باسمه جوليس « جويليه » - وهي الثامن اوغستوس (اوت) جعله تذكارا للامبراطور اوغستوس

وفي سنة ٣٢٥ م - ١٠٨٩ رومية قرر الجمع الديني النيقاوي « في نيس » استعمال الاصطلاح -

الشمسي والغوا مدة الاسبوع السابق لشهر يئائر فهم يتخذون يوم الميلاد الخامس والعشرين من ديسمبر عيدا دينيا تذكارا لولادة عيسى ويحتفلون في اول يئائر راس السنة بصفته موسما اجتماعيا وكان اليوم الاول من المحرم معظما عند ملوك العرب يقعدون فيه للهناء وقد اتخذ ملوك الاسلام موسما وان لم يكن بصفة عامة في المملكة التونسية وهذا ما يعد نقصا في الاعتبار والا فكيف يحتفل الامير بغرة العام العربي وقبل التهاني من رجال دولته وشعرائه ويوزع فيه المسكوكات الجديدة المضروبة باسمه على قطع الذهب والفضة بتاريخ العام الجديد ولا تشاركه في ذلك كافة سكان مملكته حتى يكون موسما عرفيا عاما مراعاة لكونه غرة لعام قمري اسلامي واحتراما للهجرة التي وقعت في اثنائه وصار مبدءا العام عنوانا لها وبما تقرر من كون مبدء التاريخ هو الهجرة النبوية الواقعة في ربيع الاول سواء في يوم الاثنين الذي بلغ فيه صلى الله عليه وسلم الى قبا وهو الثامن او التاسع منه الذي بنى فيه صلى الله عليه وسلم مسجد قبا حول المدينة واقام هناك اياما ثلاثة فانبأ العيد الرسمي للهجرة وتذكارها بالحساب الشمسي يكون في الاعتدال الخريفي ويكون يوم ٢٠ من افريل الذي ولد فيه صلى الله عليه وسلم عيدا لميلاده ايضا بالحساب الشمسي .

الجولوسي في حساب الشهور واشترط لذلك جعل مبدء التاريخ الشمسي ميلاد عيسى والغا التاريخ الروماني فعملت به كافة البلدان المسيحية الى سنة ١٥٨٢ ولم يعمل به الدانمارك والبروتستانت وفي هذا العام ١٥٨٢ اذن البابا قريوار الثالث باصلاح الحساب واعتبر الخامس من تشرين الاول « أكتوبر » خامس عشر منه لان حساب جولوس فيه كسور زائدة على الواقع نشأ منها فرق عشرة ايام ولكي لا يحصل فرق في المستقبل فان موفى كل مائة سنة لا يكون كبسا الا في موفى المائة الرابعة على خلاف حساب يوليوس الذي يجعل الكبس كل رابع سنة ومن ذلك السنة المتممة لكل مائة وبذلك ازداد الفرق بين الحسابين : بيوم عند موفى سنة ١٧٠٠ واما في موفى ١٨٠٠ ومثله في ١٩٠٠ فصار الفرق ١٣ يوما يسبق بها حساب قريوار حساب يوليوس وهكذا في المستقبل عدا موفى ٢٠٠٠ لانه رابع قرن بعد ١٦٠٠ فيكون فيه - كبس على الحسابين معا ولا يتكون فيه فرق يوم - وقد وقع العمل بحساب قريوار ابتداء من عام ١٥٨١ عند فرنسا وايطاليا واسبانيا والبرتغال واما هولاندة والدانمارك والبروتستانت فلم يعملوا به الا في سنة ١٧٠٠ - والانقليز عمل به سنة ١٧٥٢ ثم عملت به جميع ممالك اروبا ما عدا الروس والاروام وبعض المسيحيين في الشرق ورغمما من تدقيق حساب قريوار فانه يبقى منه كسر قليل يتكون منه يوم بعد ثلاثة آلاف سنة - ومن يعيش ير - ورغمما على صحة حساب قريوار ووضوحه كالشمس في رابعة النهار فان التونسيين لم يعملوا به ان الفرنسيين عدلوا عن حساب قريوار فيما يخص مبدء السنة وذلك في عام ١٧٩٢ وجعلوا راس السنة نقطة الاعتدال الخريفي في سبتمبر واستمروا على ذلك الى سنة ١٨٠٥ ثم رجعوا الى تقويم قريوار في عام ١٨٠٦

وامر قيصر روسيا في سنة ١٦٩٩ ان يكون راس السنة جانفي مثل اروبا بدل اول يوم من سبتمبر وبقي تقويم اشهرها على حساب يوليوس ثم عملت روسيا ويوغوسلافيا حساب السنة على راي قريوار في سنة ١٩٢٣ اي بعد الحرب الكبرى - وارخت بذلك جمهورية تركيا وعدلت عن تواريخها ابتداء من عام ١٩٢٦

ومن حسن الاتفاق ان مولده صلى الله عليه وسلم كان في افريل وهو من اشهر ربيع الازهر وهجرته كانت في سبتمبر وهو من اشهر ربيع الثمار (١) والله من ارادته حسن الاختيار .

(٢) هذا وقد اقترح بعض الحساب من ذوي الالباب ان يتخذ الاعتدال الخريفي لهاته الاسباب مبدأ لتاريخ هجري شمسي زيادة على التاريخ القمري ودعاهم لذلك كون الحساب الشمسي لا يحصى منه والامة الاسلامية تستعمله من عهد الخلافة لحياة الحجاج ومراعاة لفصول الانتاج غير انها لم تجد مبدأ اسلاميا تستند عليه وتؤرخ به الحساب الشمسي وقد حاولوا اعطاء اسماء الاعوام العربية الى السنين الشمسية فنشأت عن ذلك اغلاط رغماً على ما اتخذوه من الاحتياط وابتلعت ٣٣ سنة شمسية عاماً عربياً اذا كان العد بالسنوات الشمسية وفاقته الاعوام العربية بعام على الاعوام الشمسية اذا كان العد بالاعوام العربية .

وقد استندت الملل الاسلامية اخيراً بحكم الضرورة الى مبدأ التاريخ المسيحي . وهذا الاقتراح الذي ابداه في هذا الباب احد (٣) نبغاء الحساب وهو عين الصواب قد رتب له تقويماً شمسياً وسمي له اشهرًا وحجلاً لو وقع العمل به .

وقد كان اهل الاندلس واهل المغرب يحسبون بالشمسي مع القمري لان فصول العام ومصالح البشر في معاشها وعبادتها مرتبطة بسير الكوكبين والى الان سكان المملكة التونسية يحسبون بالاشهر الشمسية مع القمريه ويحافظون على اوقاتها ومواسمها مثل راس السنة وايام السماعيل ٤٠ في الحر والبرد من ١٢ جويلية ومن ١٢ دسمبر - واستحباب مطر النيسان من ٢٧ افريل الى ٣ مايه - واتخاذ اوقات معلومة شمسية للفلاحة والغراسة وهم محافظون على تقويم يوليوس العتيق ولكن بدون مبدأ ترجع اليه السنوات الشمسية واخيراً تغلبت المسيحية - هذا واولى الايام الشمسية بالاعتبار والاحتفال العشرون من افريل الذي ولد فيه صلى الله عليه وسلم او الثاني والعشرون منه عملاً بتصحيح الحساب وكذلك اليوم الثالث والعشرون من سبتمبر الذي بنى فيه صلى الله عليه وسلم مسجداً في هجرته المباركة بقي الكلام هنا على يوم عاشوراء الذي وجد النبي صلى الله عليه وسلم اليهود يصومونه عند ما اتى المدينة في ربيع الاول - ونظره في فرصة اخرى ان شاء الله لبيان آراء علماء الحديث وعلماء الفلك في ذلك

وبما تقرر تحصن ان الهجرة كانت في ربيع الاول لافي المحرم وفي الاعتدال الخريفي بشهر سبتمبر لا في شهر جويلية وان المناسب ان يكون تذكراها في تاريخها الحقيقي بالقمري والشمسي معا وفي نفس تلك الايام والشهور والى الله عاقبة الامور

محمد المقداد الورتاني

(١) وكنت قلت في هذا المعنى * لمحمد خير الفصول ربيعا - واليه في خير البقاع مكان * ان الربيع اذا الزهور تطمرت - ومتى يحين النخل والرمان *

(٢) اكثر الامم في القديم اتخذت فصل الخريف مبدأ لاعوامها ومن ذلك المصريون والكلدانيون والاشوريون والفينيقيون والقرطاجنيون وكذلك الفرساويون عند ثورتهم الكبرى وكانت حسابات الدواوين في المملكة التونسية بمبداها شهر اكتوبر - بالخريف وهو قريب من الاعتدال الخريفي الذي يكون في سبتمبر ٢٣ وكانت بعض الامم مثل الفرس بتدئي حساباتها باول شهر مارس في الربيع وهو قريب من الاعتدال الربيعي الذي يكون في ٢١ مارس .

ويوم حلول الشمس في برج الحمل يسمى النوروز

ويوم الاعتدال الخريفي عند حلول الشمس برج الميزان يسمى المهرجان .

(٣) أبدى هاته الفكرة ابو الضياء توفيق في رسالته المسماة تقويم الادواز ١٢٨٧ بالاسنة

❦ اصلاح غلط ❦

خطأ	الصواب	صحيفة	سطر
الجوهري	الجوهري	١٢٧	١٣
قلوبهم	قلوبهم	١٢٧	٢٤
النواير	النواير	١٣٠	٤
صحجحه	صحجحه	١٢٢	٣
فشر بوا	فشر بوا	١٣٢	٧
فدعى	فدعا	١٣٢	١٥
ما	ما	١٣٢	١٦
وقد	وقد	١٣٣	١١
شرح	شرح	١٣٣	١٤
الرواات	الرواة	١٣٣	٢٠
يريد	يريدا	١٣٣	٢٠
الهدى	الهدى	١٣٣	٢٤
بشريعته شريعة	شريعته بشريعة	١٣٤	١٠
في سورة	في سورة نوح : انا ارسلنا نوحا الى قومه	١٣٤	١٦
سنة	لسته	١٣٥	٢٠
نعوة	نومه	١٥٢	١٢
المعالم	العلم	١٤١	٢١١

الاشترالك

عن سنة بالخاصرة وبلدان المملكة والجزائر والمغرب
وصولات الاشتراك لا تعتبر الا اذا كانت
ممضاة من امين المال

محمد الهادي بن القايني

والمخابرات المالية تكون معه

الاقصى وسوريا فرنكات ٣٠

في الخارج غير البلاد المذكورة فرنكات ٤٠

مجلد المجلة عشرة اعداد في السنة

الادارة نهج الباشا رقم ٣٣ - تونس

المجلة الزيتونية

مجلة علمية أدبية أخلاقية
تصديدها الشهرية من شهر ربيع الأول إلى شهر ربيع الثاني
شهرية وستة عشر شهرا

المجلد الرابع

تونس في صفر الخير ١٣٦٠ وفي مارس ١٩٤١

الجزء السادس

صاحب المجلة والمدير :

محمد شاذلي بن القايني

المدرس من الطبقة الاولى بجامع الزيتونة
والخطيب الاول بجامع حمودة باشا

المراسلات :

ترد باسم مدير المجلة بمحل الادارة

رئيس قلم التحرير

محمد المختار بن محمود

المفتي الحنفي

بالديار التونسية

الادارة :

نهج الباشا رقم ٣٣ بتونس - تليفون ٢٦-٤٩

حساب جاري بادارة البريد رقم ٣٤٢٢

تمن الجزء ثلاثة فرنكات

صفحة

المقال

صاحبه

القرآن الكريم

- ١٦٠ تفسير آية يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله
واطيعوا الرسول والي الامر منكم
الشيخ محمد المختار بن محمود رئيس قلم التحرير
- ١٦٥ اعجاز القرآن
العلامة التحرير الشيخ سيدي علي النيفر المدرس
من الطبقة الاولى بجامع الزيتونة

الحديث الشريف

- ١٦٨ الحرام بين والحلال بين
محمد الهادي ابن القاضي امين مال المجلة
- التاريخ
العلامة المؤرخ امير الامراء سيدي محمد بن الحوجة
- ١٧٣ اقراض طبقة من اهل العلم والفضل
مستشار الحكومة التونسية
- ١٧٨ أثر تاريخي معاصر بجامع الزيتونة
بقلم العالم الاثري سيدي حسن عبد الوهاب
رئيس الخزنة العامة

الادب

- ١٨٢ معارضة (قصيدة)
العالم الاديب الشيخ محمد المقداد الورتاني

اعلان

المجلة تطلب وكيلا عنها ببلاد الجزائر فمن آتس من نفسه المقدرة فليقدم مطلبها لادارة
المجلة نهج الباشا عدد ٣٣ تونس ليقع الاتفاق معه

مجموعات المجلة

لدينا مجموعات السنوات الماضية وهي ترسل لاول رغب قدم المعلوم وقدرة ثلاثون مرنكا
وبونس يخاطب مكتبة العسلي بسوق الصوف

المجلد الثانی فی تفسیر سورۃ

مَجْدِ عَلِيَّةٍ أَدْبِيَّةٍ اخْلَاقِيَّةٍ
تَصَدَّقَ بِهَا الْمَسْكِينُ فَلَا يَمُوتُ جُنَااحًا رَاحَةً يَتَوَقَّاهُ الْمُسْلِمُونَ
شَهْرِيَّةٌ وَسَنَتِيَّةٌ عَشْرَةٌ أَشْهُرَ

الجزء السادس تونس في صفر الخير ١٣٦٠ وفي مارس ١٩٤١ المجلد الرابع

رئيس قلم التحرير .

محمد المختار ابن محمود

المفتي الحنفى

بالديار التونسية

صاحب المجلة والمدير :

محمد شاولی بن الفاضلی

المدرس من الطبقة الاولى بجامع الزيتونة

والخطيب الاول بجامع حمودة باشا

المراسلات :

ترد باسم مدير المجلة بمحل الادارة

الادارة :

نهج الباشا رقم ٣٣. بتونس - تليفون ٢٦-٤٩

حساب جاری بادرۃ البرید رقم ۳۴۲۲

ثمن الجزء ثلاثة فريكات

القرآن الكريم

بسم الله الرحمن الرحيم

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا

بقلم محمد المختار بن محمود رئيس قلم التحرير

رأس الحكمة مخافة الله . وأساس النجاح طاعة الله . فمن اراد ان يكون في هذه الحياة مستقيماً . وان يكون مقامه في الآخرة مقاماً عظيماً . فليكن الهدف الذي يرمي اليه . والمحرك الذي يدور في جميع اعماله عليه . طاعة الله جل جلاله . وتباركت آلاؤه وعم نواله . فاذا كان الله على عبده راضياً . حفت به العناية من كل جانب . وكان في حصن حصين من جميع الاكدار والمصائب . فالعاقل الموفق هو الذي يبذل قصارى جهده في فعل ما ينجي . وتجنب ما يرديه . وشريعة الاسلام قد وضعت للسائر طرق السلامة . وكشفت للسالكين عن مهامه الندامة . فاصح الناس وطرق الحق امامهم بحمد الله واضحة جليلة . ومسالك الضلال بلطف الله مكشوفة مقصبة .

وهذه الآية التي جعلناها الليلة محور الحديث . قد انتظم في سلكها اعظم قاعدة من قواعد الاسلام . واحتوت على اشرف المبادي التي يقوم عليها امر النظام العام .

وبيان ذلك ان الانسان مطالب بتنظيم حياته في خاصة نفسه . وفيما بينه وبين الناس . وهذا الانتظام منه ما يرجع الى الحياة الدنيا الفانية . ومنه ما يرجع الى الحياة الاخرى الباقية . وكل ذلك يرجع الى الامور الاربعة التي اشتملت عليها هذه الآية وهي : طاعة الله . وطاعة رسوله . وطاعة اولي الامر . والامر الرابع الرجوع الى الله والى الرسول عند وقوع التنازع .

فاما طاعة الله . فبفعل جميع ما امر به الله . وتجنب ما نهى عنه . وهي صكيلة مختصرة لكنها جامعة . فحاصل التقوى اجتناب وامتنال . فاذا فعل المكلف ما امر به ربه فقد حصل له التوفيق بالتخلي بفعل المأمورات . واذا تجنب المكلف ما نهاه عنه ربه فقد حصل له الكمال بالتخلي عن المنهيات . وبذلك تبرأ ذمته . وتبرأ عنه مذمته .

(٥) المسامرة التي القاها رئيس قلم التحرير بالمجلة في مساء يوم الاربعاء ١٦ المحرم المنصرم امام المذياع (تونس القومية) في المهرجان العظيم الذي اقامته ادارة الاذاعة بمناسبة عيد جلوس سيدنا ومولانا احمد باشا باي الثاني على العرش الحسيني ومضي اثنى عشر عاماً على ولايته ابقاه الله وذلك انه تولى الملك في يوم ٣ - رمضان سنة ١٢٤٧ الموافق ليوم ١١ فيفري سنة ١٩٢٩

واما طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم . فقد قرنها الله بطاعته . ونوهت بشأنها الآيات القرآنية في غير ما موضع . فقال تعالى (وما ارسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله) وقال تعالى (من يطع الرسول فقد اطاع الله) وقال تعالى (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما) فأكد جُل وعلا هذه الآيات وجوب طاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم . واثان ان طاعته طاعة الله . وافاد بذلك ان معصيته معصية الله . وقال الله تعالى (فليحذر الذين يخالفون عن امره ان تصيبهم فتنة او يصيبهم عذاب اليم) فتوعد على مخالفة امر الرسول . وجعل مخالف امر الرسول والممتنع من تسليم ما جاء به . والشاك فيه خارجا من الايمان بقوله تعالى (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما) اي ان يسلموا بما تقضي به عليهم من غير ان يكون في صدورهم ضيق او شك او حرج . بل تكون صدورهم منشرجة . ونفوسهم مطمئنة . وفي هذه الآية دلالة على ان من رد شيئا من اوامر الله تعالى او اوامر رسوله صلى الله عليه وسلم فهو خارج عن الاسلام سواء رده من جهة الشك فيه . او من جهة ترك القبول والامتناع من التسليم . وبذلك حكم ابو بكر الصديق رضي الله عنه بارتداد من امتنعوا من اداء الزكاة وقتلهم لان الله تعالى حكم بان من لم يسلم للنبي صلى الله عليه قضاة وحكمه فليس من اهل الايمان .

واما طاعة أولي الامر . فهي الاساس العظيم لتنظيم امر الحياة وترتيب شؤونها . وذلك لان الامة لا ينظم امرها . ولا يستقيم حالها . ولا يستتب فيها امن ولا نظام . الا اذا كانت ممثلة بمقادة لاولي الامر فيها . لان الاساس الذي تقام عليه حياة الدول هو وجود مبدأ الاقياد بين الراعي ورعيته . فهو يامر وهم يمتثلون . وهو يحكم وهم ينفذون . وبذلك يرتقي حال الامة . ويعلو شأنها . ويعتز جانبها .

اما اذا حل التخالذ محل الاقياد . وبدت على الامة فكرة الثورة وعدم الامثال للنظام العام . فذلك علامة الانحلال . ومبدأ الفناء والاضمحلال .

واذا تتبعت رعاك الله حياة الامم في القديم والحديث . وجدت ان اقوى الاسباب في سقوط الامم وتلاشيها . هو انتشار فكرة الفوضى بين افراد الرعية وتفشيها . وما بلغ الاسلام الى ما بلغ من الانتشار وقوة السلطان الا باقباد الصحابة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم . وتفانيهم في الامثال لاوامره . وتضحياتهم بنفوسهم واموالهم ودمائهم واعراضهم في مرضاة الله ورسوله

وقد اختلف العلماء في المراد من اولي الامر . فقليل هم الامراء وقليل هم رؤساء الجند . وقليل هم علماء الدين . وهذا الاخير هو الذي اختاره اكثر التابعين رضي الله عنهم . وهو الذي اختاره امام المحدثين وعالم المدينة من شدة له الرحال . وضحي العلماء في سبيل الاجتماع به والاخذ عنه

بكل مرتخص وغال مالك بن انس رضي الله عنه فقد حكى عن صاحبه مطرف وابن سلمة انهما قالا سمعنا مالكا يقول هم العلماء . وقال خالد بن نزار وقفت على مالك فقلت يا ابا عبد الله ما ترى في قول الله تعالى (واولي الامر منكم) قال وكان محتيا فحل حبوته . وكان عنده اصحاب الحديث . ففتح عينيه في وجبي وعلمت ما اراد وانما عني اهل العلم .

ومال كثير من المفسرين الى ان المراد باولي الامر ما يعصم جميع هاته الاصناف . منهم القاضيان ابن العربي والخصاص وهذا هو الذي نختاره . وعليه فالمراد باولي الامر كل من له سلطة يتوقف تنظيم حال الامة على الامثال اليها . اما الامراء فلان اصل الامر منهم . وتنفيذ الاحكام بايديهم . وهم القائمون على شؤون رعاياهم . والعاملون على ترقية مستواهم . فطاعة امرهم واجبة . وتنفيذ احكامهم لا بد منه . واما العلماء فلان سؤالهم واجب متعين على الخلق . وجوابهم لازم . وامثال فتواهم واجب . والامراء لا يقدمون على اي عمل الا بعد اخذ رأيهم فيه . وقد قال الامام الرازي (١) في هذا المقام كلمة بالغة حد الاجادة وجدير بالعلماء ان يضعوها من صدورهم موضع القلادة . ولا يتذكرون السيف ولا نجادة ونصها (ان اعمال الامراء والسلطين موقوفة على فتاوي العلماء . والعلماء في الحقيقة هم امراء الامراء)

ثم ان اولي الامر الذين تكون طاعتهم واجبة ويكون النزول على قضايهم امرا متحتما . هم امراء الحق وقضاة العدل وعلماء العمل والتقوى اما امراء الجور وقضاة السوء وعلماء القول دون العمل فالله ورسوله بريئان منهم . فلا يعطفون على الله ورسوله في وجوب الطاعة لهم وانما يجمع بين الله ورسوله والامراء والقضاة والعلماء الموافقين لهما في ايثار العدل . واختيار الحق . والامر بهما . والنهي عن اضادهما .

وذلك ان الله تعالى لم يفرض على الناس في هذه الآية طاعة اولي الامر . الا بعدما فرض على اولي الامر في الآية قبلها ان يحكموا بالعدل في قوله (ان الله يامركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل ان الله نعماء بعظكم به ان الله كان سميعا بصيرا)

اذ العدل هو اساس العمران . والاصل العظيم في كفالة حقوق الانسان . وقد نوه القراءان بشانه كثيرا فقال الله تعالى (ان الله يامر بالعدل والاحسان) وقال تعالى (واذا قلتم قاعدلوا ولو كان ذا قربى) وقال تعالى (يا داود انا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق)

اما الاحاديث الواردة في شأن العدل فهي لا تكاد تحصى منها حديث انس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال : لا تزال هذه الامة بخير ما اذا قالت صدقت واذا حكمت عدلت واذا استرحمت رحمت) وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال : ينادي مناد يوم القيامة اين الطلبة واين اعوان الطلبة فيجمعون كلهم حتى من برى لهم قلما اولاق لهم دواة . فيجمعون ويلقون

في النار) وعن الحسن رضي الله عنه ان الله اخذ على الحكم ثلاثا ان لا يتبعوا الهوى ، وان يخشوه ولا يخشوا الناس وان لا يشتروا بآياته ثمنا قليلا)

وكان الخلفاء الراشدون رضي الله عنهم يقولون (اطيعوني ما عدلت فيكم فان خالفت فلا طاعة لي عايكم) وكان امير المؤمنين علي بن ابي طالب رضي الله عنه يقول : حق على الامام ان يحكم بما انزل الله . ويؤدي الامانة فاذا فعل ذلك يحق على الرعية ان يسمعوا ويطيعوا .

وقد ظهر بهذا ما في هذه الشريعة الغراء من التحريض على العدل والانصاف والتحذير من الجور والظلم والاعتساف . فليحذر الذين يخالفون عن امره ان تصيبهم فتنة او يصيبهم عذاب اليم .
واما قوله تعالى (فان تنازعتم في شئ فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير واحسن تاويلا) فاعلموا ان الحوادث التي تعرض للناس اما ان تكون احكامها منصوصا عليها في الكتاب والسنة أو لا تكون كذلك . فان كانت منصوصا عليها في احدهما فالواجب العمل بذلك النص من غير زيادة ولا نقصان . وذلك هو المراد بقوله في صدر الآية (اطيعوا الله واطيعوا الرسول -) وان كانت غير منصوص عليها فالواجب الاجتهاد في تقرير حكم لها بقياسها على ما يشبهها مما ورد فيه النص من الكتاب او السنة . فيكون معنى قوله (فان تنازعتم في شئ فردوه الى الله والرسول) اي اذا تنازعتم في حكم شئ لم يرد فيه نص عن الشارع فردوه الى الاحكام المنصوصة في الوقائع المشابهة له ، وذلك هو القياس . ومن اجل ذلك جعل علماء الاصول هذه الآية من اظهر الادلة على اعتبار القياس وحجتيه . لان قوله فردوه الى الله والرسول لا يجوز ان يكون المراد به الامر بالرد فيما وقع التنصيص عليه اذ من شان ذلك ان لا يقع فيه النزاع ، على انه هو الذي اشير اليه في صدر الآية ولا يجوز ان يكون المراد به ان ما يعرض من الحوادث غير المنصوص على احكامها يسكت عنه اذ لا بد لكل حادثه من حكم . ولا بد للشريعة في كل نازلة من قول . ولا يمكن ان تكون هناك حادثة ليس لله فيها حكم على ان هذا كما لا يخفى يفضي الى تعطيل الشريعة ووصفها والعباد بالله بالقصور عن ان تكون كافلة لجميع مصالح البشر في الدنيا والآخرة . فتعين ان يكون قوله (فردوه الى الله والرسول) محمولا على الامر بالقياس في الحوادث التي لم يرد نص على احكامها ولقد وصف القاضي ابوبكر بن العربي من يقول في حادثة انه لا حكم لله فيها - بالكفر - حيث قال في تفسير هذه الآية بعد ما تعرض لما كنا نقرره من وجوب تقرير حكم لكل حادثة : ان الحادثة اذا عرضت ولم يكن لها حكم منصوص عليه لا في كلام الله ولا في كلام رسوله يقال قال الله تعالى وقال رسوله صلى الله عليه وسلم فيما لم يقولوا ، فذلك كفر . ام يقال دع هذا فليس لله فيه حكم فذلك كفر ولكن تضرب الامثال ويطلب المثل حتى يخرج الصواب اهد كلامه (١) .

واما قوله (ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر) فهو يقتضي ان من لم يطع الله والرسول لا يكون مؤمنا . وهذا يقتضي ان يكون المذنب خارجا عن الايمان وقد حمله اهل السنة على ان المراد به التهديد وتشديد الرعيد لما اجمع عليه اصحابنا اهل السنة رضي الله عنهم من ان المذنب لا يحكم بكفره انما هو مؤمن عاص .

وقوله (ذلك خير واحسن تأويلا) اي ان ما امرتم به في هذه الآية خير لكم واحسن عاقبة لكم لان التأويل هنا معناه مآل الشيء ومرجه وعاقبته . ويصح ان يكون من التأويل بمعنى المخرج من الامر المشكل . فيكون معنى قوله (واحسن تأويلا) اي احسن من تأويلكم لانفسكم من غير رجوع الى الله ورسوله .

هذا وبما ان تفسير الآية قد جرننا الى الكلام على العدل وبيان ما له من مقام عظيم عند الله تبارك وتعالى . فلنجعل خاتمة هذا الدرس حديثا صحيحا في تقرير منقبة عظمى للامير العادل وهي ان طاعته كطاعة الله وان الله ببركته وفضله يدفع عن امته كل خطر وسوء . ويكون لامته وقاية فقد روينا في صحيح البخاري عن ابي هريرة رضي الله عنه انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من اطاعني فقد اطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله ومن يطع الامير فقد اطاعني . ومن يعص الامير فقد عصاني . وانما الامام جنة يقاتل من ورائه . ويتقى به فان امر بقوى الله وعدل فان له بذلك اجرا . وان قال بغيره فان عليه منة (اي عليه الوزر)

وحيث اننا الآن بصدد الاحتفال بمرور اثني عشر عاما على ارتقاء جلالة ملكنا المعظم سيدنا ومولانا احمد باشا باي لعرش المملكة التونسية ادام الله دولته . وايدعزه ونصره وأدام وصولته . فواجب علينا ان ننوب بعض ما اتاه الله من شريف الخصال . ولوامم الاعمال . وناهيك بملك عادل موفق يدافع عن الحق . ويجري سيف العدل في عنق كل ظالم . ويدافع عن الشرع ورجاله . ويتنصر لدين الله . ففي ايامه السعيدة انتشر التعليم بالبلاد التونسية . وقويت شوكة رجال الشريعة الحمدية . فهو الذي يحنو على الشريعة ورجاله بجميع قواه . وينزل رجال العلم من ينازل العزفي اعلى ذراه . ادام الله عزه ونصره وعلا . وقد ظهرت بركاته ايده الله على هذا القطر السعيد . فما من الم يصيبنا ألا ويكون وقعه لطيفا . ومظهره ضعيفا . ولا تزال حالة بلادنا حالة حسنة بحمد الله لا سيما اذا قيست بغيرها من البلدان . التي اصبحت بمظاهر الفساد والافتتان . بما اصابها من نقص في الاموال والانسف والتمرات . وما تعاقب عليها من شذائد البليات . فقد بقيت بلادنا تلقاه ذلك كله امانة مطمئنة لم يصبا من الضرر الا الاذى . ولا من الالم الا القذى . فواجب علينا ان تكون الستنا ببقاء هذا الامير الحليل دائمة الدعاء . ملحة على الله تبارك وتعالى في اجابة هذا النداء

اعجاز القرآن

(٣)

بقلم العالم النحرير الشيخ سيدي علي النيفر
المدرس من الطبقة الاولى بالجامع الأعظم

(الرابع) من وجوه اعجاز القرآن غزارة علومه واحتواؤه على دقائق علمية لم تكشف الا بعد قرون متطاولة من نزول القرآن

لامرية ان القرآن الحكيم منبع العلوم فلقد تفرعت عنه فنون كثيرة واخذت منه علوم غزيرة من كلام واصول وقفه ولغة ومعان وبيان وادب وتاريخ وفلسفة وغيرها حتى ذكر بعض اهل العلم ان العلوم الماخوذة من القرآن تبلغ المئين عدا واذا علمنا ان بعض الآيات القرآنية خص بالتأليف وان القاضي أبا بكر بن العربي املى ثمانمائة مسألة على قصة الخضر وخسمائة مسألة على سورة نوح عليه السلام ادركنا مقدار ما في القرآن العزيز من العلوم التي تكاثر القطر ولا يأتي عليها عدولا حصر مما هو غير مقدور لبشر ان يأتي بمثله او بما يدانيه

نعم ان بعض الحقائق من مختلف العلوم تؤخذ من القرآن بطريقة التصريح وبعضها يأخذ منه بطريقة التلويح ولنورد جملة من ذلك قال تعالى (وارسلنا الرياح لواقح) قال بعض اهل العلم فيها ايماء لما اكتشفه علماء النبات اخيرا من كون الشجر كالحيو ان منه ذكور ومنه اناث وان الاناث لا تؤتي ثمرتها الا اذا القحت بمادة من الذكور وان هذه المادة تحملها الرياح من الذكور الى الاناث حتى قال بعض علماء الافرنج ان اهل جزيرة العرب سبقوا علماء اوربا الى ذلك بثلاثة عشر قرنا .

وقال تعالى والله الذي ارسل الرياح فتثير سحابا فسقناه الى بلد ميت) قال بعضهم فيها اشارة الى كيفية تكون السحاب وانه ينشأ من ابخرة الماء ترتفع في طبقات الجو فاذا وصلت الى درجة مخصوصة في البرودة صارت سحابا .

وقال تعالى الله الذي خلق سبع سماوات ومن الارض مثلهن وقال والقى في الارض رواسي ان تمتد بكم وقال ايضا قل انظروا ماذا في السماوات والارض وقال ايضا أو لم ينظروا في ملكوت السماوات والارض وما خلق الله من شيء . وقال ايضا وفي الارض آيات للوقنين فيها ايماء للعلوم الجغرافية والفلكية والطبيعية والنظر في الاسرار الكونية .

وقال سبحانه ولقد جعلنا في السماء بروجا وزيناها للناظرين وقال هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب وقال ان في خلق السماوات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لاولي الاباب وقال وكل في فلك يسبحون فيها تلويح الى قواعد من علم الهيئة

والفلك وفي هذه الآية الاخيرة تصريح بما استقر عليه راي علماء الفلك من كون كل من الشمس والارض والقمر تدور في افلاكها كسائر الكواكب السيارة .

وقال جل من قائل ولقد خلقنا الانسان من سلاله من طين ثم جعلناه نطفه في قرار مكين ثم جعلناه النطفة علقه فخلقنا العلقه مضغه فخلقنا المضغه عظاما فكسونا العظام لحما ثم انشأناه خلقا آخر فتبارك الله احسن الخالقين) فيها اشارة الى علم التشريح ومثلها في ذلك آية (بلى قادرين على ان نسوي بنانه) قال بعض العلماء خض البنان بالذكر لدقة تركيبه وعجيب صنعه وخلق اجزائه على كيفية من المرونة يستطيع معها مزاوله ادق الصناعات واصعبها وما فرش فيه من الاعصاب الحساسة وما في بشرته من تخطيط عجيب لا يشابه تخطيط اي بنان آخر ولذا وقع الاكتفاء بطابع الالهام عن الامضاء من الاميين بل هو اصح من الامضاء لاماكان تقليده الى غير ذلك من بديع صنع البنان مما كشف عنه اخيرا علم التشريح فتبارك الله احسن الخالقين .

وقال تعالى كلا واشربوا ولا تسرفوا) فيها اشارة الى قاعدة طبية وهي الاقتصاد في المأكول والمشرب لان الاسراف فيهما مجلبة للأمراض ولهذا ورد في الحديث ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطن

وقال تعالى وفي (الارض قطع متجاورات وجنات من اعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان تسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعضها في الاكل ان في ذلك آيات لقوم يعقلون) وقال ايضا (ان في خلق السماوات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما انزل الله من السماء من ماء فاحيي به الارض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض آيات لقوم يعقلون) فيها ايماء لعلوم عدة من علم الحيوان والنبات وطبقات الارض وحوادث الجو واحوال البحر وغيرها .

وقال تعالى لكيلا يكون دولة بين الاغنياء منكم فيها اشارة الى عام الاقتصاد السياسي وتوزيع الثروة العامة .

وقال سبحانه انطلقوا الى ذلك ذي ثلاث شعب لا ظليل ولا يغني من الذهب) قال بعض اهل العلم فيها اشارة الى قاعدة هندسية .

وفي (آية اذا ذهب كل آية بما خلق) اشارة الى برهان منطقي وهو برهان التمانم .

فهذه نبذة مما تشير اليه بعض الآيات من العلوم التي كانت وقت التنزيل تحت ستر الحفاء فلا شبهة ان اشتغال القرآن عليها معجزة واضحة وبرهان ساطع على ان القرآن من عند الله العليم الخبير وهو مصداق قوله تعالى ما فرطنا في الكتاب من شيء . ولقد سئل بعض الساف عن هذه الآية فقال السائل فاين ذكر الحانات وكانت غير معروفة عند العرب قبل الفتوحات الاسلامية فاجاب انها مذكورة في قوله ليس عليكم جناح ان تدخلوا بيوتا غير مسكونة فيها متاع لكم وشبيه بهذا ما ذكره بعض شيوخنا في قوله تعالى وله الجوار المنشآت في البحر كالأعلام اي له السفن التي هي في ضماختها كالجبال الشاهقة انها اشارة لهذه البواخر العظيمة المنشآت في هذا العصر فهي من معجزات القرآن وليس المراد بها السفن الموجودة في عصر التنزيل لانها لم تكن من الضخامة بحيث تشبه بالأعلام .

وينخرط في هذا السلك قوله تعالى واعدوا لهم ما استطعتم من قوة فان في قوله من قوة من الاجمال البليغ ما يشير الى هذه المخترعات الحديثة العجيبة التي لم تكن تخطر على بال اهل ذلك العصر .

وبالجملة فان جميع هذه الاختراعات المدهشة والمصنوعات العجيبة التي ظهرت في هذه العصور والتي ربما سوف تظهر تشير لها آية ويخلق ما لا تعلمون .

فلهذه الوجوه من الاعجاز اعترف المنصفون ولو كانوا ممن لم يعتنقوا الاسلام بان القرآن من عند الله حتى قال بعض المنصفين من علماء فرنسا (لو وجدنا القرآن في فلاة ولم نعرف من جاء به لعلمنا انه من عند الله) .

وحسبنا في هذا المقام ما وصف به القرآن نبينا عليه الصلاة والسلام فيما رواه عنه القاضي ابو الفضل عياض رضي الله عنه في كتابه الشفاء بتعريف حقوق المصطفى ونصه : وقال صلى الله عليه وسلم ان الله انزل القرآن آمرا وزاجرا وسنة خالية ومثلا مضروبا فيه نبأؤكم وخبر ما كان قبلكم ونبأ ما كان بعدكم وحكم ما بينكم لا يخلقه طول الرد ولا تنقضي عجائبه هو الحق ليس بالهزل من قال به صدق ومن حكم به عدل ومن خاصم به فليج ومن قسم به أقسط ومن عمل به أجر ومن تمسك به هدي الى صراط مستقيم ومن طاب الهدى من غيره اضاه الله ومن حكم بغيره قصمه الله وهو الذكر الحكيم والنور المبين والصراط المستقيم وحبل الله المتين والشفاء النافع عصمة لمن تمسك به ونجاة لمن اتبعه لا يعوج فيقوم ولا يزيغ فيستعقب ولا تنقضي عجائبه ولا يخلق على كثرة الرد .

فلا حرم كان معجزة خالدة له عليه الصلاة والسلام لا تبايها الايام ولا تخلق جديها الاعوام وكان اجل معجزاته قدرا واسماها خطرا اذ هو معجزة تحتوي على معجزات كثيرة والى هذا المعنى يشير الحديث الذي رواه الامام البخاري رضي الله عنه في صحيحه عنه صلى الله عليه وسلم ولفظه حدثنا عبد الله بن يوسف حدثنا الليث حدثنا سعيد المقبري عن ابيه عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم ما من الانبياء نبي الا اعطى ما مثله آمن عليه البشر وانما كان الذي اوتيت وحيا او حاه الله الي فأرجو ان اكون اكثرهم تابعا يوم القيامة . فسر هذا الحديث بوجوده انسبها انه مسوق لبيان كون معجزات الانبياء قبل نبينا على جميعهم الصلاة والسلام ولئن كانت من وضوح الدلالة على صدقهم بحيث يمكن ان يؤمن لاجلها البشر لكنها كانت مقصورة على من شاهدها منهم بخلاف القرآن الكريم (وهو المراد من الوحي في الحديث) فانه اشد اعجازا واهم وابقى على عمر الزمان واظهر لا يمكن ادراك اعجازه من كافة الناس الى قيام الساعة ولهذا قال فأرجو ان اكون اكثرهم تابعا يوم القيامة .

ويؤيد هذا المعنى في شرح الحديث قوله تعالى او لم يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم فانه نص في ان القرآن معجزة تكفي وحدها في الدلالة على صدق الرسول عليه الصلاة والسلام . وكفى بقول الله هذا شاهدا باعجاز القرآن فلنجعل مسك الحتام

الحديث الشريف

الحلال بين والحرام بين

عن أبي عبد الله النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال:

سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:

إِنَّ الْحَلَالَ بَيْنَ وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيْنَ وَبَيْنَهُمَا أُمُورٌ مُشْتَبِهَاتٌ لَا يَعْلَمُهَا
كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ فَمَنْ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ فَقَدْ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعَرْضِهِ
وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ كَالرَّاعِي يَرعى حَوْلَ الْحِمَى
يُوْشِكُ أَنْ يَرْفَعَ فِيهِ أَوْ لَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى أَوْ لَا وَإِنَّ حِمَى اللَّهِ
مُحَارَمُهُ أَوْ لَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ
وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ أَوْ هِيَ الْقَلْبُ

(أحدِيث رواه الشيخان)

روى هذا الحديث الشريف عن النبي صلى الله عليه وسلم النعمان بن بشير رضي الله عنه ولم
ينفرد بروايته وحده بل رواه معه سبعة من أصحاب رسول الله وقد أكد سماع هذا الحديث بنفسه
من فم النبي (صلعم) مباشرة بما جاء في بعض الروايات أنه اهوى إلى أذنيه بأصبعيه وقال سمعت
رسول الله يقول وقرأ الحديث كما أكد سماعه له بنفسه بقوله سمعت رسول الله ولم يقل ذلك في
غيره من مروياته بل عاده أن يقول عن النبي صلى الله عليه وسلم

والنعمان بن بشير صحابي وابن صحابي وهما أنصاريان ولد علي رأس أربعة عشر شهرا من
الهجرة على الأصح وحنكه عليه الصلاة والسلام بتمرّة وهو أول مولود ولد للانصار بعد مقدم النبي
(صلعم) المدينة كما أن عبد الله بن الزبير المولود معه في عامه أول مولود ولد للمهاجرين في المدينة وقد
روي له مائة وأربعة عشر حديثا وكانت وفاته سنة أربع وستين بقرية من قرى حمص مات بها قتيلا
رضي الله عنه وعن أبيه وعن أصحاب رسول الله اجمعين

هذا الحديث أصل عظيم من أصول الشريعة قال أبو داود، الإسلام يدور على أربعة أحاديث

وعد هذا الحديث منها . ولا يخفى عظم موقعه وكثرة فوائده فقد نبه فيه على صلاح المطعم والمشرب والملبس والمنكح وغير ذلك من المعاملات وسائر الأقوال والأفعال وأنه ينبغي أن تكون حلالا وأرشد إلى أنه ينبغي ترك المشتبهات فإن في تركها وقاية للدين وللعرض وحذر من الوقوع في الشبهات ثم وضع ذلك بضرب المثل ثم بين أهم الأمور وهو القلب وأن عليه مدار الصلاح والفساد فبصلاحه يصلح حال الإنسان وبفساده واختلاله يفسد حاله وتضطرب أقواله وأعماله حتى قال الإمام ابن العربي يمكن أن ينتزع من هذا الحديث وحدة جميع الأحكام

ومهما يكن من شيء فالحديث دل على أن الأشياء لا تعدو ثلاثة أقسام - القسم الأول حلال بين وأصح لا يخفى حله وهو ما ورد نص بحله من كتاب الله أو سنة رسوله كما في قوله تعالى (أحل لكم الطيبات) وقوله (وطعام الذين أتوا الكتاب حل لكم) وقوله (وأحل لكم ما وراء ذلكم) وقوله (كلوا مما في الأرض حلالا طيبا) وقوله (قل من حرم زينة الله التي أخرج لعبادة والطيبات من الرزق) القسم الثاني حرام بين لا تخفى حرمة وهو ما ورد نص بحرمة من كتاب أو سنة مثل قوله تعالى (وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما) وقوله (حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم والآية وكثير من الفواحش ما ظهر منها وما بطن مثل الخمر والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به وكثير من الزنا والسرقة والقتل والكذب والنميمة وكل ما جعل الشارع فيه حدا أو عقوبة أو عيدا

وكلا هذين القسمين حكمه واضح معلوم حكم به أحكم الحاكمين لمصلحة وفائدة تعود علينا نحن معاشر المكلفين رحمة منه وفضلا والله ذو فضل على العالمين فما أحله لنا فذلك ما فيه نفعنا وبه صلاح معاشنا ومعادنا وما حرمه علينا كالخمر التي تفسد عقولنا ولحم الخنزير الذي يضر أعضاء التناسل ويورث الجبن والنذالة على ما حرره بعض أطباء العصر فذلك منتهى الرفقة والرحمة ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون القسم الثالث أمور مشبهة ليست بواضحة الحل ولا واضحة الحرمة تخفى على كثير من الناس ويشتبها عليهم أمرها فلا يعرفون أنها من قسم الحلال أو من قسم الحرام وهي ما تعارضت فيه الأدلة من غير ترجيح أو لم يرد فيه نص لا بالحل ولا بالحرمة وكلها أمور توقع في الحيرة والشك وإذا جاء في الحديث لا يعلمون كثير من الناس أي لا يعلمون حكمها ولكن العلماء الراسخين في العلم لا يجعلون حكمها بل يجزمون في أمرها بما أعطاهم الله من قوة الترجيح فيما تعارضت فيه الأدلة أو بالقياس أو الاستصحاب فيما لم يرد فيه دليل ، وذلك قوله في الحديث (إن الحلال بين وإن الحرام بين وبينهما أمور مشبهات لا يعلمون كثير من الناس) وحيثما كانت تلك الأمور الغير الواضحة الحل أو الحرمة مما يوقع الإنسان في الشك والريبة ويبعده عن ساحة اليقين والأطمئنان كان من الورع وكمال الدين تركها فقد قال النبي (صلعم) دع ما يريبك إلى ما لا يريبك ، ولقد ضرب لامته بمثل بنفسه في ترك المشتبهات والتورع عنها فقد قال في تمره وجدها في بيته (أولا إن تكون صدقة لاكلتها) فلما اشتبه فيها

امتنع من اكلها لتأسى به امته في التورع عن مواطن الشبه فان في ذلك تطهيراً للدين والعرض معا وذلك قوله في الحديث (فمن اتقى الشبهات) اي تجنبها وتحفظ منها (فقد استبرا لدينه) اي حقق البراءة لدينه فاصبح من المطمئنين الموقنين وعرضه فلم يعرضه لقالة سوء وغواية الفتنة وهذا فضلا عن انه احتاط لنفسه من الوقوع في الحرام والهلكة والاثم ومن حام حول الحمى يوشك ان يقع فيه .

وها انا اروي لك حادثتين تعلم بهما مقدار اعتباره عليه الصلاة والسلام للامور المشبهة واحتياطه في الحوادث والنوازل المحتملة للتحليل والتحريم لاشتباه اسبابها - الحادثة الاولى : ما في الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها قالت اختصم سعد ابن ابى وقاص وعبد بن زمعة في غلام فقال سعد يا رسول الله هذا ابن اخي عتبة بن ابي وقاص عهد الي انه ابنه انظر الى شبهه وقال عبد ابن زمعة هذا اخي يا رسول الله ولد على فراش ابى من وليدته ، فنظر رسول الله (صلم) فرأى شبها مبينا بعتبة فقال هو لك يا عبد بن زمعة الولد للفراش وللعاهر الحجر واحتججى منه ياسودة فلم تظهر له سودة قط . فقد حكم رسول الله (صلم) بالولد للفراش وانه لزمعة على الظاهر وانه اخو سودة زوج النبي (صلم) لانه بنت زمعة ثم امر سودة بالاحتجاب منه للشبهة الداخلة عليه والقائمة في نفسه بسبب ما رأى من شبه بعتبة فاحتاط لنفسه لان حكمه كان مبينا على الظاهر لا على القطع واليقين اذ لو كان الولد ابن زمعة في علم الله عز وجل لما امر سودة بالاحتجاب منه كما لم يأمرها بالاحتجاب من سائر اخوتها عبد وغيره فانظر كيف كان حكمه (صلم) مراعى فيه الاحتياط التام فراعى فيه جانب الدليل الظاهر وجانب الشبهة القائمة ولم يهمل الشبهة في جانب ما قام له من الدليل الظاهر على ان الغلام لعبد بن زمعة . الحادثة الثانية ما جاء في حديث عدي بن حاتم انه قال يا رسول الله اني ارسل كلبى واسمى عليه فأجد معه على الصيد كلبا آخر . قال : لا تأكل انما سميت على كلبك ولم تسم على غيره فأفتا رسول الله (صلم) بمراعات الشبهة خوفا من ان يكون الكلب الذي قتل الصيد غير مسمى عليه فكانه اهل لغير الله به وقد قال الله تعالى في ذلك (وانه لفسق) فكان في فتياه (صلم) دلالة على الاحتياط في الحوادث والنوازل المحتملة للتحليل والتحريم . وهذا اصل عظيم في هذا الباب

ثم اعلم ان العلماء قسموا المشتبهات ثلثة اقسام - القسم الاول ما يعلم الانسان انه حرام ثم يشك فيه هل زال تحريمه او لا كالذي يحرم على المرء أكله قبل الذكاة اذا شك في ذكاته فهذا باق على تحريمه ما لم يتيقن وجود الميسح والاصل فيه حديث عدي المتقدم .

القسم الثاني ان يكون الشيء حلالا فيشك في تحريمه كرجل له زوجة فيشك في طلاقها فهذا القسم على اصل اباحتها ما لم يعلم تحريمه بيقين والامل فيه حديث عبد الله بن زيد فيمن شك في الحدث بعد ان يتيقن الطهارة وانه على طهارته

القسم الثالث ان يشك في شيء فلا يدري احلال ام حرام ولا دلالة على ترجيح احدهما فلا يحسن التنزه كما فعل النبي (صلم) في التمرة التي وجدها في بيته وقد تقدم حديثها

وأما ان ترجح عنده حكم ثم قام عنده وهم بخلافه فالاصل عدم اعتبار الامر الموهوم كترك استعمال ماء باق على اوصافه مخافة ان تكون قد وقعت فيه نجاسة او ترك الصلاة في موضع لا اثر فيه للنجاسة مخافة ان يكون قد اصابته نجاسة جفت او كغسل ثوب مخافة اصابته نجاسة لم يشاهدها ونحو ذلك فهذا يجب ان لا يلتفت اليه فان التوقف لاجل تجوز ذلك هوس والورع منه وسوسة شيطان اذ ليس فيه من معنى الشبهة شيء

وقوله في الحديث (ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام) فيه وجهان احدهما ان من لم يتق الامور المشبهة وتجراً على الوقوع فيها فانه يجرة تساهله في امرها الى الجسارة على الحرام فهي تقضي به لا محالة الى المحرمات كما قال بعضهم الضغيرة تجر الكبيرة والكبيرة تجر الكفر وكما روي المعاصي يريد الكفر قديماً قيل : معظم النار من مستصغر الشرر *

الثاني ان من اكثر من مواجهة الشبهات اظلم عليه قلبه لفقدان نور العلم ونور الورع فيقع في الحرام وهو لا يشعر به وذلك قوله تعالى (كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون) روى الترمذي عن ابي هريرة رضي الله عنه : ان الرجل ليصيب الذنب ففسود قلبه فان هو تاب صقل قلبه وفي رواية ان العبد اذا اذنب ذنباً كانت نكته سوداء في قلبه وكلياً زاد زادت حتى تغلو قلبه فذلكم الران وحاصله ان من قارب الشيء خالطه غالباً وفي حديث مرسل من يرعى بجانب الحريم يوشك ان يخالطه ومن تهاون بالمحقرات يوشك ان يقع في الكبائر .

وقد لا يخفى عليك ان من ترك ما فيه شبهة كان اكثر تركاً لما ظهرت حرمة فعاش مغموراً بهالة من اليقين والطمأنينة بقي الصحيفة محمود السيرة حتى يلقي ربه بقلب سليم اما ذلك الذي يعتمد الى مواطن الشبه فيستبيح العمل بها بحجة انها قد تكون حلالاً فقد قذف بنفسه في ظلمة الشك والريبة وقد يحمله ذلك على الوقوع فيما لا يحل من حيث لا يدري فمن حام حول الحمى يوشك ان يقع فيه واذا وقع فيه فقد تعرض لغضب صاحب الحمى وهذا هو الشر بعينه .

وقوله (كالراعي يرعى حول الحمى يوشك ان يرتع فيه) هذا مثل ضربه الرسول (صلعم) لمحارم الله عز وجل بما هو مألوف عندهم تقريباً للمقصود من اذهاب مستمعيه وتحقيقه وتثبيتاً في نفوسهم واصله ان الملوك كانت تحمي مراعي مواشيها وتتوعد من يقر بها بالعقوبة فالحائف من عقوبة السلطان يبعد بمأشيتة عن ذلك الحمى لانه ان رعى بالقرب منه فالغالب الوقوع فيه لانه قد تنفرد الفذة وتشذ الشاذة فالحذر ان يجعل بينه وبين ما حماه الملك مسافة يأمن فيها وقوع ذلك وهكذا محارم الله عز وجل كالقتل والربا والسرقة وشرب الخمر والكذب والقذف والغيبة والنميمة لا ينبغي ان يحوم حولها مخافة الوقوع فيها .

ولنضرب لك مثلاً مما هو مشاهد محسوس يكثر وقوعه بيننا دائماً فقد يقترح عليك من يزعم صداقتك من قرناء السوء الذهاب معه الى محل لهو وخلاعة لتريح نفسك من عناء الاعمال فتري نفسك باديء الامر غير مطمئن الى هذا المكان لانه محل شبهة وربما تقع فيه بعض المنكر مما لا قدرة لك على انكاره ودفعه وربما كان سبباً لتلوث عرضك بما انت بريء منه ويرى منك قرين السوء عدم الموافقة على مصاحبته والجلوس معه في ذلك المكان فيغريك بمعسول القول

ويقول لك ما دمت أنت بريء من النقائص فما عليك بقول الناس ولا يهملك رضاهم او غضبهم ومن راقب الناس مات كعدا الى غير ذلك من الاقاويل المعسولة التي ظاهرها نصيح وباطنها غش وهكذا يأخذ في اغرائك بانواع المغريات حتى يلعب بعقلك ويقودك الى حيث اراد، وصدق الله العظيم حيث يقول (شياطين الانس والجن يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا) فاذا صحبتة المرة الاولى الى ذلك المكان الخليع دعاك لمصاحبتة مرة ثانية وفي هذه المرة تكون الين واسرع انقيادا من المرة الاولى وهكذا الى ان تصبح وانت من الما جنين المتهمكين منتهكا للخرمات غير مبال بعقاب رب السماوات وتروح بسبب تهاونك في هذا الجلوس المشته فيه فاجرا متعديا حدود الله منتهكا حرمانه بعد ان كنت طاهر الذيل ككف النفس قوي اليقين ويكون مثلك في ذلك مثل الراعي الذي يرعى الغنم او الابل او غيرها من السوائم وبدل ان يذهب بها بعيدا عن المكاف الذي حماه الملك لنفسه وامر ان لا يرعى فيه احد وبدل ان يقود غنمه الى الارض المباحة للناس جميعا عمد الى القرب من الارض التي اختصها الملك او سيد القبيلة لنفسه ولا شك ان الهائم لا تعقل شيئا ولا تميز بين ارض وارض فقد تغلبه الى الخوض في حمى الملك فيكون بذلك قد عرض بنفسه لبطشه وعقابه بعد ان كان آمنا من ذلك كله بالبعد عن هذا المكان واذا كان لكل ملك من الملوك حتى يختصه بنفسه ويحميه من ان يجور عليه احد فان الله تعالى وهو ملك الملوك والمالك الذي كل ما سواه له مملوك قد جعل حماه محارمه اي الامور التي حرما على عباده المؤمنين فمن تهاون بالمشتبهات حتى استباح حرمات الله فوقع في الحرام فقد استحل بنفسه عقاب الله وظلم نفسه بالمعاصي فاستحق انتقام ذي البطش الشديد وكذلك اخذ ربك اذا اخذ القرى وهي ظالمة ان اخذها اليه شديد كل هذا تضمنته تلك الحكمة البالغة في الحديث وهو قوله عليه السلام (كل راعي يرعى حول الحمى يوشك ان يقع فيه الاوان لكل ملك حمى الا وان حمى الله محارمه)

هذا ولما كان القلب من بين اعضاء الانسان بمنزلة الملك الذي لا يكون للرعية ان تفعل شيئا الا باذنه وكان الجسم بمنزلة هذه الرعية فعنه الصدور واليه ترجع جميع الامور - ان الله لا ينظر الى صوركم ولكن ينظر الى قلوبكم التي في الصدور - لا جرم قفى على اثر ذلك المرشد الاعظم صلى الله عليه وسلم بالحكمة الختامية فقال (الاوان في الجسد مضغة اذا ضلحت صلح الجسد كله واذا فسد فسد الجسد كله الا وهي القلب)

القلب وما ادراك ما القلب القلب هو كل شيء في الانسان هو مكان الذكرى والتدبر هو مكان التعقل والادراك والفهم هو مكان النية والاطمئنان الا يذكر الله تطمئن القلوب القلب هو ذلك السر الالهي الذي انت به انسان وعليه مدار صلاحك او فسادك فصلاحه تسعد وبفساده تشقى وصلاحه يكون بامثال امر الحكيم النعم الذي حكم بالحلال والحرام فتعمل بالاول وتترك الثاني وتحاط فتجنب المشتبه فيه ولا يكون ذلك الا بالعلم الذي هو غذاء القلب وبلسمه الشافي وبه ينهض الى القيادة التي خلقه الله لاجلها فهو لا يضل ما دام يهتدي بمصباح العلم ويرتشف من رحيقه والعلم علم القرآن والسنة قبل اي شيء آخر إذ هما مصدر الحلال والحرام واليقين والتوحيد والمثل العليا لمكارم الاخلاق، اضاء الله قلوبنا بنور المعارف وهدانا لاجتناب طرق المخاوف

محمد الهادي ابن القاضي

التاريخ

صفحة من تاريخ تونس

انقراض طبقة من اهل العلم والفضل

بقلم العلامة المؤرخ أمير الامراء سيدي
محمد بن الخوجه مستشار الحكومة التونسية

اعلم ان نسبة القرن من الدهر كنسبة القطرة من البحر ولكن مائة عام يعمرها الانسان لها اعتبار في تاريخ الازمان وقد طوى الموت في تاسع شهور العام الماضي شيخا جليلا من اهل العلم ونعي به شيخ الشيوخ وطود الروسوخ بقية السالف مقفي السادة الاحفاف فضيلة الشيخ احمد بن مراد توفاه الله عن مائة عام قضاها في خدمة العلم وبشه في الصدور ولقد قامت هذه المجلة في الابان بتايينه وتخليد ذكره رحمه الله ورضي عنه .

وبينا الناس في اسف وتوجع لمفارقة تلك البقية الصالحة من شيوخ الزمن الماضي اذ فاجأهم خبر انطفاء سراج اخر كان هو ايضا البقية الفاضلة من طبقة اهل الثقافة والنبوغ في العلوم العصرية عمر كسلفه مائة عام قضاها كلها في الجهد والعمل بعزيمة لم تعرف الملل وثبات لم يتطرقه الفشل ونعي به المقدس المبرور جميل الذكر استاذنا الشيخ محمد القروي قديم عموم المتوظفين التونسيين المباشرين والمتقاعدين .

اصل سلفه من القيروان وكان ابوه يباشر الاشهاد بحاضرة تونس وله نسبة وعلاقة بمشيخة العلم يلبس الطيلسان والعمامة الضخمة والقفطان . ونشأ ولده المترجم له مع طائفة من ابناء البيوت التونسية في مدرسة باردو العسكرية وتعرف باسم مدرسة المهندسين في الاوساط التونسية وبها زاول علوم العربية والعلوم الرياضية والفنون العسكرية واللغة والاداب الفرنسية . وهذه المدرسة التي عفت رسوما لنحو خمسة وسبعين عاما انشأها المشير الاول احمد باي لتعليم ضباط عساكرة الفنون الحربية وبض اللغات الاجنبية مع ما به الحاجة من العلوم العربية . واول من كلفه سمو الباي بادارة شؤون هذه المدرسة المعلم الامير الاي كالي قاريس (١) ولكنه عوضه بعد حين بضابط فرنساوي عينته لذلك

(١) من المستشرقين الاقدمين اصله من مدينة توران وارتحل صغيرا للشرق لاعتقاده انه بلاد العجائب والغرائب فقررا العربية بجلب ثم التحق بالحملة العسكرية المصرية التي واجهت العساكر العثمانية بالشام ومن هنالك يعم الاستانة حيث دخل في خدمة اركان الحرب ثم هزته ارباح الاقدار لتونس في

الدولة الفرنسية وهو إلكمندان كمبنون الذي ارتقى فيما بعد لمسند الوزارة الحربية بباريس وهذا هو الاصل في اناطة تعليم العساكر التونسيين بعهدة ضباط فرنساويين من ذلك العهد الى الزمن الحاضر واول من باشر تعليم العربية بالمدرسة المذكورة العلامة الشيخ محمود قابادو وقد اشتمل ديوانه على نبذة مفيدة في هذا الشأن (١) ومن تلاميذها الاولين الشاب خير الدين (الوزير الشهير) والشاب رستم (وزير الحرب) والشاب حسين (مستشار المعارف) وغيرهم من الممالك الناشئين بالبلاط الحسيني ممن تولوا بعد زمام الاحكام والوظائف العالية بالدولة التونسية . ولما استعرت نار الحرب بالقريم بين روسيا وبين الدولة العثمانية وفرنسا وغيرهما من الامم الاروباوية بعث المشير احمد باي بنجدة عسكرية تونسية في عام ١٢٧٠ للمشاركة في الحرب المذكورة لجانب العساكر التركية والفرنساوية وهذه النجدة كان في جملة ضباطها نخبة من الشبان الذين تعموا نصاب تحصيلهم في الفنون العسكرية بمدرسة باردو واتفق ان المشير احمد باي ادركه اجله في العام التالي فكان من راي خلفه بالكرسي الحسيني تسريح اكثر العساكر التونسية الضارين بجهات العمالة لتدارك الاضرار الناتجة عن الضائقة المالية التي اوجها ترتيب جيش عتيد في وقت السلم بدون حاجة اليه واذك تلاشت احوال النظم العسكرية التونسية ومنها مدرسة المهندسين المتحدث عنها ودام حالها كذلك بضعة سنين فلما ءالت نوبة الملك للمشير محمد الصادق باي كان في مقدمة مساعيه واعماله الصالحة احياء المدرسة المذكورة للراغبين من الشبان في تعليم الفنون العسكرية فكان في جملة اهل هذا الرعيل الثاني فقيدها الشيخ محمد القروي رحمه الله وبها زاول الفنون العسكرية مع علوم العربية والعلوم الرياضية فكان من النابغين بين الاقران المشار لهم بالبنان وكان من معاصريه بالمدرسة الشاب عمر بن بركات (رئيس جمعية الاوقاف) والشاب صالح عبد الوهاب (عامل المهدية) والشاب العروسي بن عياد (مدير المدرسة الصادقية) والشاب سليم فارس ابن الشيخ احمد فارس الشدياق . ولقد وقفت له على رسالة

اواخر مدة المولى حسين باي الثاني واختلط ببعض رجال البلاط الحسيني ولازمهم الى ان تهيأت له اسباب الانخراط في سلك معني المشير احمد باي وهو الذي ناط بعهدته ادارة المدرسة المتحدث عنها وقد تعرض البجاعة مسبو منشيكيور المراقب المدني كان بتونس لذكره في كتابه المسمى « وثائق تاريخيه في شان تونس » واتى على تاريخ حياته بمزيد ايضاح ومما قال في ذلك ان كالي قاريس وضع اثناء مباشرته لادارة مدرسة باردو كتابه المعروف في سيرة نابليون (بمساعدة الشيخ محمود قابادو) فكان كالي قاريس يترجم المادة وتليذه حسين مستشار المعارف فيما بعد يكتب والشيخ قابادو يهذب الالفاظ وقال ايضا : ان كالي قاريس كان يعزو لنفسه علاقة بعلماء اخرين من جامع الزيتونة منهم الاخوان الخوحيات الشيخ احمد والشيخ محمود اولهما قاضي تونس طفحت كاسه بعلوم الاسلام والثاني من اساتذة جامع الزيتونة كما كانت له ايضا صلة بالنحوي الشيخ محمد اللخمي والشيخ محمد التطاوتي من كتاب الدولة التونسية وهو الذي مدة بالاغاة الواسعة اثناء تصنيفه لسيرة نابليون اه

(١) انظر صفحة ٣٣ وما بعدها من الجزء الثاني من الديوان

مدرجة بالرائد التونسي في عام ١٣٧٨ ذكر فيها برنامج العلوم التي كانت تزاول يومئذ بالمدرسة وهي: النحو والصرف والانشاء والتاريخ والجغرافية والحساب والمساحة ورسم الخرائط الحرية بانواعه وفن الاستحكامات وبقية الفنون العسكرية واللغتان الفرنسية والاطليانية ومما افادته الرسالة المذكورة ان عدد تلاميذ المدرسة كان يومئذ مائة تلميذ وكانت ادارتها منوطة بلياقة الكمندان تفرنه من ضباط الجيش الفرنسي وهو رجل كان الشيخ القروي لا يذكر اسمه الا بعبارات التمجيد والثناء على اخلاصه ونصحته في ماموريته وهو اي الشيخ القروي ورفقاءه ممن حملوا تابوته يوم ادركه اجله اثناء مباشرته لادارة المدرسة وكان مشهد جنازته رهيبا حضرة سمو الباي بالذات وتأسف لفراقه اسفا شديدا .

هذا وبعد ان اتم الشيخ القروي نصاب تحصيله في العلوم العربية وفي الفنون الرياضية والعسكرية انخرط في سلك المعينين الوزاريين وكان نصيبه مباشرة ماموريته لدى الوزير محمد خزندار وهو من رجال الكد والجد والثقة والامانة وهي اخلاق فاضلة صادفت قلبا خاليا فتتمكنت منه لانها كانت مطابقة لمواهب صاحب الترجمة فلما آتس منه متبوعه الخدق والنباهة والبراعة في اللغتين العربية والفرنسية قدمه للمباشرة بصفة كاتب مترجم بمكسيون الرقابة المالية الاروباوية ودار الفلك دورته المعلومة فمضى عهد الدور القديم وحل عصر الدور الجديد بانتصاب الحماية الفرنسية على تونس ومن وليداتها مصلحة الكتابة العامة بالدولة التونسية واقسامها المحدثه منها تسم الترجمة فاتفق الكاتب العام م. م. مع الوزير الشيخ محمد العزيز بوعتور على ان يكون السيد محمد القروي رئيسا لقسم المشاور اليه وهكذا كان وظهرت يومئذ بمساعدته ونصيحته لياقة نخبة من خريجي المدرسة الصادقية الذين تمموا تعلمهم بمدارس باريس لمباشرة الترجمة بين رجال الدولتين الحامية والمحمية كان في مقدمة تلك الطائفة الصالحة المرحومان السيد محمد الجنادي والسيد البشير صفر وهذا الفذ الثاني استقل بعد حين برئاسة قسم المحاسبة بالكتابة العامة فكان اول تونسي مسلم تولى ضبط الحسابات العامة بعد ان كان ديوان الحساب بالدولة وقفا على اليهود

واتفق اثر ذلك احداث ادارة للعلوم والمعارف بتونس نيظت ماموريته بعمدة المستعرب م. م. ماشويل معلم العربية سابقا بوهرا ن وكان من مشمولات خطته النظر على جمعية الاوقاف التي شغرت رئاستها في تلك الاثناء فاختارت الدولة لرئاسة الجمعية المرحوم السيد عمر بن بركات مدير المدرسة الصادقية وقدمت مكانه لادارة هذه المدرسة المنعم السيد محمد القروي ولكنه لم يباشر هذه الخطوة اكثر من اشهر معدودات لاسباب لا يسعها هذا المجال فرجع صاحب الترجمة لرئاسة قسم الترجمة بالكتابة العامة . ومنها انتقل بعد حين لرئاسة الخزنة العامة وهي خزانة محفوظات الدولة وكانت اوراقها مشتتة هنا وهناك لا يستفيد منها المطالع الا بالنزول اليه بعد الجهد الوفير فشمخ الشيخ القروي عن ساعد الجيد وقضى سنين طويلة في جمع شتاتها وترتيبها

ترتيا فنيا مستكملا من كل الوجوه ثم سعى وحصل بمساعدة مسيو روكاتب الدولة العام الذي كان يقدرة ويجله على بناء محلات فسيحة بسراية المملكة لنصب نحو مائة خزانة لحفظ تلك الاوراق وما الحق بها من دفاتر الدولة المرادية والوثائق التاريخية النادرة واليهود وجميع آثار العصر الحسيني السعيد بحيث اصبحت خزانة افادة تاريخية غير قابلة للنفاذ ووضع لها مع ذلك فهرسا عاما كان محل اعجاب اهل النظر لانه ممكن الدولة من الوقوف على الوثائق الصالحة لتصفية جملة من النوازل العويصة المتقدمة على نصب الحماية كنازلة القائد نسيم شمامة ونازلة ابن عياد وغير ذلك مما استحق به الفقيده الشفاء الاعطر والجزاء الاوفر

وفي مدة مباشرته لرئاسة الحزبة العامة وضع كتابه المسمى السر المكتوم في احوال النوم طرق فيه باب البحث عن التأثيرات النفسانية وعلاقة الروح بالجسد والتنويم المغناطيسي وكان مع ذلك يتعاطى مطالعة كتب الحكمة للكشف عن نواميس الطبيعة واسرار الكائنات ولا سيما فنون الصحة ووظائف الاعضاء التي غرغ من يها غرفة مائة . واتفق بعد حين استقرار راي الوزير المقيم العام مسيو ريني ملي على احدات معهد للعلوم العصرية بعنوان طلبة جامع الزيتونة عمرة الله وتفاهم في ذلك مع الوزير الشيخ محمد العزيز بوغفور فوق الاختيار باشارة مسيو روا على ان يكون السيد محمد القروي رئيسا للمعهد المذكور وهو معهد ابن خلدون وتم تاسيسه بمشاركة نخبة من المتوظفين كنت ولا فخر في جملتهم واما نسبته لاسم ولي الدين ابن خلدون فانها من مبتكرات صاحبنا السيد البشير صفر الذي مات شبيحه ولم يمت ولن يمت اسمه . وكان يوم افتتاح المعهد المشار اليه يوما مشهودا حضره الوزير المقيم السالف ذكره والوزير الانكبر وشيخ الاسلام ورجال الدولة واهل العلم والمتوظفون وكلهم كانوا لاهجين بفضل هذه المنقبة التي تم تأسيسها ببقية الخلد المستفاد من اسم ابن خلدون (خلدوني) وقام خطيبا في ذلك النادي الشيخ الرئيس القروي وتعرض في خطابه لوظيفة الانسان في المجتمع وعرف بان جنس الانسان فيما افاده الحكم كلود برنار عبارة عن طبقة بين الملائكة والحيوان ولولا ضيق المجال لا يتيسر على عبارة ذلك الخطاب النفيس . وبفضل الموجودات التي بذلها الشيخ القروي ورغم العثرات التي لقيها في سبيله تم ترتيب برنامج التعليم بالمدرسة الخلدونية على احسن أسلوب وانهم مرغوب وكنت من المتشرفين في تلك الآونة بتدريس علم التاريخ بها لتلاميذها الاولين

ولما زار فخامة رئيس الجمهورية مسيو فليار حاضرة تونس سنة ١٩١١ قلد السيد محمد القروي بيده الصنف الثالث ترقية في وسام اللجيون دونور زيادة على الوسام العلمي الذي كان محرزاً عليه من الصنف الاول وبعد ثلاث سنوات وقعت احواله على التقاعد بعد ان باشر خطته سنين كثيرة علاوة على الحد القانون للاعمار . وءاخر ما قام به من الاعمال الجليلة ترجمته لقانون الحدود .

على انه بعد احواله على التقاعد لم تستغن الادارة ذات الشأن عن الاستفادة من معلوماته الواسعة وخبرته الشاسعة لذلك تفضل عليه المولى محمد الناصر باي قدس سره بالصف الأكبر من نيشان الافتخار في عام ١٩٢٠

كان رحمه الله سليم الصدر بعيدا عن المجازفة والفضول وكان لطيف الشمائل فصيح اللسان حسن المحاضرة بل كان تاريخا حيا يمشي على رجلين وكان مشغلا بنفسه عن عيوب غيره ثاقب الفكر يفهم بمجرد الاشارة قبل سماع العبارة مقصودا للافادة معروفا بالثبات والاجادة بقي العرض جميل الظاهر والباطن كريم الخلق ماشئت من معارف حجة ونفس بالاستزادة من الفضائل مهتمة يحب الانصاف لماله من حميد الاوصاف يقول ما يراه حقاً ولا يبالي بصيرا بالعواقب عارفا بالسياسة متخلقا باوصاف الكياسة والرئاسة حنكته التجارب في كل المآرب ذاعفة ووقار وهمة عالية واعتبار ولم يزل محباً الى الناس الى آخر ما قدرله من الانفاس . توفي رحمه الله في السابع عشر من ذي الحجة الحرام سنة ١٣٥٩ واعقب اولادا تخلقوا بخلقه النفيس محسوبين في طبقة المتوظفين الاعيان جبر الله صدهم ورزقهم الصبر والسلوان

ملحق — بعد الفراغ من تحرير هذه النبذة تذكرت وجود بطاقة لدينا من خط يد الشيخ القروي رحمه الله جوابا عن سؤال كنت القيته عليه قدما في شان مدرسة باردو ومتى كان دخوله للتعلم بها فبحثت عنها بمجموعة الوثائق التاريخية التي لدينا الى ان يسر الله لي العثور عليها ولذلك نقلها هنا بحروفها لاشتمالها على تحقيقات تاريخية يصح الاعتماد عليها اورودها من مصدر لا شبهة فيه وهذه عبارتها :

الحمد لله — اما بعد اتم السلام ومزيد التحية فان مكتب الحرب الذي احدثه (المشير) احمد باي تحت نظر الامير الاي كليقاريس الطلياني اغلق في ايامه واعاده خلفه (المشير) محمد باي سنة ١٢٧٣ تحت نظر الامير الاي تافيرن (الفرنساوي) وجعله بالسراية التي صارت محلا للوزارة بعد انتقال التلامذة للمحل الجديد الذي بناه الامير محمد الصادق باي وكان ذلك في صفر سنة ١٢٧٧ ودخلت انا هذا المكتب عام ٧٦ وبقيت به الى عام ١٢٨٦ ومات في اثناء المدة الناظر المذكور (تافيرن) وخلفه القايمقام كمينون وهو الذي صارت وحشة بينه وبين الوزير مصطفى خرندار في عام ثورة علي بن غذاهم وسافر لفرنسا وسار بها وزيرا للبحرية تحت رئاسة غميتا والمحل الجديد الذي كنا به هو الذي صار الآن قشلة للاسكسكس هذا ما عندنا الآن في هاته المسالة وان اردتم زيادة الايضاح فنحن بقر بكم والسلام من ودودكم محمد القروي في ١٤ افريل سنة ١٩١٦ اه بلفظه

محمد بن الخوجه

اثر تاريخي

معاصر لجامع الزيتونة

بقلم الاستاذ الانري امير اللواء السيد حسن
حسي عبد الوهاب رئيس الخزنة العامة

ما من تونسي من ابناء الحضرة الا يعرف ان الواضع للحجر الاساسي لجامع الزيتونة هو
التابعي عبيد الله بن الحبّاب رحمه الله ، وهذا غاية ما يعلمه التونسي من تاريخ معهدنا الكبير ، وهذه
الرواية - وان كانت مختصرة - يتناقلها التونسيون خلفا عن سلف لما لهم من التعلق - بل من الصباة
الحقة والتعشق - في اقدم معهد علمي عربي موجود على وجه البسيطة ، زاده الله نورا على نور .
واذا نحن رجعنا الى مصادر التاريخ المعتمدة نجد الرواية التي يتناقلها ابناء الحضرة عن مسجدهم
الجامع صحيحة اثبتها قدماء المؤرخين ، فقد ذكر ابو عبيد البكري في مسالكه عن تقدمه من الاخباريين
ان « عبيد الله بن الحبّاب بنى الجامع ودار الصناعة بتونس » ونقل مثله ابن العذاري وغيرهما .
واذا ثبت من الناحية التاريخية ان ابن الحبّاب هو اول من شيد جامع الزيتونة فلا بأس ان
تعرف من شخص هذا المؤسس الذي أبقى لتونس حسنة عربية خالدة على الدهر ، حتى اذا ما اعتنى
التونسيون يوما بحفظ تاريخ بلادهم ، وأرادوا لف يخلدوا ذكرى مشاهير الرجال أصحاب المنة
والفضل على وطنهم ، لم يغفلوا عن إكبار ابن الحبّاب في مقدمة المحسنين .

ولنعد ثانيا الى مسانيد التاريخ لنعرف الرجل من هو ونعرفه بما يستحق ، فيقول معتمدان
على أقدم الامهات وهو « كتاب فتوح مصر والمغرب » لابي القاسم بن عبد الحكم قاضي مصر المتوفى
سنة ٢٥٧ هـ

هو عبيد الله بن الحبّاب السلولي ، كان اوله كاتباً في دواوين الدولة الاموية ، ثم تنهت به
الحال الى ان تولى مصر وافريقية والمغرب كله والاندلس . وكان - كما عرفه الاخباريون - رئيساً نبيلاً .
سمع الطبع ، رضي النفس ، عذب الحديث ، بارعاً في الفصاحة والحطابة . والحطابة اذ ذاك من أدوات
الامارة - علماً بايام العرب ، حافظاً لانسابها ووقائعها واشعارها ، مشتراً بحسن التدبير وكرم النفس
والتواضع حسبما نراه من سيرته بعد .

وقبل قدومه الى افريقية كانت له في امارته مواقف مشهورة واعمال جليلة في مصر . ومما يجدر
بنا ذكره هنا ان خلفاء بني أمية امتازوا عن سواهم بتقدير كفاءة الرجال وحسن اختيارهم للاصلاح من
القواد والانساب ؛ فقد عين الخليفة هشام بن عبد الملك صاحبنا عبيد الله والياً على مصر فقام بهما امرها

احسن قيام ، وهو الذي اخضع ارض السودان وادخلها لطاعة المملكة الاسلامية ، وقد نقل ابن عبيد الحكم في تاريخه المتقدم نص العهد الذي اعطاه ابن الحبّاب الى سكان النوبة ومشارطته لهم ، ومن هذا العهد تعرف مقدرة والينا الجليل وبعد غورة في السياسة .

ثم على راس المائة الثانية للهجرة اضطربت احوال افريقية وانتقض البربر سكان المغرب على العرب بدعوى الانحياز الى نحلة الحارحية ، فرأى الخليفة هشام بن عبد الملك من الحكمة تعيين ابن الحبّاب واليا على افريقية وما والاها من البلاد لما يعلم من كفاءة الرجل وحسن تدبيره .

قدم عبيد الله القيروان في ربيع الآخر من سنة ١١٦ - ستة عشرة ومائة - بعد ان استخلف على ولاية مصر ابنه قاسم - وكان ابن الحبّاب مصحوبا بوجوه معدودين من رجال الحرب والسياسة في الدولة الاموية ، ولمجرد وصوله باشر الامور بحزم لا يعرف الكلل وقابل الكوارث التي احدثها الثوار في المغرب والاندلس بعزيمة نادرة وروية ؛ فغير العمال وبعث النجيدات الى الجهات ، ثم ارسل جيشا غازيا في البحر بقيادة حبيب بن ابي عبدة حفيد عقبة بن نافع الى جزائر البحر المتوسط فغزا قوصرة (وهي جزيرة بنطليارية) وصقلية وسردانية بالمرأب المنشأت في دار صناعة تونس بمرسى قرطاجنة ، ورجع الاسطول الافريقي بعد اشهر غانما سالما .

قلنا نقض البربر الطاعة في سائر المغرب الاقصى برئاسة اميرهم ميسرة البرغواطي الذي تسمى بالخليفة ، فهاجمهم اسماعيل ابن الامير عبيد الله بجيوش جرارة تلاهت غير ما مرة في ناحية طنجة وأقاليمها ، وكان بالمغرب حينئذ قوم من أفحاح البربر ظهرت فيهم دعوة الحارحية ولهم عدد كبير وشوكة قوية فلاقاهم العرب في وقائع عديدة واخضدوا شوكتهم في كل مرة حتى اذا ما تكاثر البربر على الجيش العربي ووثبوا عليه من كل حذب وصوب استشهد من غزاة العرب فرسانه وشجعانه ، لا سيما في واقعة مشهورة في تاريخ الفتوح « بغزوة الاشراف » لكثرة من مات فيها من الكماة الابطال ، وبلغ خبر تلك الملحمة الى هشام الخليفة فقال : « والله لاغضبني لهم غصبة عربية ، ولابعثن لهم جيشا اوله عندهم وآخرة عندي » ثم ان هشاماً كتب الى ابن الحبّاب بقدمه عليه فخرج من القيروان في جمادى الاولى من سنة ١٢٣ ، وهو آخر عهد به في افريقية .

هذه ناحية من سيرة ابن الحبّاب السياسية واعماله في توطيد المعالك للإسلام في مصر وبلاد المغرب ، وهنا مناسبة ثمينة لسياق الحديث بذكر منقبة بالغة وطرفة نادرة من اخلاق ابن الحبّاب تنبئ عن تواضع الرجل وخشيته لله تعالى ، فقد روى ابن عبد الحكم باسناده وتبعه المؤرخ المغربي ابن العذاري في « بيانه » قال : كان لعبيد الله بن الحبّاب اولاد ، قد اعجبهم انفسهم ، فصادف ان قدم على افريقية عقبة بن الحجاج التسلولي ، وكان ابو عقبة هذا قد اعتق الحبّاب والد عبيد الله ، فلما دخل عقبة على عبيد الله قام اليه فاعظمه واقعداه على سريرته بقصر الامارة ، ولما خرج عقبة من عنده انكر

ذلك عليه اولاده وقالوا له : ما رأيك ان تعطيه شيئا من المال وتصرفه عنا ، لان وجوده بيننا مما يكسر شرفنا ويحط من قدرنا ؟

فقال عبيد الله لاولاده - نعم ! افعل .

فلما كان في غد امر الناس فدخلوا عليه ، وجاء عقبة في جملتهم ، فقام عبيد الله اليه واجلسه على سريره كما فعل بالامس ، ووقف قائما وقال : ان بني هؤلاء غرتهم غرة الشيطان بعزة السلطان ، وارادوا أمرا أخرج به عن الحق والمكارم ، ورأوا ما رأوا من بري بهذا الرجل ، وانا اخبركم انه مولاي ، وان اباه اعتق ابي ، وانا اكره كتمان امر الله سبحانه شهيد به علي ، وانكر نكران الجميل ! ثم ان ابن الحبحاب خير عقبة في ولاية ما شاءه من امارته ، فاختار الانتقال الى الاندلس فولاة عليها ، وذلك في سنة ستة عشر ومائة ، واما عقبة واليا بها الى سنة احدى وعشرين ومائة .

فانظر - يا رعاك الله - الى هذه الهمة السماء ، وهذه المكارم التي لا يستغرب صدورها في الحقيقة من امثال اولئك الذين سادوا العالم لا بسيفهم وقوة جنودهم فحسب ، بل بما اتاح الله لهم من التحازر العالية والسجيا الغالية والاخلاق النادرة الوجود .

اما من ناحية حسن سلوك ابن الحبحاب مدة ولايته افرقية ، ولا سيما من جهة تدبيره النظامية ، وأثاره العمرانية ، فقد تقدم بنا انه اول مؤسس لجامع الزيتونة الميمون الطلعة على هذه البلاد ، ومما لا شك فيه ان بناءه الاولي دخل عليه من التغيير في عهد الدولة الاغلبية خصوصا في مدة الامير احمد ابن الاغلب ما صيره على الشكل الذي نعرفه منه اليوم . تشهد بذلك الكتابة المرسومة بالكوفي العريض على دائرة قبة المحراب ، ونصها :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، مما امر بعمله الامام المستعين بالله امير المؤمنين العباسي ، طلب ثواب الله وابتغاء مرضاته ، على يد نصير مولاه سنة خمسين ومائتين ، يا ايها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ، صنعه فتح » .

ومن هنا يتضح لك ايضا تواضع الامير الاغلي الذي رسم في البناء اسم متبوعه الخليفة العباسي ولم يذكر نفسه .

وقد اضيف بعد ذلك الى جامعنا على ممر الزمان سواء كان في عصر بني خرسان او في دولة بني حفص الطويلة المدى زيادات كثيرة وتحسينات بديعة زادت بهجته نضرة وجمالا ، ادامه الله منهنلا صافيا لعلوم الدين ، ومنبتا مشمرا للهداة المرشدين .

وربما عدنا في فرصة اخرى - في هذه المجلة الزاهرة - الى التوسع في ذكر اخبار جامع الزيتونة من نشأته وابتداء ظهور التعليم بين سواريه ، وما قاله مشاهير الرحالين فيه ، ومن اشتهر قديما من اساتذته ومعلميه ، وبالله التوفيق .

ويلتحق بتأسيس جامع الزيتونة اثر تاريخي من الاهمية بمكان ، اود جلب الكلام عنه الآن ، لما له من المساس الاكيد بموضوع هذا البحث .

منذ سنتين حظيت بالفتور على قطعة مدورة من الزجاج الاخضر ساقها يد المقادير الى مجموعتي وبعد التامل منها الفيتها مكتوبة على وجه واحد بالخط الكوفي العتيق ؛ وباستقرائها تبين لي نص كتابتها وهو : « مما امر به الامير عبيد الله بن الحبحاب ، منقال نصف وقبة ، واف » . اه فتيقنت



صورة الصنوج

انها صنوج ضرب بافريقية في مدة ولاية ابن الحجاب يعني ما بين سنتي ١١٦-١٢٣ للهجرة ، فكانت اغتباطي بها كبيرا و فرحي شديدا . وهذه صورتها وحضرات القراء يعلمون بل اريب ان الصنوج - وجمعه صنوج - هو عبارة على قطع من الزجاج البلوري كانت تسكها - وعلى الاصح تذيبها - الحكومات الاسلامية المتقدمة في دار ضربها (دارالسكة) لمقصدين كبيرين :

الاول - تجعل الحكومة منها مثاقيل الاوزان الرسمية - وهي ما نسميه اليوم بالصروف - توزعها على اصحاب التجارات وارباب الحرف لا سيما في المواد الثمينة كالاحجار الكريمة والعطور وغيرها ليزنوا للناس على المثاقيل الشرعية المقبولة ، وصنع هذه المثاقيل من خصائص الحكومة التي يباشر اعوانها صاحبها في المسابك الرسمية للدولة وتحت مراقبة المحتسب لما جاء في مسالة الميزان من التحذير في شريعتنا الغراء

والثاني - تجعل الحكومة العربية منها عيارا للتقدين يعني الدينار الذهب والدرهم الفضة تضربها من قطع الزجاج ايضا في دار سككتها وتسلفها بعد الى الصارفة الموجودين بمملكته حتى اذا جاء من يريد صرف دينار او درهم علم الصيرفي اذا كان النقد المعروض عليه للصرف طيبا ويشمل الوزن الشرعي المطلوب وبذلك تطيب المعاملات ويسلم الرعايا من الغش والتدليس ، ولا يخفى ان الشريعة السمحة لا تعتبر في التقدين (اي الذهب والفضة) الا الوزن والعيار ، ولا تلتفت الى سواهما . وهذه هي القاعدة الاسلامية التي ارتكزت عليها المعاملات بالنقود في الدول الاسلامية . ولذلك تراها اتخذت هذه الصنوج من الزجاج لان عنصره لا يقبل الزيادة او النقص على طول الزمان الا اذا انكسر

جاءت هذه الصنوج - من حيث الصنع - غاية في الابداع ، سواء كانت مثاقيل او عيارا واول من اتخذها في الاسلام هو الخليفة عبد الملك بن مروان ابو هشام الذي ضرب في ايامه صنوج ابن الحجاب المتحدث عنه ، ولا نعلم - فيما لدينا من الصنوج الافريقية - اقدم من صنعنا هذا ، ولذلك فانا نعتبره اقدم اثر لتنظيم الشؤون الادارية في البلاد التونسية بعد فتح الاسلام لها . زيادة على كونه معاصرا في العمر لجامع الزيتونة العاشر فهو تربه وقرينه ، وها هو يتلالا في هندامه القشيب منذ سبكنه ايدي العمال في دار سكة القيروان

اراني اطلت الحديث عن امر ربما يعتبر عند غيرنا تافها اذ ان حجمه لا يتجاوز القطعة الفضية ذات العشر فرنكات من عملتنا الجارية اليوم ؛ لكن الوثائق الانثريّة الراجعة الى ذلك العصر الاسلامي الزاهر هي اندر من يبيض الانواق بحيث ان كل ما يمكننا الوقوف عليه منها نعدّه غنما ثميناً ومرشداً معينا لتحقيق ما وصل اليه من الاخبار بواسطة المصادر التاريخية .

وفي عزمي - ان شاء الله تعالى - ان اجعل هذا الصنوج المبارك في اطار مناسب واقدمه على سبيل الذكرى الى معهدنا الزيتوني العزيز ليقى به وثيقة خالدة على الدهر وشاهدنا حيا لتأسيس مفخرة من مفاخر الزمان

وفي ختام هذا البحث لي رجاء اكيد من القراء الكرام وهو ان يتكرموا عند انتهاء مطالعتهم لهذا بتلاوة الفاتحة واهداء نوايا الى روح ذلك الفاتح المحسن اعني عبيد الله بن الحجاب . ولي الامل انا بفعلنا هذا نكون قد اثبتنا اننا لا تنكر جميلا يسدى اليها كما علمنا ايها ابن الحجاب فيما سبق من التاريخ

حسن حسني عبد الوهاب

غرة المحرم ١٣٦٠

الادب

معارضة قصيدة عامر ابن هشام

التي مطلعها

يا هبة باكرت من نحو دارين وافت الى على بعد تحييسي

قد جادت قريحة الفاضل الزكي الاديب الكبير الشيخ سيدي محمد المقداد الورتاني بهذه القصيدة العصماء التي عارض بها قصيدة الشاعر الفحل عامر ابن هشام القرطبي التي نشرت معارضة ادباء العصر لها بالمجلة في المجلد الثالث

فأجاد وأفاد بما جمع فيها من المعاني الرائقة والتشايه البليغة والافوصاف الساحرة وقد ضمنها عدة اغراض من ذكر طيب تونس ووصف اهلها ومنازلها والمقامات السامية بها ومنازل احوالها ثم منازل بعض بلادان المملكة ووصف حيواناتها وطيورها وقام برحلة خيالية في الكرة الارضية الى غير ذلك مما تضمنته هذه الفريدة الرائقة من التواريخ المفيدة والاشارات اللطيفة وقد علق على ابياتها التعليقات المفيدة تبياناً لما تضمنته من المعاني والتواريخ والاشارات كل ذلك بأسلوب رائع جذاب ينم عن الروح التي تجلت في ابياتها وطريقة الشيخ الذي اختص بها في شعرة والى السادة القراء نصها :

يا تونس الانس دار العلم والدين	هل هبة منك عن دارين تغني (١)
فانس اهلك لا انسا في بلد	وان اتيتك للاوطان يسيني
وطيبك العطر والازهار نافحة	ومسك دارين تجر الهند والصين
شتان ما بين محبوب على شحط	ونائج نافح ككل الاحايين
فاقطف من الورد والخيري ونرجسها	او البنفسج او ءاس ويسمون
او القرنفصل والقطمير نعنمها	والعنبرية او قفل ونسرين
تلك الروائح للارواح منعشة	وعطرها ظل مرغوب السلاطين
فالبشر في تونس والعطف قد جمعها	لجودة الذوق والآداب واللين (٢)
والعلم في البيت والفرعين يطلبه	ابناء شرق وغرب والسوادين
وما مساجدها على رئاتها	الا تعبد انواع المصلين (٣)
والامن فيها على نفس وما كسبت	وفي الايالة طغيان الدهاقين
فلا ترم غلطا سكني بخارجها	وما سر نديب مثل حنة العين (٤)
فانزلها دار باشا منسزلا وسطا	او قبة في جوار لابن خلدون (٥)
وابعد على ساحة السبخا وقلتها	وفي السواحل انت غير ماذون
وصل في الجامع المعصور اين تجد	منابع العلم ما بين الاساطين (٦)

(١) دارين فرضة في البحرين بخليج فارس بجلب اليها المسك ويقال فيه الداري (٢) التعليم بجامع الزيتونة وفرعيه : الجامع اليوسفي والجامع الحفصي (٣) من ذلك جامع الزيتونة سقفه الغربي القاي وتحت السقف معلق بالاخشاب وفوق جداره ثقبون ينفذ منها الضوء والهواء (٤) سرنديب نزل به ابونا مادم عليه السلام عند ما خرج من الحنة (٥) نهج القبة به دار خلدون سكنى السيد محمد داود الان (٦) الزيتونة اسس عند فتح تونس وقرطاجت على يد حسان بن النعمان عام ٧٨ وتولى عليه

ورد به كوثرا من الحديث وتف
نرجو له نهضة وللفروع معا
سوق الفواكه والاثواب ساحته
ولن ترى مثل طيب النيفري بها
شتى الحشائش في سوق البلاط شفا
فادخل لمكتبة الحفصي ومنها الى
وان مرتت على حداد السنة
وعال محسن زر فسيح دارهم
قصر المراتب يزهو في فخامته
دار الشريعة في الديوان زاخر
لها رئيسان زاد الله نفعهما
فهل يعود انتخاب للقضاة بها
وهل يلي مذهب النعمان مقتى مع ال
المذهبيين إخاء طبق شرعتنا
وقصة الاغلي تبدو ببروتها
وجئي سراية ملك شادها الامرا
واحضر قبول الوفود والامير بها
والذكر غلبونجي يتلوه خاتمة
والشعر ينشد عادات محبة

سير وقفه ومن نحو الدمامين
حتى نرى عصر مامون وممنون
والطيب ينفج من ملء الدكاكين
والصدق في السبط من خير النسيين (١)
والكتب ساحة مدارس القشاشين
سوق العطور وسوق اللبلاتين (٢)
ذرههم يخوضوا وقل ذاليس يعني
ايمة شرفا رشم العرائين (٣)
وشرخه صفر في مثل شاهين (٤)
بالعلم والعدل في ضمن القوانين (٥)
على الدوام الى الاسلام والدين (٦)
حتى يسان القضاء من كل تخمين (٧)
قضاة يرشد في فقه وتمكين (٨)
وفيها رحمة للتونسيين
كانها عادة في حال تزيين
بنسومراد وءالت للدواوين (٩)
والحفل يحمل انواع النياشين
من سورة الفتح او طاهيا ياسين
عند الملوك لتنويه وتمتين

البناء من عبید الله ابن الحبحاب اول القرن الثاني ومن الاغلبية في القرن الثالث ومن الصنهاجيين
باواخر القرن الرابع ومن بني خراسان في القرن السادس ومن الحفصيين بين ٦٠٣ الى ٩٤١ -
يراجع ما كتبنا بالدرة المصونة في الكلام على جامع الزيتونة

(١) النيفري السيد حمادي النيفر الشريف مثال الاستقامة والكرامة (٢) البلاتين ذهب ابيض
وسوق بيع الذهب يسمى - البركة (٣) سيدي محمود محسن امام ثان بجامع الزيتونة وابنه سيدي
مصطفى امام ثالث به (٤) الفريق محمد المراتب عامل القيروان عند الاحتلال الفرنسي

وصفر شيخ المدينة هو السيد مصطفى ابن البشير صفر المنعم وتوفي الان في ليلة السبت من
صفر ٣ ومارس ١ والقصيدة تحت الطعم فزيد البيت الموالي :

وها توى بعد «حام» ٤٩ في حياة الفناء واختار خالد أب نساء ومدفون

(٥) للمحاكم الشرعية صارت لنظر الوزارة العدلية ١٩٢٢ وقد اوجدت بها القوانين

(٦) شيخ اسلام حنفي وشيخ اسلام مالكي

(٧) كان انتخاب القضاة الشرعيين في بلدان المملكة لقاضي القضاة بتونس ثم صار للوزارة

العدلية ومراجعة جناب الوزير الاكبر

(٨) في بلدان المملكة يتمسك بالمذهب الحنفي ويمكنون من ذلك وتجري المخابرات

في طلب الارشاد من الحاضرة فلو كان مع كل قاض مفتي حنفي لكان الارشاد سريعا كما ان المفتي يفيد
اتباع المذهب الذين هم في كثير من بلدان المملكة - (٩) تسمى الان دار الباي بناها حمودة باشا المرادي
في القرن ١١ - وسكنها حمودة باشا الحسيني في اول القرن ١٣ والان بها اعمال الوزير الاكبر
والكاتب العام ودواوينها وياتها الامير في المواسم وبعض الايام

والباي احمد كالحفصي وهادئه
وحومة البحر سكنى كل جالية
حكمت منازل باريز وروقهها
كما حكمت جارة اليهود كرطي لطا
ورحبة الدرب تعلو ما سواها ومن
وزير الاخوة ابن تافرا حين (١)
فيها رغايب مشغوف بتمدين
وانما العدل والآداب في السنين (٢)
اذ جدت من ملايين بتسعين
توفيقها الكشف عن قري الملايين (٣)

وانظر الى الشرق بحر او الشمال ربي
تري الصوامع اشكالا منوعة
قباها قمم الاجبال ثالجة
وبرج رايس في سمت الجنوب علا
وحول قبة من تدعى بعائشة
جوارها مدفن الجلاز تربته
وباب قاسم أو باب العالوج هما
والبحر يقذف بالقصاد نجعتها

وللسماع بهذا القطر اعذبه
له رشيدية المألوف مطربة
فرغبة النفس في مألوف أندلس
اجاد فيه خمس فبيانه
إذا نعى طفله المحضون يصغوا له
يفيض الحانه الرديو سواسية
فاسمع صباحا وقبل النوم قارئه
إذا تلى فيه براق بنعمته
فالروح في طرب والجسم في أدب
لا تعجبوا أن سمعتم من تكلم في
قبله اسمع الفاروق سارية

(١) ابن تافرا حين وزير الدولة الحفصية في القرن ٨

(٢) السنين نهر يخترق عاصمة باريز وبها كارطي لطلبة مدارس التعليم

(٣) التوفيق بناءات محدثة خارج القصبة وباب سيدي عبد الله

(٤) نبتون اعلا الكواكب السيارة

(٥) السيدة عائشة المنوية الصالحة

(٦) خميس بالتصغير - الترنان البارع في الضرب بالآلات وطبوع النوبات

(٧) بلد بغرب النرويج

(٨) علي البراق القيرواني

(٩) القراءان من تعبير جبريل للرسول عليه الصلاة والسلام طبق ما القي اليه أما بقية الكتب

فهي من تعبير الرسل عما يلهمون به ولذلك كان القراءان محفوظا

(١٠) في ناوند بفارس عرض للسيد سارية حصار من العدو فنادا سيدنا عمر ابن الخطاب وهو

على المنبر بالمدينة بقوله : يا سارية الجبل فسمعه وانحاز للجبل بجيشه ونجوا

ان الخوارق من صنع ندبره على الكرامات من اقوى البراهين

فتونس ، مجمع اللذات فاتنة وجوده الفكر والتعبير معشرها وطقسها من حدود الاربعين الى للشاذلي نسبوا في الساكنين بها هذا الذي نقلوا وكل ارض بها ياليتها سلمت من البعوض ومن ورغم ذلك لا انفك اعشقتها فالعيش يدفعني عنها لخارجها والمال تطلبني اسبابه وارى وللوظائف اسباب متنوعة

فاقت بلبس ومطعموم وتحسين والجود والجد سكان القياطين صفر واعدله ما فوق عشرين لا يشهدون وهم في السبع ميين خير وشر على مدى الاحيين رطب الهواء ومن صيف كأتون ولم اجد في سواها ما يسليني والعلم يجذبني لها ويدنيني قليله بشريف السعي يكفيني وربما اجتازت الاحرار للدوني

❖ ❖ ❖ ❖

فاخرج لمنوبة ذات الرياض وزر وحول تونس سطر للحنايا كما واصعد الى البلفدير اين تنعم في في سفحه اسس العمران بلدته وأن بحثت على طيب الهواء ففي اما المريسى فقصر الملك تحسبه*^{*} برج السلاسل ادركنها مدافعه تبدو شرافاته من حول قبتة لله دار الوزير للحفيد الابي دار العلوم وللاضياف داعية دارت بها بينا الاداب زاكية وان بدالك من ابي سعيد سني فالبر مرفق والافق متسع ودار الاخوة تملو ما يجاورها قاجعل مقيلك فيه والمساء بأطلال لقرطاج تقدس الرهايين من قبل عيسى بطاء(٩) من قرون خلت

دار المئاثرواشرط ما البساتين (١) قطار نوق يمدحها بتموين (٢) ظلاله بين مخضر الافانين وشاد فيها منارة لتأذين اريانة مبتغى برء المصابين والبحر يلدز في بنا قسنطين فالحسن في شكله وذو لتحصين بقية من بني حفص السلاطين فروضها للظبا والحوض للون (٣) والظرف في مال عاشور الميامين كما شربنا الصفاء بالفناجين فذاك هدي المنار في الدياحين والحسن اين نظرت دون تعيين كما علا جيشه فزر الشواهين (٤) وجاءت تؤسسها أحفان ديدون (٥)

- (١) المصنوعات العتيقة في باردو- والبساتين بناءات محدثة قريبا من باردو ماء ابارها عذب نافع
(٢) الحنايا من راس الطاية الى تونس بناها المستنصر الحفصي في النصف الثاني من القرن السابع وجلب عليها ماء زغوان من الحنايا العتيقة
(٣) الوزير المنعم سيدي محمد العزيز بوغثور خلفه في قصره حفيده المفضل العلامة الشيخ سيدي محمد الطاهر ابن عاشور شيخ الاسلام المالكي
(٤) قصر الوزير الاكبر سيدي الهادي الاخوة الشريف
(٥) قبل المسيح بنحو تسعة قرون اسست ديدون الفنية مدينة قرطاجنة

قد احرقت ثم عادت للحياة وما
فحول الماء عن مجرى الحنايا وهل
من عجز مستنصر تحطيم هيكلها
فأي ذنب اتى به البناء سوى
لهفي عليها وقد رثي لها ورثا
وبعد قرطاج جز لخلق وادوزر
وحمة الانف للاعصاب نافعة
وعج لمرناق والقصر الملوكي به
ابن الثمار الى السكان دانية
وقربص ساعة طريقه وله
انعم بحمته وشرب نبعته
وفي سليمان ردماء الحماري ومل
هذي كواكب ترشيش وهالتها

تت عند ما سامها حسان بالهون (١)
حسي يعيش ببلادم الشرايين
مثل المدائن قد هدت بهارون (٢)
عمارة الارض او تقع وتسكين
من قبلنا محرز في شعر ثابين (٣)
عليا فراديس رادس ومقرين
واليس في الجسم تنفيه بتلين
وقبة اقبرت سعد الشواشين
قطوفها والهوا يشفيك في الحين
ما بين بر وبحر حسن تكوين
من عين اقطر لا عين الفكارين
للبردقاف بمنزل وليموت
صارت مناخا لاعشاش المساكين



وجنس تونس من عرب ومن وعجم
قد علموا البربر المجوس غيرتهم
نعم اعانوا على فتح باندلس
ومارسوا الفلك من جنس فينيقي مضى
وقوم رومة قد أبقوا بناء هنا
وتونس قلدت بالاحتلال لها
قطر هيء مريئي والرخاء به
ذا من طبرقة جونا للتوازين

طباعهم بين اخلاص وتلوي (٤)
وكلمها نكثوا ردوا الى الدين
ومغرب شان مغلوب وموهون
في قابس واجيم والكلالين (٥)
في دقة وأججم كالقراعين (٦)
افرنجة في تبرج وتدخين
من حبه والتجيد والزياتين
والكاف غربا الى شط المعاوين (٧)

(١) احرقتها الرومان - ثم عادت عاصمة وفتحها حسان بن النعمان ٧٨ ولما خانت قطع عنها ماء الحنايا وانتقم منها بهدم ما عسى ان يعودوا للمتحصن به

(٢) جاء صان لوي الفرنساوي محاربا لتونس في القرن السابع وانزل جيشه في بقايا بناءات قرطاجنة وبعد الصلح خربها المستنصر وكان عليه ان يعمرها او يحرقها

كما ان هارون الرشيد خرب عاصمة الفرس وهي المداين بلاذب وله حكاية فيها مع البرامكة (٣) للشيخ سيدي محرز ابن خلف صالح العاصمة المتوفى ٤١٣ قصيدة في رثاء قرطاجنة مطامها خليلي مررا بالمدينة واسمعا مدينة قرطاجنة ثم ودعا

(٤) قال ابن خلدون ذهب افريقش قبائل العرب الى افريقية وبه سميت وساق البربر اليها من ارض كنعان الخ قات فالسكان الاصليون من بني حام ابن نوح وهم الاكثر الان واتاهم العرب والفنيقيون والرومان (الطليان) والفندال (المان) واليونان والعرب والأتراك وارتد البربر عن الاسلام اثنتي عشر مرة

(٥) أجيم بجربة والكلالين بقرقة وسكانهما بارعون في البحارة

(٦) دقة قرب تبرسق - والاجم بين سوسة وصفاقس

(٧) التوازين عرش في بنقردان

والثمر والطير والانعام وافرة
ماء المعادن لا تحصى منابعه
والدر يخرج من احيم ميدون ١
والسر في حرة من غير تسخين ٢

ومن يلذ له صوت الطيور يجد
وفي السبلبل والمنيار بغيته
وفي خمير جبال الغاب شائعة
والثلج والخصب والامطار دايمة
واوسط القطر مرعى كل سائمة
وما ورا قفصة صحرا الجريد بها
تمر شبي بها تختار حبيده
قصيلة كالعراق طقسها والذكا
انعم بها بلدة في حسن موقعها
يا ليت قفصة للسلطان عاصمة
عين الدراهم والكاف المصيف منى

والقيروان مزار القطر فانزل بها
نور الهداية والتشريع بدوهما
فاقت بجامعها وقبر صاحبها
دار المرباط ان تنزل مرحبة

- ١ - احيم وميدون في جزيرة حربة
- ٢ - اشهر المياه المعدنية في قربص - والانف والجديدي - وبوحجة والحامة حول قابس والحامة حول توزر وغير ذلك
- ٣ - ورتان بين ابة وسبية
- ٤ - بنوزيد حول حامة قابس وهم اخداد الهامة
- ٥ - تليين بكسر التاء واللام وتشديد الميم المكسورة في عمل نفاوة بها جامع لعقبة ابن نافع
- ٦ - كانون الاول هو ديسامبر ولد المسيح في ٢٥ منه وكانون الثاني هو جانفي اوله مبدأ العام المسيحي يعني النصرى فيما بشره النمر الحيد « الدقلة » لكون مزيم اقتات من الثمر عند ولادة المسيح
- ٧ - قصيلة هي الجريد وجيرون اسم لدمشق
- ٨ - الملوك من قديم يصطافون بلاد الثلج ويشتون بلاد الثمر
- ٩ - نيسان هو افريل - وتشرين الاول والثاني هما اكتوبر ونوفامبر - فيهما الحر والذباب بالقيروان

- ١٠ - عبد الله ابن ابي سرح فاتح افريقية عام ٢٧ وسجنون ناشر فقه المدونة بشمال افريقية والاندلس في اول القرن الثالث
- ١١ - الجامع بناه زيادة الله اول القرن الثالث وهو اكبر من جامع الزيتونة والصاحب هو ابو زمعة البلوي الشهيد في واقعة جلولا عام ٣٤ ومشهدا قايم بعد وادي السقي ويقال لتلك الحوطة سيدي عبد الله الشهيد اما المدفن ففي القيروان ويقال لمقبرته البلوية
- ١٢ - المنعم السيد الصادق المرباط حاتم القيروان وولده الان عبد الرحمن له شبه به والعوانيون هم قبالة الشرف في القيروان

واقض الحريف بنزرت وشاطئها ورأس جبل ورقراف وصونين ١

ولا تغب أي فصل عن صفاقس اذا ترى بها الجد الدنيا والدين
فالخزم شيمتها والحزن حليتها صكنز الثرا والثمار والرياحين
صفاقس عطرها من زهر تربتها يزري بمسك اتي اسواق دارين
محمودها الشرفي المقتي النيل اذا سمعت اداياه قلت ابن زيدون ٢
وسوسة ان تقم يوما تماما بها تكفيك منها بناءات السلاطين ٣
وقبة الشيخ يحيى القيرواني على باب المدينة مقصود القرايين
وبت بعاصمة المهدي وساحلها وماء راحيش اوبستان هيبون ٤

وما سبيلة الا المياه بها تهمني دموعا عليها حال محزون
قد قدمت بنت جرحير فداء لها وصلحها ذهب من وفر زيتون (٥)
فالبت لابن الزبير نفلوه بها وخمس خمس الى جبد المراوين
وطود زغوان يشقينا ونحي به من مائه العذب او من عطر نسريرين
ضموا له ماء سيل لا يلائمنا وليتهم خصصوه بالبساتين (٦)
واليوم هل من مزيد لزيادة الضما اذما كفى الماء من برقوا البحيرين (٧)
ولا تقل قطرنا لا شيء يشبهه فان في الكون ما فوق الاطنين

فحقق الامر بالاسفار واعن بها فالماكنون بارض كالمساحين
فقد مضى الزمن الذي يقال به فلا اسير الى من ليس يدريني
وسح بشرق وغرب تستد بهما ولا تقف دون شيكاغو وجابون (٨)
واقرب من القعلب في النرويج سائفة وفي البوير بعرض في الثلاثين (٩)
في البحر باخرة والجو طائرة والبر سائرة بصفو بنزين
قبادر الشرق نحو مصر واسم الى فسطاط عمرو وأهرام المدافين
فقد بنى جوهر هناك القاهرة وازهرا ارضا بالصاد والسين

٣٠٠ ٦٠

١ صونين قرية في البساتين بين رأس الجبل ورقراف

٢ - توفي عام ١٣٥٨ وقلت في رثائه :

مات محمود السجاييا الشرفي ففقت اداينا واسفي

٣ - جامعا ومدرسة الرباط ومنارها وسورها وقصبتها من بناء ملوك الاغالبية في القيروان

٤ - راحيش جنوب المدينة وهيبون غربها

(٥) ابنة جرحير صاحب سبيلة اخذها عبد الله ابن الزبير وكان الصلح على قناطير من الذهب
اخذ خمس خمسها مروان بن الحكم وكثرة الذهب بافريقية ذكروا انه من ثمن زيت الزيتون الوافر بها
(٦) ماء سد الوادي الكبير

(٧) البحيرين من قرى برقو المجلوب مأولة لتونس

(٨) شيكاغو في وسط امريكا الشمالية والجابون في اقصى الشرق

(٩) جوهر الكتاب الصقلي (او الصقلي) جمع العلم والسياسة والشجاعة واسس القاهرة المعزية

نسبة الى متبوعه المعز لدين الله العبيدي واسس الجامع الازهر بها في نحو سنة ٣٦٠

وحفلة الالف لولا الحرب خف لها
وليس في الحرمين ما يخاف وهل
فطفت بمكة واخلص نحو طائفها
واحرص لتعرف في الحجاج نخبتهم
هناك احكمكم خير الرسل ببعته
وسل تجب عند قبر كان صاحبه
ميلاده برج نور بدء هجرته
شوقي اليه وان احظى بزورته
فمن سماحته ومن شفاعته
وما التوجه الا نحو طبيته
فارحل الى القدس والشام الحبيب وعج
ولا تن دون بغداد ودجلتها
ومن هناك ل طهران وفارسها
وليت مالك يكفي كي تسير به

وارجع الى الروس والبحر الحليك به
وان تصل لاني ايوب فادع به
واعجب ببياة بسفور وشاطئه
نعم عرى الجامع المدعو بصوفية
ذي عبرة فاعتبر ابطال اقتره
اقم بلبسيك حيث الكتب وافرة
باريز آمنة في الحرب سالمة
وبعدا رومة كرسى المسيح بها
ولا تعد قبل ان تحلل بانندلس

على سخالين في قطار خربين (٥)
دفين استانة كرسى الخواقين
وملبس الخلفاء والنسبين
كما بكى يلذ ابطال ما بين (٦)
وواصل السير غربا نحو برلين (٧)
وامرر لباريز بالالزاس والرين (٨)
وقدغدت حره لليون في الرون (٩)
ومن عجايبها نار البراكين (١٠)
على بيوتة او من درب لوشون (١١)

- (١) باكين عاصمة الصين الذي به عشرات الملايين من المسلمين
- (٢) برج الثور لشهر افريل الذي ولد في ٢٠ منه صلى الله عليه وسلم وحل قبا في الاعتدال الخريفي الذي تجل فيه الشمس برج الميزان
- (٣) خليج فارس به البحرين وسوق مسك دارين
- (٤) بحر بهرين بين الجابون وامريكا
- (٥) جزيرة سخالين شمال الجابون وقطار خربين يخترق سيبيريا الى روسيا
- (٦) جامع آية صوفية ازيلت عن جدرانها الكتابات الاسلامية حتى عاد ظهور الصور المسيحية وعطلت به الصلاة - والمابين يدل على الحكومة العثمانية وكان مركزها قصر يلدز
- (٧) برلين عاصمة المانيا
- (٨) الرين نهر عظيم بين المانيا وفرنسا
- (٩) نهر من بحيرة جنيف
- (١٠) رومة مقر رئيس الديانة المسيحية والبراكين جبال تتصاعد منها النار والدخان
- (١١) لوشون في فرنسا بها مياه معدنية ومنها طريق الى اسبانيا يخترق جبال البيريني «راجع ما كتبناه عنها في صحيفة « ٦٠ من الرحلة الاحدية

فهي التي ابتكرت ياهبة باكرت
 وادخل لقرطبة العصما وجامعها
 واجعل طريقك طارقا لمغربنا
 ففاس ادريس بيضاء شقيقها
 اقصى المغرب اثرى الله ساكنه
 اهل النجابة والاقدام في سفر
 وزر هناك ابن عباد ثوى درنا
 لم يرض رعي خنازير وينجو بها
 ومن تكن بالهدا الاغيار نجده
 كنجدة الفنش للحفصي فثال به
 وجز تلسان للوادي وبسكرة
 واهد السلام لعقبة بترته
 وادخل تسبة في الرجعى وحيدرة
 وان سلكت على تستور اندلس
 هم انتجوا الزعفران حول مجردة
 وعد الى تونس الحضراء مقتبلا
 اياك تحسب ترحالا لاجمعها
 فان عزم الفتى يدي الثريا وما
 وانما الحزم تنفيذ وليس كمن
 فان قيمة ما تجنيه في سفر
 واكتب لما نلت من خبر ومن خبر
 واحكم بعدل على الاشياء دون هوى
 واعمل لتنتفع قطرا قد نشأت به
 وقل حمى الله ترشيشا وارخ لها
 محمد المقداد الورتاني « ٦٠ » « ٣٠٠ » ١٠٠٠

- (١) عامر بن هشام مدح قرطبة وكرة الخروج منها في قصيدة مطلعها : ياهبة باكرت من نحو دارين « واقت الي على بعد تحييني
 (٢) دولة المهدي ابن تومرت وهي الموحدية وبعدها دولة بني مرين
 (٣) ادريس الاصغر مؤسس فاس ١٩٢ ويوسف ابن تاشفين اسس مراکش ٤٤٥
 (٤) ابن عباد صاحب اشيلية ففاس يوسف ابن تاشفين باغامة فاطم وابي النجدة بالفنش الاسباني
 عندما اشير عليه بذلك وقال رعي الابل اي عند ابن عباد خير من رعي الخنازير اي عند الفنش
 فعبر بذلك عن حكمة وهمة
 (٥) المرابطيون اسس دولتهم محمد ابن ياسين
 (٦) استنجد الحسن الحفصي وابناه احمد ومحمد بالفنش الاسباني على محاربة بني جنسهم لتمهيد
 ملكهم بتونس فلاقى كل واحد منهم الاهانة جزاء الخيانة ومات معزولا من الملك
 (٧) الزواردين بين ابة وصرا ورتان
 (٨) الزعفران لا يوجد بالملكة في غير تستور
 (٩) قال الشاعر : (فاصبحت كالكمون ماتت عروقه * واغصانه مما يعنونه خضر)

﴿ اصلاح غلط ﴾

بمعارضة قصدة عامر ابن هشام

الصواب : مدراس - زاخرة ١٨٣ - بهية بسفور ١٨٩ - السرا - وسرا ١٩٠

الاشتراك

وصولات الاشتراك لا تعتبر الا اذا كانت
ممضاة من امين المال

نجم الدين ابن القايضي

والمخابرات المالية تكون معه

عن سنة بالحاضرة وبلدان المملكة والجزائر والمغرب

الاقصى وسوريا فرنكات ٣٠

في الخارج غير البلاد المذكورة فرنكات ٤٠

مجلد المجلة عشرة اعداد في السنة

الادارة نهج الباشا رقم ٣٣ - تونس

المجلة التونسية

مجلة علمية أدبية أخلاقية
تصديدها الشهرية منذ سنة ١٩٤١ في ربيع الأول

شهرية وستة عشر شهرا

الجزء السابع تونس في ربيع الأول ١٣٦٠ وفي أبريل ١٩٤١ المجلد الرابع

صاحب المجلة والمدير :

محمد الشاذلي بن القاضى

المدرس من الطبقة الأولى بجامع الزيتونة
والخطيب الأول بجامع هوادة باشا

المراسلات :

ترد باسم مدير المجلة بمحل الإدارة

رئيس قلم التحرير :

محمد المختار بن ميمون

المفتي الحنفي
بالديار التونسية

الإدارة :

نهج الباشا رقم ٣٣ تونس - تليفون ٢٦-٤٩

حساب جاري بإدارة البريد رقم ٣٤٢٢

ثمن الجزء ثلاثة فرنكات



صفحة	المقال	صاحبه
	تفسير القرآن	
١٩٢	تفسير الآيتين ٣ - ٤ من سورة المومنون	محمد الشاذلي ابن القاضي
	الحديث	
١٩٥	خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم.....	صاحب الفضيلة الشيخ سيدي محمد البشير النيفر المفتي المالكي
	الوعظ والارشاد	
١٩٩	تحريم الخمر في الشريعة الاسلامية والشرائع السابقة.....	العلامة التحرير الشيخ سيدي ابراهيم النيفر المدرس بجامع الزيتونة
	الفتاوي والاحكام	
٢٠٤	حكم شتم الدين.....	صاحب الفضيلة الشيخ سيدي البشير النيفر
٢٠٦	مخاطبة المرأة للاجنبي.....	»
٢٠٧	حكم تزوج الاخ بزوجته اخيه بعد فراقها.....	»
٢٠٧	حكم حلق اللحية.....	»
٢٠٧	حكم من افطر في رمضان لعذر المرض.....	»
٢٠٨	القضاء في الخنزير.....	صاحب الفضيلة الشيخ سيدي الخطاب بوشناق المفتي الحنفي
٢٠٨	حكم القاضي في وقف جعل الامير النظر فيه لقاض آخر.....	المنعم المبرور الشيخ سيدي احمد كريم شيخ الاسلام كان
٢٠٩	عصمته صلى الله عليه وسلم وعبادته قبل البعثة التاريخ	محمد الشاذلي ابن القاضي
٢١٣	ابواب تونس في القديم والحديث.....	العلامة المؤرخ امير الامراء سيدي محمد بن الخوجة مستشار الحكومة التونسية
٢١٩	دار العقاف.....	الموقر المحترم سيدي اسماعيل بن الحفصية عامل سوق الخميس
	الادب	
٢٢١	ذكرى مولد الرسول صلى الله عليه وسلم (قصيدة).....	العلامة التحرير الشيخ سيدي علي النيفر المدرس من الطبقة الاولى بجامع الزيتونة
٢٢٢	ولاية عهد المملكة	المجلة

المجلة التونسية

مجلة علمية أدبية أخلاقية
تصديدها المصنعة من قلائد سحرية
شهرية وستين عشرة اشهر

الجزء السابع | تونس في ربيع الانور ١٣٦٠ وفي افريل ١٩٤١ | المجلد الرابع

صاحب المجلة والمدير :

محمد شاذلي بن القاضى

المدرس من الطبقة الاولى بجامع الزيتونة

والخطيب الاول بجامع حمودة باشا

المراسلات :

ترد باسم مدير المجلة بمحل الادارة

رئيس قلم التحرير :

محمد المختار بن محمود

المفتي الحنفى

بالديار التونسية

الادارة :

نهج الباشا رقم ٣٣ بتونس - تليفون ٢٦-٤٩

حساب جاري بادارة البريد رقم ٣٤٢٢

من الجزء ثلاثة فرككات

القرآن الكريم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ

(الآية ٣ - ٤ من سورة المؤمنون)

بقلم محمد الشاذلي ابن القاضي مدير المجلة

بعد ان ذكر الله تعالى من صفات المؤمنين الذين اثبت لهم الفلاح انهم في صلاتهم خاشعون اتبعه بالصفة الثانية وهي ترك اللغو والاعراض عنه ، وذلك شأن المؤمن الذي دأبه الجد ولا يقيم وزنا لسفاسف الامور واللغو من القول كل كلام باطل ساقط حقه ان يلغى ويترك ويعرض عنه كالكذب والغتم والحديث في اعراض الناس

قال تعالى في وصف الجنة : لا تسمع فيها لآغية اي لا تسمع في الجنة كلمة ذات لغو . ويطاق اللغو على كل فعل لا يعني كاللعب والهزل الممقوت وكل ما يشغل عن الطاعة وما توجب المروءة الغاءه والاعراض الصد والمعرض عن اللغو التارك له الذي يصد نفسه عنه واختير في هذا المقام الاعراض دون الترك فقال تعالى هم عن اللغو معرضون دون تاركون لأفادة بعدهم عنه رأسا على جميع الحالات فلا يباشرون اللغو ولا يتسببون فيه ولا يميلون اليه ولا يرضون به ولا يخالطون اهله ولا يحضرون مجالسه فهم في شغل عما لا يعود عليهم بالنفع في الدين والدنيا قولا او فعلا كضياع الاوقات فيما لا فائدة فيه والاسترسال في الشهوات مما نهى الله عنه فاهل الفلاح من المؤمنين اذا مروا باللغو مروا كراما يمنعهم اسلامهم من الوقوع في مساويه

ومن الاعراض عن اللغو ان لا يكافى المرء من تعدي عليه بل يتجاوز عنه ولا يقيم لصنيعه حسابا ويكون بذلك اجرة على الله وذلكم قوله تعالى واذا مروا باللغو مروا كراما وهو مقام عظيم على المسلم ان يروض نفسه عليه ويلقنه لآبائاه وعشيرته فهو اصل من اصول الاخلاق الحميدة ولغو ارتاض به المسلمون لكفاهم شرورا كثيرة وعواقب وخيمة

والآية وان خرجت مخرج البشارة والمدح فهي تشير الى النهي عن اللغو بجميع اقسامه المستفاد ذلك من العموم . وبحسب جريمة اللغو يكون الاثم والمواخذة كما انها تدلنا على اهتمام الشريعة بالجد والعمل الصالح والتفكير من الركود والهوى المفضيين للكسل والبطالة فينبغي للمؤمن ان يشتغل بما يرتجي نفعه من عمل صالح لمعاشه او معاده

ومن حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه وفلاحه في الاعراض عن اللغو الذي في مواطن العطب يرديه .

ثم بعد ان ذكر سبحانه تينكم الصفتين العظيمتين اردفهما بالصفة الثالثة وهي قوله والذين هم للزكاة فاعلون كثيرا ما يقارن القرآن بين الصلاة والزكاة ويأتي بهما بدون فاصل ، وقد فصل بينهما في هذه السورة بيدان الصفة التي وقم الفصل بها لها مزيد علاقة بالصلاة كانها من متممات الخشوع فان الخاشع معرض عما يشغل قلبه عن عبادة الله تعالى فهذا الفصل يعد كلا فصل والزكاة اسم مشترك بين العين وهو المال الذي يخرج المزكي الى الفقير وبين المعنى المصدري وهو فعل المزكي الذي هو التزكية واذا كانت الزكاة تطلق على الامرين فقوله تعالى هم للزكاة فاعلون يمكن ان يراد به فاعلون للتزكية والتزكية فعل المزكي على حد قولهم للضارب فاعل الضرب وللغاصب فاعل الغصب وللمزكي فاعل التزكية التي هي اخراج مال الزكاة ويمكن ان يتعلق الفعل في قوله تعالى فاعلون بالعين على تقدير مضاف محذوف من نحو لفظ الاداء فيكون المعنى على هذا الوجه فاعلون اداء الزكاة لان العين المزكى بها لم يفعلها المزكي وانما فعل الاداء كما هو ظاهر ، وعلى هذا المعنى انشدوا لامية بن ابي الصلت

المطعمون الطعام في السنة الازمة والفاعلون للزكوات

فقد اتى بصيغة الجمع فيحمل على تقدير فعل الاداء ، وعبر في حق المؤمنين بانهم فاعلون دون مؤدون للدلالة على المداومة وتكرار ذلك منهم كلها تعلق بهم الوجوب .

والزكاة من اعظم القرب المالية بل هي ركن من اركان الاسلام وعليها مدار اصلاح حال الفقراء والمستضعفين . وقد كانت للعرب كغيرهم من الامم أنظمة في صدقاتهم التي يدفعونها لذوي الحاجات الا ان هذه النظم اختلطت بما قبجها وهو تشريك غير الله تعالى فيما يقدم من الصدقات فجاء الاسلام بأرقى نظام في امر الصدقات ، ووضع اساسها على ركنين ، وقسمها الى قسمين قسم اوجبه على الموسرين وجعله حقا لاصناف من الفقراء ومن المصالح العامة وذلكم النظام هو الزكاة وقسم نفل رغب فيه الشريعة ووعد عليه سبحانه الثواب العظيم وهو ما سوى الزكاة من الصدقات .

وفريضة الزكاة بالمعنى الاخض وقعت في السنة الثانية من الهجرة اوجبها الله على كل موسر ملك نصابا مقدرا حال عليه حول ، فان قلت : فرضت الزكاة بالمدينة والآية مكية ، قلت التي فرضت بالمدينة ذات النصب والمقادير الخاصة واما اصل الزكاة فكان واجبا بمكة وبؤيدة آية سورة الانعام (وآتوا حقه يوم حصاده) وهي مكية على ما قاله الحافظ ابن كثير . ولم يبين القرآن بالتفصيل الانواع التي تجب فيها الزكاة ولا المقدار الذي يجب اخراجه وانما تعرض لاصل الفريضة كقوله تعالى واقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وتعرض لبعض الاصناف كزكاة الزرع في قوله تعالى كلوا من ثمره اذا اثمر وآتوا حقه يوم حصاده وتعرض للمصارف التي تصرف اليها الزكاة في قوله تعالى : انما الصدقات للفقراء والآية ، واكثر الآيات القرآنية الواردة في الزكاة تدور حول الترغيب في فعلها والتحذير من التهاون بشانها والوعود لفاعليها بالاجر العظيم والثواب الجزيل قال تعالى وهو اصدق القائلين : ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات واقاموا الصلاة وآتوا الزكاة لهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم

يحزنون ، كما وعدهم بالرحمة التي ما شملت عبدا الا نجته من الوقوع في المآثم . قال سبحانه رحمني وسعت كل شيء ساكنها للذين يتقون ويؤتون الزكاة وحذرت الموسرين من التواني عن ادائها لمستحقها ويكفيها في الدلالة على عظم الخطر الذي يهدد مانعي الزكاة قوله تعالى والذين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم يوم يحصى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لانفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون)

ففي هذه الآية من الوعيد لمانعي الزكاة ما لو تبصره المسلمون لعلوا ان لا خير لهم في ذلك المال الذي يبخلون به وان عذاب الله لا مرد له (ولا تحسبن الذين يبخلون بما اناهم الله من فضله هو خير لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة والله ميراث السموات والارض والله بما تعملون خبير) فكيف يبخل المرء باده حق هذه عاقبة مانعه أما علم ان ذلك القدر المفروض هو حق الله فرضه للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم . ام كيف سيسخ لنفسه اكل الحقوق المفروضة ويظلم عباد الله المستضعفين . اما درى قول الرسول صلى الله عليه وسلم : اتقوا الظلم فان الظلم ظلمات يوم القيامة . واتقوا الشح فان الشح اهلك من كان قبلكم . حملهم على ان سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم .

هذا وان نظام الزكاة من النظم الحليمة يرجع نفعها على الغني والفقير والمجتمع العام فالغني تحفظ الزكاة نفسه من طغيان المال فلا تنزع الى الشر ولا تنحدر الى هاوية الفخار والكبر (ان الانسان ليطغى ان رآه استغنى) وتكسبه مودة الفقير الذي طالما انتفع بمواهبه فيعود له اعظم مخلص فيملكه باحسانه وعطفه اضف الى ذلك شعور النفس بنعمة المنعم عليها فتقوم بشكره على ما انعم . وتحصينا للنعمة التي انعم الله بها عليه قال صلى الله عليه وسلم : حصنوا اموالكم بالزكاة . وقد وعد الله من شكر نعمه بزيادة التفضل عليه قال تعالى : لئن شكرتم لازيدنكم

واما الفقير فيها تسد حاجته ويكون رحمة وعونا للغني على نوائب الدهر وفي ذلك تأليف لقلوب الفقراء الذين يرون انفسهم محرومين مما انعم الله به على المحضوضين ويذهب بحفاظ قلوبهم ويسلب منهم بواعث الحقد والحسد متى علوا ان اولئك الاغنياء قد جعلوا لهم جزءا من اموالهم ينالونه بدون تعب ولا عناء . ومن نتائج ذلك ابتعادهم عن المذاهب الاشتراكية المتطرفة المبنية على تطاع الفقراء لما في ايدي الاغنياء حتى ان قادتهم يصفون الاغنياء بالتلصص بدعوى انهم حصلوا على ثروتهم بطرق غير طبيعية

وأما مزيتها على المجتمع فلا تقل عن ذلك اذ بها تقع الطمأنينة والامن وتقل الايدي العابثة والنفوس الشريرة التي تحركها الفاقة والبؤس لارتكاب الجرائم فتضعف الشرور وتقل اسباب الفساد وتقوى في الامة عاطفة الاخوة التي جاء بها الاسلام . الى غير ذلك من الفوائد الخاصة والعامة ويشهد لذلك ما بلغ اليه المسلمون في عصورهم الزاهرة عند ما كانوا للزكاة فاعلين : أذكر هذا والاسف يعلا نفسي كيف زهد المسلمون في كل ما هو من مقومات الامة ورغبوا عن المحاسن التي امتاز بها هذا الدين الحنيف اما علمتم ان نيل السعادة لا يكون بالتعنيات بل بما يقوم به المرء من الاعمال الخالدة وها انتم اولاء قد علمتم ان اهل الفلاح هم الذين في صلاتهم خاشعون وعن اللغو معرضون وللزكاة فاعلون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون . فليعمل كل على ما يحقق له هذه الاماني ، قل اعملوا فسيري الله عملكم ورسوله والمؤمنون .

الحديث الشريف

خاتم النبيين

صلى الله عليه وسلم

وبالسند الى الشيخ الامام الحافظ ابي عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري الجعفي رحمه الله وانا به الى ان قال في كتاب الانبياء من جامع الصحيح :

باب خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم حدثنا محمد بن سنان حدثنا سليم حدثنا سعيد بن ميناء ابن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال النبي صلى الله عليه وسلم : مثلي ومثل الانبياء كرجل بنى دارا فأكملها واحسنها الا موضع لبنة فجعل الناس يدخلونها ويتعجبون ويقولون لولا موضع اللبنة حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا اسماعيل بن جعفر عن عبد الله بن دينار عن ابي صالح ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان مثلي ومثل الانبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتا فاحسنه واجمله الا موضع لبنة من زاوية فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون هلا وضعت هذه اللبنة فانا اللبنة وانا خاتم النبيين اهـ

أورد الامام البخاري رحمه الله هذا الباب عقب باب اسماء النبي صلى الله عليه وسلم الذي ضمنه حديث لي خمسة اسماء انا محمد وانا احمد وانا الماحي الذي يمحو الله به الكفر وانا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي وانا العاقب . وفي رواية سفيان بن عيينه عند الترمذي وغيره وانا العاقب الذي ليس بعدي نبي ، وهو بمعنى خاتم النبيين .

وكان ايراد الامام البخاري رحمه الله هذا الباب بعد الباب الذي ذكرناه متصلا به لبيان معنى العاقب وقد نظم الحديث الشريف الاسماء الخمسة في سلك واحد ففتح لها المؤلف رحمه الله بابا يخصها ، وفتح لخاتم النبيين بابا يخصه وترجمه بقوله : باب خاتم النبيين .

وهذا الاسم المبارك من اسماءه صلى الله عليه وسلم ثبت في سورة الاحزاب : ولكن رسول الله وخاتم النبيين ، وفي حديث الباب وسياقي الكلام عليه ان شاء الله تعالى : وانا خاتم النبيين .

درس الحتم الذي القاه صاحب الفضيلة العلامة التحرير الشيخ سيدي محمد البشير النيفر المفتي المالكي وامام جامع ابي محمد في شهر رمضان من عام ١٣٤٩ امام محراب الجامع وحضره صاحب النعم سيدنا احمد باشا باي صاحب المملكة التونسية ووزراء الفخام ورجال الدولة الكرام

وأما اسمه صلى الله عليه وسلم صاحب الحاتم فقد فسر الدلحي في شرحه على الشفاء بنحو من هذا قال لأن الله ختم به أنبياءه بشهادة خاتم النبيين وتعقبه الشهاب الخفاجي وملا علي قاري واقتصر الاول في بيان معناه على أنه صاحب خاتم النبوة وهو الذي كان بين كنفه كزر الحجلة وبيضة الحمامة . وذكر البخاري خبرا له بعد ثلاثة أبواب ، وزاد ملا علي قاري بعد أن ذكر هذا الوجه أنه بملبوس اليد انساب وذكر ان ما قاله الدلحي ليس في محله اذ تابلا اضافة صاحب اليه وهو ظاهر

جوز غير واحد في تاء خاتم الكسر والفتح وقد قرئ الحاتم في آية الاحزاب بالوجهين قراه الجمهور بكسر التاء وابن عامر وعاصم بفتحها ومفهوم القراءتين مختلف ومآلهما واحد وهو أنه صلى الله عليه وسلم آخر النبيين زمانا

قال البيضاوي : وآخرهم الذي ختمهم او ختموا به على قراءة عاصم بالفتح فقوله الذي ختمهم يرجع الى قراءة الكسر واللفظ عليه اسم فاعل من الختم ، وقوله او ختموا به يرجع الى قراءة الفتح واللفظ عليه اسم لما يطبع به كانه صلى الله عليه وسلم ختمهم اي طبعهم بنفسه فهو في الاصل استعارة شاع وصار حقيقة

والنبيون جمع نبي وهو فعيل من النبا اعني الخبر الذي له شان بمعنى الفاعل او المفعول لانه مخبر عن الله بما له شان او مخبر منه بما له شان ايضا وهو بالتشديد اكثر استعمالا وقيل هو من النبوة بمعنى الشرف والرفعة

قال السيد في تعريفاته : النبي من اوحى الله اليه بملك او الهم من قلبه او نبه بالرؤيا الصالحة فالرسول افضل بالوحي الخاص الذي فوق وحي النبوة لان الرسول هو من اوحى اليه جبريل خاصة بتنزيل الكتاب من الله اه كلامه وهو صريح في ان الالهام في القلب والتنبية بالرؤيا الصالحة قسمان للوحي الذي يكون بواسطة الملك

وقد عرفوا الوحي بانه اعلام الله تعالى لني من انبيائه بحكم شرعي ونحوه وعرفه بعض المتأخرين ممن كتب في التوحيد بانه عرفان يجده الشخص من نفسه مع اليقين بانه من قبل الله بواسطة او غير واسطة اه وفيه نظر وذلك أن الوحي الذي نحن بصدد تعريفه من صفات الافعال الالهية والعرفان الواقع في التعريف صفة من صفات الموحى اليه فكيف يؤخذ جنسا في التعريف ، وقوله مع اليقين بانه من قبل الله ليس بفصل ولا خاصة للوحي لانه من صفات الموحى اليه ايضا والحق ان هذا تعريف لآثر الوحي لا للوحي الذي اسنده الله في كتابه الى نفسه في اكثر من آية والوحي بالمعنى الذي ذكره وهو الالهام ينتظم الانواع الثلاثة الواقعة في كلام السيد - ١ - ما كان بواسطة الملك - ٢ - وما كان إلها ما - ٣ - وما سبيله الرؤيا للصالحة - وفي الحديث الصحيح : أول ما مبدى به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصادقة قال القرطبي « ونقله عنه المازري في شرح

مسلم» من لبيان الجنس لا للتبعض نعم هي كالوحي في الصحة ، وقال القاضي عياض الوحي انواع فيصح ان تكون للتبعض ، وقال الابي رؤياه صلى الله عليه وسلم التي تقدمت الارسال ليست وحيا كما قاله القران ولكنها تشبه في الصحة ، والرؤيا التي هي وحي ، ما كان بعد النبوة اي كرؤيا ابراهيم عليه الصلاة والسلام أنه يذبح ولده

ثم ذكر بعد هذا انواع الوحي تقلا عن السهلي وجمعتها سبعة

الاول الرؤيا الصادقة كرؤيا ابراهيم عليه الصلاة والسلام أنه يذبح ولده

الثاني النفث في الروح « وهو بالضم القلب والحد والحاطر » وفي الحديث : ان روح القدس « وهو جبريل عليه السلام » نفث في روحي أن نفسا لن تمت حتى تستكمل اجلها ورزقها فاتقوا الله وأجلوا في الطلب

الثالث ما كان يأتيه صلى الله عليه وسلم مثل صلصلة الجرس

الرابع تمثل الملك له رجلا كما يأتي جبريل عليه الصلاة والسلام نبينا صلى الله عليه وسلم في صورة دحية الكلبي

الخامس ان يترأى له صلى الله عليه وسلم جبريل في صورته التي خلق عليها

السادس تكليم الله من وراء حجاب في اليقظة كما في ليلة الاسراء او في المنام ايضا

السابع ما ثبت عن الشعبي من طرق صحيح انه صلى الله عليه وسلم كان وكل به اسرافيل ثلاث

سنين ويأتيه بالكلمة من الوحي والشيء ثم وكل به جبريل فجاءه بالقرآن هذا خلاصة ما قاله السهلي ونقله عنه الابي في شرح احاديث بدء الوحي وكلامه صريح في ان تكليم الله من وراء حجاب في اليقظة او النوم من الوحي ، وهذا هو الذي صرح به غير واحد من المفسرين في قوله تعالى : انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده حتى قال وكلم الله موسى تكليما ، قالوا تكليم الله تعالى اعلى مراتب الوحي وخض بالذكر باسأوب يخالف ما قبله تنوينا بشأنه

وفي آية الشورى : وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب او يرسل رسولا

وهي صريحة في ان الوحي من اقسام التكليم

وسيل الجمع بين الآيتين والله اعلم ان التكليم — على ما قاله المحقق ابن القيم عند الكلام على

المرتبة الثانية من مراتب الهداية العشر في مدارج السالكين — عام وخاص فالعام ايصال المعنى بطرق متعددة وهذا هو الواقع في آية الشورى : وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا والوحي بواسطة الملك قسم منه ، والخاص هو ما كان بغير توسط الملك وهو الواقع في آية النساء : وكلم الله موسى تكليما الا ان ابن القيم جعله قسيما للوحي الذي اعتبر فيه توسط الملك لا قسيما منه كما عليه غير واحد

والذي يظهر والله اعلم ان الوحي ان اعتبر فيه كونه بواسطة الملك فالتكليم بالمعنى الخاص قسيم له وان لم يعتبر فيه هذا فالتكليم قسم منه

هذا ما سدد الله ان تقوله في بيان معنى هذا المركب (خاتم النبيين)
وننقل الكلام بعد هذا الى تحقيق القول في ختم النبوة بالنبي صلى الله عليه وسلم على ما يسر
الله وفيه خمسة مباحث

الاول في ان ختم النبوة به عليه الصلاة والسلام مما علم من الدين بالضرورة
الثاني في الجمع بين هذه العقيدة وبين ما ثبت من نزول عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام
آخر الزمان

الثالث في الجمع بينها وبين ما اقتضاه حديث : لو عاش ابراهيم لكان نبيا
الرابع في حكمة ختم النبوة بنينا صلى الله عليه وسلم
الخامس فيما بقي من النبوة بعد نبينا صلى الله عليه وسلم
اما ان هذا الحتم معلوم من الدين بالضرورة فاصله الادلة الصريحة القطعية ومنها آية الاحزاب :
ولكن رسول وخاتم النبيين وحديث : وانا خاتم النبيين واجمعت على هذا الامة

قال ابن عطية « ونقله القرطبي في تفسير آية الاحزاب واقرة » وما ذكره القاضي في الهداية
من تجويز الاحتمال في الفاظها ضعيف ، وما ذكره الغزالي في الاقتصاد فالحاد وتطرق خيث الى
تشويش عقيدة المسلمين في ختمه صلى الله عليه وسلم النبوة فالحذر الحذر منه
قلت وهذا طعن على حجة الاسلام بما هو بريء منه يعلم هذا بالرجوع الى كلامه في كتابه
الاقتصاد في الاعتقاد وهو الذي يعنيه ابن عطية رحمه الله رحمة واسعة ، وهو كلام له في الرتبة السادسة
من رتب التكذيب في الباب الرابع في بيان من يجب تكفيره من الفرق من هذا الكتاب وليس فيه
ما يصلح ان يكون مستندا للطعن عليه بما يخالف العقيدة .

وخلاصة كلامه اختيار تكفير من ينكر حجة الاجماع لان هذا الانكار ذريعة الى انكار ان
النبي صلى الله عليه وسلم خاتم الانبياء وهو ثابت بالاجماع
فالغزالي رحمه الله يعتقد ان النبي صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين قطعاً ويرى ان مستند هذا
الاجماع وهو دليل قطعي ، فكيف يقال ان هذا الحاد وتطرق خيث الى تشويش عقيدة المسلمين
وينسب اليه القول بتجويز ان يعث الله نبيا بعد سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لان النبوة مكتسبة
وهو قول المبتدعة وقد تبرأ الغزالي من هذه المقالة في كتبه كما قاله ابن بزيمة ونقل كلامه الا في
شرح حديث الشفاعة المطول

واما الجمع بين هذه العقيدة وعقيدة نزول عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام فللعلماء فيه
طريقان معروفان

احدهما ان عيسى لم ينبا بعد نبينا صلى الله عليه وسلم بل قبله اي ظهرت نبوته للناس قبل ظهور
نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم

الثاني انه لا يحكم بشريعة جديدة عند نزوله بل بشريعة نبينا صلى الله عليه وسلم . واجاب
العلماء عما اثبتته الاحاديث الناطقة بنزوله من انه يضع الجزية وهو تشريع جديد بان اخذ الجزية
حكم موقت بنزوله ويحتمل كما في حواشي العقائد النسفية للخيالي ان يكون من انتهاء الحكم
لاتهاء علته لانه يوحد الدين (يتبع)

محمد البشير النيفر

الوعظ والارشاد

تحريم الخمر في الشريعة الإسلامية وفي الشرائع السابقة

بقلم العلامة التحرير الشيخ ابراهيم النيفر
المدرس من الطبقة الاولى بجامع الزيتونة

ان رجلا من جيشان (١) سال النبي صلى الله عليه وسلم عن شراب يشربونه بارضهم من الذرة يقال له المنزر فقال امسك هو قال نعم قال كل مسكر حرام . ان على الله عهدا لمن يشرب المسكر ان يسقيه من طينة الجبال . قالوا يا رسول الله وما طينة الجبال قال عرق اهل النار او عصارة اهل النار (٢)

الخمر كل شراب مسكر لغة وشرعا كان من العنب او من البهر او من الرطب او من الذرة او من الشعير وفي البخاري ومسلم وغيرهما ان عمر رضي الله عنه قال على المنبر اما بعد أيها الناس إنه نزل تحريم الخمر وهي من خمسة من العنب والتمر والعسل والحنطة (القمح) والشعير . قال عمر : والخمر ما خامر العقل اي غطاه كالخمار الذي يغطي وجه المرأة او خالطه فلم يتركه على حاله . وروى مسلم في صحيحه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : كل مسكر خمر وكل مسكر حرام .

وكل ما اسكر كثيرا فقليله حرام فقد روى احمد وابن ماجه والدارقطني عن ابن عمر رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : ما اسكر كثيرا فقليله حرام فيدخل في ذلك الخمر وهي المعروفة (بالبيرة) لانه ثبت بالنقل الصحيح ان كثيرها مسكر فيحرم قليلها . ومن ذلك الحرز الذي سال عنه الرجل النبي صلى الله عليه وسلم وذكر انهم يتخذونه من الذرة . والذرة نوع من انواع الحبوب .

(١) جيشان من بلاد اليمن .

(٢) رواه مسلم في صحيحه واحمد في مسنده والنسائي في سننه عن جابر رضي الله عنه

حكم الخمر في الاديان السابقة

اتفق علماء الاصول على ان الله حرم كل ما اسكر في الاديان السابقة لاجتماعهم على ان الكليات الخمس محترمة في جميع الاديان والمثل واجب حفظها واحترامها لا يجوز اتلافها والعدوان عليها ومنها العقل فلم يسبح الله تعالى في دين من الاديان اتلاف العقل واذهابه بشرب شيء ما . وفي نبوة اشعياء من العهد القديم (التوراة) : ويل للمبكرين صباحا يتبعون المسكر للمتأخرين في القصة تلهيهم الخمر وصار العود والرباب والدف والناي والخمر ولائمهم . والى فعل الرب لا ينظرون وعمل يديه لا يرون . لذلك سبي شعبي لعدم المعرفة وتصير شرفاؤه رجال جوع وعامته يابسين من العطش لذلك وسعت الهاوية (جهنم) نفسها وفغرت (فتحت) فاهها بلا حد .

وقال في موضع آخر : ولكن هؤلاء ضلوا بالخمر وتاهوا بالمسكر .

وفي رواية بولس من العهد الجديد (الانجيل) : لا تسكروا بالخمر الذي فيه الخلاعة . ونص على ان السكيرين لا يرثون ملكوت السموات .

فالتوراة والانجيل ناطقان بتحريم السكر ودم السكير والنص على خلاله . وذلك يؤيد ما نص عليه علماءنا كما اشرنا اليه .

وانما لم تحرم الاديان السابقة القليل من الخمر الذي لا يصل الى حد الاسكار لما كان من افتتان البشر بها وانتفاعهم بتجارها الرائجة الواسعة فمهدت الاديان بتحريم المسكر ولم تشدد في سد الذريعة بالنهي عن القليل . وحيث ان الاسلام اواخر الاديان وحاتمها حرم الله تعالى القليل من الخمر وكثيره لان القليل يدعو للكثير والكاس الاولى تدعو الى الكاس الثانية والثانية تدعو الى الثالثة فيحصل السكر المحرم فسد الله الذريعة ومنع حتى ما لا يتلف العقل ويذهب .

ولقد كان العرب في الجاهلية مولعين بشرب الخمر وتعاطيها . ولهم فيها تجارة واسعة وارباج طائلة وكانت لهم مجالس يعقدونها لشربها واوقات يتناولونها فيها وكانوا يشربونها صباحا ومساء . ويسمون شراب الصباح الصبح وشراب المساء الغبوق . واشعارهم طافحة بذكرها . وقل في الجاهلية من لم يشربها . وقد عد العلماء من لم يذوقها قبل تحريم الاسلام فكانوا قليلين . وقد اوصى قصي بن كلاب بنيه فقال لهم اجتنبوا الخمر فانها تفسد الازهار وقيل لعدي بن حاتم : مالك لا تشرب الخمر فقال لا اشرب ما يشرب عقلي . وقيل له . مالك لا تشرب النبيذ قال معاذ الله اصبح حكيم قومي وامسي سفيهم . وقيل لعثمان بن عفان رضي الله عنه : ما منعك ان تشرب الخمر في الجاهلية ولا خرج عليك فيها قال اني رايتها تذهب العقل حجة وما رايت شيئا يذهب نخلة ويعود حجة وقد ثبت ان ابا بكر الصديق رضي الله عنه لم يشربها ايضا في الجاهلية اما النبي صلى الله عليه وسلم فان العناية الربانية والحكمة التي اوتيتها في حال صباه تمنعانه من ان يتناول منها قليلا او كثيرا

حكم الخمر في الاسلام

بقي المسلمون في صدر الاسلام يشربون الخمر وكان لهم بها ولوع كبير وقد اعتادوها ومن اعتاد شيئاً صعب عليه فراقه فكان من الحكمة الا يقع تحريمها دفعة واحدة من اول وهلة بل يتدرج في تحريمها شيئاً فشيئاً ولم ينزل تحريمها بمكة وانما حرمت سنة ثلاث من الهجرة بعد واقعة احد فقد روي ان عمر بن الخطاب ومعاذ بن جبل رضي الله عنهما وجاعة من الصحابة اتوا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله اقتنا في الخمر والميسر فانهما مذهبان للعقل متلفان للبال فانزل الله هذه الآية : (يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس واثمهما اكبر من نفعهما) فتركها قوم لقوله : فيهما اثم كبير وشرهاء اخرون لقوله : ومنافع للناس ثم انه حدث ان بعض الصحابة صلى قفراً : قل يا ايها الكافرون اعبدوا ما تعبدون وكان ذلك بتأثير الشرب فنزل قوله تعالى : لا تقربوا الصلاة واتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون ، فحرمت في اوقات الصلوات فكان البعض يشربها بعد العشاء حتى نزل قوله تعالى : انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل انتم منتهون) فقال عمر : انتهينا يارب والحكمة في هذا التدرج ان الناس كانوا مقتونين بها فلو حرمت في اول الاسلام لكان تحريمها صار فالكثير من المؤمنين عن الاسلام وعن النظر الصحيح المؤدي للاهتداء به لانهم حينئذ ينظرون بعين السخط فيرونه بغير صورته الجميلة ، فكان من لطف الله تعالى وبالع حكمته ان لم يحرمها الا بعد سنين فذكرت اولاً في آية البقرة بما يدل على تحريمها دلالة ظنية فيها مجال للاجتهاد لتركها من لم تتمكن فتنتها من نفسه فلذلك قال قوم تركها لما فيها من الاثم والمراد من الاثم ما يترتب عليها من المخاصمة والمشغبة وقول الفحش . وقال قوم نشرها لما فيها من المنافع واختلف المفسرون في هذه المنافع فذهب قوم إلى أنها هضم الطعام والسخاء والشجاعة قال حسان :

ونشر بها فتركتنا ملوكاً وأسدا ما ينهنهنا اللقاء

واصح الأقوال في ذلك ان المنفعة مالية فانهم كانوا يجلبونها من الشام برخص ويبيعونها في

الحجاز بالغلاء بارباح كثيرة وكانوا لا يرون المماكسة فيها

وكان قيس بن عاصم المنقري قد شرها فصدرت منه امور منكرة فلما أفاق أخبر بها فحرمها

على نفسه وقال في ذلك :

رأيت الخمر صالحة وفيها خصال تفسد الرجل الحليماً

فلا والله اشر بها صحيحاً ولا أشقى بها أبداً سقيماً

ولا أعطي بها ثمنًا حياتي ولا ادعوا لها ابدا نديما
فإن الخمر تفضح شاريها وتجنّبهم بها الأمر العظيم
ثم إن الله تعالى حرّمها في الآية الثانية في الاوقات القرية من الصلوات تحريما قطعيا . فلم يبق
للصبر على شربها الا الاغتياق بها بعد صلاة العشاء والاصطباح بعد صلاة الفجر لمن لا عمل له ولا
يخشى ان يمتد سكرة الى وقت الظهر

ولما نقص المسلوبون من شربها وقد قوي الدين ورسخ الايمان وحدثت وقائع راوا فيها اثم الخمر
وضررها أنزل الله الآية الثالثة وقد قرن الله تعالى الخمر في الآية الثالثة بالميسر الذي هو القمار
وهو عظيم المفسدة وبالانصاب وهي الاصنام التي كانوا يعبدونها وبالاغلام وهي قداح اي قطع رقيقة
من الخشب كانوا يستقسمون بها في الجاهلية لاجل التفاؤل او التشاؤم لزيادة التنفير منها وكفّك انها
قرنت بالاصنام . ثم وصفها بعد ذلك بانها رجس والرجس اسم لكل مستقذر حسا او معنى . ثم جعلها
بعد ذلك من عمل الشيطان . ثم أمر الله بطريقة الحزم فقال فاجتنبوه اي اجتنبوا هذا الرجس والأمر
للويجاب رجاء الفلاح والفوز بما فرض الله من تزكية النفوس . ثم أورد من سيئاتها وشرورها ومن
سيئات الميسر وشروره الدينية والدنيوية ما سنأتي عليه عند الكلام على اضرارها . ثم أتى بصيغة
الاستفهام المتضمن للأمر فقال فهل انتم متهون . قال الزمخشري وهذا من أبلغ ما ينهى به كانه قيل
قد تلي عليكم ما فيهما من انواع الصوارف والموانع فهل ؟ انتم مع هذه الصوارف متهون ام انتم على ما
كنتم عليه كان لم توعظوا ولم تزجروا ؟ ! .

اما الحديث الذي صدرنا به مقالنا هذا فانه يقتضي ان من شرب الخمر في الدنيا ولم يتب منها
حتى مات فإن الله يسقيه في الآخرة من طينة الخبال وهي عرق اهل النار كما فسرت في الحديث او
عصارة اهل النار . واعظم بذلك من ذلك .

آفات الخمر

ان للخمر آفات كثيرة اعظمها اذهاب العقل ، والعقل اشرف ما اوتيه الانسان . ولو تفكر
مريد شرب الخمر في حالته التي يؤول اليها بالقياس على ما يراه من السكرى لما اقدم على ذلك . وكيف
يكون حال شخص سلب عقله وزال ادراكه فيختل توازن سيره ويصبح في الاسواق صاحبا مقنيا
فتذهب مروءته وتزول حرمة عند الناس ويصير عنده الحسن قبيحا والقيس حسنا . قال ابونواس :

اسقني حتى تراني حسنا عندي القبيح

وقال ايضا :

اسقني صرفا حيا تترك الشيخ صبيا

وتريه الغي مرشدا وتريه الرشدا غيا

وروي ان سفينة غرقت فنجأ بعض ركاياها والقتة الامواج على الساحل فرأه ملك من شرفة
قصره فامر باحضاره وكساه وقربه اليه فاذا هو عالم مبتقن فاعجب به الملك وامر باحضار الشراب
وناوله الكأس بيده فقال اعفني ايها الملك من ذلك فانه يعز علي ان يفارقني عقلي الذي وصلت به الى
هذه الدرجة حتى صرت جليسا .

ولا تسأل عن الحوادث التي تحدث من السكر فاغلب جنابات القتل والحرق والنهب والسرقة
أثر من آثار الخمر قال الشاعر :

سألة للفتى ما ليس في يده ذهابه بعقول القوم والمال

اقسمت بالله (١) اسقيها واشربها حتى يفرق ترب القبر اوصالي

ومن سيئاتها انها تضعف العقل شيئا فشيئا حتى يؤدي ذلك الى الجنون والاختلال والله در عثمان
رضي الله عنه حيث يقول ما رأيت شيئا يذهب ويرجع كله ، فكلما سكر البرء ذهب عقله فاذا صحا
لم يعد جميعه ثم هكذا في كل مرة حتى يذهب جملة

وقد قال بعض اطباء : اغلقوا لي الحانات أضمن لكم اغلاق نصف المستشفيات والنكاي والسجون
والسكير جانية على ذريته ايضا فان ابناءه ينشأون ضعاف الابدان ضعاف العقول وربما نشأوا
معتوهين مجانين

وقد اشتهر أصحاب الشراب بسوء العهد وقلة الحفاظ وانهم اصدقاء الشخص ما استقى فاذا افقر
نكروه وما عوفي فاذا مرض نسوه وما عمرت دنانه فاذا نرفت لم يروا قال الشاعر :

ارى كل قوم يحفظون حريمهم وليس لأصحاب النبيذ حريم

إخاؤهم ما دامت الكاس بينهم وكلهم رث الحبال شوم

اذا جئهم حيوك ألفا ورجبوا وان غبت عنهم ساعة فذمهم

وقد ذكر الله من سيئاتها الاجتماعية امورا منها انها توقع العداوة والبغضاء بين الناس وذلك
مشاهد بالعيان فان شارب الخمر اذا سكر فقد عقله الذي يعقل الانسان اي يمنعه من الاقوال
والاعمال القبيحة التي تسوء جلساءه ويستولي عليه حب الفخر والكاذب ويسرع اليه الغضب بالباطل
كما ذكر الله من سيئاتها الدينية انها تصد عن ذكر الله وعن الصلاة وذلك مشاهد ايضا فان السكر
يصرف صاحبه عن ذكر الله وهو روح الدين وعن الصلاة وهي عماد الدين وكيف يمكن للسكران
وقد زال عقله ان يذكر ربه ويتفكر في خلق السماوات والارض ويعتبر في ملكوت الله ويقول ربنا
ما خلقت هذا باطلا ومن أين له ان يقيم الصلاة التي هي ذكر لله مع زيادة اعمال تؤدي بنظام يعبد بها
الرب سبحانه ويؤدي بها شيء مما يجب من شكره سبحانه ، والله در الشاعر اذ يقول ،

تركت النبيذ واصحابه وصرت خدينا لمن عابه

شراب يضل سبل الرشاد ويفتح للشر ابوابه

ويروى ان الوليد بن عقبة بن ابي معيط شهد اهل مكة عليه انه صلى بهم الصبح ثلاثا وهو
سكران ثم التفت اليهم فقال ان شتمت زدتكم فجلدته علي بن ابي طالب وفي ذلك يقول الخطيئة :

شهد الخطيئة حين يلقي ربه ان الوليد احق بالعذر

نادى وقد تمت صلاتهم ليزيدهم خيرا ولا يدرى

ليزيدهم خيرا ولو قبلوا لجمعت بين الشفع والوتر

كبحوا عنانك اذ جربت ولو تركوا عنانك لم تزل تجري

ابراهيم النيفر

الفتاوى والفتاوى

من المجلة الى قرائها

ورد على ادارة المجلة اسئلة شرعية يطلب اصحابها
الاجابة عنها على صفحات المجلة فانبثتها مع
اجوبتها للعلامة التحرير صاحب الفضيلة الشيخ
سيدي محمد البشير النيفر المفتي المالكي

- س - (١) هل يحكم بالردة على من يشتم الدين من غير قصد وهل يعذر بجهله ؟
س - (٢) واذا حكم عليه بالردة فهل تطلق المرأة الشاتمة طلاقاً بائناً او رجعيًا ؟
س - (٣) هل يجوز للمرأة المفاهمة مع رجل اجنبي عنها في امر من الامور مكشوفة ؟
س - (٤) هل يجوز للاخ ان يتزوج امرأة طلقها اخوة ؟
س - (٥) ما هو حكم الله في حلق اللحية ؟
س - (٦) هل يجب قضاء الصوم على من افطر في شهر رمضان لعذر المرض اذا زال سبب
الافطر او يسقط المرض عنه وجوب القضاء ؟

الجواب عن السؤالين الاول والثاني

يتلخص الكلام في الجواب عن السؤالين في نقط اربع (١) شتم الدين ردة ام لا (٢) وهل
ينظر فيه الى القصد (٣) وهل يعذر فيه بالجهل (٤) وهل الطلاق اللاحق للمرأة الشاتمة على تقدير
ردتها طلاق بائن او رجعي

شتم الدين ردة

شتم الدين او سبه بما يجري على السنة السفهاء وفاقدي السوازع الديني من لعن ونحوه لم
ينص عليه المتقدمون من اصحابنا فيما نعلم اذ لم يكن معروفًا عندهم ولذا خرج به بعض المتأخرين
على الاستخفاف بالدين ورأوا السب اولى بان يحكم على صاحبه بالردة من المستخف ، ففي فتاوى
الشيخ محمد عlish المالكي المصري المتوفى سنة ١٢٩٩ انه سئل عن من جرى على لسانه سب الدين من
غير قصد هل يكفر اولا بدمن القصد اولا يكفر . . . فاجاب بما نسه . . . نعم ارتد لان السب
اشد من الاستخفاف وقد نصوا على انه ردة فالسب ردة بالاولى اه من الجزء (٢) من فتاواه ص ٢٦٩

طبع المطبعة الكبرى الميرية سنة ١٣٠١

وتحقيق القول في هذا ان الردة كما قال الشيخ ابن عرفة : كفر بعد اسلام تقرر ، وتقل في مختصرة الفقهي عن ابن شاس ان ظهور الردة اما بالتصريح بالكفر او بلفظ يقتضيه او بفعل يتضمنه ، وقفي على اثره مبينا له بقوله : قلت قوله لفظ يقتضيه كإنكار غير حديث الاسلام وجوب ما علم من الدين وجوبه بالضرورة وقوله بفعل يتضمنه كلبس العزارة والقاء مصحف في النجاسة والسجود للصنم وغير ذلك اه كلامه

فالمستفاد من هذا ان ظهور الردة - ١ - اما بالتصريح بالكفر بان يقول هو كافر او على غير ملة الاسلام - ٢ - او بلفظ يقتضيه كإنكار وجوب ما علم وجوبه من الدين بالضرورة ، ويرجع اليه ما صرح به غير واحد من الفقهاء ان من قال قولاً تنقص به الدين او تناول به من يجب تعظيمه شرعاً بما لا يتفق مع مقامه الرفيع فقد خلع ربة الاسلام ويرجع اليه ايضاً من تناول الدين بما وقع في سؤال السائل - ٣ - او بفعل يقتضيه كان بفعل بالمصحف الشريف ما يدهاه

وقريب مما قال ابن شاس ما قاله القاضي ابوبكر الباقلاني معتمداً له ونقله عنه القاضي عياض في الشفاء وابن راشد الفقي في الافائق واقرأه ونحوه للقرافي قواعد وحاصله ان الكفر لا يكون الا باحد ثلاثة امور احدها الجهل بالله تعالى الثاني ان يأتي فعلاً او يقول قولاً يخبر الله ورسوله او يجمع المسلمون ان ذلك لا يكون الا من كافر . . . او يكون ذلك القول او الفعل لا يمكن معه العلم بالله تعالى اه

فتلخص مما قاله هؤلاء الاعلام ان السب بمعناه المسئول عنه يرجع الى القسم الثاني من الاقسام الثلاثة فهو ردة تعود بالله تعالى

النظر الى قصد الشاتم

وقع في عبارة السائل انه هل يحكم بردة من يشتم الدين من غير قصد ووقع مثل هذا في السؤال المرفوع الى الشيخ عليش رحمه الله فقال في جوابه : وفي المجموع « للشيخ الامير » ولا يعذر بجهل وزلل لسان اه

وقد افتى الشيخ ابن ابي زيد في رجل لعن رجلاً ولعن تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً فقال انما اردت الشيطان قول لساني افتى بانه يقتل بظاهر كفره ولا يقبل عذره وهو فيما بينه وبين الله تعالى معذور ، نقله ابن راشد في الطرف الاول من الفصل الاول من الباب الاول فيما يتعلق بالاديان من كتابه الافائق

وتكرر نقل القاضي عياض للقصة والفتوى في الشفاء ومما قال مما يتصل بالموضوع : اذ لا يعذر أحد في الكفر بالجهالة ولا بدعوى زلل اللسان اه

وفي مختصر الشيخ خليل في باب الردة : او غص من مرتبته « صلى الله عليه وسلم » أو وفور

عقله أو زهده أو اضاف له ما لا يجوز عليه أو نسب اليه ما لا يليق بمنصبه على طريق الذم اه ثم قال فيما بعد على وجه المبالغة : وان ظهر انه لم يرد ذمه لجهل أو سكر أو تهور اه فصرح بان القصد لا يعتبر قال الزرقاني في شرحه ما نصه : اذ لا يعذر احد في الكفر بالجاهالة ولا بدعوى زلل اللسان ، وما ذكره المصنف هنا من المبالغة هو المعول عليه دون قوله قبل على طريق الذم فان مفهومه غير معول عليه اه فتحصل من كلام هؤلاء الاعلام ان المعبر اللفظ دون القصد وهو الذي يظهر من كلام اكثر العلماء « فيما علمنا » اعتمادا . وفي الحاوي للبرزلي ما يقتضي اعتبار القصد في فتوين لابن رشد وابن الحاج

العذر بالجهل

واما العذر بالجهل ففيه خلاف قال الحرشي في كبيرة في باب الردة ما نصه : فممن ليس برنيطة اليهودي جاهلا ان تلك ردة فانه يكون مرتدا على القول بانه لا يعذر في موجبات الردة بالجهل اه والذي يظهر من كلام فقهاءنا اعتمادا عدم العذر بالجهل وقد تقدم النقل عن القاضي عياض في الشفاء انه لا يعذر به ، وفي المختصر بعد ذكر مسائل موجبة ردة صاحبها : وان ظهر انه لم يرد ذمه لجهل أو سكر أو تهور اه قال شارحه الزرقاني : اذ لا يعذر احد في الكفر بالجاهالة اه وسلمه البناي والرهوني وقنون ، وليس في شرحي الشبرخيتي والتتائي ولا الحرشي في كبيرة وصغيرة ما يخالف هذا ، ويستثنى من عدم عذر الجهل انكار حديث العهد بالاسلام ما علم من الدين بالضرورة .

طلاق المرأة الشائمة للدين بائن أو رجعي؟

علمت ان شتم الدين ردة وعلت ما يتعلق باعتبار القصد ، واذا كان الشتم ردة بطلت به العصمة التي احكم العقد وثاقها بين الزوجين ، قال الشيخ ابن أبي زيد في الرسالة : واذا ارتد أحد الزوجين انفسخ النكاح بطلاق وقد قيل بغير طلاق اه قال الشيخ ابن ناجي في شرحه عليها : القول بان الردة طلقة يريد بانة هو مذهب المدونة وهو المشهور ، والقول بانه فسخ قاله مالك وابن الماجشون ، وبقي عليه قول ثالث بانه يلزمه طلقة رجعية فيكون احق بها اذا رجع الى الاسلام في العدة قاله ابن الماجشون ايضا وسحنون والمغيرة وهو مذهب المدونة في كتاب أمهات الاولاد في بعض الروايات والرابع وهو ان رجع الى الاسلام فلا شيء عليه حكاه ابن يونس والفتوى عندنا بافرقية بقول سحنون اه فتلخص ان الاقوال اربعة والمشهور ومذهب المدونة ان الطلاق بائن وأن الذي به الفتوى على ما حكاه ابن ناجي أنه رجعي وهو احد قولين لابن الماجشون ومذهب المدونة في كتاب أمهات الاولاد ومذهب المغيرة وسحنون .

الجواب عن السؤال الثالث

يتلخص الكلام في الجواب عن هذا السؤال في نقطتين (١) كشف المرأة وجهها لاجني غير محرم (٢) وحديثها معه

أما كشف المرأة وجهها ومثله ككفها فحرام عليها مع خوف الفتنة أو قصد اللذة ويجب عليها والحالة ما ذكر ستر وجهها وكفها . وما ذكرنا من الوجوب هو الذي لابن مرزوق في اغشام الفرصة

قائلا : إنه مشهور المذهب ، ونقل الخطاب عن القاضي عبد الوهاب الوجوب ايضا ، ومقابله أن ذلك لا يجب عليها ولكن على الرجل غض بصره . نقل هذا كله الشيخ البناي في حواشيه على الزرقاني في بحث ستر العورة .

والمراد من الاجنبي الاجنبي المسلم واما غير العورة المسلمة معه جميع بدنها فيجب عليها ستره كله ولو مع عدم خوف الفتنة أو قصد اللذة .

واما حديثها معه فقد نص غير واحد من فقهاءنا على ان رفع المرأة صوتها عورة وابني على هذا اشتراط الذكورة في المؤذن . وفي المدونة : وليس على المرأة أذان ، قال ابن يونس لان صوتها عورة قال ابن هارون الصواب ان يقال لان علو صوتها عورة ، ونحوه لابي مهدي عيسى الغبريني قال الشيخ ابن ناجي في شرح المدونة واعترضه « أي قول ابن يونس » شيخنا أبو مهدي بان الصواب ان يقول لان رفع صوتها عورة لرواية الصحابة عن غير أمهات المؤمنين قال وقاله ابن هارون قال ابن ناجي وقد يقال إن هذا لضرورة التعليم وكذلك يجوز بيعها وشراؤها اهـ

فرع صوتها عورة بالاتفاق ، وحديثها لضرورة التعليم والبيع والشراء ونحوهما جائز بلارفع صوت

الجواب عن السؤال الرابع

حرم الله من النساء سبعا بالقرابة وسبعا بالرضاع والصهر وهن المذكورات في الآية من سورة النساء من قوله حرمت عليكم أمهاتكم إلى قوله والمحصنات من النساء ونهى النبي صلى الله عليه وسلم ان تسكح المرأة على عمتها وعلى خالتها والنهي للتحريم وليست مطلقة الاخ بواحدة من هؤلاء فيحل للاخ ان يتزوج مطلقة اخيه .

الجواب عن السؤال الخامس

قال الخطاب في شرح قول الشيخ خليل من باب فرائض الوضوء ولا يعيد من قلم ظفرك أو حلق رأسه وفي لحيته قولان بانصه : الرابع « أي التنبيه الرابع » وحلق اللحية لا يجوز اهـ وفي شرح الاحجوري في المبحث المذكور ما نصه : وأما حلق اللحية أو الشارب أو العنقفة فحرام اهـ وحكى الشيخ ابن عمر الاتفاق على حرمة حلقها ولكن في شرح الشيخ عبد الباقي نقلا عن جده الشيخ احمد حكاية قولين بالحرمة والكراهة ، وحكى القول بالكراهة الابي عن عياض في شرح صحيح مسلم عند الكلام على قوله صلى الله عليه وسلم : أحفوا الشوارب وأعفوا اللحى ، فالقول بالكراهة موجود ولكن المعول عليه القول بالحرمة .

الجواب عن السؤال السادس

لا يسقط المرض وجوب القضاء وعلى من أفطر من أجله القضاء اذا صح وقد قال الله تعالى : فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر والمعنى والله اعلم فالواجب عدة أو فطليه عدة أو نحو من هذا مما يدل على الوجوب كما يؤخذ من كلام المفسرين . فالواجب على المريض اذا زال مرضه ان يقضي عدة الايام التي لم يصمها في رمضان .

وَاللَّيْسُ فِيهِ

سؤال - هل يجوز بيع الخنزير والاتجار فيه من المسلم ؟

❖ الجواب ❖

بقلم العلامة : مخبر صاحب الفضيلة الشيخ
سيدي محمد اعطاب بوشناق المفتي الحنفي

أجمع الفقهاء على أن بيع الخنزير باطل لا ينعقد باصـله ولا بوصفه وذلك لأنه نجس العين لا يحل الانتفاع به بوجه من الوجوه وقالوا في قوله تعالى (قل لا أجد فيما أوحى إلي محرماً على طاعم يطعمه إلا أن يكون ميتة أو دماً مسفوحاً أو لحم خنزير فإنه رجس) الضمير في قوله فإنه عائد على المضاف إليه وهو لفظ خنزير وإن احتمل أن يعود على المضاف إلا أن الأول أولى للاحتياط وإنما خص اللحم بالذكر لأنه أهم ما يقصد من الانتفاع به كما قال تعالى (إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع) فخص البيع بالنهي لأنه أعظم ما يتغنى عندهم والمراد النهي عن جميع الأمور الشاغلة عن الصلاة ، وإذا ثبت أن الخنزير بجميع أجزائه رجس لا يحل الانتفاع بشيء منه لتجاسته تين أنه لا معنى لبيعه إذ القصد من البيع الانتفاع بالمبيع وكل عقد لا ترتب ثمرته عليه فهو فاسد ويدل أيضاً على عدم صحته بيعه قوله صلى الله عليه وسلم لعن الله اليهود حرمت عليهم الشحوم يحملوها فباعوها فاكلوها ثمناً ، والحاصل أن بيع الخنزير والاتجار فيه باطل غير مشروع بين المسلمين وبين المسلم وغيره والله أعلم

❖ حكم القاضي في وقف جعل الأمير النظر فيه لقاض آخر ❖

قال العلامة المبرور الشيخ أحمد كريم شيخ الاسلام في عصره رأيت بخط شيخنا شيخ الاسلام سيدي محمد بن الحوجه ما نصه :

ارسل امير العصر الى الشيخ القاضي المالكي في شأن نازلة ان يحكم في وقف قلند واقفه مذهب ابي يوسف ، وقبل ان تصل التذكرة الى القاضي المالكي تروفع لدى القاضي الحنفي في ذلك الوقف وحكم بصحته فهل يتحصن هذا الوقف بهذا الحكم أو لا يتحصن ؟

اجاب عن ذلك العلامة الشيخ سيدي اسماعيل التميمي بما حاصله : ان كان المقصود من التذكرة رفع الحجر السابق عن القاضي المالكي مع بقاء النازلة على حكم الطالب والمطلوب فقد تحصن وإن كان المقصود منها مع ذلك الحجر على القاضي الحنفي حسبما صرح به الامير سيدي حسين باشا حين ساله عن ذلك العلامة شيخ الاسلام سيدي محمد المحجوب في نازلة الحدري فإنه لا يتحصن وذلك لان الحكم الصادر عن القاضي الحنفي قبل ان يبايعه عزله قبل ينفذ وقبل لا ينفذ وبالتفصيل بين ما اذا علم المحكوم له بالعزل فلا ينفذ وبين ما اذا لم يعلم فينفذ وحينئذ فلا يتحصن ذلك الوقف الا اذا صار ذلك الحكم نازلة وحكم بصحته وبدونه لا يتحصن كيف والقاضي المالكي أن يجري على القول بعدم النفوذ فيلغى الحكم الحنفي ولا يكون عاملاً عنده ، قال ومذهبنا معاشر الحنفية على ما صرح به صاحب البحر بقوله في كتاب القضاء فاذا عزله أي القاضي السلطان لا ينزل ما لم يصل اليه الخبر كالوكيل وعن أبي يوسف لا ينزل ما لم يات قاض آخر صيانة لاموال الناس عن تعطيل قضاياهم الى ان قال وينبغي ان الخصم لو علم بعزله ولم يعلم القاضي لا ينفذ حكمه لعلمه أنه غير حاكم باطناً ولم أره هذا كلامه رحمه الله ، وللمسألة التفات الى القاعدة الأصولية وهي أنه اذا ورد الامر بعد الحضر يحمل على الاباحة اه من خط الشيخ ابن الحوجه رحمه الله قال الشيخ أحمد كريم قلت : لي في قوله كيف والقاضي المالكي الخ نظر من حيث ان ذلك لو كان القاضي مجتهداً اما المقلد فلا لاسيما المقيد بمشهور المذهب اللهم الا ان يكون ذلك القيل هو مشهور مذهب تأمل ، اه

أحمد كريم

عبادة الرسول

وعصمته قبل البعثة

اقام رسول الله محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم في هذه الدنيا ثلاثة وستين عاما ، قضى منها اربعين حولا قبل ان يبعثه الله رسولا ، وقضى بقية السنين رسولا الى العالم ، وداعيا الى الحق ، وسراجا منيرا ، وقد كان صلى الله عليه وسلم في جميع ادوار حياته مثال الكمال ، شريف الشماثل والحاصل ، متأدبا بالآداب السرمدية ؛ مفصحا بذلك حاله كما افصح عنه مقاله اذ يقول : ادبني ربي فاحسن تاديبني .

كرمت نفسه فما يخطر السوء على قلبه ولا الفحشاء فكان صلى الله عليه وسلم من أول نشأته وفي حال طفولته ذا عقل راجح ونفس كريمة ، وخصال نادرة المثل ، ينظر الى حال قومه وما هم عليه نظرة الناقدة البصير ولا تحدثه نفسه الطاهرة بشيء مما كان عليه قومه في الجاهلية ولا ما اعتادوا سلوكه في حياتهم لا فيما يعبدون ، ولا فيما يقيمونه لهما كلهم من الاعياد والاحتفالات ، ولا يحضر مواكبهم وافراحهم ، متجنباً اقذارهم ومعائبهم ، بحسب ما آل اليه شرعه العزيز ، وذلك كله تاهيلا له عليه الصلاة والسلام لما يريد الله تعالى به من كرامته ، حتى صار احسنهم خلقا ، وابعدهم عن الفحشاء .

حفظ الله له

ولنقص من انباء الرسول ما يصلح ان يرشدنا الى ما كان عليه صلى الله عليه وسلم مع قومه في الجاهلية وقبل البعثة وكيف حفظه الله تعالى منذ شبابه مما كان عليه اهل الجاهلية . فهذا ابن اسحاق يحدثنا عن اصلاح ابي طالب لبئر زمزم وكيف كان صلى الله عليه بنقل الحجارة وهو غلام . فاخذ ازاره واتقى به الحجارة فغشي عليه فلما افاق ساله ابو طالب عما اصابه فقال اتاني آت عليه ثياب بيض فقال لي : استتر وقد وقع له صلى الله عليه وسلم مثل ذلك عند بنيان الكعبة . فقد اخرج الشيخان البخاري وسلم عن جابر رضي الله عنه : قال لما بنيت الكعبة ذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمه العباس ينقلان الحجارة ، فقال له العباس : اجعل ازارك على عاتقك من الحجارة ففعل صلى الله عليه وسلم فخر الى الارض ، وطاحت (اي انبسطت) عيناه الى السماء ثم قام ، فقال ازارني فشد عليه ازاره (فحفظه الله من ان تبدو سوءاته مكشوفة للعيان

وكذلك حفظه الله من عبادة الاوثان والقرب منها والتمسح عليها مما كان عليه اهل الجاهلية فقد روي عن علي كرم الله وجهه قال : قيل للنبي صلى الله عليه وسلم هل عبت وثنا قط ؟ قال : لا .

فقالوا هل شربت خمرا قط ؟ قال : لا . وكذلك اخرج ابن سعد في الطبقات وغيره من طريق عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : حدثني ام ايمن قالت : كان لقريش صنم يحضرون عنده يوما في السنة ، وكان ابو طالب يحضره مع قومه ، وكان يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يحضر ذلك العيد مع قومه فيأبى صلى الله عليه وسلم . قالت : حتى رأيت ابا طالب غضب ورأيت عمامته غضبن عليه يومئذ اشهد الغضب وجعلن يقلن له انا لنخاف عليك مما تصنع من اجتناب آلهتنا ، ويقلن له : ما تريد يا محمد ان تحضر لقومك عيدا ، ولا تكبر لهم جمعا . ثم لم يزلوا به حتى ذهب ، فغاب عنهم ما شاء الله ثم رجع مرعوبا فزعا فقال له عمامته ما دهاك ؟ قال : اني اخشى ان يكون بي لم (أي مس) فقلن ما كان الله ليتليك بالشيطان ، وفيك من خصال الخير ما فيك فما الذي رايت ؟ قال : اني كلما دنوت من صنم منها ، تمثل لي رجل ابيض طويل يصيح بي : دونك يا محمد لا تمسه ، قالت أم ايمن فما عاد الى عيد لهم حتى تنبأ صلى الله عليه وسلم :

واخرج الامام احمد عن عروة ابن الزبير قال حدثني جابر الخديجة بنت خويلد رضي الله عنها قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول الخديجة (يعني قبل الرسالة) اي خديجة والله لا أعبد اللات ابداء . والله لا اعبد العزى ابداء .

فهذه الروايات كلها تثبت لنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم عصمه الله من عبادة الأوثان والقرب منها والتزلف اليها بالقرايين مما كان عليه قريش في الجاهلية

عصمة الرسل من الكفر بالله

لقد علمنا ان النبوة والرسالة لا يسبقهما الكفر والاشراك بالله تعالى وقد انعقد على ذلك الاجماع فالانبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام معصومون من ذلك قبل البعثة ، وبالأحرى بعدها . قال القاضي ابوبكر الباقلاني : الذي صح عند اهل الاخبار والتاريخ انه لم يبعث من اشرك بالله طرفة عين ، ولا من كان فاسقا فاجرا ظلوما ، وانما بعث من كان تقيا زكيا امينا مشهور النسب حسن التربية اه كل ذلك تاهيلا له لمقام الرسالة . وفي كتب السيرة نقلا عن الماوردي عن الشعبي : ان الله قرن اسرافيل عليه السلام بنبيه ثلاث سنين يسمع حسه ولا يرى شخصه يعلمه الشيء بعد الشيء ولا يذكر له القرآن ، فعبدوا ذلك من المبشرات . وحيث علمنا ان الرسول الله قد خالف قومه في معتقداتهم بقي علينا ان نعلم صفة عبادته قبل البعثة الواردة في الاخبار .

عبادة الرسول قبل البعثة

اعلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت عبادته متنوعة فقد كانت يطوف بالكعبة ويقف بعرفات ويتحنث في غار حراء وعلى الخصوص في شهر رمضان لكن هناك شيء من الغموض في صفة عبادته في حراء فما هو حراء ؟ واي شيء التحنث ؟ وكيف كانت عبادته صلى الله عليه وسلم فيه ؟ فاقول والله المستعان :

ان حراء بالمد والقصر جبل على ثلاثة اميال من مكة مشرف على الكعبة على يسار الذاهب الى منى وبه غار صغير طوله اربعة اذرع وعرضه ذراع وثلاث ذراع من جهة واقل من ذلك من جهة اخرى .

واما التحنث فيحتمل ان يكون بمعنى التحنف وهو متابعة الحنيفة وهي دين ابراهيم الرسول عليه الصلاة والسلام . وابدال الفاء شائع في الاستعمال العربي . او يكون التحنث بمعنى تجنب الاثم فهو من الافعال الدالة على السلب . وهذا المعنى وان ذكره في تفسير التحنث لكنه يبعده السياق . وهذان الوجهان في تفسيره ادى اليهما الابهام الذي نحن عليه في ادراك صفة عبادته صلى الله عليه وسلم . وغاية ما علمنا من طرق كثيرة صحيحة كلها متفقة على انه كان يخرج صلى الله عليه وسلم الى حراء ويتحنث فيه . من ذلك ما جاء في الصحيحين البخاري ومسلم من قوله صلى الله عليه وسلم : جاورت بحراء شهرا وفي رواية ابن اسحاق هو شهر رمضان . وفي الصحيح من رواية البخاري وغيره عن ام المؤمنين عائشة رضي الله عنها انها قالت : اول ما بدئني به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة وفي رواية الصادقة في النوم فكان لا يرى رؤيا الا جاءت كفلق الصبح ثم حجب اليه الخلاء وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه الليالي ذوات العدد قبل ان ينزع اليه اهله ويتزود لذلك ثم يرجع الى خديجة فيتزود لمثلها حتى جاءه الحق وهو في غار حراء . الحديث . والليالي ذوات العدد بايامها عبر بذلك على طريق التغليب وذكر ان عددها مختلف مرة ثلاثة ومرة سبعة ومرة شهرا فهذه الروايات وغيرها لم يذكر فيها نوع التحنث الذي كان عليه صلى الله عليه وسلم عند ما يجاور بحراء

أراء العلماء في عبادة الرسول في حراء

قال السراج البلقيني لم يجرى في الاحاديث التي وقفنا عليها كيفية تعبده صلى الله عليه وسلم في غار حراء

وذكر بعضهم ان تعبده صلى الله عليه وسلم كان بالتفكير والانتفاع عن الناس .

قال المهلب فيما نقله عنه ابن حجر ان الله بغض للنبي صلى الله عليه وسلم في حال نشاته الاوثان وجب اليه خلال الخير ثم لزم الوحدة فرارا من قرناء السوء (وهذا القول كانه يرجح الوجه الثاني في تفسير التحنث وهو تجنب الاثم على معنى تجنب قومه) فلما لزم ذلك وهب له النبوة كما يقال (الفواتح عنوان الخواتم اهـ)

فكلام المهلب لم يجعل في خلوته صلى الله عليه وسلم عند جواره بحراء عبادة غير ان الفيروز ابادي نقل في سفر السعادة ان عبادته صلى الله عليه وسلم في حراء كانت بالذكر وصحح هذا القول واختاره وزيف القول بانها كانت مجرد تفكير

وقيل كان صلى الله عليه وسلم يعبد الله على ما وصله من الحنيفة السمحة دين ابراهيم معن كان يتأله من قومه فيعبد الآلهة واحدا وهو اختيار الشيخ محي الدين ابن العربي حيث يقول : تعبد

صلى الله عليه وسلم قبل البعثة بشريعة ابراهيم حتى فاجاه الوحي وجاءته الرسالة، فهذا ان صح يصلح ان يكن مرشدا لنا عن خصوص عقيدته صلى الله عليه وسلم قبل البعثة والطريقة التي كان يسلكها في عبادته عند جواره بحراء لكن بصفة اجمالية بالنسبة لنوع العبادة وصفها

بقي علينا وجه تخصيص ذلك المكان وهو حراء بالتحث دون سواه ؟ ولو قيل لانقطاعه وصلوحيته للتعبد يقال عليه ان الاماكن التي من هذا النوع كثيرة فهل ذلك جاء عفوا ومن غير سبب اوله اصل، نقل اصحاب التواريخ كابن الاثير وغيره ان اول من خرج الى حراء من قريش عبد المطلب وكان خروجه في رمضان ويكثر الصدقات حتى عرف بذلك فصار يقصده ذووا الحاجة في ذلك المكان اذا دخل رمضان حتى صار لهذا الغار ذكروا عرف بانه محل التبتل .

وهذا زيد بن عمرو يخرج عمه من مكة فيتخذ حراء مقرا له

هذا وقد روى لنا اصحاب التواريخ ايضا ان المتألمين (١) من قريش الذين يعبدون الاله الاحد كانوا يقصدون حراء لعبادتهم ايضا فظهر بهذا كله وجه تخصيصه صلى الله عليه وسلم هذا المكان لتحته

عبادة الرسول بالطواف والوقوف بعرفة

واما طوافه صلى الله عليه وسلم بالكعبة ووقوفه بعرفات فقد جاء من بعض الطرق ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا قضى جواره من حراء اول ما يبدأ به الذهاب الى الكعبة فيطوف بها اشواطاً، واما عبادته في عرفة فقد نقل ذلك السيوطي في كتابه الحواشي من طريق ربيعة القرشي قال: زابت رسول الله صلى الله عليه وسلم واقفا في الجاهلية بعرفات فعرفت ان الله وفقه لذلك النسك فهاتان الروايتان تبينان لنا نوعا آخر من عبادته صلى الله عليه وسلم قبل البعثة في شيء من الوضوح . فالرسول صلى الله عليه وسلم قد عصمه الله تعالى مما كان عليه اهل الجاهلية من عبادة الاوثان وقطره على توحيد الله قدس سبحانه عن الشريك والظهير . اذ كان عليه الصلاة والسلام مفطورا على ذلك منذ نعومة اظفاره فلم تؤثر في نفسه التي طهرها الله تلك المبادي التي عرف بها قريش في عقيدتهم التي ما أنزل الله بها من سلطان .

مجلس الشافعي الرفاعي

(١) ذلك أن قريشا كانت في الجاهلية أشركت بالله الواحد الاحد وعكفت على اصنام لها كل بطن له صنمه الذي يتزلف اليه وسلم من هذه العقيدة الوثنية نفر قليل فارقوا قومهم فتركوا الاوثان والميتة وما يذبح على النسب . وهؤلاء النفر منهم ورقة ابن نوفل وعبيد الله بن جحش ابن عمه أميمة وعثمان بن الحويرث وزيد بن عمرو بن نفل، هؤلاء لم يرضوا بما يفعله قومهم ومنهم من التمس الحنيفية السمحة دين ابراهيم عليه السلام وكان رابعهم (في العدد) زيد بن عمرو ابن اخي الخطاب لأمه والد سيدنا عمر - يوبخ قريش ويقول لهم : والذي نفس زيد بيده ما أصبح أحد منكم على دين ابراهيم غيري وبالغ في انكاره على قريش حتى ضاق بهم ذرعا . هنالك أجبره عمه الخطاب على مبارحة مكة خشية ان يفتن الناس في زعمه وسكن بحراء ووكل به عمه من يمنعه من الدخول الى مكة فبقى هنالك ردحا من الزمن يعبد الله على ما يعلم من ملة ابراهيم ثم غادر حراء وخرج يطلب الحنيفية يسأل الاحبار والزهاد عن ذلك . وما زال يتنقل من بلد الى آخر حتى اذا كان ببلد لحم عدوا عليه وقتلوه .

التاريخ

صفحة من تاريخ تونس

تاريخ ابواب تونس

بقلم العالم المؤرخ امير الامراء سيدي
محمد بن الخوجه مستشار الحكومة التونسية

لقائل أن يقول عند قراءة هذا العنوان ماهي فائدة التعريف بابواب مدينة تونس وقد تناولها القلب والابدال بل وبعضها عفت رسومه منذ ازمان والبقية الباقية منها لهذا الزمان هي اسماء بدون مسميات. والجواب أن موضوع الحديث قاصر على خدمة التاريخ اي عما له علاقة باخبار الازمنة الماضية فلا اعتبار حيثذ لكون الابواب التي سنطرق خلقاتها ستكون محيية للنداء على حد قول الشاعر :

حسي من الاسراع نحوك اني كنت الجواب عن السؤال المقبل
ام ستبقى صامته على حد قول الآخر :

لقد ناديت لو اسمعت حيا ولكن لا حياة لمن تنادي

ولا حاجة بنا لاكتار الكلام من هذه الناحية الفلسفية فالشيء الذي حفظه التاريخ لا يمحوه كز الزمان وهذه ابواب تونس مسقط راسنا هي منافذ الدخول اليها في الازمان الغابرة والحاضرة فلاجل الاحتفاظ باسمائها وان غابت عنا اعيانها كلها او جلها كتبنا هذه النبذة التي جمعنا شتاتها من مختلف المصادر المعروفة وغير المعروفة لتكون مرشدا وبيانا لاهل الاحيال القابلة وهذه الطريقة هي الروح الحية التي كانت ولا تزال تتخط بين جني التاريخ وجنا التاريخ هما دفعا كتبه المتداولة بين الناس في كل زمان ومكان .

وليتصور القاري الموضوع الذي قصدنا البحث فيه لا بد له ان يتصور في البداية ككون مدينة تونس كانت محاطة بأسوار وفقا لنظم تحصين المدائن في العصور الغابرة بسائر جهات المعمور وليكن لنا عبرة من ذلك في سد ذي القرنين وما اقيم قبله وبعده من السدود وليست السدود الا اسوارا وانما الخلاف في التسمية لا في المسمى . ولا شبهة في كون تلك النظم بعنوان التحصين مما اخي عليها الدهر لتغلب المخترعات الحديثة وظهور علوم جديدة لم تكن في الحسبان منها علم الميكانيك الذي من مفرعاته الحصون المتقلة السابحة على امواج الفضاء بين السماء والارض . وهذا كله مع غيره مما

نشاهدة ونسمعه في كل صباح ومساء مما يجعلنا في غنى عن البحث في صلوحيّة الاسوار وعدمها انما الشيء الجدير بالذكر هنا هو ان حاضرة تونس كانت مسيجة بسور من تراب اقامه حولها الامراء الاغالبه في أوائل المائتة الثالثة للهجرة وهذا السور تناولوه التجديد مرارا في القرون التالية ولقد حفظ التاريخ في هذا المقام منقبة جليلة لولي الله سيدي محرز بن خلف عماد البلد واهلها يسمونه « سلطان المدينة » حيث كان من العاملين على تشييد سور تونس في المائتة الرابعة ويقول المؤرخ الشيخ ابن ابي دينار في المونس ان هذا السور المحرزي عفت رسومه عند ظهور الدولة الحفصية لان السلاطين الحفصيين جددوا اسوار تونس عاصمة ملكهم وجعلوها بالحجارة والبناء المرصوص وهكذا استرسل حال الاسوار التونسية حول العصور الى عهد الدولة الحسينية السعيدة ففي مدتهم خلد الله ملكهم كثرت تحابيس اهل الخير على اسوار تونس قياسا على صنيع اهل العصر الحفصي وكانت اغلب تلك التحابيس الباقية اثارها لهذا الزمان هي معاصر الزيت التي كانت الحاضرة عامرة بها وكان من اكثر الملوك الحسينيين عناية بالاسوار والحصون الواقعة حول تونس المولى حمودة باشا طاب ثراه .

هذه الاسوار التي كانت في الزمن القديم تضم داخلها مدينة تونس باجمعها اصبحت بالتالي واقعة داخل البلد بسبب انتشار الابنية والمساكن خارجا بحيث انها فات المقصود منها وصار وجودها فيما يقال منافيا لقواعد الصحة بالمعنى العصري لذلك وقع هدم بعضها لعهد قريب لان بعضهم يراها مانعا لانتشار الضوء والهواء حول الابنية والدور والقصور المجاورة لها وليس هذا بالامر الغريب فان بعض اسوار تونس كان وقع هدمه لقرنين ماضيين فيما بين باب البنات وباب قرطجته على عهد الباشا علي باي الاول هكذا قال في كتاب المشرع الملكي والتاريخ يعيد نفسه كما هو مقرر معلوم ، على ان الاسوار التي وقع هدمها في زماننا الحاضر ابقى منها نموذجات قائمة لآخبار الاحيال القابلة باحوال القرون الماضية واعلم ان حاضرة تونس كان لها في الاول سور واحد يحيط بالمدينة وهذا السور كان موقعه بالطريق العام المار به اليوم خط سكة الترامواي عدد ١ يعني السكة المارة بباب البحر فباب قرطجته فباب السويقه فباب البنات فالقصبه فباب المنارة فالباب الحديد فباب الجزيرة فباب البحر حيث البداية وهذا هو السور القديم الذي كان موجودا في المائتة الرابعة على عهد سيدي محرز بن خلف رضي الله عنه وكانوا ينعتونه بالسور الدخلافي وسنعود للكلام على الابواب الواقعة حوله . والسور الثاني هو الذي احده سلاطين بني حفص وهو المضاف الى سور باب البحر وباب الجزيرة فباب علاوة فباب الفله فباب القرجاني فباب سيدي قاسم فباب سيدي عبد الله فباب غدر فباب العلوج فباب سعدون فباب سيدي عبد السلام فباب العسل فباب الخضراء ومنه يلتحق بسرر باب قرطجته وباب البحر حيث البداية وسنعود للكلام على الابواب الواقعة حول هذا السور الثاني مع الاشارة لغيرها من الابواب التي عفت رسومها ولم يبق لها ذكر بين الناس وهذا السور كانوا ينعتونه بالسور البراني .

ولقد أداني البحث في الموضوع الذي نحن بصدد مراجعته مصادر كثيرة اقدمها عهدا كتاب المسالك والممالك لابي عبيد عبد الله البكري (ولد سنة ٤٣٢ ، وتوفي بقرطبة سنة ٤٨٧) وكتاب نزهة المشتاق للشريف الادريسي (الفه سنة ٥٤٨) ومعجم البلدان لياقوت الحموي (المتوفى عام ٦٢٦) واقربها عهدا كتاب المشرع الملكي في سلطنة اولاد علي تركي لمؤلفه محمد الصغير بن يوسف الباجي (توفي في حدود سنة ١١٨٤) وتاريخ الحكيم فرانك الفلنكي طيب المولى حمودة باشا الفه في حدود سنة ١٨١٥ للميلاد (١٣٣٠ للهجرة) وكتاب نزهة الانظار للمؤرخ محمود مقديش الصفاقسي انهاء تاليفا بحوادث سنة ١٢٣٣ ، وبقية المصادر التي رجعت اليها في هذا البحث هي ان الشباط (المتوفى عام ٦٨١) ورحلة العبدري التي ابتداها صاحبها في سنة ٦٨٨ ورحلة التجاني (واسمه عبد الله بن محمد بن ابراهيم التجاني توفي سنة ٧٢٠) وتحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار للرحالة ابن بطوطة ابتداها في سنة ٧٢٥ وتقويم البلدان لابي الفداء اسماعيل (المتوفى سنة ٧٣٢) وكتاب مسالك الابصار في ممالك الامصار لابن فضل الله الدمشقي (المتوفى سنة ٧٤٨) وكتاب العبر لابن خلدون المتوفى سنة ٨٠٨ وكتاب صبح الاعشى لابي العباس احمد القلقشندي الفه عام ٨١٤ وتحفة الاريب لعبد الله الترحمان (١) الفها سنة ٨٢٣ وكتاب الادلة السينة النورانية على مفاخر الدولة الحفصية لابن الشماع (٢) انهاء تاليفا بحوادث عام ٨٣٣ وتاريخ الدولتين الموحدة والحفصية للفقهاء الزركشي واسمه محمد بن ابراهيم اللؤلؤي المعروف بالزركشي المتوفى سنة ٩٣٢ وكتاب وصف افريقية للمؤرخ ليون الافريقي (٣) وهو كتاب جليل استغرق

(١) كان هذا الفاضل راهبا كبيرا بجزيرة ميرونه احدى الجزاير الشرقية التابعة لاسبانيا ثم وفد على تونس في ايام السلطان ابي العباس احمد بن محمد الحفصي واسلم على يده وزوجه بانه الشيخ الحاج محمد الصفار واولاه قيادة البحر وهي خطة شبيهة بخطة مدير القمارق في هذا الزمان وكتابه ترجم لبعض اللغات الاروباوية وقبره معروف بسوق السراجين بتونس

(٢) اشتهر على بعضهم هذا المؤلف بابيه فنسب تاليفه للفقهاء الشيخ احمد بن محمد الشماع البنتاني التونسي قاضي محلة السلطان ابي فارس عبد العزيز الحفصي والحقيقة ان المؤلف لكتاب الادله السينة النورانية هو محمد بن احمد بن محمد الخ توفى ابوه سنة ٨٣٣ وانتهى ابنه تاريخه بحوادث سنة ٨٣٩ ولذلك لزم التنبيه

(٣) ليون الافريقي اسمه الاصلي الحسن بن محمد الوزان الغرناطي ثم الفاسي ولد بغرناطة من ابوين مسلمين وهاجر مع عائلته لفاس في حدود سنة ٩٠٠ للهجرة الشريفة وبعد ان قرأ بها واستوفى نصاب تحصيله في العلوم خرج للرحلة فساح ببلاد السودان وافريقية الشمالية ثم ارتحل للبلاد الاسياوية فزار العراق والفرس وبلاد الارمن وجزيرة العرب ومصر والشام وفي عام ٩٢٣ سقط في اسر النصارى مع المركب الذي كان يحمله على مقربة من جزيرة جربة فاخذة القراصنة الى رومة وقدموه هدية للبابا ليون العاشر فأكرمه وعرف له قدره واعظمه واجل مكانه وما زال به حتى صار يدعو الى المسيحية فتمسح الحسن فيما يزعمون واتخذ له البابا اسمه ليون الافريقي وهذا الاسم هو الذي بقي معروفا لمهدنا الحاضر - فهل تمسح حقيقة هذا العالم المسلم الذي هجر بلاده فراراً بدينه او لم يتمسح ؟ وعلى تقدير تمسحه هل بقي متمسحا الى آخر عمره او رجع لدين اباائه ؟ هذه مشكلة

ثلاث مجلدات ظهر بعالم الوجود حوالي سنة ١٥٣٠ للميلاد (٦٣٩- للهجرة) والمونس في اخبار افريقية وتونس لابي عبد الله محمد بن ابي القاسم الرعيني القيرواني المعروف بابن ابي دينار ختمه بحدوث سنة ١٠٩٢ وكتاب الحلل السندينية في الاخبار التونسية للوزير السراج واسمه محمد بن محمد ابن احمد بن مصطفى الاندلسي المعروف بالوزير السراج توفي عام ١١٤٩ وله عقب من اهل الفضل بحاضرة تونس وغير ذلك من المعاجم والمؤلفات التاريخية الحديثة عربة وفرانساوية اعرضنا عن ذكر اسمائها خوف الاطالة بدون جدوى ومن هاتيك المصنفات اقتبسنا ما به الحاجة من وصف تونس ولا سيما خبر ابوابها في القديم وفي الحديث

وها انا ذا متوكل على الله في التعريف بهاتيك الابواب المفتوحة على مصراعيها للصادر والوارد مبتدئا بابواب السور الدخلافي التي تقدم ذكرها في البداية ويلوح ان اقدم ابواب هذا السور هو باب الجزيرة الذي يعبر منه للوطن القبلي والوطن القبلي اسمه في كتب التاريخ جزيرة شريك نسبة لشريك العبيسي عاملها وهو من الفاتحين الاولين يزاحمه في الاقدمية باب قرطجنة الذي يعبر منه لجهة قرطجنة ومن اطلال هذه المدينة حيء بالحجارة اللازمة لعمارة مدينة تونس وعلى هذا التقدير يمكننا جعل ظهور هذين البابين في اواخر المائة الثانية او في اوائل المائة الثالثة يعني في الزمن الذي تمصرت فيه مدينة تونس واخذت نصيبها من العمران والازدهار الفقهي حول مسجدتها الاعظم جامع الزيتونة الذي تم بناءه باتفاق المؤرخين في سنة ١١٤ على يد عبيد الله بن الحباج والي تونس للخليفة هشام بن عبد الملك وهنا يناسب الالمام بوصف تونس على ما حكاه البكري (المائة الخامسة) في كتاب المسالك والممالك لانه اقدم المصادر التاريخية المعتمدة كما اسلفنا ذكره . قال : ومدينة تونس في سفح جبل يعرف بجبل ام عمرو (الجبل الاحمر) ويدور بمدينة خندق حصين ولها خمسة ابواب باب الجزيرة قبلي ينسب الى جزيرة شريك ثم قال وبشرقيها ايضا باب قرطجنة دونه داخل الخندق بساتين كثيرة

لا سبيل لحلها ما دمنا لا نعرف من حياة هذا الرجل الا القليل بيد أنا نقول ان بعض مشاهير المستشرقين يقول ان الحسن رجع الى تونس بعد موت البابا ليون العاشر وعاد مسلما كما كان وهذا يحملني على الاعتقاد بان تمسحه حال وجوده برومة لم يكن الا صوريا لان كتابه الذي وضعه في ثلاث مجلدات في تاريخ بلاد الاسلام واحوال المسلمين لا يشعر بشيء ولسو بطريق الاشارة يحط من قدر الاسلام نعم انه قال عند وصفه لتونس انه كان فيها من « يعمل الحباث » اثناء زيارته لها ولكن هذا القول لا يدل على انه مروق من الدين لا سيما وانه كلام وافق حقيقة واقعية لاني تبعت اخلاق واحوال مدينة تونس في ذلك العصر فوقفت على ما يفيد حقا وانه كان يومئذ بتونس جماعة من المخشئين نفاهم السلطان لمكان سحيق . اما كتابه « وصف افريقية » فانه ترجم للغات كثيرة زيادة على ترجمته بالفرنساوية ويقال ان ترجمته الالمانية احتوت على تعاليق مفيدة جدا وعلى مقدمة تضمنت تاريخ حياة المؤلف وذكر تاليفه منها قاموس عربي لاطيني ومنها كتاب في تراجم مشاهير الاسلام ومنها كتب في النحو والبلاغة وغير ذلك

تعرف بسواني المرج (هذه البساتين كانت موقعا فيما بين باب الخضراء وباب السوق شاملة لجهة الحلقاوين ومنه الرياض الذي كان محل نزهة لاهل الدولة) وباب السقاين جوفي نسب الى السقاين لان بئرا تعرف ببئر ابي الفقار تقابله وهي بئر كبيرة عذبة الماء ناضرة ، وباب ارطه غربي تجارة مقبرة تعرف بمقبرة سوق الاحد ودون الباب من داخل الحندق غدير كبير يعرف بغدير الفحامين ورض المرضى خارج عن المدينة وبقبلي رض المرضى ملاحه كبيرة منها ما يحكم وملح من يجاورهم الى ان قال ومدينة تونس دار علم وفقه ولي منها قضاء افريقية جماعة كثيرة ، ولكنه استدرك على ذلك بما كان ينسب لاهلها من الاختلاف على الحكماء في زمنه فقال مع الشاعر :

لعمرك ما الفيت تونس كاسمها ولكنني الفيتا وهي توحش

ثم اظن في ذكر خيراتها وبركاتنا وأشار لكثرة الاسماك الموجودة ببحرها وقال : ان اهلها بسبب كثرة حوتها واختلاف اجناسه في لذة موصولة ونعمة غير معلولة وكل جنس يصبر فيبقى السنين صحيح الجرم طيب الطعم (كشرمولة بنزرت) منها جنس يعرف بالعباقي وجنس يعرف بالاكثوري (لعله الحوت البوري) وجنس يعرف بالاشبارس (معروف) وجنس يعرف بالمنكوس (معروف) وجنس يعرف بالقونس ثم قال : ومن امثالهم لولا القونس لم يخالف اهل تونس ، وتخلص للكلام بعد ذلك على مدينة قرطجنة واطلالها ، ولم يذكر لنا الباب الخامس من ابواب تونس قلت : لعله باب السوق لانه كان موجودا في زمن المؤلف وهنا يستحب الاشارة لكون المؤلف لم يغادر مسقط راسه بالاندلس ومع ذلك فان كتابه جمع فواعي واتفق المؤرخون من بعده على انه احتوى على صحيح الاخبار لانه كتبه مما وقف عليه من الوثائق الصحيحة والتقارير التي كانت ترد على المنصور بن ابي عامر من اعوانه وعيونه المنتشرين بشمال افريقية ، اصف لذلك ان المؤلف كان صاحب ثقافة واسعة ومشاركة عريضة في اللغة والادب والتاريخ والجغرافية والطب وعلم النبات وغير ذلك ، ومن تعريف البكري يظهر ان مدينة تونس كانت لها خمسة ابواب في زمنه وهي باب الجزيرة (معروف شمله الهدم مع سور تونس الداخلي) وباب قرطجنة (معروف شمله الهدم مع السور الداخلي كالباب السابق) وباب السقاين وكان يفتح بجهة الجوف قرب بئر قميرة يستقي منها اهل تونس وهذا الباب غير معروف ولم يتعرض لذكره المؤرخون التونسيون ويلوح بمقتضى اتجاها موقعه الجوفي انه ربما كان هو باب الاقواس حيث كانت مخازن المعاكاة وهم اصحاب الامشاك (١) الخاصة بتعبئة ماء الشراب

(١) الامشاك جمع مشك من اللغة الترجية وهو عبارة عن قرية كبيرة محاطة من جلود الابل كانوا يستعملونها في القديم لمصاحبة المعلة في تغلاتها بالحفات المعطشة ومن المحتمل القريب ان هاتيك الامشاك في عهد حكم الاتراك قامت مقام الدنون والحرات والقرب التي كانوا يستعملونها لتزويد اهل الحاضرة بمياة الآبار الواقعة خارج الاسوار ومن تلك الابار البئر التيمرية التي كانت موجودة لدى باب السقاين .

وحمله لتزويد أهل المدينة وباب ارطة وهو غير معروف ايضا ولعله نسبة لاسم بشر بن ارطة من اصحاب عقبة بن نافع لان التاريخ اثبت قدوم بعض اصحاب عقبة لحمة تونس او هو بالاحرى اسم لبقعة مجاورة لسور تونس من ناحيته الغربية كما يستفاد ذلك من عبارة البكري في قوله : وسار حسان بن النعمان الى ارطة فقاتل الروم بفحص تونس . وهذا الباب كان غربي المفتح وكان لقربه من الخارج جبانة تعرف بمقبرة سوق الاحد ودون الباب اي بداخل البلد كان الحندق الجامع لقاذورات المدينة وسنعود للكلام عليه وخارجه اي خارج البلد كان رضى المرضى يعني المرضى المبتلين بامراض العدوى ويقول بعض المؤرخين من الاروباويين ان جعل هؤلاء المرضى خارج المدينة كان لسبب اصابهم بالبرص والعياذ بالله ومقتضى كلام البكري كان قبلي هذا الرضى ملاحه كبيرة يتزود منها اهل المدينة وهذه الملاحه ليست هي الا ملاحه رادس المعروفة اذ لا يوجد حول حاضرة تونس الا هذه الملاحه وملاحه رواد الواقعة لحمة الجوف بالنسبة لمدينة تونس واما المقبرة المسماة بمقبرة سوق الاحد فمحلها بمقتضى اتجاه موقعها نحو الغرب يكون خارج السور فيما بين باب العلوج وباب سيدي عبد الله اللذين سياقي الكلام عليهما وفعلا توجد هناك لهذا الزمان المقبرة المنسوبة لسيدي احمد السقا وكون هذا الولي من رجال المائة الثامنة (توفي رضي الله عنه عام ٧٤٣ وهو يقرأ القرءان فلما انتهى لقوله تعالى هذا نذير من النذر الاولى ووصل لقوله فاسجدوا لله واعبدوا فاضت روحه الزكية) لا يقوم دليلا على عدم وجود مقبرة هناك قبله بل الامر بالعكس اذ من المحتمل القريب ان تلك المقبرة اولية وانما بدل اسمها بتوالي القرون يدلك عليه ان مقبرة الزلاج حسبها صاحبها في المائة السابعة مع كون أرضها كانت بها جبانة لدفن اموات المسلمين في المائة الخامسة او قبلها وهنا ينتهي بنا التعليق على كلام البكري وبقي مدينا لنا ببيان الباب الخامس بتونس في زمنه

(يتبع)

بمحمّد بن النجّار

اصلاح غلط وقع في الجزء الخامس

جاء في صحيفة ١٢٦ سطر ٢ اني متوفيك بتخفيف الفاء والصواب بتضعيف الفاء - وفي الصحيحة نفسها سطر ٤ الرقيب بضم الباء والصواب بفتحها

كما جاء في صحيفة ٣١ سطر ٣ وجعلناه مثالا لبني اسرائيل ، وانه لعلم للساعة . والصواب : وجعلناه مثالا لبني اسرائيل ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة في الارض يخلفون وانه لعلم للساعة الخ

قال الله تعالى : فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله . وقال تعالى :
من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنجزيه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم
بأحسن ما كانوا يعملون .

قال النبي صلى الله عليه وسلم إنما النساء شقائق الرجال . وقال أرجعوا إلى
أهليكم فعملوهم . وقال خياركم خيارهم لنسائهم . ولبناتهم وقال خير النساء التي إذا
نظرت اليك سرتك وإذا أمرتها اطاعتك وإذا غبت عنها حفظتك في مالك ونفسها

دار العفاف

بقلم الموقر المحترم سيدي اسماعيل
ابن الحفصية عامل سوق الخميس

هذا عنوان اسلامي يدخل الغبطة والسرور على القلب فهل جاء القول الفصل في مسألة تربية
المرأة الاسلامية وهي الغاية المنشودة التي يتمناها كل انسان لان العفاف هو عنوان الصلاح

طلعنا بجريدة الوزير الغراء بعدها ٣٥ بتاريخ الثاني عشر ذي القعدة من العام المنصرم مقالا
بين فيه صاحبه انها تأسست مدرسة بتونس عدد ٩ بنهج القنطرة لتربية البنات المسلمات وبعد بسطة
لبرنامج هاته المدرسة والتوبة بشأنها ذكر انها انت مكملة لما كانت عليه ديار المعلمات عندنا سابقا وانه يشير
بان هاته المدرسة انت حسب عوائدنا وتقاليدها القومية مع زيادة في برنامج التربية الاخلاقية وادخال
عدة صنائع يدويه مثل النسيج والتطريز والطهي وغير ذلك مما يلزم المرأة لتدبير منزلها احسن
تدبير وتسيقه تنسيقا يجلب السرور والهناء مع مراعاة الاقتصاد الذي هو مفتاح السعادة وحسبك ان
معلماتنا من بناتنا المثقفات ثقافة اسلامية . كما نشرت - تونس المصورة - الغراء كلمة تبشير واستحسان
عن هذه المدرسة بعدها لشهري شوال وقعدة المنصرمين مع صورة فوتوغرافية لبعض تلامذتها فكانت
منظرا جميلا ينبئ عن حسن الادارة وهو شرط النجاح ولقد تذكرت بهاته المناسبة ما كنت قرأته
بالجريدة الفرنسية : لوجور - النهار - بعدها ٢٨ الصادر في ٢٨ جانفي سنة ١٩٣٨ فارادت تعريب
القسم الذي يعيننا منه ليطلع اخواننا على مقدار اهتمام الامام بمسألة المرأة

معمل للنساء الكاملات

يوجد بالولايات المتحدة وزارة للضيافة وهذا التعبير اللطيف يعني به مصلحة المنازل والحانات
وقد اسست هاته الوزارة مدرسة بجامعة - كورنال - Cornell - يؤمها البنون والبنات من ذوي الثقافة
والاخلاق العالية اين يتلقون دروسا لادارة شؤون تلك المنازل وما ذلك بالشئ اليسير على من
يريدان يتخذ ادارة احدى المنازل شغلا في حياته هذا ما ذكره صاحب هاته الجريدة تحت العناوين
اعلاه لدى مقابله مع الدكتور اهوراماك مدير تلك المدرسة وجرت بينهما المحادثة الالية :
المحرر - هل نجحت مدرستكم ؟

الدكتور - بلاشك وتلامذتنا يفارقون المدرسة وهم حاملون شهادات الكفاءة لإدارة نزل او مطبخ او ناد وزاد قائلا هانا راجع من اليابان وباري وجاوة والكورني والهند وإيطاليا والسويد والمانيه وفرنسا ثم انكثرت وتستفيد تلامذتي مما شاهدته ولكن باللاسف . . . وسكت

فساله المحرر - فاجابه الدكتور : ان عدد تلامذتي ثلاثمائة وخمسون بين ذكور واثان فيحصل بينهم تعارف متين في مدرستا والبعض منه يتخذ ادارة الحانات مهنة وهم على معرفة تامة بالطبي ومسك الدفاتر والشؤون المنزلية وزاد وهو يبدي التأسف لكن النسوة لا يتخذن هاته المهنة صناعة بل غالبهن يحملن بغاية الرغبة على التزويج بمجرد اتمام معلوماتهن بهاته المدرسة - فياللاسف مرغوب فيهن . . .

هذا ما جاء بالحريدة المذكورة ترجمناه بتصرف ولا يخفى على القاري الكريم ما حواه من سخريه وتهكم وحقائق لاذعة ايضا على ان اول ما يتبادر للذهن ان الازمة النسائية ضاربة اطنابها بالعالم اجمع وانها تعمركافة الطبقات الاجتماعية

فما هو سبب هذا المرض العضال ؟

ان الحكيم الامريكي يقول ان المرأة الامريكية اذا اتقنت الطبخ واحسنت التصرف وزانت دارها بذوق سليم مع ما لها من التريبة والثقافة اللازمة فانها تكون امرأة كاملة مرغوبا فيها وبالطبع فان كل من لم تتحل بهاته الاوصاف الحميدة فلا كلام عليها ولا هي من المرغوب فيهن بل تقضي حياتها في غير ما خلقت له بتعاطي احد الاعمال المضنية ببعض المعامل الضخمة فتذهب ضحية التمدن . . .

وقد علق الحكيم ادوارد بوميان على كلام هذا الحكيم بمقال ممتع نشرته المجلة الفرنسية للجمعية العلمية للاغذية اللائقة بحفظ الصحة بعددها ٢٦ سنة ١٩٣٨ قال فيه باختصار : ان البنت الفرنسية يجب عليها اتباع والدتها في تنظيم منزلها والبيت الفرنسي مشهور في العالم ببخضاله وتاقه وحسن تنسيقه وما على هاته البنت وهي مترية متعلمة الا تطبيق معلوماتها الفنية بتحضير الاطعمة النافعة لتغذية البدن . والطبي الفرنسي معروف في العالم كله

وكتب الاستاذ البجاجة احمد امين فصلا ممتعا بمجلة الثقافة الغراء عدد ٤٩ بعنوان : اقترح - اقترح فيه على وزارة الشؤون الاجتماعية تاسيس مدرسة للزوجات لطوله نحيل القاري على مراجعته ان شاء . هاته بعض اراء لخصناها كدليل على ان المسالة النسائية ولو انها مسالة علمية فهي مرتبطة بكل الارتباط بالتاثيرات الجنسية والعوائد والتقاليد القومية الامر الذي يزيد بها تشعبا وخطرا ونحن نعتقد انه لا يوجد من يقدر على حل هاته المشكلة الا المرأة نفسها وذلك بان تقدر بنفسها قيمتها الشخصية من الوجهتين الادبية للمحافظة على كرامة المرأة والاجتماعية للمحافظة على كيان هذا الجنس اللطيف هذا وقد سمعنا مرارا الشباب التونسي يقول ان المرأة التونسية غير متعلمة ولا تحسن التصرف في المنزل ولا اعداد الاطعمة اللذيذة فضلا عن التألق فيها وهو لم يقل قط انها غير مترية اذ ان المرأة التونسية مترية قبل كل شيء وهاته اكبر فضيلة لها ولا ينقصها الا التعليم لترضي الشباب المثقف ونعني بتعليمها تكميل مواهبها الفطرية بغاية الحدق والنشاط فانها اذا توقرت هاته الشروط اصبح المنزل فردوس الرجل ومظهر كرامته بين قومه والمنبت الطيب لذريته ومن يعمل صالحا فلنفسه

ذكرى المولد النبوي الشريف

على صاحبها افضل الصلاة وازكى التسليم

جاءت قريحة العلامة الاديب الذي ضرب في فنون البيان بسهم مصيب اللودعي الفذ والشاعر البليغ الشيخ سيدي علي التيفر بهذه الفريدة العصماء في ذكرى مولد الرسول الاعظم صلى الله عليه وسلم والشيخ حفظه الله قد تعود منه قراء المجلة ان يقدم لهم من نفيس اشعاره في مثل هذه المناسبة من كل عام ما ينطق بعلو كعبه في هذا المضمار

أهل فحل اليمن وارتحل البؤس
هلال بدا كالسر في صدر كاتم
أطل على ليل الكوارث مرسلا
وقد زاد اشراقا بمولد احمد
تجلى كما لاح المنى مؤملا
يشير مرآة الانام بقرهم
اماني اعداد وسلم اليهما
فلا غرو ان هشوا له اذ توسموا
لنا كل عام عبرة بطلوعه
يذكرنا اجلى الحوادث مظهرا
الا انها ذكرى لمولد من به
ابن القاسم الميمون طالعه ومن
تبسمت الاكوان بعد عبوسها
اتي وظلام الشرك ملق جرانه
يعيث فسادا أهله وتقاطعا
واخلاقم فوضى كما شاء الهوى
فعمهم نورا وطهرا ورحمة
تبارك من اولاه منزلة بها
وجل الذي أنشأ للكون رحمة
وأبرزه في مثل ذا الشهر كوكبا
تكامل فيه الخلق والخلق الجبى
به أدرك الناس السعادة والهدى
أتانا بدين سرمدى وشرعة
تجر اماني الحياتين للذي اقد
حوت حكما تبقى مدى الدهر خية
فيا فوز مرء قد هدى الله فاهدى
لغاية ما حضت عليه مبارع
وبها خسر حفظ المجاهدين لفضله

ورجت نقوس كان خامرها يأس
توارى زمانا ثم نم به همس
اليه بانوار اضاءت لها النفس
كما اعتز واستعلى به قومه الحمس
تداني له سعد وزايله نحس
من الامال الموحى بتحقيقه الحس
تتوق نقوس الناس ما طلعت شمس
بمقدمه خيرا وعمهم انس
وذكرى اليها العقل يرتاح والحس
واعظم ما قد ضم ابناء الطرس
عن الناس زال الرجس واستعلن القدس
أبأن محيا الحق ليس به لبس
له واتجلى عنهم به البؤس والتعس
على عالم ما انفك يغمرة الرجس
فلا بعضهم يحضو على البعض بل يقسو
سواسية عرب وروم او الفرس
وامست به الاخلاق يزكولها غرس
غدا الناس كالجنمان وهو لهم راس
ونعمى تقيظا ظلها الحن والانس
يقصر عجزا عن مدى وصفه قس
وخيم زكا والحلم والجود والبأس
وقد كان نهج منهما مسه طمس
لكل صلاح او فلاح هي الاس
ستفاها ومن جرح الخطوب غدت تأسو
وكم شرعة اخرى معالمها درس
بها وله قد كان من نورها قيس
لدى حد ما خطت لاعماله نجس
ومن هم ميل عن تعاليمها شمس

ولاية عهد المملكة

لقد استأثر الله برحمته الامير المبرور سيدي محمد الطاهر باي ولي عهد المملكة التونسية صبيحة يوم الخميس الثامن من صفر المنصرم فعز نعيه على افراد الامة لما كان عليه الفقيه من البرور بالضعفاء ومواساته لهم ما ترك له الذكر الجميل في النفوس

وفي ضحى يوم الجمعة اتى بجثمانه مرفوعا على الايدي الى ساحة القصبه وكان في انتظار الجنازة صاحب العرش الحسيني سيدنا ومولانا احمد باشا باي ابقاه الله والوزراء الفخام ورجال الشرع العزيز ورجال الحكومة وبعد الصلاة على الجنازة امام تربة لاز سیر بنعشه الى تربة الملوك من آل حسين برد الله مضجعهم والمجلة تتقدم الى السدة الملكية بالدعوات ان يجعل ثواب سيدنا عظيما واجره موقورا وان يطيل حياته في عز دائم وهناء سرمدي

وفي ضحوة يوم الخميس الموالي اسند سيدنا ومولانا اعزه الله ولاية العهد للرفع شانه القائم على دعائم العز بنيانه الامير سيدي محمد البشير باي اخ الفقيه المبرور في موكب فخيم حضره آل البيت الحسيني الكرام والوزراء الاعيان والحاشية الملكية وضباط الحرس الملوكي واعيان رجال الدولة . كما قلده رتبة (فريك) وحلى صدره بوسام نيشان عهد الامان بيده الكريمة فتقبل سيدي محمد البشير باي هذه الولاية المباركة من لادن صاحب المملكة بكل توقير واحترام ونطق بخطاب رفيع نوه فيه بشان صاحب العرش التونسي ادام الله عزه وعلاؤه وختمه بالدعوات الصالحة وعلى اثره تابت الفاتحة وانقض الموكب الملوكي الميمون

ثم خرج ولي العهد فتقدم له الوزراء واعيان الدولة في هو القصر وقدموا له ازكى عبارات التهاني جعلها الله ولاية مباركة ميمونة يكتشفها العز والحبور

والمجلة تتقدم للسدة الملكية الشاخصة الذرى باجل عبارات التهاني بولي العهد الجديد كما تتقدم الى صاحب المقام الارفع سيدي محمد البشير باي مهنئة بهذه الولاية المباركة وداعية جعلها الله ولاية عز ويمن محاطة برعاية الجناح العالي رفيع العماد

وصموا عن الداعي اليه فهم خرس
تدور له ما بيننا أبدا كأس
سوي الذي أضحي يمين ولا يعسو
علينا له كالقطر ما ساهبا بخس
فكلا لعمرى راح حلتها يكسو
حريص علينا ان يحل بنا يؤس
وسلم ما ان غادر اليوم والامس
تجل سنا الاصباح إذ بزغت شمس
علي النفر

عموا والهدى كالصبح لاح لثائم
فلله حمد لم يزل عقب الشذى
على أن هدانا لاقتفاء سبلها الس
وجازى رسول الله عنا أياديا
لقد عنا نصحا وهديا ورحمة
عزيز عليه ما يؤود ظهورنا
فصلى عليه الله ما هو أهله
وآله والاصحاب والتابعين ما

مجلة الوداد

حمل الينا بريد الغرب الاقصى العدد الممتاز لهذه المجلة الراقية التي تصدر بسلا والذي يتولى ادارتها الصحافي القدير السيد محمد اشماعو وبعد تصفحه الفينا حافلا بالمقالات القيمة المحررة باقلام ناطقة ببراعة اصحابها تبحت في موضوع له اهميته الذي به امتاز وهو هجرة الرسول وما يتصل بها من الاغراض ونحن نهي الزميل بهذا العدد الممتاز الذي نجح فيه عظيم النجاح متمنين لها دوام الرواج ولديرها الفضال الاعانة في سبيل نشر الثقافة الاسلامية والسعي وراء تعميمها بين الطبقات

التقدم

دخلت جريدة التقدم التي تصدر في سلا بالمغرب الاقصى في سنتها الثالثة فنحن نهي مديرها الفضال على مشروعه الصحافي النبيل ونتمنى لجريدته اطراد النجاح في ميدان الثقافة الاسلامية وقد وصلتنا اخيرا الاعداد الممتازة الخاصة بالثقافة العربية محررة باقلام نخبة من كتاب المغرب وشبابه الناهض العامل على استرجاع محبة التالد حقق الله الاماني وسدد الخطا ونجح المساعي . وقد كان واسطة عقدها ما حررته يراعة احد الكتاب الاعيان في تاريخ المكاتب العربية في البلاد الاسلامية واذا سمحت لنا الفرصة استثناء لقراء المجلة الافاضل لاهمية موضوعه ونفاسه شكر الله سعي العاملين

الاشتراك

وصولات الاشتراك لا تعتبر الا اذا كانت ممضاة من امين المال

محمد بن عبد الله بن عبد القادر

والمخابرات المالية تكون معه

عن سنة بالحاضرة وبلدان المملكة والجزائر والمغرب

الاقصى وسوريا فرنكات ٣٠

في الخارج غير البلاد المذكورة فرنكات ٤٠

مجلد المجلة عشرة اعداد في السنة

المجلة الزيتونية

مجلة علمية أدبية أخلاقية
تصديدها الشهرية من ملة الزيتونية
شهرية وسنتها عشرة أشهر

الجزء الثامن تونس في ربيع الثاني ١٣٦٠ وفي ماي ١٩٤١ المجلد الرابع

صاحب المجلة والمدير:

محمد شاذلي بن القاضى

المدرس من الطبقة الاولى بجامع الزيتونة

والخطيب الاول بجامع حمودة باشا

رئيس قلم التحرير

محمد المختار بن محمود

المفتي الحنفي

بالديار التونسية

المراسلات:

ترد باسم مدير المجلة بمحل الادارة

الادارة:

نهج الباشا رقم ٣٣ بتونس - تليفون ٤٩-٢٦

حساب جاري بادارة البريد رقم ٣٤٢٢

من الجزء ثلاثة فونكات

صفحة	المقال	صاحبه
٢٢٥	القيام بالواجب	المجلة
	التفسير	
٢٢٦	تفسير آية ٢٨-٢٩ من سورة الفتح	محمد المختار بن محمود رئيس قلم التحرير
	الحديث	
٢٢٩	خاتم النبيين - ٢	صاحب الفضيلة الشيخ سيدي محمد البشير النيفر
	التفسير المقي المالكي	
٢٣٥	الامر بالمعروف	محمد الهادي ابن القاضي امين .ال مجلة
	الفتاوي والاحكام	
٢٣٩	رسالة في حكم الحاكم اذا عرض على حاكم آخر هل يصح له نقضه	للحجة الامام خاتم المحققين شيخ الاسلام سيدي اسماعيل التميمي الباش مقي المالكي رحمه الله
٢٤٢	من المجلة الى قرائها	العلامة التحرير صاحب الفضيلة الشيخ سيدي محمد البشير النيفر المقي المالكي
	التاريخ	
٢٤٣	ابواب تونس - ٢	العالم المؤرخ امير الامراء سيدي محمد بن الخوجه
٢٥٠	القضاة الشرعيون - ٦	العلامة التحرير الشيخ سيدي محمد البشير النيفر المقي المالكي
	الادب	
٢٥٢	كنز الادب	شيخ الادباء الغرناطي
٢٥٤	رثاء الشيخ عبد العزيز الباوندي	العالم الاديب الشيخ العروسي العبادي

الإستبراك

عن سنة بالحاضرة وبلدان المملكة والجزائر والمغرب	٣٠
الاقصى وسوريا فرنكات	٤٠
في الخارج غير البلاد المذكورة فرنكات	٤٠
مجلد المجلة عشرة اعداه في السنة	
الادارة نهج الباشا رقم ٣٣ - تونس	

وصولات الاشتراك لا تعتبر الا اذا كانت
مضانة من امين المال

محمد الهادي بن القاضي

والمخابرات المالية تكون معه

المجلة الشهرية لدراسات الدينونة

مجلة علمية أدبية أخلاقية
تصليحها من قبل المصنفين في سنة ١٣٦٠ هـ
شهرية وستة عشر شهرا

المجلد الرابع

تونس في ربيع الثاني ١٣٦٠ وفي ماي ١٩٤١

الجزء الثامن

القيام بالواجب

النفس الكريمة هي التي تصغي لصوت الضمير الطاهر ، ويغمرها الوازع الالهي فيتحكم في
انفعالاتها ويكون لها نعم الرادع الذي يكبح جماحها ويقيها مواقع الشرور ومتى توفر لها ذلك سهل
عليها ادراك الواجبات وسهل عليها العمل على تحقيقها . والواجبات تختلف باختلاف طبقات الناس
ولكن قيمة الواجب من حيث هو واجب واحدة فلا تستصغر النفس بعض الواجبات وتسهل في
أمرها فان الهيكل المعماري يقام بالحجارة ، الكبير منها والصغير ، ولا يستغنى في اقامته عن الصغير ،
واذا أزيل بعض حجراته انصدع الهيكل ، وربما تداعى للسقوط

وانما اداء الواجب يحتاج الى قوة العزيمة وتمكن الوازع الديني من النفس تمكنا يجعل له
السلطان الاكبر ، والى ضعف العزيمة وضعف الوازع يرجع السبب الاكبر في ترك القيام بالواجبات
وقد يكون عدم القيام بالواجب من اجل عدم الشعور بعظيم أمره والمصلحة التي تنجر من
القيام به او المفسدة التي تترتب على اهماله فلا تقيم النفس له وزنا وتتنقاس عن ادائه لجلبها بالفائدة او
لجلبها بالمضرة ، وهذا القسم من الناس يحتاج الى ارشاده انواع الفضائل ومحاسن الامور حتى يعمل
اتحقيقها متى ادرك ان النفع موكلول في تحقيقها وتحذيره من الرذائل حتى يسعى لتجنبها ويستجنيها
وبذلك يكون قد ادرك النافع والضار فيقوم بواجبه نحو كل أمر بما يناسبه

القرآن الكريم

قال الله تعالى (من سورة الفتح)

هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ
يَكْفِي بِهِ اللَّهُ شَهِيدًا (٢٨) مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ
رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي
وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْبَةِ . وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْفِيلِ
كَزُرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سَوَابِرٍ يَعِجِبُ الزُّرَّاعُ
لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً
وَأَجْرًا عَظِيمًا (٢٩)

بقلم محمد المختار بن محمود رئيس قلم التحرير

في هذا الشهر المبارك تتجدد الذكرى بمولد النبي الاعظم . والصراط التام الاسقم . الذي طلع
على ليل الشرك فزال دجاه . وأثار طريق الحق لمن سبقت له العناية من الله . فاستنارت القلوب
وتطهرت الضماير . وحلت بالعالم البركات وتوالت البشائر . ولانت قلوب كانت اقصى من الصخر .
واتقادت اعنة الحق بعد ان كانت مثلاً في البقي والاعتساف والقهر . ونزلت تيجان من صياصها .
ودكت قصور من اعاليها . واعيد بناء العالم على شكل جديد . اساسه التوحيد . والقول الرشيد .
والعمل السديد . فاستقامت العقيدة وتطهرت من الادران . وهذبت الاقوال من الفحش والهيذان .
وشرفت الاعمال بالامثال للرحمان . فرجع الكفر خاسئاً محسوراً . وتولى الشيطان مقهوراً . وكان
امر الله قدراً مقدوراً .

في هذا الشهر المبارك ولد النبي الاعظم . والصراط التام الاسقم . نبراس الهداية والارشاد .
والقائم لبذور الظلم والفساد . والحاث على التآخي والتراحم . ومن لولاه لم يخلق الله هذا العالم .

المسامرة التي القاها محمد المختار بن محمود رئيس قلم تحرير المجلة امام المذيع (تونس القومية)
بمناسبة الاحتفال بمولد الرسول صلى الله عليه وسلم

في هذا الشهر المبارك ولد النبي الاعظم ، والصراط التام الاسقم ، من تشرفت به الامة العربية
 فاعظم شأنها ، واعتز جانبها وقوي -اطانها ، وتاهت به على العوالم وباهت ، وتفاخرت بكونه من
 صميمها والى سماء المجد تناهت ، واقتعدت من بين الامم غارب الزعامة ، وتحكمت في رقاب العالم
 بالعدل والصفح والكرامة ، فهو منها صلى الله عليه وسلم وبه ارتفع شأنها وظهر ، ومن ابنائها ومنه
 اكتسبت مجدها الذي غشى الابصار ويبر .

قالوا ابو الصقر من يشان قلت لهم كلا لعمرى ولكن منه شبان
 كم من اب قد على بابن ذرى شرف كما اعتلت برسول الله عدنان
 فاي ذكرى تقي بحق هذا النبي العظيم ، واي ثناء يعبر عما امتلات به النفوس من الاحلال
 لمقامه الجليل الكريم .

اذا الله اثنى بالذي هو اهلـه عليه فما مقدار ما يمدح الورى
 ولقد امتن الله على نبيه صلى الله عليه وسلم بانواع من المن والاطايف لم يمن بها على احد سواه
 وميزة على جميع الخلق يرتب لم يبلغ فيها احد مده

رتب تسقط الامني حسرى دونها ، ما وراءهن وراء
 وان في هاتين اللاتين الاخبارتين من سورة الفتح ، اللتين هما موضوع درسنا ، لمظهر اعظيما
 من مظاهر هذا الامتان الذي امتن الله به على عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم
 (هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا)
 دين الحق هو الاسلام لانه الذي نسخت به جميع الشرائع والاديان فكان ما عداه من الاديان
 باطلا بعد ظهوره وهو الدين الحق الذي يجب اعتناقه والانضواء تحت لوائه قال الله تعالى (ان الدين
 عند الله الاسلام) وقال تعالى (ومن يتبع غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه)

والهدى ، هو طرق الهداية والارشاد التي جاء بها النبي صلى الله عليه وسلم والتي من اعظمها
 القراءة الذي انزله الله عليه فكان المعجزة الباقية بقاء الدهر وكان المرشد الاعظم الذي هو منبع
 الكلمات ومحور الفيوضات واصل التشريع الذي اراد الله لهذا العالم ان يسير عليه والذي لا يستقيم
 امر الناس ولا ينتظم لهم شان الا اذا رجعوا في كل امورهم اليه وهيئات ان يستقر لهذا العالم قرار او
 تكشف عنه البلايا وتدرأ عنه الاخطار وهيئات ان تقمع المظالم وتنتهي المآثم وهيئات ان يقض على
 الشهوات النفسية والنزعات الشيطانية الا اذا رجع الناس كلهم الى تعاليم القراءة وعملوا بها في السر
 والاعلان واذا كان هذا هو دين الاسلام ، فلا جرم ان يظهره الله على الدين كله - اي على سائر
 الاديان ما عداه

وللمفسرين في معنى قوله (ليظهره على الدين كله) وجوه ، ارجحها فيما وقفت عليه وجهاً

الوجه الاول - ان معناه يقضى بالاسلام على سائر الاديان اي لا يبقى معه اي دين ويكون هذا اشارة الى زمن نزول عيسى عليه الصلاة والسلام في اواخر الدنيا حيث انه يحكم عند نزوله بهذه الشريعة الاسلامية . ولا يبقى على وجه الارض كافر وعليه فيكون الاظهار في الآية من قولك ظهر فلان على فلان اي تغلب عليه .

الوجه الثاني - ان معناه اظهار الاسلام بالحجج والآيات البينات فيكون معنى قوله ليظهره على الدين كله . اي يجعله واضحا جليا قائم الحجة من نفسه على انه الدين الحق الذي لا مجال لغيره من الاديان أن يظهر معه من باب

امع الشمس للنجوم تجل ام مع الصبح للظلام بقاء

ويكون بقاء غيره من الاديان بعد ظهوره من باب المكابرة والعناد وتعمد البعد عن طريق الرشاد. والمكابرة داء عضال تقضي بصاحبها الى انكار الحق وان كان ملبوسا والانتصار الى الباطل والتشبث به وان ظهر بطلانه حتى صار محسوسا

عجبا للكفار زادوا ضلالا	الذي فيه للعقول اهتداء
والذي يسئلون منه كتاب	منزل قد آتاهم وارتقاء
او لم يكفهم من الله ذكر	فيه للناس رحمة وشفاء
واذا البينات لم تغن شيئا	فالتماس الهدي بهن غناء
واذا ضلت العقول على عد	م فماذا تقول النصحاء

وعليه فيكون الاظهار في الآية من الظهور بمعنى الوضوح من قولك ظهرت حجة فلان على حجة خصمه اي كانت ابين من حجته وامتن . وهذا الوجه الثاني في تفسير الاظهار هو الذي اختاره لان هذه الآية وردت مورد البشارة للنبي صلى الله عليه وسلم . فان دينه الذي ارسله الله به سيكون اظهر الاديان ولا شك ان البشارة تكون ابلغ وأوقع فيما اذا تحقق المبشر به للنبي صلى الله عليه وسلم في حياته . وتحقيق ذلك انما يكون على الوجه الثاني وذلك ظاهر

وقوله (وكفى بالله شهيدا) تحقيقه بابلغ وجه لهذه البشارة اذ معنا وكفى بالله شهيدا على ان ما وعد به كائن لا محالة ومن اجل ذلك قال الحسن رضي الله عنه ان الله شهد على نفسه بانه سيظهر دين الاسلام ولقد حقق الله وعدة فظهر الاسلام على سائر الاديان بالحجة والبرهان كما اظهره بالانتشار العملي في سائر الاقاليم والبلدان ففي زمن قصير عم الاسلام جزيرة العرب ثم تغلغل الى فارس والروم واجتاح افريقية ووصل الى اقصى الاندلس وكاد يعم اوربا لولا أحداث حالت دون اطراد هذا السير وتعميم هذا الخير - وليس من الحكمة البكاء على ما فات . ولكل شيء من الاشياء ميقات .

وما من قطر انتشر فيه الاسلام الا واستتب فيه الامن واستقر النظام وانتشرت فيه الربة العدل والانصاف وثبتت الحقوق لاربائها وبات الناس في راحة واطمئنان على انفسهم واموالهم وتوجبت الافكار للنهوض العلمي والاقتصادي حتى اصبحت ممالك الاسلام مطمح الانظار وموضع الاعتبار واستمر الاسلام مرفوع الراية عزيز الجانب موفور الكرامة وملوك الاسلام وقواده وزعماءه هم القادة لسائر الشعوب وهم المثل الاعلى للفضائل ومكارم الاخلاق وحسن التدبير

ثم قال الله تعالى (محمد رسول الله والذين معه اشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من اثر السجود ذلك مثلهم في التورية ومثلهم في الانجيل كزرع اخرج شطأه فآرزوه فاستعاض فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيض بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة واجرا عظيما)

بعد ما امتن الله على نبيه صلى الله عليه وسلم في الآية السابقة بانه سيظهر هذا الدين الذي جاء به على سائر الاديان اردف ذلك بمنة اخرى امتن بها عليه وهي التنويه بشانه والثناء عليه صلى الله عليه وسلم والتنويه بشان اصحابه والثناء عليهم رضي الله عنهم في كتب الانبياء السابقين

وقد تضمنت هذه الآية بيان ما ذكر في التوراة وفي الانجيل من اوصاف الفضل والكمال للنبي صلى الله عليه وسلم ولاصحابه رضي الله عنهم

ففي التوراة وصفوا بخمسة اوصاف وهي - ١ - الشدة مع الاعداء وهم الكفار - ٢ - والتراحم والتوادد فيما بينهم - ٣ - والاقبال على طاعة الله وعبادته والاخلاص اليه - ٤ - ورجاء فضل الله وانعامه - ٥ - وظهور نور العبادة والتقوى على وجوههم

فالشدة مع الاعداء هي مظهر الشجاعة والاقدام والتضحية بالنفس في سبيل نشر كلمة الاسلام والتراحم فيما بينهم - هو مظهر اللين والمجاملة وحسن الخلق

والاقبال على طاعة الله - هو الغاية العظمى التي يجب على كل عاقل ان لا يفكر الا فيها ولا يسعى الا اليها

ورجاء فضل الله - هو مطمح كل نفس ومبتغى كل امل واقصى ما يؤمله العبد ويسعى اليه واما ظهور نور العبادة على وجه الانسان فذلك من الطيف انواع الاكرام وذلك هو قوله (سيماهم في وجوههم من اثر السجود) والسيما هكذا تستعمل بالمد والقصر ويقال سيما - وهي العلامة - والمراد بها هنا ظارة الوجه واشراقه من اثار طاعة الله - ومن ذلك قول بعض اهل الفضل - من كشرت صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار - وفي الحديث الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (لكم سيما ليست لغيركم من الامم تاتون يوم القيامة غرا محجلين من آثار الوضوء)

وعنه صلى الله عليه وسلم (يامر الله الملائكة ان يخرجوا من النار من شهد ان لا اله الا الله فيعرفونهم بعلامة اثار السجود - وحرم الله على النار ان تاكل من ابن ادم اثار السجود)

ومن هذا الباب قول اهل الحديث : ما من رجل يطلب الحديث الا كان على وجهه نظرة -
لقول النبي صلى الله عليه وسلم ، نضر الله امرأ سمع مقالتي فوعاها فاداهما كما سمعها)
فهذا هو قوله تعالى (محمد رسول الله والذين معه اشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا
سجدا يتبعون فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من اثر السجود ذلك مثلهم في التوارية)
واما ما وصف به النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه رضي الله عنهم في الانجيل - فقد نظر فيه
الى ناحية اخرى وهي ناحية وصف الصورة التي بدأ بها الاسلام ضعيفا غريبا - ثم تدرجه في القوة
والانتشار شيئا فشيئا حتى وصل الى اقصى مداه فضرب الله المثل لحالة الاسلام في بدايته وحال النبي
صلى الله عليه وسلم - بالزرع - حيث تزرع اولاً حبة من التمر او الشعير - فنبت - ثم تظهر
فتكون ضعيفة - ثم تظهر الفراخ من حولها - فتقوى بها - ثم تصير غليظة متينة - ثم تبلغ اشدّها -
فتعجب الزراع -

وذلك قوله تعالى (ومثاهم في الانجيل كزرع اخرج شطأه فأزره فاستغلظ فاستوى على
سوقه يعجب الزراع) ليغيب بهم الكفارة فقوله اخرج شطأه - الشطء هو فراخ السنبلة التي تبت
حول الاصل - ويقال منه اشطأ الزرع اي فرخ - وقوله فأزره الضمير المستتر فيه يعود على
الشطء - والضمير المنصوب الظاهر يعود على الزرع - فالعنى - كزرع اخرج فراخه من حوله -
فلما خرجت تقوى بها اصل الزرع - وقوله (فاستغلظ) اي انتقل من اللين والرقّة الى الغلظ -
وقوله (فاستوى على سوقه) السوق جمع ساق والمراد بها القصبة التي تكون السنبلة اعلاها - وقوله
(يعجب الزراع) اي ان هذا الزرع قد بلغ من الحسن والنمو والازدهار ما صار به معجبا للزراع
- ومطمحا لانظارهم - وقوله بعد ذلك (ليغيب بهم الكفار) تعليل لمجموع الكلام المتقدم - فان
وصف المسلمين بانهم في نمو مطرد وبانهم اقوياء واعزاء - من شأنه ان يغيب الكفار ويذهب بالبا بهم .
ومن لطائف ما ذكره العلماء في هذه الآية - ما نقله في الكشف عن عكرمة رضي الله عنه -
نه قال : اخرج شطأه باني بكر - فأزره بعمر - فاستغلظ بعثمان - فاستوى على سوقه بعلي -

ثم ختم الله الآية بقوله (وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة واجرا عظيما)
وهذا تبشير بنجاح الاعمال - وبلوغ الآمال - وان الله تبارك وتعالى قد قبل عمل النبي صلى
الله عليه وسلم واصحابه - واثابهم على ذلك بغفران الذنوب - وبالاجر العظيم - في مقابلة صدقهم
واخلاصهم - وتضحياتهم بكل شيء في سبيله - وجدير بمن اخلص عمله لله - وصرف حياته في طاعة
الله - وبذل نفسه وماله في اعلاء كلمة الله ان يغفر الله ذنبه وان يستمر عيبه وان ينيله من الاجر
ما لا يدخل تحت حصر

اللهم صل صلاة كاملة وسلم سلاما تاما على نبي تنحل به العقد وتنفرج به الكرب وتقضى به
الحوايج وتنال به الرغائب ويستسقى بوجه الكريم وعلى آله وصحبه عدد كل لمحة ونفس .

محمد المختار ابن محمود

الحديث الشريف

خاتم النبیین

بقلم العلامة النحرير صاحب الفضيلة
الشيخ سيدي محمد البشير النيفر المفتي المالكي

واما الجمع بين هذه العقيدة وما اقتضاه حديث لو عاش ابراهيم لكان نبيا فالكلام فيه ينبغي ان يقدم له مقدمة في درجة هذا الحديث ثم نقفي على اثره بما يسر الله في شرحه
قال السيوطي في الجامع الصغير : لو عاش ابراهيم لكان صديقا نبيا رواه البارودي عن أنس وابن عساكر عن جابر وعن ابن عباس وعن ابن أبي أوفى
قال المتاوي في فيض القدير : وقضية كلام العنف أن هذا لم يتعرض أحد من الستة لتخرجه وإلا لما عدل إلى هذين وهو عجب فقد رواه ابن ماجة بزيادة ، ولفظه : لو عاش ابراهيم لكان صديقا نبيا ولو عاش لاعتقت اخواله القبط وما استرق قبطي ، اه بحروفه ورواه احمد باللفظ الاول ورجاله رجال الصحيح ، هذا ما في فيض القدير

وفي المقاصد الحسنة للسخاوي أن في سند هذا الحديث أبا شيبه ابراهيم بن عثمان الواسطي وهو ضعيف ومن طريقه اخرجه ابن مندة في المعرفة وقال انه غريب ، وعند البخاري من طريق محمد بن بشر عن اسماعيل بن أبي خالد قال قلت لعبد الله بن أوفى أرأيت ابراهيم ابن النبي صلى الله عليه وسلم قال مات صغيرا ولو قضى بعد محمد نبي عاش ابنه ابراهيم ولكن لا نبي بعده اخرجه احمد عن وكيع عن اسماعيل سمعت ابن ابي أوفى يقول : لو كان بعد النبي صلى الله عليه وسلم نبي ما مات ابنه ابراهيم

وأما معنى الحديث فقد قال الحافظ ابن عبد البر : لا ادري ما هو ؟ فقد ولد نوح غير نبي ولو لم يلد النبي الا نبيا لكان كل احد نبيا لانهم من ولد نوح انتهى
واغتربه النووي في تهذيبه فقال قول بعض المتقدمين لو عاش ابراهيم كان نبيا باطلا وجسارة على المقيبات ومجازفة وهجوم على عظيم

وتعقبه الحافظ ابن حجر بأنه عجب منه مع وروده عن ثلاثة من الصحابة فكأنه لم يظهر له وجه تأويله فأنكره وجوابه أن القضية الشرطية لا يلزم منها الوقوع ولا يظن بالصحابة الهجوم على مثل هذا بالظن اه نقله العنبري وقبله بل نقول قد علمت أنه حديث مرفوع عند ابن ماجه

والاشكال عند ابن عبد البر والنووي من جهة أنه لا يلزم ان يكون ابن النبي نبيا وهو اشكال في غاية الوهن لان اللفظ لا اشعار له بان ابن النبي لا يكون الا نبيا حتى يحتاج الى الجواب بان القضية الشرطية لا يلزم منها الوقوع على ان هذا الجواب في نفسه غير صحيح لان القضية الشرطية وان كانت لا تستلزم الوقوع فصدقها بصدق الملازمة بين جزءيها وكذبها بكذب الملازمة بينهما ، وقد انقدح في نفسي هذا البحث ثم رأيته للشيخ التاودي رحم الله في أجوبته

والاشكال القوي أن اللفظ يقتضي ان سيدنا ابراهيم لم يحل بينه وبين النبوة الا الموت ولو عاش لكان نبيا مع ان الحائل بينه وبين النبوة ان الله تعالى ختم النبوة بسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فهذا هو الذي ينبغي ان يعتنى بدفعه

وتمحيص القول فيه على ما يسر الله تعالى ان المروي عن ابن ابي اوفى من طريق اسماعيل لو قضي بعد محمد نبي عاش ابنه ابراهيم ولكن لا نبي بعده اخرجه احمد ، وهذا اللفظ لا اشكال فيه فإنه صريح ان الحائل بين سيدنا ابراهيم وبين النبوة حكم الله العادل ان النبي صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين

واما ما جاء في اكثر الروايات : لكان نبيا سواء قلنا هو حديث مرفوع اوله حكم المرفوع فالذي يظهر فيه وجهان احدهما ان في الكلام حذف العاطف والمعطوف والمعنى لو عاش ابراهيم وكان بعد نبيكم نبي لكان نبيا ودليل هذا التقدير ما في رواية احمد : لو قضي بعد محمد نبي عاش ابنه ابراهيم ولكن لا نبي بعده ، الثاني ان معنى : لكان نبيا لكان اهلا لان نبيا بما علم فيه النبي صلى الله عليه وسلم من مواهب الله التي يب ملها بفضلته ورحمته من يختاره للنبوة قال الله تعالى : الله اعلم حيث يجعل رسالته . قال الحافظ ابن كثير : اي هو اعلم حيث يضع رسالته ومن يصلح لها من خلقه ، وقال الشيخ محيي الدين ابن عربي : لا يضعها الا في مواضعها من القوى الروحانية المجردة من المواد الهيولانية ، وقال البيضاوي : فان النبوة ليست بالنسب والمال وانما هي بفنائل نفسانية فيجتي لرسالته من علم انه يصلح لها وقول السديفي المواقف : لا يشترط في الارسال الاستعداد الذاتي بل الله يختص برحمته من يشاء محمول كما في حواشي القونوي وغيرها على الاستعداد الذاتي الموجب كما يقوله الفلاسفة ، واما الاستعداد غير الموجب فيتحقق بتحقيق فضائل روحانية ، وهذه الصلاحية من الطاف الله تعالى ومظاهر رحمته التي يختص بها من يشاء من عباده

وقد استدلل هرقل عظيم الروم على نبوة النبي صلى الله عليه وسلم ببعض صفاته كملو نسبه وصدقه الحديث من قبل النبوة ، والحديث في الصحيحين

وذكر الامام الرازي عند الكلام على قوله تعالى : الله اعلم حيث يجعل رسالته ان فيه تنبها على دققة حقيقة بالذكر وهي ان اقل ما لا بد منه في حصول النبوة والرسالة البراءة من المكر والغدر والغل والحسد

وذلك ان المشركين قالوا لن تؤمن حتى تأتي مثل ما اوتي رسل الله اي حتى يظهر على يدي النبي صلى الله عليه وسلم مثل ما ظهر على ايدي الانبياء قبله من فلق البحر وابراء الاكمه والابرص ونحوها ، او لن تؤمن مثل ما اوتي الرسل من المعجزات على طريقتين في تفسير الآية وان كانت الثانية اقرب الى قوة الصلة بقوله تعالى فيما بعد : الله اعلم حيث يجعل رسالته ، قال الرازي : وقولهم لن تؤمن حتى تأتي مثل ما اوتي رسل الله عين المكر والغدر والحسد اي والنبي لا يكون مكر اذ اعدا احاسدا والحاصل ان النبوة اكرام من الله لمن يصطفيه من عباده ، بما فيه من تهوؤ واستعدادة ، وكل ذلك وفق مشيئته ومراده ، والله في خلقه شؤون . ولا يسال عما يفعل وهم يسالون ، فسيدنا ابراهيم فطره الله على مكارم الاخلاق التي لا يفطر عليها الا صفوة الله من خلقه الذين يجعل فيهم النبوة بسنته العادلة الحكيمة وعلم هذا فيه نبينا صلى الله عليه وسلم فقال لو عاش ابراهيم لكان نبيا اي اهلا للنبوة واما ختم النبوة بنينا محمد صلى الله عليه وسلم فالنظر فيه من جهتين احدهما ختمها به دون احد سواه وهذا مما لا مجال للنظر والبحث فيه ويقال في مثله لا يسال عما يفعل وقل ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم

الثانية ختم واغلاق باب النبوة من بعده وهو الذي تعرض بهذه الكلمات الموجزة لبيان سره وحاصل ذلك على ما فتح الله به ان لا حاجة بعد بعثته صلى الله عليه وسلم الى نبي يعث ، يتجلى هذا بما قررره فيما بعد وحاصله اوجه ثلاثة

الاول بلوغ التشريع في دينه فبارك صلى الله عليه وسلم الى الغاية التي ليس وراءها غاية سواء في هذا ما كان راجعا الى الشؤون الخاصة كاحكام الصلاة والزكاة والصوم والحج وما يرتبط بها والايامن والنذور والزكاة والاضاحي وما كان راجعا الى العلاقات الخاصة وروابطها كاحكام الزوجية والقرابة وما كان راجعا الى المعاملات الدائرة فيما بين الناس كاحكام عقود البيع بعامة انواعه والشركات والوكالات الاقارير والهبات والصدقات وكل ما يعود الى هذا الاصل اصل المعاملات الدائرة فيما بين الناس ويلحق به احكام العقوبات وما كان راجعا الى هيئة الحكومة ونظام القضاء كاحكام الامامة والامارة والقضاء والشهادة وما يتصل بها

والكلية الجامعة في هذا ان حفظ الدين والنفس والعرض والعقل والنسب والمال لديه منه وقد جاءت شريعة النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك كله بمراعات ما هو ضروري وما هو حاجي وما هو تكميلي وقررت من العقوبات للمحافظة على جميع هذا ما لا يتقرر النظام بحق الاب

وتشريع يراعي الضروري والحاجي والتكميلي في ذلك كله لا حاجة للبشر الى تشريع من بعده
ومن امثلة مراعاته للتكميليات تحريم النظرة الى الاجنبية بشهوة وتحريم القليل من الربا والخمر
مما يرجع ان كليات النسب والمال والعقل

الوجه الثاني حفظ القرآن الحكيم والسنة السنية وهما اصل التشريع الاسلامي وما عداهما من
اصول التشريع يعود اليهما فقد جمع اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم القرآن كله فلم يضع شيء منه
وعين من جاء بعدهم بالحديث الشريف . وما اتفق للمسلمين فيهما لم يتفق لغيرهم من الامم ، وفي
الحديث : اني تارك فيكم خليفتين كتاب الله جبل معدود ما بين السماء والارض وعترتي اهل بيتي
الوجه الثالث عناية الله بهذه الامة ببعث من يجدد لها امر دينها على راس كل مائة سنة ، ففي
الحديث ، ان الله يبعث لهذه الامة على راس كل مائة سنة من يجدد لها دينها اي يبين لها السنة من البدعة
ويقومها على منهاجه الذي ربما انحرفت عنه

ودين يفي بالضروريات والحاجيات والتكميليات من عامة شؤون اهاه محفوظة اصوله يبعث الله
من يجدد على راس كل مائة عام لا حاجة لمن يدين به الى نبي يبعث فيهم بتشريع جديد ، وقد عد
العلماء عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام من المجددين الذين يقيمون شريعة النبي صلى الله عليه
وسلم على وجهها



الامر بالمعروف

والنهي عن المنكر

عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال سمعت رسول الله (صاعم) يقول من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه ، فان لم يستطع فبقلبه وذلك اضعف الايمان (١)
 ابو سعيد الخدري راوي هذا الحديث الشريف من الانصار نسبة الى خدرة قبيلة من قبائل الانصار كان من الحفاظ المكثرين والعلماء المعبرين مروياته الف ومائة وسبعون حديثاً مات سنة اربع وسبعين وله اربع وستون سنة ودفن بالقيع اورد الامام مسلم بن الحجاج النيسابودي هذا الحديث في صحيحه عن طارق بن شهاب قال اولى من بدأ بالخطبة يوم العيد قبل الصلاة مروان فقام اليه رجل فقال الصلاة قبل الخطبة فقال مروان قد ترك ما هناك فقال ابو سعيد الخدري اما هذا فقد فضى ما عليه سمعت رسول الله (صلعم) يقول من رأى منكم منكراً فليغيره الى آخر الحديث .

الامر بالمعروف والنهي عن المنكر باب عظيم الخطر في الاسلام وقد عده الشارع من اهم شعب الايمان فهو قطب من اعظم اقطاب الدين وهو المهم الذي ابعث الله له النبيين اجمعين هو اكسير معالجة الرذائل ومقاومة من فتنهم الدنيا بمناظرها الجذابة ومظاهرها الخلافة حتى اصبحوا سارى بيد الشهوات سكارى بمحبة اللذات تساهوا في تطبيق احكام الدين والعمل باوامره ونواهيه وقد اشتد ميسر الحاجة الى هذا النوع من الجهاد في الآونة الحاضرة لما انتشر فينا من القبائح والزور ولما فشا بيننا من التفريط والاهمال مع انه اساس حياة الامة وبدونه لا تتوفر لها سعادة ولا يطيب لها عيش فهو من اوكد الواجبات المفروضة على الامة واشدها نفعا وفائدة يعود بالخير الكثير على الهيئة الاجتماعية فنفعه راجع للمجموع ولذلك كان من الواجبات الكفائية اذا قام به بعض الناس سقط الحرج عن الباقيين لحصول مصلحته بحصوله واذا تركه الجميع اثم كل من تمكن منه بلاعذر وقد يتعين كما اذا كان بموضع لا يعلم به الا هو ، وقد تضافرت على وجوبه ادلة الشرع من كتاب وسنة واجماع ولا عبرة بمخالفة الرافضة في ذلك فخلافتهم فيه خرق لاجماع المسلمين كما افصح عن ذلك امام الحرمين وهو لا محالة من النصيحة التي هي الدين كما في حديث سيد المرسلين ولو اردنا في هذه المجالة جمع ما

(١) رواه مسلم واحمد في مسنده والاربعة في سننهم

جاء في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر من الآيات القرآنية والاحاديث النبوية والآثار المروية لطلال بنا القول ولكن ما لا يدرك كله لا يترك كله فمن الآيات الدالة على وجوبه قوله تعالى (ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون) فان قوله تعالى (ولتكن) امر والامر ظاهرة الوجوب كما هو مقرر في الاصول وفي الآية زيادة على ذلك بيان ان الفلاح منوط به لما فيه من حصر الفلاح فيهم وفيها بيان انه فرض كفاية لا فرض عين وانه اذا قام به امة سقط الوجوب عن الآخرين اذ لم يقل كونوا كلكم آمرين بالمعروف ناهين عن المنكر بل قال ولتكن منكم امة فانه يعطي بظاهرة انه مهما قام به واحد او جماعة سقط الحرج عن الباقيين، واختص الفلاح بالقائمين به المباشرين له، وان تقاعد عنه الخلق اجمعون عم الحرج كافة القادرين، ومن الاخبار الدالة على وجوبه قوله عليه الصلاة والسلام: لتأمرون بالمعروف ولتنهون عن المنكر او ليوشكن الله يبعث عليكم عقابا منه ثم تدعونه فلا يستجيب لكم اخرجه الترمذي وقال حديث حسن ومنها حديث مسلم الذي صدرنا به وهو قوله: من رأى منكم منكرا فليغيره (الحديث) فقوله من رأى منكم يحتمل انه من رؤية البصر والعين ويقاس عليه ما عليه لان المقصود دفع مفسدة المنكر ولا فرق بين ما ابصره او علمه ولم يره ويحتمل انه من رؤية القلب اي من علم منكم منكرا فهو اعم مما ابصره وهو اشبه بالنظر وان كان لفظ رأى ظاهرا في البصر والمنكر ما انكره الشرع وكرهه ولم يرض به فيدخل فيه المحرم والمكروه وفي معناها ترك الفرض والسنة المؤكدة، وقوله لغيره امر ايجاب كما في آية ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف (ولا يخالف ذلك قوله تعالى (عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم) لان المذهب الصحيح عند المحققين في معنى الآية الكريمة انكم اذا فعلتم ما كلفتم به لا يضركم تقصير غيركم على حد قوله تعالى: ولا تزر وازرة وزر اخرى) واذا كان الامر كذلك فمعما كلف به الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فاذا فعله ولم يمثل المخاطب فلا عتب بعد ذلك على الفاعل لكونه دعى عليه فانما عليه الامر والنهي لا القبول قال العلماء ولا يسقط الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لكونه لا يفيد في ظنه بل يجب عليه فعله فان الذكرى تنفع المؤمنين وما على الرسول الا البلاغ المبين، قالوا ولا يشترط في الأمر والنهي ان يكون كامل الحال معتملا لما يأمر به محتجبا ما ينهى عنه بل عليه الامر وان كان محلا بما يأمر به وعليه النهي وان كان ملتبسا بما ينهى عنه فانه يجب عليه شيان ان يأمر نفسه وينهاها وان يأمر غيره وينهاها فاذا اخل باحدها كيف يباح له الاخلال بالآخر اجل الاكمل ان يكون عاملا، ليكون تأثيره كاملا، وعليه يحمل ما ورد عطف نفسك فاذا انعطت فعض الناس وقول القائل

وغير تقي يأمر الناس بالتقوى طبيب يداوي الناس وهو مريض

ولا يختص الامر بالمعروف والنهي عن المنكر باصحاب الولايات بل هو لعموم المسلمين فان

غير الولاية في الصدر الاول والعصر الذي يليه كانوا يأمرون الولاية بالمعروف وينهونهم عن المنكر مع تقرير المسلمين اياهم على ذلك، وانما يأمر وينهى من كان عالما بما يأمر به وينهى عنه فان كان من الامور التي احكامها ظاهرة مثل الصلاة والصوم والزنا وشرب الخمر ونحو ذلك فيكل المسلمين علماء بها فكلهم يأمر وينهى وان كان من دقائق الافعال والاقوال وما يتعلق بالاجتهاد لم يكن للعوام فيه مدخل وليس لهم انكاره بل ذلك للعلماء خاصة والعلماء انما ينكرون ما وقع الاجماع عليه واما المختلف فيه فلا انكار فيه لكونه جاريا على قول مجتهد فعلى القول بان كل مجتهد مصيب فلا اشكال وهو مختار جماعة من المحققين وعلى أن المصيب واحد فالخطيء غير متعين والاثم موضوع عنه بافراغ كامل الوسع

وقوله في الحديث فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه يعني يجب عليه التغيير بيده وذلك ان توقف التغيير عليها ككسر اواني الخمر وآلات اللهو ومثل منع الظالم من ظلمه وتلك وظيفة الحكم لانهم الهيئة التنفيذية التي تقدر على هذا وقد توجه ذلك الى كل منا فيما اذا رأى ولده يشرب الخمر مثلاً فهو قادر على اراقتة بما له من سلطة عليه او رأى زوجته تتبرج بزينةها وتخرج من غير ضرورة شرعية فان في مقدراته منعها بما له من قوامة عليها وتلك هي المرتبة الاولى وهي اقوى المراتب في الحديث فان لم يستطعها بان خشى الحاق ضرر ببدنه او ماله فلينتقل الى المرتبة الثانية وهي الانكار والتغيير باللسان بان يقول قولاً يرحى نفعه فيعطي كل واحد من الناس موعظته اللائقة به وعلى حد الحكمة والموعظة الحسنة وقوله ادفع بالتي هي احسن فقد يدرك باللين ما لا يدرك بالشدّة وقد يدرك باللسان ما لا يدرك بالسيف وقد قالوا انه ينبغي ان يتبدا بالرفق واللين ثم بالاشد فالاشد على سبيل التدرّج فان النصيحة مقدمة على الفضيحة وقال الامام الشافعي من وعظ اخاه سرا نصحه وزانه ومن وعظه علانية فقد فضحه وشانه

وتغيير المنكر باللسان ليس خاصا بالعلماء او الحكماء بل يشمل كل مكلف يمكنه الانكار باللسان ما لم يخش ضرراً اكثراً والا فليس له الانكار باللسان ولننكر بقلبه وهو قوله في الحديث فان لم يستطع فبقلبه ومعنى الانكار بالقلب ان يكره ذلك ويبغضه ويقيم دليلاً على هذا البغض كما مال المرتكب للمنكر او احتقاره ان امكن وليس للانكار بالقلب الذي هو اضعف مراتب الجهاد معنى الا هذا والا كان شريكاً للمرتكب اذا كان يجلس معه او يفض النظر عن فعله او يمدحه بلسانه لان ذلك نفاق ويظن بعض العامة ان معنى الانكار بالقلب مجرد قوله اذا رآه وهو يرتكب المنكر اللهم ان هذا منكر لا يرضيك ولو جلس معه او اعانه او شاركه في شيء وهذا خطأ درج عليه الناس فاضعف مراتب الايمان التي ليس بعدها من الايمان حبة خردل هي اعلان هذه الكراهة والاحساس تماماً بان القلب هو الذي يعي على اللسان هذا القول او مثله ولذلك قال ابن مسعود هلك من لم

يعرف بقلبه المعروف والمنكر اي لان ذلك فرض لا يسقط عن احد بحال والرضا به من اقبح المحرمات ودليل على انه لا ايمان وليس هذا التعبير بالقلب في الحقيقة تغييرا ولكنه هو الذي في وسعه ومعنى كونه اضعف الايمان انه اقل ثمرة وأدنى نتيجة وانما كان اضعفه لانه لم يبق وراء هذه المرتبة مرتبة اخرى له كما قاله القرطبي

وفي معنى وقد قال (صلى الله عليه وسلم) ما من نبي بعثه الله قبلي الا كان له من امته حواريون واصحاب يأخذون بسننه فيقتدون بامره ثم انها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون فمن جاهدكم بيده فهو مؤمن ومن جاهدكم بلسانه فهو مؤمن ومن جاهدكم بقلبه فهو مؤمن وليس وراء ذلك من الايمان حبة خرذل . الا مسلم عن ابن مسعود هذا ويحرم على المؤمن ان يتجسس على الناس لينكر عليهم واقتحام الدور بالظنون فان التجسس حرام منهي عنه ولا يتوصل للطاعة بحرام بل ان عثر على منكر غير نعم لو اخبره عدل ثقة بان منكره يرتكب في حجة كذا وانس من نفسه القدرة على ازالته على الحد الذي بسطنا فلا بأس بذلك عملا بعموم لفظ رأى قال الماوردي يس له ان يقتل ويتجسس الا ان يخبره من يشق بقوله ان رجلا خلا برجل ليقتله او امرأة ليزني بها فيجوز له في مثل هذه الحال ان يتجسس ويتقدم على الكشف والبحث حذرا من فوات ما لا يستدركه قال الشيخ محي الدين النووي رحمه الله واعلم ان باب الامر بالمعروف والايه عن المنكر قد ضيع اكثره من ازمان متطاولة ولم يبق منه في هذه الازمان الا رسوم قليلة جدا وهو باب عظيم به قوام الامر وملاكمه واذا كثر الحبث عم العقاب الصالح والطالح فينبغي لطالب الآخرة والساعي في تحصيل رضى الله عز وجل ان يعتني بهذا الباب فان نفعه عظيم ولا يهاب من ينكر عليه لارتفاع مرتبته فان الله يقول ولنصرن الله من نصرة قال هذا القول ناعيا على اهل زمانه في القرن السادس للهجرة فكيف بنا اهل القرن الرابع عشر

فليس لنا الا ان نمثل بقول من قال من ذوي الاحوال :

هذا الزمان الذي كنا نحاذره في قول كعب وفي قول ابن مسعود
ان دام هذا ولم يحدث له غير لم يبك ميت ولم يفرح بمولود
فالهم بقطعة شاملة وثباتا على دينك القويم والسلام على من اتبع سنة سيد المرسلين

محمد الحاذق البغدادي

الفتاوى والامام

رسالة للشيخ اسماعيل التميمي تتمعن
جوابه عن السؤال الذي سأل عنه بآي
عصرة المولى المبرور حسين باي المتوفى سنة

الحمد لله وحده . والصلاة والسلام على من لا نبي بعده . وعلى آله واصحابه اجمعين . ومن
تبعهم باحسان الى يوم الدين . وبعد فقد سئلت من جناب الحضرة الزكية . والدوحة العلية . ذات
المفاخر السنية . والمناثر المرضية . حضرة مولانا الملك الهمام . فخر ملوك الاسلام . سليل الملوك
الفخام . وواسطة عقد ذلك النظام . فارس الاسلام . ونخبة الزمان . وعلم الاعلام . وعين
الاعيان . سيدنا ابي عبد الله حسين باي ايد الله سلطانه . وشاد بالعدل اركانه . ونصر جنوده
واعوانه . على لسان من بلغ عنه . من خدمة حضرته . وهو الفقيه الفاضل . المحصل المدرس الكامل .
ابو عبد الله محمد المناعي احد كتبة ديوانه السعيد عن مسألة حاصلها ان رجلا حبس عقارات ورباعا
في عقد واحد على من عينه برسم الحبس تحبسا خليا عن القبول والحوز واشترط فيه الغلة لنفسه
بقية حياته ولم يضمن الموثق الرسم المذكور ما ثبت به ملكية ذلك للمحبس على الوجه المعتبر شرعا
ثم بعد وفاته وتناسخ وراثته وقع تنازع في شان العقارات لدى حاكم مالكي فصدر منه حكم بفسخ
حبسيتها ثم وقع تنازع آخر في الرباع التي لم يتعرض لها الاول لدى حاكم حنفي فاقرها وحكم
بصححة حبسيتها وابقائها بيد اهل الحبس على ما كانت عليه قبل المنازعة ولم يلتفت الى ما احتج به احد
الخصمين من سريان الحكم الاول اليها فاراد الآن بعض من آلت اليه وراثته في المحبس ان ينازع في
ذلك وان يخاصم لدى حاكم مالكي فهل لها لكي اذا رفعت القضية اليه ان يحكم فيها بمذهبه ولا يمنعه
من الحكم الحكم الصادر بصحة وقيمتها او ليس له ذلك ؟ وامر ايد الله تعالى امره . وقدس بمنه سره .
ان احيب عن ذلك بما تقتضيه قواعد الامام مالك رضي الله تعالى عنه

فقابلت امرة بما يجب له من الامتثال . وكتبت ما ظهر لي في الحال . ومن الله سبحانه وتعالى
استمد التوفيق . والهداية الى اقوم واوضح طريق .

فاقول الذي ظهر لي في الجواب انه يجوز للمالكي والحالة ما ذكر ان يحكم بمقتضى
مذهبه في تلك الرباع ولا يمنعه من ذلك الحكم الواقع بابقائها على حالتها الاصلية لان تصرف
القاضي في النوازل اذا لم يحدث فيها تغييرا عن حالتها قبل المنازعة ولا اخرج فيها شيئا من يد الى

غيرها كما هو حال هاته النازلة تختلف في كونه حكما وكل ما اختلف في كونه حكما فلن لا يراه حكما ان يحكم في محله بما يراه، اما القضية الصغرى القائلة ان مثل هذا التصرف الواقع في النازلة يختلف في كونه حكما فان الخلاف واقع فيه اولا بين ايمتنا فابن القاسم يراه حكما وسياتي تفصيل القول في اجراء مذهبه فيها ان شاء الله تعالى وعبد الملك ابن الماجشون لا يراه حكما ويرى ان الحاكم اذا ابقى الواقعة على حالها ولا اخرج شيئا من يد الى يد فان ذلك ليس بحكم وان اشهد على ذلك وكتب وانها اذا رفعت لمخالفة فله الحكم فيها، وبه قال أصبغ ومطرف وقال انه قول مالك وعزاه ابن رشد لابن حبيب وذكره الشيخ في النوادر عن كتاب ابن حبيب وسلمه ولم يحك له مقابلا فقال عن ابن الماجشون بعد ان ذكر ما يفسخ من الاحكام وما يقر ما نصه : وهذا فيما ياخذ الحاكم من هذا ويعطيه لهذا فاما ما هو ترك لما فعل الفاعل وامساك ان يحكم عليه بغيره مثل ما مر من الاختلاف في الطلاق قبل النكاح والعق قبل المثل ونكاح المحرم والحكم بالقسامة وطسلاق المخيرة فيما قيل انها واحدة بالنية فلو خيرها فاختارت نفسها ثم تزوجها قبل زوج فرفع الى حاكم يرى ذلك فاقره ولم يفرق بينهما ثم رفع لمن بعده فلماذا ان يفسخ نكاحها ويجعلها البتة وليس اقرار الاول اياه حكما منه وان اشهد على ذلك وكتب ثم ذكر في الطلاق قبل النكاح وما بعده من المسائل انها اذا قررها حاكم فلن بعده ان يحكم فيها بما يراه . ثم قال وقال لي مطرف مثل قول ابن الماجشون من اول هذا القول وقال انه قول مالك وقاله اصبغ اه ولم يحك عن ابن حبيب انه تعقب شيئا من ذلك فلذلك عزاه له ابن رشد فقال في البيان : اختلف في الحكم بترك الامور وتقريره هل هو كالحكم فذكر مذهب ابن القاسم ومذهب ابن الماجشون هذا الا انه عزاه لابن حبيب ذكره في شرح الثالثة من رسم الجواب من سماع عيسى . وظاهر هذا الكلام ان الحاكم حكم بترك الامر وتقريره على حاله وهو صريح قول ابن الماجشون ولو اشهد على ذلك وكتب . وبه تعلم ان ما قاله القرافي ونقله المشذلي عن بعضهم ان المراد بالتقرير السكوت وترك الحكم وعدم التعرض غير سديد ولا مستقيم اذ الامام المعز الى هذا القول قد فسر مراده وان الحاكم الاول حكم لقوله وان اشهد الخ وعبرة ابن رشد تقتضي ذلك كما بيناه واعترف بذلك من نقل عنه المشذلي وكذا عبارة اللخمي الآتية وكانها اغتصرا بلفظ الترك فظنوا ان معناه ترك الحكم والامر ليس كذلك بل المراد ترك الواقعة على ما كانت عليه بان لم يحدث فيها الحاكم ما يغيرها بشهادة قول ابن الماجشون فاما ما هو ترك لما فعل الفاعل اذ هو صريح في ان متعلق الترك هو المفعول . فالصواب في المسئلة ما اسلفناه وان مدار هذا الاختلاف هو انه هل من شرط الحكم ان يكون متعلقه تغيير امر عن حاله اولا - الاول لابن الماجشون - والثاني لابن القاسم . وهكذا اورد المسئلة شيخ المحققين الامام ابن عرفة اذ قال بعد ان عرف الحكم بانه جزم القاضي بحكم شرعي على وجه الامر ما نصه : وفي شرط كون متعلقه تغيير امر عن حاله اولا

قولا ابن الماجشون وابن القاسم، اللخمي ما هو ترك لما فعل وامساك عن الحكم لغير الفاعل كالخسب بالطلاق قبل النكاح والعق قبل الملك ونكاح المجرم والحكم بالقسامة فحكم حاكم بامضاء النكاح واستمرار الرق ثم رفع لمن يرى خلاف ذلك فليحكم به ولا يمنعه من ذلك ترك الاول قاله ابن الماجشون ورأى ان الترك ليس بحكم وقال ابن القاسم في كتاب النكاح ذلك حكم وفسخ الثاني خطأ وهو احسن اه المقصود منه، وهو صريح فيما ذكرنا وقول اللخمي فحكم حاكم بامضاء الخ . بين غاية فيما املناه واختياره لقول ابن القاسم لا يوهن قول ابن الماجشون اذ قد اختاره ايضا أئمة اعلام . وواقفته رواية مطرف عن الامام . فلا لوم ولا عتاب . على من اخذ به في هذا الباب .

على أن في اجراء مذهب ابن القاسم رضي الله تعالى عنه في هاته النازلة نظرا اذ هو متعذر من حيث انه يرى ان العقد الواقع على متعدد لا يتعدد بتعدده بل هو عنده امر واحد مركب من أمور ولذلك قال بفسخ الصفقة المشتملة على حلال وحرام او على عقدين متنافي الاحكام ويرى ان بطلان الحرام في المسئلة الاولى انما افضى الى بطلان كلها لانه كجزء منها واذا بطل الجزء بطل الكل .

وهذه النازلة من العقود الواقعة على متعدد وقد وقع الحكم فيها من المالكى بابطال بعضها فيبطل كلها قصده الحاكم او لم يقصده لان ابطال الجزء سبب في ابطال الكل والسبب يتبع سببه ويحصل بوجوده شاء فاعل السبب أو أبى واذا كان الامر كذلك لم يبق لهذا الحكم الثاني محل يقع عليه فاختل لاختلال ركن من اركانه وايضا فان مقتضى هاته القاعدة ان الحكم انما يتوجه الى الجملة لا الى البعض فاذا صرفنا النظر عن الوجه الاول ونظرنا الى الحكم الثاني وجدناه حكما على البعض بحكم الكل وذلك مما لا مساغ له لان الحكم اذا نيط بالكل فلا يمكن قصره على البعض

ومن تأمل الكتب الحكمية وجد لهذا الحكم وجوها اخر تشهد لما نحن بصدده فلا نطيل بها فاقضى هذا البيان ان هذا الحكم الواقع على الرباع غير محصن لها من المالكية ولا مانع لهم من الحكم فيها على مقتضى ما قررناه

وهذا التقرار وان ائتم اتفاق المالكية في هذه النازلة غير مقتضي لنفي الخلاف فيها فان ظاهر الحكم المذكور ان مذهب الحاكم فيها مخالف لذلك وان العقد يتعدد بتعدد العقود عليه كما اشار اليه حيث لم يسمع من الخصم الادلاء بتقدم حكم المالكى واما ان مذهبه انه لا يعتبر في الحكم تغيير المتعلق فامر واضح فثبت بهذا البيان القضية الصغرى القابلة ان مثل هذا التصرف يختلف في كونه حكما

ولما القضية الكبرى القابلة ان كل حكم يختلف فيه فلو لم يراه حكما ان يحكم في متعلقه بما يراه فيبانها ما قاله القاضي برهان الدين ابن فرحون عند ما تحدث على الحكم بالوجوب اذا لم يستوف شرائط الحكم بالصحة انه يكون مختلفا عند من يشترط ذلك ونصه : والحكم المختلف فيه غير الحكم

بأمر مختلف فيه فيسوغ لمن لا يرى الحكم بذلك ان ينقضه الا اذا حكم حاكم قبله بصحة الحكم الصادر بالموجب وكان الحاكم ممن يرى تسويغ الحكم بالموجب على الوجه المذكور فانه حينئذ لا ينقض ويدل عليه ايضا ما تقدم من قول ابن الماجشون ان لمن بعده ان يحكم بما يراه ولا يمنعه ترك الاول وان اشهد على ذلك وكتب فانه صريح في انه يجوز لمن لا يرى السابق حكما ان يحكم والظاهر ان الذي قبله يعتقد ان تصرفه حكم بدليل اشهاد وكتبه . وهذا المعنى وهو ان الحكم المختلف فيه لا ينفذ على المخالف مما يوافقنا عليه ائمة السادة الحنفية ففي الفوائد الفقهية للعلامة ابن غرس الحنفي في أوائل الفصل السابع منها ما نصه : قالوا القضاء المختلف فيه يحتاج في نفوذه على المخالف الى امضاء قاض آخر الى ان قول ومثاله قول القاضي ثبت عندي كذا اذا اراد به الحكم لا ينفذ على المخالف حتى ينفذه قاض آخر يرى انه حكم او يحكم بصحته بطريقه الخ .

واما كون المالكي ممن لا يرى هذا حكما فقد تقدم بيانه عند الكلام على الصغرى بما لا مزيد عليه هذا ما ظهر للفقير . ونكل العام للمطيف الخير . وكتبه مسلما على ذلكم الجناح الزكي . والمقام العلي . ومن يقف عليه افقر خدمة العلم الشريف . اسماعيل التميمي الشريف . اصاح الله تعالى احواله . وختم بما يرضيه اقواله واعماله . والله تعالى اعلم

من المجلة الى قرائها

ورد على ادارة المجلة السؤال الآتي فاجاب عنه بقلم العلامة التحرير صاحب الفضيلة الشيخ سيدي محمد البشير النيفر المفتي المالكي

س - ما حكم بيع العنب لمن يعلم انه يعصره خمرا

ج - البيع المذكور ممنوع والاصل في هذا سد ذرائع الفساد . وفي رسالة الشيخ عبد الرحمن الفاسي في المغارسة عاطفا على الممنوع : وكبيع العنب لمن يعصره خمرا ويفسخ الا ان يفوت فيتصدق بفضل الثمن ، وقال فيما علقه على هذه العبارة ما نصه :

يعني ان بيع ثمار الاعناب لمن يعصرها خمرا ممنوع لانها اعانة على الفساد وقد قال الله تعالى وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان

واذا وقع هذا البيع فسح كما في المدونة ، قال ابن رشد : واختلف على القول بانه يفسخ ان فات بمغيب المتاع عليه قليل يمضي بالثمن ويتصدق البائم بما زاد في ثمنه اذا باعه ممن لا يعصره خمرا . وقيل يمضي بالقيمة ويتصدق بما زاد عليها . يعني انه لو باعه باقل فيتصدق بالزائد اه
ووقع في المذهب فروع من هذا المعنى منها ما نبه عليه صاحب المختصر بقوله في باب الاجارة عاطفا على الممنوع : او دار لتتخذ كنيسة كييعها لذلك وتصدق بالكره وبفضلة الثمن اه .

محمد البشير النيفر

التاريخ

صفحة من تاريخ تونس

أبواب مدينة تونس

(٢)

بقلم العالم المؤرخ امير الامراء سيدي محمد
ابن الخوجة مستشار الحكومة التونسية

واما الشريف الادريسي صاحب كتاب نزهة المشتاق الذي هو من رجال المائة السادسة فقد قال : وهي (تونس) الآن في وقت تاليفنا لهذا الكتاب (سنة ٥٤٨ هـ) معمورة موفورة الحيرات يلجأ اليها القريب والبعيد وعليها سور تراب وثيق ولها ابواب ثلاثة (لم يذكر اسماءها) وجميع جنتها ومزارع بقولها في داخل سورها اه قلت اتفق المؤرخون الاروباويون على ان كتاب الشريف الادريسي احسن ما وضع في فن الجغرافية في زمنه لانه كتبه عن عيان لا عن سماع . قال في الوافي بالوفيات انه الفه بطلب من الملك روجار (الثاني) ملك صقلية وانه ابتهج به واوسعه حظوة وعطاء .

وقال ابن الشباط : ولها (تونس) في زماننا (المائة السابعة) عشرة ابواب بعضها في البلد وبعضها في القصة ثم قال ولها اسواق كثيرة ومتاجر عجيبة وفنادق كبيرة رفيعة وبها خمسة عشر حماما وعضادات ابواب دورها كلها رخام بديع وهي دار علم وفقه ولي منها قضاء افرقية جماعة كثيرة هذا كلام ابن الشباط بالنقل عن ابن ابي دينار الذي استدرك عليه بان ابواب تونس في زمنه (القرن الحادي عشر) سبعة ابواب ولم يبق في القصة الا باب غدر وان عدد الحمامات اربعون اه

وقال في رحلة العبدري : ومدينة تونس كلها الله من المدين العجيبة الغريبة وهي في غاية الاتساع ونهاية الاتقان والرخام كثير بها واكثر ابواب ديارها معمول به عضائد وعتبا وجل مبانيها من حجر منحوت محكم العمل ولها ابواب عديدة (لم يذكر اسماءها) وعند كل باب منها ربض متسع على قدر البلد المستقل اه قلت هذه الارباض هي ربض باب السوق وربض باب المنارة وربض باب الجزيرة .

وأما رحلة التجاني التي ابتدأها سنة ٧٠٦ فلم نجد بها ما يفيد القاري من حيث ابواب مدينة تونس ومثلها رحلة ابن بطوطه سوى ان هذا الرحالة الشهير وصف لنا موكب السلطان الحفصي بما يشفي الغليل وكان ابتداءه لرحلته من طنجة في سنة ٧٢٥

وقال في تقويم البلدان لابي الفدا اسماعيل المتوفى عام ٧٣٢ : تونس هي كرسى مملكة افريقية ثم لاحظ على ضبط لفظها فقال : بضم المثناة من فوق وسكون الواو وضم النون وفي آخرها سين مهمله اه وبهذا الضبط يكون اسمها غير مشتق من الانس الذي اشار له الشاعر في قوله
وتونس تونس من جاءها وتدركه حسرة حيث سار

ولكن ياقوت الحموي قال في معجم البلدان : ان النون في لفظ تونس تضم وتفتح وتكسر قلت هذا اغرب من الغريب لان مثل هذا التوسع لا يصح استعماله في اسماء الاعلام ولان لفظ تونس معرب من لفظ Thunès في اللسان اللاتيني وموجود في كتب الاقدمين قبل ان يفتحها المسلمون باحقاب ومن العبث الصراح الجزم بغير الحقيقة التاريخية التي جعلت اسم تونس لحسن حفظ اهلها موافقا بمجرد الصدفة والاتفاق لمادة الانس الذي في معناه الاستبشار وانسراح الصدور

وممن وصف تونس وصفا مستكملا ابن فضل الله الدمشقي (توفى عام ٧٤٨) في كتابه مسالك الابصار في ممالك الامصار حيث قال : هي مدينة مسورة في وطنة من الارض بسفح جبل يعرف بام عمرو ويستدير بها خندق حصين وثلاثة ارباض كبيرة من حياتها وارضا سباخ وبها قصبة هي سكنى السلطان وجميع بناء تونس بالحجر والآجر مسقوفة بالاخشاب وتفرش ديار اكبرها بالرخام ومنذ خلا الاندلس من اهلها وآووا الى جناح ملوكها مصرورا اقليمها ونوعوا بها الغراس فكثرت منزهاتها وامتد بسيط بسايتها على بحيرة من البحر الشامي (البحر المتوسط) خارجة الى شرقها من قم ضيق (حلق الوادي) الى ان قال : وليس لاهل تونس شرب الا من الآبار احدها بير ضيان وبالبيوت صهاريج (مواجل) تجمع مياه الامطار لغسل القماش وغير ذلك اه فترى مع هذا الوصف الجميل لم يتعرض ابن فضل لذكر ابواب تونس ولكنه افادنا باسم بير ضيان المقتبس منه بما لا شك فيه اسم خندق ضيان الذي كان متسر بلا خلال روض باب السوق حتى البحيرة

هذا ولم نقف بكتاب العبر لابن خلدون على تعريف خاص بابواب تونس رغم امامه الجامع بتاريخ بلاد العرب والبربر باجمعه ومثله القلقشندي فانه وصف تونس في صبح الاعشى ولكنه لم يتعرض لذكر ابوابها ومثلها المؤرخ ابن السماع وهو من ابناءها واما الفقيه الزركشي فقد تعرض لذكر جملة من ابواب تونس المعروفة وغير المعروفة ومن هذه الاخيرة باب ينتجمي (لفظ بربري) احد ابواب القصبة ونص عبارته : وفي سنة ٦٥١ بنى (المبتنصر بن ابي زكرياء) قبة الجلوس بتونس التي باسراك (لفظ بربري معناه بطاح) المشرقة على باب ينتجمي وبني الممشى من القصبة الى راس

الطابية لكي تحتجب فيها حريمه واوصله الى رياض ابي فهر . وقال في حوادث عام ٨٥٧ : توفي القائد نبيل بمحبسه ودفن ليلا بالقصبة ثم اخرج ليلة الخميس رابع عشر الشهر المذكور (جمادى الاولى عام ٨٥٧) وانزل الى المدرسة الكائنة شرقي باب ينتجمي احد ابواب القصبة (يا ترى اين موقع هذه المدرسة ؟ والمظنون انها بجهة الحفصية او بجهة حوانيت عاشور حيث مدرسة الوزير البربري احمد بن تفرحين الباقية ائارها لهذا الزمان بنهج سيدي ابراهيم الرياحي) وقال في حوادث عام ٨٦١ : اصاب الناس بتونس غلاء في الطعام بلغ قفيز القمح اربعة دنائير ذهباً والشعير على الشطر من ذلك فشكى الناس قلة الطعام وغلاءه للسلطان (ابي عمرو عثمان الحفصي) فامر بان يخرج من المخزن (الرابطة) في كل يوم ما يصنع منه الف خبزة وتفرق على الفقراء بتونس بباب ينتجمي فابتدى بتفريقها في ثالث ربيع الثاني ودام الى رجب حتى كثر الطعام الجديد ورخص ثمنه اه (هذه الشهور الثلاثة يوافقها من الشهور الشمسية مارس وابريل ومايه سنة ١٤٥٧ للميلاد)

وممن كتب ايضا في وصف حاضرة تونس المؤرخ ليون الافريقي وهو رجل صاحب شهرة مطبقة باروبا ولكنه غير معروف بين المسلمين فهذا الرجل وصف تونس وصفا مستكملا عن عيان تعرض فيه لما بها من الابنية والآبار والعوائد حتى الماكول ومنه البسيس واتنى على اخلاق اهلها واقبالهم على الصنائع والشغل ولاسيما النسيج وقال ان الساطان المستنصر زاد في عمارتها باحداث ربض خارج باب السوق به ثلاثمائة دار وربض خارج باب المنارة به الف دار وربض خارج باب البحر به مساكن النصارى ومتاجرهم واكثرهم من الجنويز والبنادقة والكاتلان وقال ان الدور مبنية بالحجارة الصلدة وصحونها مفرشة بحجر الكذال وبلاط البيوت مموها بالالوان قلت كان عدد ديار تونس في ذلك العصر مقدرا بالعدد الصحيح لنحو سبعة الاف دار وهي في زماننا هذا ثلاثة اضعاف ذلك .

ومعلوم ان حاضرة تونس كانت مستكملة العمارة في اواخر العصر الحفصي من حيث اشتمالها بالوسط على احياء المدينة الواقعة داخل سورها الاول الموجود مكانه في الزمن الحاضر خط سكة الترامواي كما تقدم ذكره وعلى احياء الارباض المحدثنة في العصر الحفصي التي يشملها السور الخارجي الذي ما زالت منه بقية عظيمة موجودة لهذا اليوم وابواب هذين السورين المعروفة بين الناس ذكر اكثرها المؤرخ ابن ابي دينار في المونس بحيث لم تبق لنا فائدة باضافة نقول اخرى لذلك من كتب المؤرخين المتأخرين ولاجله نحصر ما بقي لنا من الحديث في التعريف بتلك الابواب قديمة كانت او حديثة موجودة او غير موجودة ونتوخى في ذلك تقديم القديم على الجديد باعتبار تواريخ ظهورها في عالم الوجود حسب ما انتجه بحثنا في ذلك ولكن لا بد لنا قبل ذلك من الإشارة لكون جميع الابواب التي سنعرف بها كانت تغلق ليلا كما كانت تغلق نهارا ايضا وقت صلاة الجمعة وفقا لعادة قديمة ظهرت في اواخر الدولة الحفصية عند احتلال عساكر الاسبانول لتونس انتقاء شر الفتنه

ودفعوا لهجمات البدو من الاعراب الذين كان بعض سلاطين بني حفص في دور هرم دولتهم يستنفرونهم للدفاع عنهم فيعيشون في الارض فسادا واسترسل الامر كذلك على عهد حكم الاتراك في كامل مدة الدولة المرادية وبقي كذلك ايضا في العصر الحسيني الى اوائل مدة المشير احمد باي فلها رتب الاجناد وتوفرت لديه العدة الكافية للاحتفاظ بالامن العام استغنى بذلك عن غلق ابواب الحاضرة وقت صلاة الجمعة وبقي غلقها واقعا في الليل بانتظام من الغروب الى قبيل طلوع الشمس عدا باب الخضراء وباب علاوة فانهما لا يغلقان الا اثر صلاة العشاء وقياسا على ذلك كانت ابواب الحارات والحومات بداخل المدينة تغلق ايضا في الليل وهذه الابواب الداخلية كانت كثيرة بقسم المدينة لكل حومة باب خاص بها يجعلها منفصلة عن بقية الحارات طيلة الليل كله صيفا وشتاء وكانت مفاتيحها بيد المحركين ولا يجوز فتحها ليلا بحال اللهم الا في حالة احتضار مريض لجلب طبيب او قريب له او في حالة امراة اخذها المخاض ليؤتي لها بقبالة مباشرتها ودام غلق ابواب حومات المدينة الى سنة ١٢٧٦ فلها اعلن المشير محمد الصادق باي بقانون عهد الامان ترك لاهل الحاضرة حريتهم بابقاء ابواب حاراتهم مفتوحة في الليل كما في النهار ولم يستثن من ذلك الا ابواب اسواق التجارة وما زالت كذلك الى هذا الزمان . اما غلق ابواب البلاد ليلا فقد كان القصد منه حفظ السكان من طوارق الحداث ومن ناحية اخرى كان وسيلة لضبط الاداء الموظف على المحصولات التي تجلب لتونس . من مختلف الجهات حتى لا يقع ادخال شيء من الطعام او غيره خفية في الليل ويفوت بذلك دخل كبير على البايليك بحيث ان ابواب البلاد كانت لا تفتح ليلا الا لحادث عظيم فقد اتفق لهم مرة فتح باب ابي سعدون اثناء الليل عن اذن الداوي ليخرج منه جماعة من القراء وقع استدعاءهم للحضور بباردو بمناسبة ماتم بدار الامارة حدث فجأة وهذا الباب نفسه صدر الاذن في اواخر عام ١٢٩٨ بابقائه مفتوحا دواما واستمرارا لتسهيل اسباب المواصلة لساكن جيش الاحتلال بين تونس والثكنات العسكرية الواقعة خارجها ثم بطريقة التدريج وقع فتح باب الخضراء وباب علاوة وباب القرجاني وباب العلوج في الليل كما بالنهار وكان اخر الابواب فتحا في الليل مع النهار باب سيدي عبد السلام وباب سيدي عبد الله الشريف والغيت مع ذلك خدمة استخلاص المعلوم على دخول المحصولات من ابواب الحاضرة لقنوات المقصود منها لان اكلافها أصبحت بتكاثر متوظفيها تناهز المدخول المتحصل منها الفائدة صندوق الدولة واليك تاريخ نشأة تلك الابواب

١ - باب الجزيرة - هو من اقدم ابواب تونس ان لم يكن اقدمها والجزيرة المنسوب لها هذا الباب هي جزيرة شريك العبيسي وقد تقدم التعريف بذلك ونعرف لامام البلاغة الورغي ابياتا جاء فيها ذكر هذا الباب ونصها :

سفاك الغيت يا باب الجزيرة فكم جازتك من حوراء عطيرة

تميل اذا مشيت كالسرو هبت عليها الريح من ارض مطيرة
ويرجع كل ذي عين رءاها بكف عن تناولها قصيرة
اذا ما قال ذو طمع لمن ذا تقول لمن دراهمه كثيرة

٢ - باب قرطجنة - معروف ومما لا شك فيه انه من اول ابواب تونس حدوثا ويلوح انه
ظهر في المائة الثانية لانهم كانوا يدخلون منه الحجارة المجلوبة من اطلال قرطجنة لعمارة تونس
وتونس كانت دار علم وفقه ومتصرة في أواخر المائة الثانية

٣ - باب ارطه - غير معروف ويلوح انه من اقدم ابواب تونس على تقدير ان اسمه نسبة
لاسم بشر بن ارطه من اصحاب عقبه بن نافع الذي تولى حكم افريقية مرتين في اواسط القرن
الاول للهجرة او هو نسبة لبقعة من الارض مجاورة لتونس كما تقدم ذكره

٤ - باب السقاين - غير معروف وهو من اقدم ابواب تونس لانه كان موجودا في المائة
الخامسة ولعل موقعه كان بجهة باب الاقواس كما تقدم بيانه

٥ - باب البحر - معروف وهو من اقدم ابواب تونس اتفاقا لان سورها كان هو الحافظ
للمدينة من جهة البحر كما يدل عليه اسمه ، قالوا ان الواقف بدرج جامع الزيتونة في المائة العاشرة
كان يرى ميلا البحر من مكانه

٦ - باب السوق - معروف كان موجودا باسمه هذا في المائة الرابعة ومعنى السوق سوق
صغيرة كان يملكها سيدي محرز بن خلف وكانت محررة من الامكاس كبقية رباعته وعقاراته ومتاجره
وغروه . وسيدي محرز رضي الله عنه كان من رجال الدين والدنيا جمع بين علوم الشريعة وعلوم
الاجتماع البشري

٧ - باب الاقواس - معروف موقعه ويلوح مما ورد في حقه بالمونس انه اندثر مع السور
القديم الذي بناه سيدي محرز بن خلف

٨ - باب الفلاق - غير معروف ذكره ابن ابي دينار في جملة الابواب التي كان موقعها بالسور
المحرزي المندثرة

٩ - باب البنات - معروف والمتعلق بمحفوظي انه منسوب لبنات احد الثوار ولعله ابن غانية
المعاصر للموحدين وهؤلاء البنات كن على جانب من الجسارة والشمم وعزة النفس

١٠ - باب ينتجمي - غير معروف وكان موقعه بالقصبة بما لا شك فيه لان الزركشي قال
انه احد ابوابها كما تقدم وصفه بمزيد بيان

١١ - باب غدر - معروف ذكره ابن ابي دينار وقبله الزركشي ومنه يستفاد انه كان موجودا
في عام ٧٠٨ وهذا الباب خاص بالعساكر الذين بمكنة القصبة في هذا الزمان

١٢ - باب القرجاني - معروف موقعه وسمي كذلك نسبة لولي الله سيدي علي الكبير القرجاني من رجالات المائة السابعة

١٣ - باب المنارة - معروف سمي كذلك لانه كانت بجداره مشكاة لهداية ابناء السبيل وكان موجودا في عام ٦٨٤

١٤ - باب الجديد - معروف بني على عهد السلطان يحيى الحفصي في حدود سنة ٦٧٦ وفي مدة الباشا علي باي الاول تناوله التدمير والتخريب برمي المدافع اثناء الفتنة التي اثارها الباشا المذكور لاغتصاب الحكم من يد عمه المقدس المولى حسين بن علي ولما رجع الدر لمعده امر المولى علي باي الثاني بتجديد الباب المتحدث عنه في سنة ١١٨٣ وقد ارخ هذا التجديد امام البلاغة ابو عبد الله محمد الورغي بابيات نقلها من ديوانه ونصها :

جدد هذا الباب باب الجديد	علي باشا بن الحسين السعيد
اقامه من بعد ما قد هوى	في فتنة يشيب منها الوليد
فالله يحميه وانجاله	من مثلها في طيب دهر حميد
ويبني لهم مثل ما قد بني	هذا هنا في الخلد قصرا مشيد
وعند ما قدمت ارضه	لمدخل ارفاق ونيل يزيد

١١٨٣

١٥ - باب علاوة - معروف كان موجودا في عام ٨٨١ على ما افاده الزركشي

١٦ - باب ابي سعدون - معروف ذكره غير واحد من المؤرخين ويلوح انه بني في اواخر المائة الثامنة او في اوائل المائة التاسعة لان السلطان محمد المنتصر الحفصي بنى سقاية هذا الباب في حدود سنة ٨٣٨ حسب ما جاء ذلك في المونس وفيه يقول امام البلاغة الورغي بطالعة نونته المعروفة باكر سعودك ليس الوقت بالدون واجعل صبوحك عند باب سعدون

١٧ - باب الخضراء - معروف واسمه ازهى اسماء ابواب تونس سمي كذلك لانه يعبر منه لجهة الخضراء التي كانت معمورة بالزيتاين ويلوح ان بناءه كان في اواخر المائة العاشرة لاني لم نعثر على ذكره في العصر الحفصي ولانه كان موجودا في عهد الدولة المرادية

١٨ - باب العلوج - معروف وكان اسمه باب الرحبة في المائة الثامنة وما قبلها وغلب عليه نسبته للعلوج من اواسط المائة التاسعة لان السلطان ابي عمرو عثمان لما تولى الملك في سنة ٨٣٩ وقد عليه اخواله من ايطاليا فبر بهم واسكنهم بالربض المجاور للقصة قال في الخلاصة النقية : كانت ام هذا السلطان من العلوج اسمها مريم (ماريه) فلما بوبع ورد عليه اخواله فاسكنهم بالربض الملاصق للقصة وعرف بحومة العلوج من يومئذ اه .

١٩ - باب سيدي قاسم - معروف والنسبة لسيدي قاسم الجليزي (صوابه الزيتوني) المتوفي

سنة ٩٠٢ قال في المونس ان اسمه كان باب خالد قلت لعل خالد هذا هو السلطان ابو البقا خالد بن ابي زكرياء الذي تولى الملك في سنة ٧٠٩ وهذا الظن حملي عليه كون زاوية سيدي قاسم المجاورة لهذا الباب بها مقابر للحفصيين وما هو الا مجرد احتمال لا نهجزم بصحته

٢٠ - باب الفلة - معروف هو من بقايا العصر الحفصي في دور انحطاطه . قال في المونس سمي بذلك لانه كان ثلبة في السور ولما دهم أهل تونس العدو من النصارى (الاسبانول) وفروا بانفسهم خرجوا من هنالك خيفة إن تؤخذ عنهم الابواب فخرج أكثرهم من هنالك فكان يقول بعضهم لبعض اخرجوا من الفلة وهذا الاسم باق الى اليوم اه

٢١ - باب سيدي عبد السلام - معروف ولكن لم نقف له على خبر يمكنني من تحديد تاريخ أحداثه ولو على وجه التقريب اللهم الا بطريقة الحدس والتخمين وبهذا التقدير يمكن الرجوع به للعصر الحفصي من وجهين اولاً انتساب الفسقية التي بقربه الى اسمه (فسقية باب سيدي عبد السلام) وهذه الفسقية في اصلها من بقايا العصر الحفصي وثانياً لان هذا الباب احد الابواب الثلاثة (والآخران هما باب سيدي قاسم المتقدم ذكره وباب سيدي عبد الله الذي سيأتي ذكره) من مجموع ابواب تونس التي لم تمسها يد التغيير والترميم بحيث أنها (اي الابواب الثلاثة المشار اليها) ما زالت في حالة بنائها العربي التي هي عليه منذ قرون وهي متماثلة الوضع والشكل والحجم مما يحتمل على الجزم بانها من بقايا العصر الحفصي لاسيما وان احدها وهو باب سيدي قاسم كان موجوداً في المائة التاسعة اي قبل سقوط الدولة الحفصية بنحو مائة عام

٢٢ - باب سيدي عبد الله - معروف وكان اسمه في القديم باب سيدي علي الزاوي على ما ورد في كتاب المشرع الملكي وزاوية سيدي علي الزاوي ما زالت موجودة داخل السور قرب هذا الباب الذي كان منسوباً لصاحبها قال في المشرع الملكي عند الكلام على جنازة المولى محمد الرشيد باي المتوفى عام ١١٧٢ : ودخلت جنازته من باب سيدي علي الزاوي ودفنوه بتربة ابيه (زاوية سيدي قاسم السباطي) واما سيدي عبد الله الملقب بالشريف فضرجه خارج هذا الباب المنسوب اليه في هذا الزمان ويلوح انه من اهل الاجيال المتأخرة لان الباب المتحدث عنه كان منسوباً لاسم غيره في أواخر القرن الثاني عشر كما تقدم ذكره قريباً

٢٣ - باب العسل - معروف واسمه مقتبس من اسم درب ابن عسال وهذا الدرب كان موجوداً في العصر الحفصي لانهم كانوا يسمون الازقة والشوارع دروبا في زمنهم واما الباب المتحدث عنه فهو في محدثات هذا العصر وقع فتحه لنحو ثلاثين سنة ماضية ويروى لي ختم الكلام في هذا المقام بحديث باب العسل لانه لا احلى من الشهد

مَحْمَدُ بْنُ زُجْجَةَ

القضاة الشرعيون

في القديم

« ٦ »

بقلم العلامة النحرير صاحب الفضيلة الشيخ
سيدي محمد البشير النيفر المفتي المالكي

ابن باديس

هو ابو علي الحسن بن ابي القاسم بن باديس القسنطيني بيته من بيوتات العلم في قسنطينة وبه يتصل نسب الاسرة الباديسية الموجودة في فروعا الى اليوم بهذه المدينة ، ترجمه الشيخ بابا في نيل الابتهاج وذكر ان ولادته سنة ٧٠١ ونقل عن ابن الخطيب القسنطيني وصفه بالمحدث وانه أخذ عن ناصر الدين المشدالي وابن غربون البجائي وابن عبد الرقيق وغيرهم وانه ادرك في حداثة سنه ما لم يدركه غيره في سنه ، قال ولغلبة الانقباض عليه قل النفع به لمن ادرك حياته .

واما ولايته قضاء الجماعة بتونس فكانت بعد وفاة سلفه ابن حيدرة ثم استقال منه على ما في تاريخ الدولتين « صفحة ٩٦ » في أواخر صفر سنة ٧٨١ وولي قضاء قسنطينة وتوفي على ما في نيل الابتهاج سنة ٧٨٧

ابن القطان

هو ابو عبد الله محمد بن علي بن عبد الرحمن البلوي القطان ولعله حفيد القاضي عبد الرحمن الذي مضى القول في ترجمته قريبا ولي القضاء بعد ان تخلى عنه ابن باديس ووصفه الزركشي بالفقيه وذكر « صفحة ٩٧ » انه توفي في حدود سنة ٧٨٥ خمس وثمانين وسبعمائة .

البرشكي

هو ابو زيد عبد الرحمن البرشكي ولي القضاء مكان ابن القطان وصفه الزركشي بالفقيه وقال فيه الشيخ بابا في نيل الابتهاج : الشيخ الامام العلامة الخطيب المدرس قاضي الخلافة العلية بتونس وكان من أهل العلم والعمل به بمحل لا يجهل ، واما اخلاقه العلية ومكارمه السنية فكالغيث الواكب احد اشياخ العلامة ابن مرزوق كذا ذكره بعضهم قلت وهو من شيوخ ابي الطيب بن علوان المصري اه

وقال الزركشي في تاريخ الدولتين (صفحة ٩٨) ثم بعد مدة من تقديمه مرض فقدم للنيابة عنه شيخ شيوخنا الفقيه العالم ابو مهدي عيسى الغبريني ثم لما كانت سنة سبع وثمانين توفي القاضي البرشكي واستقل بالقضاء ابو مهدي عيسى المذكور اهـ

الغبريني

هو ابو مهدي عيسى بن احمد بن محمد بن محمد الغبريني اخذ عن الشيخ ابن عرفة ومن في طبقته وبعد في العلم والتحقيق صيته واخذ عنه أكثر المتأخرين من تلاميذ الشيخ ابن عرفة كالسلي وابي يحيى ابن عقيب والشيخ عمر القلشاني وابي القاسم القسطنطيني وابن ناجي وكان يثني عليه كثيرا ويحليه بنعمت العظمة والجلال كما ترى في غير موضع مما كتب على المذونة .

ومما قال فيه : ما رأيت أصح منه نقلا ولا أحسن منه ذهنا ولا أنصف منه مع كمال الرئاسة اهـ وقال ايضا : انه ممن يظن به حفظ المذهب بلا مطالعة اهـ

وقال تلميذه الامير ابو عبد الله المعروف بالحسين ابن السلطان الحفصي : شيخنا ابن عرفة وشيخنا الغبريني ممن يجتهد في المذهب ولا يحتاج لدليل على ذلك اذ العيان شاهد بذلك اهـ

وقد ولي رحمه الله قضاء الجماعة والامامة والخطبة والفتوى بجامع الزيتونة أما قضاء الجماعة فقد باشره نيابة عن البرشكي لما مرض ثم استقل به بعد وفاته سنة ٧٨٧ هـ وقد أسلفنا هذا نقلا عن الزركشي

وأما الامامة بجامع الزيتونة فقد قام بها نيابة عن الشيخ ابن عرفة لما خرج حاجا سنة ٧٩٢ ثم وليها هي والخطابة بعد وفاته سنة ٨٠٣ وقلد معهم الفتوى بجامع الزيتونة بعد صلاة الجمعة كما كان أستاذه أيضا .

وكان من العوائد المقررة في الجامع أن الامام اذا أراد أمر المؤذن باقامة الصلاة ضربت نقارة بين يديه في الدويرية « مقصورة الامام » فاقامت الصلاة فلما ولي صاحب الترجمة الامامة سأل الشيخ أبا محمد عبد الواحد الغرياني أعنده عام في مستند هذه النقارة فاجابه أن اباه حدثه عن الشيخ عبد الله بن عبد البر أنه كان اكثر ما يجلس على اصطبل بازاء باب الجنائز فاذا رآه المؤذن هنالك أقام الصلاة وقد يجلس في الدويرية لعذر او رواية كتاب فيضرب خدمة الجامع تلك النقارة اعلاما للمؤذن بحضور الامام . فابطلها صاحب الترجمة رحمه الله ثم أعادها الشيخ البرزلي ثم جاء الائمة بعده فابطلها بعضهم واستعملها آخرون ثم استمر تركها الى اليوم والله الحمد والمنة

هذا واقام صاحب الترجمة في خططه كلها الى ان توفي يوم السبت السابع والعشرين من شهر ربيع الآخر سنة (٨١٣) ودفن بالزليع كذا في الزركشي وفي نيل الابتهاج نقلا عن الشيخ أحمد القلشاني انه توفي سنة ٨١٥ وقال السخاوي سنة (٨١٦) والله اعلم .

يشبع
محمد البشير النيفر

كنز الادب

هي قصيدة عامر ابن هشام القرطبي الاندلسي التي قالها يشكو دهره عند ما رقت حاله ويذكر فيها محاسن قرطبة ويأبى مفارقتها والخروج منها لطلب العيش والالتجاء الى سلاطين مراكش الموحدين خلفاء المهدي ابن تومرت من ذرية عبد المؤمن ابن علي لما اشير عليه بالتوجه الى عدوتهم وقد سبق للمجلة نشر عدة قصائد على رويها فتشوق القراء الى الاطلاع عليها وذلك عند ما تعرض الشيخ المقداد الورتاني الى ذكر مطلعها وتسمية صاحبها والتنويه بشأنها وانها كانت تعرف في الاندلس بكنز الادب وذلك في قصيدته التي على رويها والمدرجة بالمجلة في شهر صفر الفارط ومطلعها

يا تونس الانس دار العلم والدين هل هبة منك عن دارين تغنيني
والآن نشر القصيد (كنز الادب) التي كانت سبا في نفاق سوق الادب ونصها :

يا هبة باكرت من نحو دارين	وافت الي على بعد تحييني
سرت على صفحات النهر ناشرة	جناحها بين خمري ونسرين
ردت الى جسدي روح الحياة وما	خلت النسيم اذا ما مت يحييني
لولا تنسمها عن نشر ارضكم	ما اصبحت من اليم الوجد تبريني
مرت على عقدات الرمل حاملة	هن سركم خبرا بالوحي يشفيني
عرفت من عرفه ما كنت أجهله	لما تبسم في تلك الميادين
نزوت من طرب لما هفا سحرا	وظل ينشرفني طورا ويطويني
خلت الشمال شمولا اذ سكرت بها	سكرا بما لست ارجوه يميني
اهدت الي ارجا من شمائلكم	فقلت قربي من كان يقصيني
وخلت من طمع ان اللقاء على	اثر النسيم وأضحى الشوق يحدوني
فظلت ألتئم من تعظيم حقكم	عجرا اذيا لها والوجد يغريني
مسارح كم بها سرحت من كمد	قلبي وطرفي ولا سلوان يشيني
بين المصلى الى وادي العقيق وما	يزال مثل اسمه ان بان يسكني
الى الرصافة فالمرج النظير فوا	دي الدير فالعطف من بطحاء عبدون

لباب عبد سفته السحب وابها
لا باعد الله عني من منازحه
حاشا لها من مجلات مفارقة
أين المسير ورزق الله ادرجه
يا من يزين لي الترحال عن بلدي
وأين يعدل عن ارجاء قرطبة
قطر فسيح ونهر ما به كدر
يا ليت لي عمر نوح في اقامتها
كلاهما كنت افيه على نشوا
وانما أسقي أي اهيـم بها
ارى بعيني ما لا تستطيل يدي
وانكد الناس عيشا من تكون له
يغض طرف التصابي حين يهته
قالوا الكفاف مقيم قلت ذلك لمن
ولا يبلبله هب الصبا سحرا
ولا يهيم بتفاح الحدود ورمسان
ولا تنال العلا الا من الهون
وانما الصفو فيها المهجـانين
لما رأى الرزق فيه ليس ير ضيني
فلو ترحلت عنه حله دوني
قود الاماني وطورا فيه تعصيني
سير لارض بها من ليس يدريني
وذاك حين اريد البر بجفوني
هذا يقول غريب ساقه طمع
اليك عني امالى فبعدك يهـديني
يدنو ومالي حال منه تدني
لولا كما كان ما اعطيت يكفيني
لمن عطاياه بين الكاف والنون

رثاء الشيخ الباوندي

في شهر شعبان من العام الماضي ١٣٥٩ انتقل الى عفو الله وسعة رحمته المرشد الواعظ الشيخ عبد العزيز الباوندي فكان لفقده رنة اسف عمت سائر الطبقات لما جبل عليه الفقيه من الصفات المرضية وما قام من الاصلاح في كثير من الميادين فقد احيا رحمه الله سنة تلقين القرآن بطريقة الاملاء واسس دروس الاملاءات في كثير من مساجد الحاضرة حتى اصبح كل حي في احد مساجده تقام الاملاء بين العشاءين بما يفوق العدد ثم ولى وجهته نحو بلدان المملكة فاسس في كل بلد زارة املاء واقام الاحتفالات لهذا الغرض الشريف يحضرها كافة الطبقات فيعظ الحاضرين ويذكرهم بما يلين القلوب ويرغبهم في الاقبال على القرآن والاهتمام بتعاليمه والبعد عن مواطن الفساد وقد اخذ بيده رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه وقاموا بتعليم الناس القرآن الكريم كما اسس دروس الوعظ في الجهات التي بها من آتئنه منه المقدرة على ذلك في الحاضرة وبلدان المملكة فكان لعمله هذا عظيم الاثر من غير ضوضاء ولا قال ولا قيل وبذل في سبيل غرضه الشريف كل رخيص ونفيس جاعلا رائدة الدعوة الى ما فيه الاصلاح وقد يسر الله له في بضع سنوات تعميم هذا المشروع العظيم في غالب جهات المملكة ولم يبق له الا جهة قابس وما حولها وقد عاجلته المنية قبل ان يتم زيارة تلك الجهات . وقد تعرف في زيارته لبلدان المملكة بافضل الرجال فشدوا ازره ونشروا بين الناس الفضيلة ونهوا عن المنكر بما خلد له ولهم مبرات حسان كتبت لهم على صفحات التاريخ الحديث جزاهم الله عن المسلمين احسن الجزاء

ومن علامات القبول وصدق نية الفقيه ان بقيت آتساره الاصلاحية بعد وفاته كما هي عليه في حال حياته في الحاضرة وكثير من بلدان المملكة وقد قام مقامه في تونس اخوه الشيخ علي الباوندي يعاضده رجال جلة ممن كانوا في حياة الفقيه عضده الايمان في القيام بالمشروع من تلامذته وغيرهم ببارك الله في الخلف ورحم السلف . هذا وقد رثاه رحمه الله كثير من الشعراء يوم وري على جثمانه التراب وبعده بقصائد رائعة ناطقة بمزايا الشيخ ومناقبه الجميلة وقد واقفنا هذه المرثية من بنات افكار الفاضل الزكي الشيخ العروسي العبادي المدرس بنقطة ونصها :

الله اكبر كل حي فان قد مات حامل راية القرآن
هل في الخطوب وأن تغاقم شرها خطب يشيب نواصي الولدان

ام هل ترى رزه بحر لبيبه يصلى القلوب كمضرم النيران
وهل انبرت يوما بتونس نكبة والمسلمين بسائر البلدان
كمصائبهم بممات واعظ جمعهم ومؤسس الاملاء للفرقان

مات الامام بعلمه وبهديه مات الملاذ وعمدة الحيران
مات المبرز في العدالة والتقوى مات النصير لاشرف الاديان
مات العفيف بزهده وبحلمه مات الجريء على ذوي الطغيان
مات الكريم ببره وصلاته كاسي العروة ومشبع الغرثان
عبد العزيز ومن كمثل ذلك الـ غد البوندي ماله من ثمان
المغضب الشيطان منذ شبابه والمستحق مبرة الرحمان
من عاش طول حياته وقفا على بر الورى والنصح للاخوان
لا يتغنى بفعاله مهما سميت ثمنا ولا شكران من انسان
حقا غدت حركاته وسكونه لله لا للاصفر الرنمان
قد كان نورا في العوالم ساطعا واليوم في لحد وفي اكفان

يا من نوى في كل قلب حبه وسرى الثناء عليه في الاكوان
هذيا الايالة طفت في ارجائها تدعو الى المولى بكل لسان
است املاء الكتاب بها على اسس كمثل دعائم الاركان
والسنة الغراء قمت ببعثها احييتها في افسد الازمان
وابنت منها للتصوف منهجا لم تخطه في السر والاعلان
وزجرت من بهوى الرذيلة فاتتهى واخذت عنه اغلظ الايمان
وحججت كل معاند جادته وخصمته بمؤيد البرهان
والملاحدين كشفت عن سواتهم فشفيتهم من علة الخذلان
ودهبت في هذا الطريق مجاهدا لم تخش غير الله من سلطان
لم تنشن اذ هددوك بشرهم ووقفت منهم موقف الشجعان
تبكي المساجد والمدارس والمصا حف والمعاهد شيخها الرباني
تبكي بكاء الثاكلات لفقده وتود اسعافا من الخلان
وا رحمة للبر بعدك والتقوى وارحمة للسدين والعرفان

**

مباشرت لن انسى زيارتكم لنا
نادى المنادي معلما بقدمكم
واكتض منهم جامع برحابه
فطلعت بعد العيد مثل هلاله
بل طود علم جل ناقله لنا
ذكرتنا اخلاق اجداد لنا
وجلت تشر واعظا ما شئت من
ودهبت تسبح في بحار جمه
فالشرح للآيات جاء مدققا
ابكيهم حتى سمعت نشيجهم
ثم انشيت مبشرا من يهتدي
وبذرت فينا بذرة ميمونة
وتركتهم بعد الرحيل بحسرة
كل يعلى نفسه برجوعكم
لكن اتى سيف المنون بضربة

**

نزل القضاء فهل لنا من حيلة
ناداك ربك والجزاء مهياً
واعلم بان الدهر ليس بقادر
فالله يطر روحكم وضر يحكم
وينيلكم خير العطاء بفضلته
ويحللكم اعلى الجنان مخلدا
ويعوض الاسلام بعدك مصلحا

العروسي العبادي

المجلة السنوية

مجلة علمية أدبية اخلاقية
تصديدها المصنفون من علماء السنن والسير والادب والعلوم
شهرية وستبعا عشرة اشهر

الجزء التاسع | تونس في جمادى الاولى ١٣٦٠ وفي جوان ١٩٤١ | المجلد الرابع

رئيس قلم التحرير

محمد المختار بن ميمون

المفتي الحنفي

بالديار التونسية

صاحب المجلة والمدير

ميراث اولي بن القاسم

المدرس من الطبقة الاولى بجمع الزيتونة

والخطيب الاول بجامع حمود باشا

المراسلات:

تورد باسم مدير مجلة بمحل الادارة

الادارة:

نهج الباشا رقم ٣٣ بتونس - تليفون ٤٩-٦١

حساب جاري باقارة البريد رقم ٢٢٢-

تتمس الجزء ثلاثة فرناكات

صفحة	المقال	صاحبه
٤٥٧	في تحديد نهاية المهر والشوار	امر محلي لسيدنا ومولانا احمد باشا بالي صاحب المملكة التونسية
٤٥٨	مشكلة الزواج الكبرى	محمد الحثاني بن محمود رئيس قلم التحرير
٢٦٢	الآيات ٧-٦٥ من سورة (المؤمنون) .	محمد الشاذلي بن القاضي مدير المجلة
٢٦٧	خاتم النبيين	العلامة التحرير صاحب الفضيلة الشيخ سيدي محمد البشير النيفر المفتي المالكي
٢٧٢	المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده	محمد الهادي ابن القاضي امين . مال المجلة
٢٧١	صورة الضمير	المجلة
٢٧٤	رسالة - في تطبيق النظر الشرعي على ما جرى به الترتيب الدولي	المنعم البرور الشيخ احمد كريمة شيخ الاسلام سابقا العلامة التحرير الشيخ سيدي الناصر الصدام المدرس من الطبقة الاولى بجامع الزيتونة
٢٨٣	رجال الاربعين اصحاب الامام الشاذلي .	العالم المؤرخ امير الامراء سيدي محمد بن الحوجه مستشار الحكومة التونسية
٢٨٧	قطعة من ديوان	الشيخ الورغي

الاشتراك

عن سنة بالحاضرة وبلدان المملكة والجزائر والمغرب	ومولات الاشتراك لا تعتبر الا اذا كانت
الاقصى وسوربا فرنكات	معضاة من امين المال
في الخارج غير البلاد المذكورة فرنكات ٤٠	محمد الهادي بن القايني
مجلد المجلة عشرة اعداد في السنة	والمخاضرات المسالية تكون معه
الادارة نهج الباشا رقم ٣٣ - تونس	

المجلة الشهرية للبنوة

مجلة علمية أدبية أخلاقية
تصدرها المجلة الشهرية للبنوة

شهرية وستة عشر لا شهر

الجزء التاسع تونس في جمادى الاولى ١٣٦٠ وفي حوان ١٩٤١ المجلد الرابع

الامر العلي

في تحديد اقصى المهر ونهاية الشوار

من عبد الله سبحانه المتوكل عليه المفوض جميع الاور اليه احمد باشا باي صاحب المملكة التونسية سدد الله تعالى اعماله وبلغه آماله الى من يقف على امرنا هذا من الخاصة والعامة، اما بعد فانه بناء على ما صارت تتكبد العائلات الاسلامية التونسية في مختلف جهات المملكة من المصاريف الثقيلة المجحفة فيما يتعلق بالمهور والتشوير من العوائد التي لا تتوافق مع القواعد الشرعية الاسلامية

وحيث ظهر من المصلحة نلافي هاته الحالة الاجتماعية التي من شانها تعطيل الزواج الذي يتسبب عنه الاضرار بالبيئة الاجتماعية وتقليل النسل والتسبب في تدهور الاخلاق وبناء على ما عارضه وزيرنا الاكبر اصدرنا امرنا هذا بما ياتي :
الفصل الاول - حدد مقدار المهور ومصاريف التشوير بين رعايانا المسلمين على حسب ما ياتي :

الفصل الثاني - لا يمكن بحال ان يتجاوز مقدار المهر الثلاثة آلاف فرنك، وللمتعاقدین التقيص من ذلك بحسب التراضي على مقتضى القواعد الشرعية

الفصل الثالث - لا يمكن أن تتجاوز مصاريف التشوير العشرين الف فرنك
الفصل الرابع - من تعمد مخالفة امرنا هذا يحجز عليه ما زاد على ما عين بالفصلين

الثاني والثالث اعلاه ويحال على جمعية الاوقاف لاضافته الى وقف البنات الابكار
الفصل الخامس - وزيرنا الاكبر مكلف بتنفيذ ما تضمنه امرنا هذا

وكتب في ٢٥ ربيع الثاني سنة ١٣٦٠ وفي ٢٢ ماي سنة ١٩٤١

مشكلة الزواج الكبرى

تسبق المملكة التونسية سائر الممالك الاسلامية الى حلها

بفضل جلالته ملكها المعظم ايده الله

بقلم محمد المختار بن محمود رئيس قلم التحرير

ان من اهم المشاكل الاجتماعية التي شغلت الفكر العام في العالم باسره مشكلة الزواج . حيث ظهر من الاحصائيات الرسمية التي اعتنى بجمعها رجال الحل والعقد في سائر الممالك ان نسبة الزواج في العهد الاخير قد نقصت كثيرا عما كانت عليه في العهود السابقة .

ولاشك ان عدم اقبال الناس على الزواج من شأنه ان يفتح باب الشر والفساد على مصراعيه . وان ينشأ عنه تدهور في الاخلاق وقلة في النسل . وضئف عام في جهاز الامة يقضي بها الى التدهور ثم الى الاضمحلال

ولقد ابانت الحوادث التي مرت بالناس في هذه الايام الاخيرة عن ضرورة الاعتناء بتكثير النسل وتوفير عدد افراد الامة . اذ كثرة افراد الامة من اهم مظاهر قوتها . ومن اهم ما يدعو غيرها من الامم الى اكبارها واستجلاب مودتها .

وشريعة الاسلام التي جاءت بارقي الانظمة لاصلاح حالة البشر . قد اهتمت بمسالة الزواج اهتماما كبيرا . حتى ان الزواج في نظر المسلمين يعتبر عبادة كسائر العبادات التي يثاب عليها

فقد اباحت الزواج باربعة . وقررت الثواب على كل عمل صالح يفعله الانسان مع زوجته . وجعلت السهر مع الزوجة لموانستها افضل من التخلي للنوافل . ثم جعلت الزواج اكبر وقاية بقيها الانسان نفسه من الوقوع في المفاسد . حسبما يفصح عن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم (من تزوج فقد ملك نصف دينه فليتق الله في النصف الآخر)

وما ذلك كله الا لما اشتمل عليه الزواج من المحاسن التي تعود على البشر باصلاح الحالة الاجتماعية العامة والحالة الفردية الخاصة . والتي من اهمها مسالة تكثير النسل الذي هو من اعظم مظاهر الامة كما اشرنا اليه انفا

ثم بعد ما قل اقبال الناس على الزواج اهتم المفكرون ورجال الاصلاح في كل امة بالبحث عن سبب ذلك . وذهبوا في تعليله من مذاهب شتى . اختلفت فيها انظارهم حيث بنى كل واحد تعليله على الحلة الخاصة التي تكون عليها الامة التي هو احد افرادها . ولا يخفى ان العلل الاجتماعية تختلف باختلاف الاوساط والعادات

لقد أجمع المفكرون في بلادنا التونسية على ان اهم الاسباب في تعطيل حركة الزواج وقلة الرغبة فيه مسألة المهر والشوار وهو الذي نسميه (بالجهاز)

فقد اخذت مسألة المهر والشوار تتطور شيئا فشيئا حتى صارت مشكلة من ادق المشاكل واخطرها لان الناس — وخصوصا في السنين الاخيرة — قد توسعوا فيهما توسعا كبيرا بصورة افقرت الاغنياء واهلكت الفقراء . فاما المهور فقد تغالى الناس فيها كثيرا وصارت تشتمل على المال النقد وقطع المصوغ والتحف المختلفة وانواع العطورات . بما صير متوسط المهور يتجاوز العشرة الاف فرنك . وكثيرا ما يتجاوز المهر الثلاثين او الاربعين الفا

واما الشوار فامرة في نظري اخطر . وذلك لان الناس قد توسعوا فيه بصورة مزرية فاحست تجاوزت حد المعقول . وصارت العادة فيه تفرض على الناس التكليف بما لا يطاق . والتكليف بما لا يطاق قد اسقطه الله عن عباده فلم يكلفهم به . فجاء الناس لسفه ارائهم وكلفوا انفسهم به . وكادت تقضي هذه الحالة الى ان يعود الناس الى الحياة الجاهلية الاولى من كره البنات وبغضهن . لان كل من يبشر بنت ينتقل من سروره بها الى التفكير في امر زواجها الذي يعلم انه سيكون عبئا ثقيلا عليه . فينقلب سروره حزنا وغما

وذلك ان العادة قد حرت — وخصوصا في العاصمة — بان الزوجة ترفع معها بيت زوجها كل ما يحتاج اليه من اثاث . فترفع من الصوف ما يكفي لتعمير محل زوجها . وترفع كسوة البيت وءالات الطبخ ومواعين الاكل و (بيت النوم) و (بيت الفطور) هذا كله زيادة عن لباسها الخاص بها والذي يكلف والدها عشرات الالاف . حتى ان كسوة العروس التي تلبسها ليلة الزفاف صارت تتكلف باكثر من ستين الف فرنك و احيانا يتكلف الجهاز باكثر من مائة الف فرنك و احيانا يبلغ مائتي الف فرنك والذي زاد المسألة اشكالا هو ان الناس صاروا لا يفهمون نظام الطبقات الذي اشار اليه القراءان بقوله (والله فضل بعضكم على بعض في الرزق) اذ لو اقتصر التوسع على من اتاهم الله بسطة في الحال لكان الامر هينا شيئا ما . لكننا نجد الناس في بلادنا قد ساروا على خلاف ذلك . فالفقراء واهل الطبقة الوسطى قد خرجوا عن طورهم و ابوا التقليد الاغنياء في كل شيء . ويرجع قسط وافر من ذلك الى النساء اللاتي حكمن الرجال في رقابهم . وساروا على امرهن ونهين . ففسدا عن ذلك تحير في الافكار واضطراب عام في الحياة الزوجية . واخلال بالطبيعة البشرية التي لا يمكن ان تغالب

ولاشك ان هذا التوسع في الشوار قد افضى الى تعطيل المحكمة من مشروعية المهر . لان فرض المهر على الزوج لزوجته مظهر من مظاهر كون الرجال قوامين على النساء . فاذا صارت المرأة هي التي تعمر بيت زوجها . وهي التي تاتي بكل شيء يحتاجه . فقد انقلبت الآية وصار النساء قوامات على الرجال . وذلك امر مخالف لطبيعة العمران ونظام الاجتماع

وكنا نتقدم على اليهود بان عاداتهم في الزواج سيئة لانهم يفرضون على الزوجة ان تعطي لزوجها المهر وهو الذي يسمونه (الدوتة) وذلك الامر لا يليق لان المرأة ضعيفة فقيرة فليس من اللائق ان يفرض عليها شيء تعطيه لزوجها . فاذا بنا نقاب الى حالة اشنع من حالتهم من حيث لا نشعر وذلك بالتوسع في الشوار على الصفة التي وصفناها

ولما ظهر خطر هذا الامر في بلادنا اهتم المفكرون من الخطباء والكتّاب والمرشدين بمقاومته وحرصوا الناس كثيرا على مقاومة هذه العادة والقضاء عليها . لانها افسدت نظام المجتمع . وعطلت امر الزواج . وافضت الى اخلال كثيرة لا حد لها . وكمن خطب القيت . وكمن نصائح اسديت . وكمن مقالات حررت . فذهبت كلها ادراج الرياح . لم تجد لها سميعا ولا مطيعا . ولما عيت الحيلة وضاع الرشاد . ولم يقع الارشاد . راي الناس ان هذه المشكلة لا يمكن حلها الا بصورة جبرية . يتقدم بها الاختيار . ويقضى بها على سوء التصرف الذي فشى امره حتى صار لا يطاق

وطالما تمنى الناس ان لو وقع اصدار قانون دولي يحدد مقدار المهر والشوار بصورة جبرية . ولكن تمنياتهم لم تحض بالقبول . وكلما لاح لهم بارق لتحقيق تمنياتهم يعتريه اقول . فذهب الآمال ادراج الرياح . وتبقى المشكلة على حالها لا يرحى ليلاها اصباح

ثم لما اذن الله لهذه المشكلة بان تنحل . وان يصلح لهذه الامة بعض ما اضطرب من شؤونهم واحتل . لهم صاحب المبرات والخيرات ومصدر الكمالات والاعمال الصالحات . الساعي في ان يجلب الى رعيته كل خير عميم . والذي اظهر من مواقفه الكثيرة انه يحنو عليها حنو المرضعات على الفطيم الملك الذي سارت بذكره الركبان . وتلا لا تاج ملكه على سائر التيجان . سيدنا ومولانا احمد باشا باي الثاني . صاحب المملكة التونسية بارك الله لنا في عمره السعيد . وجعل التوفيق مقارنا له في كل ما يبدي او يعيد . حيث اصدر امرة المطاع بتحديد مقدار المهر والشوار . بصورة لا اجحاف فيها . ولا اعتراض يرد عليها

وقد نشرنا نص الامر في صدر هذا العدد تبجيلا لهذه المبرة التي ادخرها الله لهذا الملك الصالح المصلح ابقاء الله . وبالتامل من هذا الامر العلي نجدة قد اشتمل على مقدمة وخمسة فصول

ففي مقدمته اشير الى السبب الداعي لاصداره : وهو (ما صارت تتكبد العائلات الاسلامية التونسية في مختلف جهات المملكة من المصاييف الثقيلة المجحفة فيما يتعلق بالهور والتشوير من العوائد

التي تتوافق مع القواعد الشرعية الاسلامية . وانه قد ظهر من المصلحة تلافي هذه الحالة التي من شأنها تعطيل الزواج الذي يتسبب عنه الاضرار بالهيئة الاجتماعية وتقليل النسل والتسبب في تدهور الاخلاق)
واما فصول الامر فقد تضمنت تحديد اقصى المهر بثلاثة الاف فرنك . واقصى مصاريف الشوار بعشرين الف فرنك وتضمنت تقرير عقوبة لمن يخالف ذلك وهي عقوبة سهلة التنفيذ معقولة المعنى .
وذلك بان يحجز ما زاد على هذا المقدار المعين ويحال على جمعية الاوقاف لاضافته الى وقف الابكار .
واخيرا فقد عهد جلالة الملك الى جناب وزيره الاكبر تنفيذ ما تضمنه هذا الامر

وبهذا الامر العلي قد انحلت بحول الله مشكلة الزواج . وصار امرها سهلا لا عنت فيه .
وتحققت للناس امنية طالما صبت اليها نفوسهم . وتمنوا تحقيقها فلم يسمع لهم نداء
ولكننا نلاحظ ان هذا الامر لا ياتي بالفرض المقصود منه الا بشرطين :

الشرط الاول - ان يعزم الناس على العمل بمقتضاة سرا وعلائية بحيث لا يرتكبون الحيل لمخالفة هذا الامر . يل يحرصون على تنفيذ حرسا تاما . ولا يتظاهرون الانسان بعدم مخالفة الامر .
ثم يعمل في الباطن بخلافه . بان يزيد الزوج في المهر سرا او يزيد والد الزوجة في شوار ابنته على المقدار المحدد . ويرسل الزايد لدار الزوجة بصورة سرية . فعند ذلك تضيق فائدة هذا الامر وتبقى المشكلة كما كانت عليه

والشرط الثاني - ان يتخذ جناب المولى الوزير الاكبر الذي عهد اليه جلالة الملك بتنفيذ امره جميع الوسائل الصارمة للضرب على يد كل من يسعى للاخلال بهذا الامر بصفة سرية . مهما كانت صفته ومهما ارتفع شأنه . فما اخل بسائر القوانين والتراتب والانظمة الا المحاباة في معاملة الناس .
والتفريق بينهم فيما يكونوا فيه سواسية

وهنا امر يجب التنبيه اليه . وهو ان طاعة الامير واجبة فيما يأمر به مما فيه خير لامة واصلاح لحالها وهكذا الامراء فانهم لا يأمرون الا بما يعود بالصالح العام على رعاياهم . وبما ان هذا الامر صلاح كله وقد صدر به امر الامير . فما على الناس الا اتباعه

فاذا امتثل الناس لهذا الامر سرا وعلائية . وقامت السلطة على تنفيذ بغاية الضبط والصرامة .
انحلت بحول الله مشكلة الزواج . وتسجلت بذلك للبلاد التونسية . مفخرة سبقت بها سائر الممالك الاسلامية . بفضل جلالة ملكها ابقاه الله . وادام عزه وعلاه . واطال في عمره حتى يرى في رعيته وبلادة خير ما يؤمله ويرجوه . وجعل له من عمله الصالح ذخرا يلقاه يوم تبيض وجوه وتسود وجوه

القرآن الكريم

سورة المؤمنون بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير قول الله تعالى : وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ فَمَنْ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ

بقلم محمد الشاذلي ابن القاضي مدير المجلة

قد تعرضنا في تفسير فاتحة هذه السورة الى ان الله تعالى وصف اهل الفلاح المؤمنين بست صفات وبسطنا القول في ثلاث منها وهي المذكورة في قوله عز وجل (قد افلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون) وهي اولها ، والذين هم عن اللغو معرضون ، وهي الثانية ، والذين هم للزكاة فاعلون وهي الصفة الثالثة

وها انا اليوم اذكر ما يتعلق برابع تلكم الصفات وتفسير الآية الدالة عليها فاقول مستمينا من له القوة والحول قال تعالى (والذين هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم او ما ملكت ايماهم فانهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون) هذه الآية معطوفة على سابقتها ، متضمنة للصفة الرابعة . والفروج جمع فرج وهو العورة يشمل سوات الرجل والمرأة واللام دخلت عليه للتقوية والحافظون جمع حافظ وهو الساتر الصائن فالحافظون لفروجهم هم الساترون الصائون لعوراتهم المتعففون لا يرومون محارم الله ولا يعتدون ولا يباشرون الا ازواجهم على الوجه الذي شرعه الله ولا ما ملكت ايماهم من الاماء

والازواج جمع زوج وهو يطلق على البعل كما يطلق على المرأة قال تعالى اسكن انت وزوجك الجنة خطابا لآدم عليه السلام ويقال لها زوجة ايضا

وقوله الاعلى أزواجهم أو ما ملكت ايمانهم استثناء مما قبله . وعدي حافظون بعلى قال القراء فهي بمعنى من وارتضاة ابن مالك وجماعة من المفسرين وهذا استعمال شائع كاستعمال من بمعنى على قال تعالى ونصرناه من القوم اي على القوم . واختار ابو حيان في البحر المحيط ان يكون من باب التضمن ضمن حافظون معنى ممسكون او قاصرون وكلاهما يتعدى بعلى . وذكر صاحب الكشف ثلاثة اوجه - احدها انه في موضع الحال اي حافظون لفروجهم في جميع الاحوال الا في حال كونهم قوامين على أزواجهم . ثانيا ان على متعلق بمحذوف يدل عليه غير ملومين بعد . اي يلامون الا على أزواجهم واليه مال الزجاج . الثالث ان على صلة لقوله لحافظون على تضمينه معنى النبي من قولك احفظ على عنان فرسي فيكون حافظون جاء على صورة المثبت وهو من حيث المعنى منفي . والمعنى على هذا والذين هم لم يحفظوا لفروجهم لا يبذلون الاعلى أزواجهم وعليه فيكون الاستثناء مفرغا . وظاهر كلام المفسرين ان المراد بالازواج خصوص النساء والذين هم لفروجهم حافظون الرجال خاصة وبذلك صرح البغوي حيث قال : والآية في الرجال خاصة . قال ابن العربي : من غريب القراء ان هؤلاء في الآيات العشر هي عامة في الرجال والنساء كسائر الفاظ القراء ان التي هي محتملة لهم فانها عامة بينهم الا قوله والذين هم لفروجهم حافظون فانه خطاب للرجال خاصة دون النساء بدليل قوله : الاعلى أزواجهم او ما ملكت ايمانهم ولا اباحة بين النساء وبين ملك اليمين في الفروج . فمفاده ان المرأة لما لم يحل لها الاستمتاع بما كان ملك يمينها كما علم من ادلته كان ذلك قرينة دالة على تخصيص الآية بخصوص الرجال واما المرأة فلم تتعرض لها الآية وعلم وجوب حفظ المرأة فرجها من ادلة اخرى كآيات الاحصان .

قلت بقي ان الآية وان دلت على وجوب حفظ الفرج الا انها مساقاة لبيان المقام الاسمي الذي يناله من كانت هذه صفته فاذا قلنا بقصرها على الرجال دون النساء يكن قد فاتت هذه المزية والفضيلة . وقد بينا عند الكلام على صدر الآيات انها جاءت في معرض البشارة للمؤمنين . والمؤمنون هو وصف عام يشمل الذكور والاناث

ولماذا لا يقال ان اسم الموصول واقع على العموم فيكون شاملا للذكور والاناث . وهو المناسب في هذا المقام وكونه لجماعة الذكور لا يتعين قرينة لاني اقول انه جاء بالانذار على طريقة التغليب وتغليب المذكر شائع في الاستعمال العربي بل هو المتعين في مقام التعميم بلاغة . واما قوله او ما ملكت ايمانهم فهو خاص بالذكور لانه من حقهم دون الاناث وقد علم ذلك من دليل خارجي وعليه فمرجع الضمير جماعة من افراد العام على حد قولك اكرم القوم وزوجهم بنساء صالحات وفي القوم

رجال ونساء فان الكل يستحق الاكرام ثم ان الرجال منهم يستحقون التزويج ببناء صالحات فيكون المعنى وزوج الرجال منهم

وهذا الوجه هو المناسب للآيات السابقة واللاحقة ليكون اسم الموصول في جميعها عاما واقعا على المذكر والمؤنث . وصفة الفلاح تثبت لكل من تحلى بشكلم الصفات لا فرق بين الرجل والمرأة .

ثم وقفت على كلام الامام الحصاص فالفتية يؤيد ما ذهب اليه من حمل الآية على العموم فيما يصح فيه العموم حيث قال : يجوز ان يكون المراد عاما في الرجال والنساء لان المذكر والمؤنث اذا اجتمعا غلب المذكر ومن الناس من يقول انه خاص في الرجال بدلالة قوله الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم وذلك لا محالة اريد به الرجال وليس بمتنع ان يكون اللفظ الاول عاما في الجميع والاستثناء خاص في الرجال كقوله تعالى (ووصينا الانسان بوالديه حسنا) ثم قال وان جاهدك لا تشرك بي فالاول عموم في الجميع والعطف في بعض ما انتظمه اللفظ

قلت واذا صح التخصيص بالبعض يقتصر فيه على ما قام الدليل على عدم ارادته وهو في الآية (ما ملكت ايمانهم) والله اعلم بمراده

وجاء في التعبير بما دون من في قوله او ما ملكت ايمانهم لا اتصاله بالملك فروعي جانبه الذي هو من صفات غير العقال كما هو الشأن . وان كانت ما تقع على العاقل ايضا .

وقوله فانهم غير ملومين الفاء للتعليل لما افاده الاستثناء وعليه يكون المعنى لا يحفظون فروجهم على ازواجهم لانهم غير ملومين او في جواب شرط مقدر اي فان بذلوا فروجهم لازواجهم او امائهم فانهم غير ملومين على ذلك والضمير راجع للحافظين فروجهم او لما دل عليه الاستثناء والمعنى فان بذلوا لازواجهم او ما ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين . واللوم العذل . فلا عذل ولا حرج على من باشر الازواج او على من وطأ جاريته . وهذا تصريح بما علم التزاما . اذ الاستثناء يدل عليه . وفيه التعريض بمن لم يحفظ فرجه . واذا كان القربان لا لوم عليه فعدم المؤاخذه يعلم بطريق الاولى في احكام الدنيا وفي الآخرة . وانما لا يلام ولا يؤاخذ فيهما اذا كان على وجه أذن فيه الشارع . دون الاتيان في غير المكان المشروع . وفي حال الحيض والنفس . فانه دلت النصوص الشرعية على انه محظور . وهو على فعله مؤاخذ ملوم .

وقوله فمن ابتغي وراء ذلك فاولئك هم العادون .:

الفاء تفريعية فيتفرع عن الحكم المتقدم ان من ابتغى يكون متعديا . والبغي هو مجاوزة الحد المفروض المقدر وراء ذلك بمعنى سوى ذلك والمشار اليه هو الحد المذكور قبل وهم الازواج والاماء . والعادون جمع عاد وهو الظالم والاتيان باسم الاشارة وتوسط الضمير وتعريف العادون يشير الى ان العدوان والظلم تناهى فيهم وكمل وتضخم والمعنى فمن بغى وتجاوز المقدار الى ما سوى

الازواج والاماء فاولئك هم الكاملون في العدوان المتناهون في الظلم . فالآية تشير الى تحريم الاستمتاع بغير azواج والاماء، والذي يظهر انها لا تسدل على حكم المتعة لا بالحلية ولا بالحرمة فلا يسلم من اتخذها دليلا على اباحتها اعتبارا بعموم لفظ azواج . ولا بتحريمها اعتبارا انها لا يسميان زوجين لانها لا توارث بينهما .

وانما علم حرمة المتعة من ادلة اخرى سوى الآية ففي الصحيحين ان النبي صلى الله عليه وسلم حرم المتعة يوم خيبر . وفي مسلم انه حررها يوم الفتح . وقال ابن الهمام يمكن الجمع بين الحديثين بان التحريم وقع مرتين

قلت في الجمع ان النصريح بالحرمة وقع مرتين فالثانية ليست انشاء بل اخبار تكرر فجاءت الرواية على صورة الاختلاف في زمان التحريم وفي الواقع لا اختلاف .

وحيث ان الآية وصفت من ابتغى وراء azواج والاماء بالظلم المستحق صاحبه المؤاخذة أحيانا ان نام ببعض ما يتعلق بالزواج المفضي لاباحة استمتاع الزوج بزوجه واستمتاعها هي بعلها تاركا الكلام على التسري لانه لا طائل تحته في هذا الزمان الذي انعدم فيه ملك اليمين فاقول :

قد وضعت الشريعة النكاح على اساس متين رعاية لمصالح الزوجين اللذين منهما تتكون الاسرة . ومنهما يكون النسل ويبقى العمران على الوجه الاكمل الى ما شاء ربك واليه الامر كله وهو احكم الحاكمين . (ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون) فاعظم بها من منة امتن الله بها على العالمين فجعل بين الزوجين مودة ورحمة وبلغت هذه المودة الى اقصى حد بتقدير العزيز الحكيم وجعل كلام الزوجين لباسا للآخر (هن لباس لكم وانتم لباس لهن) فالزوج يسكن الى زوجته وهي تسكن الى بعلها كما جعل لكم الليل لباسا . بمعنى تسكنون فيه

وقد رغبت الشريعة في الزواج اشد ترغيب . وملاحظة إكثار سواد الامة معتبرة . ففي الحديث تزوجوا تناسلوا . فاني مباهي بكم الامم يوم القيامة . واذا كان التباهي يقع يوم القيامة فهو يقع في الدنيا ايضا وتترتب على كثرة سواد الامة مصالح وأي مصالح

وقد جاء الامر بالزواج في القرءان ايضا ووضع حدا في عدد الزوجات وقيد اباحة التعدد بالعدل بين الزوجات . قال تعالى : فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع . فان حقتم الا تعدلوا فواحدة او ما ملكت ايمانكم ذلك ادنى الا تعدلوا (فاباحة ما فوق الواحدة من النساء مراعى فيه امرين حاجة طبيعة قسم من بني الانسان التي دل الواقع على انها في كثير من الاحيان لا يكتفي بالواحدة وكثرة النسل الذي هو مقصد من مقاصد الشريعة كما اسلفنا . لكن ذلك مقيد بعدم خوف الجور . الذي هو مفسدة تربوا على تينك المصلحتين في نظر الشارع وليس تعدد الزوجات من شعار الاسلام بل هو من المباحات التي يرجع امره الى المكاف . ان شاء ترك وان شاء فعل ما لم يتعد حدود الله

وقد حذرت الشريعة الارتباط برابطة الزوجية مع بعض اصناف بينهما قرابة او رضاع او مصاهرة قال تعالى : حرمت عليكم امهاتكم وبناتكم واخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الاخ وبنات الاخت وامهاتكم الا اني ارضعكم واخواتكم من الرضاعة وامهات نسائكم وربائكم الا اني في حجبكم من نسائكم الا اني دخلتم بهن ، فان لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم . وحلائل ابنائكم الذين من اصلابكم . وأن تجمعوا بين الاختين الا ما قد سلف إن الله كان غفورا رحيما والمحصات من النساء الا ما ملكت أيمانكم كتاب الله عليكم (وقال ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء الا ما قد سلف انه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا) كما حرم تزوج المسلم بالمشركة او المشرک بالمسلمة (قال تعالى : ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن الى ان قال : ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا)

وبينت السنة حرمة الجمع بين المرأة وعمتها او خالتها وحرمت من الرضاع ما يحرم من النسب فهذه ثمانية عشر صنفا لا يحل نكاحها ، ولا تكون زوجة شرعية فيشملها عموم قوله تعالى (فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون)

وبينت السنة ان الزواج الشرعي هو الذي يرتب على عقد النكاح الشرعي الذي بينه الشارع وفرض القراء المهر على الزوج للمرأة تستحقه بعقد النكاح قال تعالى : (واحل لكم ما وراء ذلك ان تبغوا باموالكم محصنين غير مسافحين فما استعتم به منهن فآتوهن اجورهن فريضة) فاعتبر الشرع المهر فريضة على الزوج يجب عليه ان يؤدي الفرض الذي عليه لزوجه التي احل الله الاستماع بها ولما كانت المودة لا تحصل بين الزوجين الا بحسن المعاشرة نرى ان الشريعة قد اهتمت بهذا الامر اعظم اهتمام قال تعالى خطابا للازواج (فان اطعنكم - اي الزوجات - وقال تعالى : فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة . وان تصلحوا وتتقوا فان الله كان غفورا رحيما) وابلغ آية دلت على اقامة الحقوق بين الزوجين كما دلت على التسوية في حقوق الزوجية التي هي من مقاصد الشريعة هي قوله تعالى (ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف) . فهي قد جمعت على ايجازها كل الحقوق وسوت فيها الزوج بالزوجة الا امرا واحدا وهو قوله تعالى : (وللرجال عليهن درجة) . وجاء تفسير هذه الدرجة بقوله تعالى (الرجال قوامون على النساء) فالآية قاعدة كلية ناطقة بمساوات المرأة للرجل في حقوق الزوجية فالرجل اوجب عليه الشريعة ان يعاشر زوجته بالمعروف الذي جاء به الشرع والزوجة اوجب عليها مثل ذلك . وهذه الدرجة التي رفع الشارع اليها المرأة لم يرفعها اليها دين سابق . ولا قانون لاحق وقد جهل المسلمون اليوم احكام الاسلام فبغى بعضهم على بعض بغير حق . وكانوا ظاهرة سوء في عين الناس فنسبوا ما هم عليه من النقيصة الى انه من آثار الدين . والدين براء من سوء ما عليه الناس لو كانوا يعقلون .

في المسائل الشرعية

الحديث الشريف

خاتم النبيين

(٣)

بقلم صاحب الفضيلة الاستاذ الكبير الشيخ
سيدي محمد البشير النيفر المفتي المالكي

واما ما بقي من النبوة بعد نبينا صلى الله عليه وسلم ففي الموطن من طريق عطاء بن يسار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لن يبقى بعدي من النبوة الا المبشرات قبل وما المبشرات يا رسول الله قال الرؤيا الصالحة يراها الرجل الصالح او ترى له جزء من ستة واربعين جزء من النبوة والمبشرات من مادة البشر وهو ادخال الفرح والسرور على الم بشر - بفتح الشين - وذلك ان الرؤيا الصالحة تدخل السرور على الرجل الصالح بما تنبئه به مما يهيم في امره وقد اضطربت روايات الحديث ففي بعضها ستة واربعون وفي بعضها خمسة واربعون وفي بعضها سبعون وكلها في صحيح مسلم . وفي بعضها ثمانية وعشرون وقد احصاها كثير من شراح الصحيحين واختلفوا في معناها ووجوه الجمع بينها

وحاصل ما في المقام ان رواية الستة والاربعين هي التي وقعت في الموطن من طريق انس بن مالك وابي هريرة وعطاء بن يسار وهي التي جاءت في اكثر الاحاديث ووقعت في صحيح البخاري من طريق أنس وابي هريرة وابي سعيد الخدري

وقال الامام المازري ان رواية الستة والاربعين هي الاصح عند المحققين من المحدثين . ولكن قد علمت ان روايتي الخمسة والاربعين والسبعين وقعتا في صحيح مسلم كما وقعت فيه رواية الستة والاربعين فاعلم هذه الروايات الثلاث هي اصح هذه الروايات على الاطلاق ثم اصح هذه الثلاث رواية الستة والاربعين كما قال المازري فينبغي ان تكون هذه الثلاث هي موضوع البحث والتأمل

اما كونها شعبة من شعب النبوة فللنبوة شؤون مختلفة منها الاطلاع على بعض المغيبات والظاهر ان الصلة بين النبوة والرؤيا الصادقة من هذه الجهة

وأما التجزئة الواقعة في الحديث فللعلماء في سرها طرق تقتصر في هذا المقام على أقربها مع ما يسر الله في التعليق عليها

قال الامام المازري رحمه الله تقلا عن بعضهم : خص النبي صلى الله عليه وسلم بان جعلت له طرق الى العلم منها الرؤيا ونسبة الرؤيا اليها انها جزء من ستة واربعين ولا يلزم بيان هذه الاجزاء والعلماء لم يصلوا الى كل شيء جملة وتفصيلا بل قد يعلمون الشيء بصورة جملة ومنه هذا وقد نحا هذا المنحى القرطبي وعلى هذه الطريقة القاضي ابوبكر بن العربي ايضا وصرح بان تفصيل السنة يختص بمعرفة اهل درجة النبوة

وقال الامام الغزالي : النبي يختص بانواع من الخواص منها الصفة التي يدرك بها ما سيكون في الغيب ، ولصفاته وكالاته اقسام ويمكن تكلف القسمة الى ستة واربعين وتكون الرؤيا جزء منها ولكن تعين طريق واحد للقسمة لا يمكن الا بظن

وقال القاضي ابو الوليد الباجي تقلا عن جماعة من العلماء : معنى هذا ان مدة نبوة النبي صلى الله عليه وسلم كانت ثلاثا وعشرين سنة منها ستة اشهر نبوة بالرؤيا ونسبة ستة اشهر من ثلاث وعشرين سنة جزء من ستة واربعين جزء ، قال ابن القيم في مدارج السالكين ولقد احسن لولا ما جاء في الرواية الاخرى الصحيحة انها جزء من سبعين جزء

وتقول رواية الستة والاربعين هي اصح الروايات كما علمت وناهيك برواية تقع في الموطا من ثلاث طرق وفي البخاري من ثلاث طرق ايضا في التي ينبغي ان تجعل اصلا ويرد غيرها اليها ويمكن حمل رواية السبعين على الكثرة ورواية الخمسة والاربعين على ان يكون ضمن هذه الاجزاء ستة اشهر غير كاملة فاعتبرت مرة والغيت اخرى

هذا وما قلناه عن الباجي مبني على ان المراد من النبوة نبوة النبي صلى الله عليه وسلم خاصة وعليه انبي كلام كثير من العلماء غيره ، وحمل النبوة على نبوته صلى الله عليه وسلم دون جنس النبوة لا دليل عليه وغايته انه احتمال في الحديث لا يزيد على احتمال ان المراد منها الجنس وعليه فتعيين الاجزاء تفصيلا نقوض الامر فيه الى الله تعالى « وما أوتيتم من العلم الا قليلا »

وقوله في الحديث : (مثلي ومثل الانبياء كرجل بني دارا) المثل بالتحريك والتسكين والمثل واحد ومعناه الشبه والمتماثلان المتشابهان هكذا قال اهل اللغة وهو من مثل الشيء مثولا اذا انتصب بارزا فهو مائل ومثل الشيء « بالتحريك » صفته التي توضحه وتكشف عن حقيقته او ما يراد ببيانه من نعوته واحواله ويكون حقيقة ومجازا

وهذا المثل البالغ ضربه النبي صلى الله عليه وسلم لا كمال الله التشريع به ، وذلك ان الانبياء عليهم الصلاة والسلام انزل الله عليهم شرائع كافية وافية حسنة جميلة وهو معنى قوله صلى الله عليه وسلم

كرجل بنى دارا فاحسنها واكملها ، وقوله فجعل الناس يدخلونها ويتعجبون (وفي رواية مسلم) كمثل رجل بنى بنيانا فاحسنه واجمله فجعل الناس يطيفون به يقولون ما راينا بنيانا احسن من هذا) ثم اكمل الله التشريع بنبيه صلى الله عليه وسلم ولولا هذا الاكمال لما بلغ التشريع الغاية وهو معنى قوله في الحديث (الا موضع لبنة وقوله) فانا اللبنة وانا خاتم النبیین

واللبنة بفتح اللام وكسر الباء وبكسر اللام وسكون الباء هي التي يبنى بها من الطين قال ابن العربي وقدر النبي صلى الله عليه وسلم اعظم من لبنة في حائط واستظهر ان هذه اللبنة هي الاساس ولولاها لا نهدم البناء . وبحوث فيه الابي بان وضع اللبنة في محلها مكمل للحسن بدليل قوله : ويعجزهم البناء لا يحصل له واجاب بان ذكر البناء واللبنة على سبيل التقريب

ومما يقضي بعدم ما قاله ابن العربي ما جاء في حديث الباب : الا موضع لبنة من زاوية وما قاله الابي من ان ذكر البناء واللبنة تقريب لمعهم سبقه اليه المازري وقد ضرب الله مثلا لنورة بمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كانها كوكب دري وقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار وقوله (لولا موضع اللبنة) يحتمل ان تكون لولا فيه للتضيض ويقر به رواية لولا وضعت هذه اللبنة ويحتمل على بعد ان تكون لولا شرطية حذف جوابها

وهذا التمثيل لا يفهمه حق فهمه الا من اطلع على التشريع المحمدي وما تقدم من التشريع ووازن بينهما . ونعني من التشريع القديم ما ثبت عندنا من طريقه الصحيح كتاب الله او سنة رسوله صلى الله عليه وسلم ولم اقف لشراح الحديث على ما يكشف اللثام عنه ، ورايت للقاضي ابي بكر بن العربي في تفسير قوله تعالى من سورة الشورى : شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا الآبة . كلمة يصلح ان تكون اساسا نقيم عليه ما نقوله في شرح الحديث

وحاصلها ان الشرائع تتحد في التوحيد والصلاة والزكاة والصوم والحج والتقرب الى الله تعالى بالعمل الصالح والحمل على الاخلاق الفاضلة كالصدق والوفاء وفي تحريم الكفر والقتل واذاية الخلق وما يعود الى خرم المروءة وتختلف وراء هذا في معان طبق ما تقتضيه المصلحة وحكمة الله على حسب تجدد الازمنة

وما ذكره القاضي يحتاج الى الشرح . وذلك ان الصلاة والزكاة والصوم والحج والتقرب الى الله بالعمل الصالح ونحو هذا مما اتحدت الشرائع في جملة لا في تفصيله فالصلاة والزكاة والصوم والحج شرعت لمن قبلنا كما قال تعالى : واوحينا اليهم فعل الخيرات واقام الصلوة وايتاء الزكاة وقال : كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم . وقال في خطاب ابراهيم عليه السلام والسلام : وطهر بقي الطائفتين الآبة ولكنها لا تتفق مع ما شرع لنا من كل وجه . فالوضوء وهو من شروط الصلاة من

خصائص هذه الامة كما صرح به ابن العربي نفسه والتميم من خصائص هذه الامة ايضا والصلاة في عددها وهياتها ليست كصلاة من قبلنا وفي حديث الاسراء قول موسى لنبينا عليهما الصلاة والسلام : ارجع الى ربك فاساله التخفيف فاني قد بلوت بني اسرائيل وخبرتهم حتى قال له الله تمت نعمته هي خمس وثوابها خمسون ما يبدل القول لدي وكذلك القول في الزكاة والصوم والحج

ومن وازن بين ما شرع لنا في ذلك وما شرع لمن قبلنا علم ان ما شرع لهم حسن كامل في نفسه وما شرع لنا بفضل الله وعنايته احسن واكمل . وتشريع الوضوء والتميم وجعل الارض كلها مسجدا وقصر الصلاة في السفر مما يتجلى فيه هذا ويطل بك على سر من اسرار قوله عليه الصلاة والسلام فجعل الناس يدخلونها ويتعجبون ويقولون لولا موضع اللبنة وقوله (فانا اللبنة)

ومما يزداد به الموضوع جلاء ما بنيت عليه هذه الشريعة من اليسر قال الله يريد الله اليسر ولا يريد بكم العسر وقال الله ليخفف عنكم . وقال ما جعل عليكم في الدين من حرج . وفي صفات النبي صلى الله عليه وسلم في التوراة والانجيل : ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم . وما ابتلى الله به من الامم من الشدة في التكليف حسن في نفسه ولكن للتيسير فضل عليه

ومن امثلة النوع الثاني في كلام ابن العربي ابطال ما كان من استرقاق السارق الثابت بقوله تعالى (معاذ الله ان نأخذ الا من وجدنا متعنا عنده) ابطال هذا ما قرره الاسلام من عقوبة السارق . ومن مثله ايضا تشريع التوبة فهي من خصائص هذه الامة كما صرح به سفيان بن عيينة وكانت توبة بني اسرائيل القتل . قال تعالى : فتوبوا الى بارئكم فاقتلوا انفسكم

هذا وقد ذكرنا ما قلنا من اختلاف التشريع في الصلاة وقول موسى لنبينا عليهما الصلاة والسلام غير مرة : ارجع الى ربك فاساله التخفيف ذكرنا بما يجب ان نعتبر به من كرامة هذه الامة ببركة نبيها صلى الله عليه وسلم اذ كانت محل عناية كريم الله موسى عليه الصلاة والسلام ومن اجلى مظاهر فضل هذه الامة ما لها من الصلوات الخاصة باكثر اولي العزم من الرسل ومنهم موسى وعيسى وابراهيم عليهم الصلاة والسلام

اما موسى عليه الصلاة والسلام فالتخفيف الذي يتقلب المسلمون في نعمته حتى تقوم الساعة « بالاضافة الى الصلاة » هو الذي رغب من النبي صلى الله عليه وسلم ان يساله من ربه

واما عيسى عليه الصلاة والسلام فهو آخر مجدد لهذه الشريعة وهو الذي يملأ الارض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا

واما ابراهيم عليه الصلاة والسلام فنبينا صلى الله عليه وسلم مظهر دعوته المباركة : ربنا وابعث فيهم رسولا منهم الآتية . وفي الحديث : انا دعوة ابراهيم وهو الذي سمانا المسلمين قال تعالى : ملأنا ابيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين من قبل على احد الوجهين في معاد الضمير . وهو وزوجه سارة يكفلا

صوت الضمير

ان سلطان الضمير على الانسان له اثر كبير في حياته الخاصة والعامة واللغة التي يتكلم بها الضمير رغبة واضحة الدلالة لا لبس فيها ولا اهام تؤثر في النفس وتحدث عنها انفعالات نفسية كثيرة مما تصد الجوارح عن الاقدام على امر ترغب في تحقيقه او تشجعها على فعل شيء كانت محجما عنه واذا تتبع الانسان الخواطر النفسية التي تتوارد عليه من حين لآخر وهذا الصوت الذي ما انفك امر ناهيا يشعر ان القسط الاوفر يرجع الى الترفع في الخير والتحذير من الشر . والانسان اذا حاول ان يسكت هذا الصوت فقد حاول مستحيلا وغاية ما يصل اليه انه يمكنه ان يعصي اوامر ولا يقيم لهذا حسابا . فيتمادى على فعل ما خول لنفسه ففعله او ترك ما وطد نفسه على تركه ولكن ذلك الصوت ما زال صداه يتردد على النفس فيقرعها أشد القرع ويضيق على شهواته الخناق . فالضمير هو القوة العظمى التي تهيم على النفس ، وهو الناصح المخاض الامين الذي لا عرف المراوغة ولا يالف الهوادة والتساهل ولا ينطق بلغة الحداغ والمكر همه الكشف عن الحقيقة واضحة في احلى معانيها يقرع الانسان ويوبخه على سوء ما صنع ويحيل في نظره الحياة الى شقاء وبؤس وعذاب ويصور له السعادة والتعيم في احلى مظاهرهما متى قام بالامر على الوجه الاكمل وفعل ما هو مطلوب منه وهيا لما ينعم به باله ووفر له الغبطة والسرور وعلى عكسه الهوى فله السلطان الاقوى في اثاره الشهوات وتسخير الجوارح للاقتياد الى تحقيقها مهما كان من الامر ويطلق لها العنان فيطفي تأثيرها على عوامل الخير فيحجب نورها وقوم حائلا دون التاثر بصوت الضمير وتبقى غرائز الانسان تسبح في حرية محققة ليس لها كايح يكبح جماحها ويصلح منها ما تآثر بالفساد

فالحياة صراع بين هاتين القوتين متى تغلبت في الانسان القوة الاولى تهيأت له السعادة والهناء ومتى تغلبت الثانية كانت الاخرى والانسان على نفسه بصيرة وفي طوعه ان يشجع الاولى او ينقاد لسلطان الاخرى ولكن الآثار مختلفة والله الهادي الى اقوم السبل .

اطفال المؤمنين في الجنة ففي الحديث اطفال المؤمنين في جبل في الجنة يكفلهم ابراهيم وسارة حتى يردهم الى ابائهم يوم القيامة رواه احمد وغيره . وعلم عايه السيوطي في الجامع الصغير بالصحة ، وهو الذي اقرانا السلام من طريق نبينا صلى الله عليه وسلم وعلينا كيف نغرس ارض الجنة . فقد روى الترمذي واحمد وغيرهما ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام قال لنبينا صلى الله عليه وسلم : اقرء امتك مني السلام واخبرهم ان الجنة طيبة التربة عذبة الماء وانها قيعان وان غراسها سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر فعلى نبينا وعليه منا السلام ورحمة الله وبركاته والله الحمد ان وفق من شاد الى الاخذ بنصحه ولا سيما في شهر الصيام اثر انقضاء محاسن الاحتام فقد جرت العادة ان ترطب به اللسان هؤلاء الكلمات الاربع

واما ما جرت به العادة من ختم محاسن دروس الحديث بحديث كلتان فلعل وجه التساؤل بتدريس صحيح البخاري كله حتى يبلغ المدرس غايته بعناية الله وتسديده على ان سبحان الله وبحمده تتنظم التهليل والتحميد والتكبير كما قاله بعضهم فان التسبيح تنزيه لله عن الشريك والحمد راجع الى الثناء وهو مدلول الحمد لله والله اكبر . قلت ولا سيما اذا ضم اليه الوصف بالعظمة كما في الحديث : كلتان حبيتان الى الرحمن خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم

المسلم من سلم المسلمون

من لسانه ويده

عن عبد الله بن عمرو عن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال : **الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ * وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ** (رواه البخاري في صحيحه)

اعلم أن الاسلام دين الخير والكمال والفضيلة والجمال فهو يرمي في جميع تكاليفه واغراضه وحكمه ومقاصده الى تكوين الانسان الكامل الجدير بلقب الاسلام والخلافة في الارض والتمكين فيها، يريد توحيه هذا الانسان توحيا قويا الى المثل الاعلى : وان شئت فقل ان الاسلام في مجموعة تعاليمه مدرسة جامعة لتخريج اكمل انسان نبيل متصف باكمل الصفات عامل للسلام العام واسعاد اخوانه في الانسانية بكل ما وهبه الله من علم وحكمة وخلق كريم

ولما كان الانسان مدنيا بطبعه محتاجا الى معايشة بني جنسه نظم الاسلام هذه المعايشة وبنها على اساس السلامة والمساخمة ليكمل تعاونهم ويتم تآلفهم ولا يحصل ذلك الا اذا أمن أحدهم غائلة الآخرين وعلم ان الاخوة الحقيقية هي السائدة بين الجميع لذلك حرص الشارع على المناصحة والمسالمة وجوهرتين يتيمتين وكف اليد المؤذية والعابثة

وقد جاء هذا الحديث الشريف في هذا المقام بالكلية الجامعة والوصية الصالحة فهو أصل من أصول الاسلام ومن جوامع كله عليه السلام وقد اشتمل على حكمتين بالغتين بل فريدتين غاليتين الفريدة الاولى : المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده

ليس الغرض من هذه الجملة تحديد معنى المسلم شرعا وانما المقصود بيان المسلم الاحق بلقب الاسلام الجدير بالدخول في زمرة اهل الايمان الخلق بالانتساب الى امة محمد عليه الصلاة والسلام بحيث لو كان ثمة ميزان يعرف به المسلم الصادق من المنافق الخائن لكان هذا هو الميزان الصحيح الذي يرجع اليه لتمييز الطيب من الخبيث . فكانه (صلى الله عليه وسلم) يقول انظروا للهرة فان رايتموة يتحامي ايداء الناس باي نوع من انواع الايداء فاحكموا عليه بانه مسلم صادق في اسلامه جدير بهذا اللقب الشريف حري بتقدير المسلمين له بكل انواع التقدير وان رايتموة يعمعن في اضرار الناس وايدائهم باي نوع من انواع الايداء والضرر فاحكموا عليه بانه غير جدير بالانتساب الى وحدة الاسلام وانما هو الى تعاطي اعمال المنافقين اقرب والانتساب اليهم احق واجدر، والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتاناً وإثماً مبيناً

وتخصيص اليد واللسان بالذكر في الحديث لانهما اكثر اعضاء الجسم اذاء وعملا وان كان محرما اذاء الناس ببصرك وسمعك وصوتك ورجلك وجميع اعضاءك فلو شغرت بعينك احدا تسخر منه وتمزأ به فقد آذيته بهذا الغمز ومثل ذلك النظر الى امرأة جبارك او التطلع على عوراته وسماع الغيبة وفحش القول وتدبير السوء وضجيج الصوت المزعج الذي يقلق راحة الناس والمشي في مواطن الرذيلة بغية انتهاك الاعراض والحسد الذي هو مرض من افكك الامراض القلبية بمعنى زوال نعمة الغير . كل ذلك من الايذاء الذي يجعل الانسان الى سلك المنافقين اقرب

ولما كان اليد واللسان عضوين من اعضاء الجسم اكثر تصرفا من غيرهما ولهما مدخل في اغلب انواع الايذاء خضهما احكم الخلق (صلعم) بالذكر تنبيها على عظيم خطرهما ولفتا للانظار وتوجيها للعقول الى كثرة ما يحدث عنهما من شر فباليد اغلب انواع الايذاء الفعلي من القتل والضرب والاعتداء ونحوها وباللسان انواع الايذاء القولي من الشتم والسب والقذف والغيبة والنميمة وما اليها واما قدم اللسان في الحديث على اليد لان اذاء اللسان اكثر وقوعا واسهل وهو اشد نكايه وابلغ اثرا في النفس ولهذا كان النبي (صلعم) يقول لحسان : اهج المشركين فانه اشق عليهم من رشق النبل . وقال الشاعر :

جراحات اللسان لها الشتم ولا يلتام ما جرح اللسان

وكفى اللسان خطرا قوله عليه السلام : وهل يكب الناس في النار على وجوههم او قال على مناخرهم الا حصائد السنتهم . وقد عدوا آفات اللسان الى ما يزيد على العشرين مما يردي بصاحبه ويؤوي به الى النار وبئس القرار . ومن هناك كان المسلم اخا المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يسيء اليه ولا يضربه ولا يؤذيه في نفسه او ماله او عرضه بل يرعى عواطفه ويحب له الخير كما يحب لنفسه ويفرح لفرحه ويحزن لحزنه ولا يطلق يده ولسانه الا للخير والفضيلة فلا تمتد يده الا الى بر وصالح ولا ينطق لسانه الا بذكر الله وميسور الكلام والامر بالمعروف والنهي عن المنكر شاكرا لانعم الله عليه صار فاكل ما خلق له فيما خلق لاجله عضوا عاملا في محيط الانسانية الزاخر لما فيه نفعه او نفع بني جنسه وصلا للخير مناعا للشر عاملا جهده لاسعاد مجتمعه وتلك هي ثمرة الاسلام الحقيقية التي يعمل في جميع تكاليفه وتعاليمه على خلقها في نفس المسلم فاقرأ ان شئت قوله تعالى (وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا واذ خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما) واقرأ خطاب الله لنبيه الكريم (خذ العفو وأمر بالمعروف وأعرض عن الجاهلين) وقوله (فاصفح الصفيح الجميل) وقوله (والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس) الله يحب المحسنين) اقرأ هذه الايات وامثالها تجد ان الاسلام يسمو بالمسلم الى اقصى وابعد ما تعارفه الانسانية من خير وجمال فهو لا يوصي المسلم بمنع ايذاءه عن اخيه الانسان فحسب بل يوصيه بالاغضاء عن هفواته والاحسان الى من اساء اليه والعفو عمن ظلمه ترغيبا في الفضيلة نفسها التي هي سر الاسلام واكسيرة وخلاصته وثمره اعماله

فكانه يقول للمسلم حسبك الفضيلة نفسها والفضيلة جزء نفسها فاعمل الخير ما استطعت وكن الخير في شخصك وعملك لتؤدي رسالة المسلم في هذه الحياة، فانت ترى ان هذه الشبهة من شعب الاسلام وهي سلامة المسلمين من لسانك ويدك في قوة الامر الجامع لغرض الاسلام ومقصده الاسمي الذي يجمع في تضاعيفه جميع الشعب التي نيفت على السبعين اعلاها كلمة التوحيد وادناها اماطة الاذى عن الطريق واذا كان الاسلام كالشجرة ذات الفروع والاغصان فثمرة هذه الشجرة هي الخلق النبيل وتوجيه قوى الانسانية الى الخير لا الى الشر ومنع اذى هذه الانسانية باي نوع من انواع الايذاء

اذا علمت ذلك ادر كنت سر تلك الحكمة التي ارسلها الحكيم (المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده) فهي على حد الارشاد الحكيم الآخر الدين النصيحة، والدين المعاملة، وليس الغرض حصر الاسلام في منع الايذاء عن المسلمين او ان الدين محصور في المعاملة كما يعطيه ظاهر اللفظ وانما الغرض التنبيه على ان هذا الامر في الدين ومن الدين بمكان عظيم، بحيث يستحق هذه المبالغة الاكيدة والتوجيه القوي ان لا يحالة كما قال عياض وغيره المسلم الكامل الاسلام الجامع لخصله من لم يؤذ مسلما بقول او فعل مع مراعاة بقية خصال الاسلام والا فان ترك الايذاء وحده من غير قيام بالواجبات المفروضة وترك فلنهيئات المحرمة لا يفيد كما لا يخفى على لبيب . ومن هنا وعلى ضوء ما بيانه في شرح الجملة الاولى في الحديث الشريف يظهر كمال الارتباط بينها وبين الجملة الثانية منه وهي قوله صلعم (والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه) فهما متساندتان متعانتان في بيان المسلم الكامل الجدير حقا بحمل لقب الاسلام والمهاجر في الاصل هو من فارق وطنه وعشيرته غلب في لسان الشرع على من هاجر من مكة مع النبي (صلعم) الى المدينة لما اشتد اذى قريش للنبي (صلعم) واصحابه وقد كانت هذه الهجرة واجبة في اول الاسلام على من اسلم لفلة المسلمين بالمدينة وحاجتهم الى الاجتماع فلما فتح الله مكة ودخل الناس في دين الله افراسا سقط فرض الهجرة الى المدينة وبقي فرض الجهاد والنية لقوله (صلعم) لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية ولكن بقي ثوابها الى يوم القيامة في هجرة ما نهى الله تعالى عنه كما ارشد اليه صاحب الشرع في قوله: لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة ولا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها (وكما دل عليه هذا الحديث في قوله والمهاجر من هجر ما نهى الله عنك اي ترك المعاصي واجتناب المنهيات قيل سبب هذا انه لا انقطعت الهجرة وفضلها حزن على فواتها من لم يدركها فاعلمهم النبي (صلعم) ان المهاجر على الحقيقة من هجر ما نهى الله عنه

واعلم ان هذا الثواب الباقي للهجرة الى يوم القيامة لا يقل شانا عن ثواب المهاجرين من مكة الى المدينة فذلك هجرة بدنية وهذه هجرة روحية تتمثل في هجر ما حرم الله وتركه وهذا يشبه ما ورد عنه عليه السلام حين عودته من بعض غزواته (رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر) فسمى جهاد النفس وكبح جماحها عن مباشرة الشهوات جهادا اكبر كذلك ارشد هنا الى ان هجرة المعاصي في عمومها هي الهجرة، فالمهاجر الحقيقي هو من شرب بينه وبين ما حرم الله حجابا حصينا وجاءت اعماله كلها برهانا ناصعا على حقيقة اسلامه وحسن ايمانه نسال الله تعالى ان يجعل هجرتنا لله وحده .

الفتاوى والاسلام

رسالة لشيخ الاسلام الشيخ احمد كريمة رحمه الله

في تطبيق النظر الشرعي على ما جرى به الترتيب الدولي في بلادنا التونسية من ان الشيخين القاضيين بالحاضرة التونسية وكذلك مشايخ الفتوى بها من الحنفية والمالكية يخاطبون المشايخ القضاة في بقية بلدان المملكة بالمراسلات او بالمكاتيب في طلب تنفيذ عدة اذون او الاذن بجلب الخصوم او التخلي عن النظر في بعض النوازل وتوجيهها الى الحاضرة . وذلك هو سبب تليق اوائك القضاة بالنواب الشرعيين وان لهم صعبين صبغة القضاء الاصليه وصبغة النيابة عن مشايخ المجلس العلي بالحاضرة . مع تحقيق ان المقاتي بتونس لهم صفة القضاء زيادة عن صفة الافتاء . بحيث انهم يجمعون بين خطي الفتوى بالاصالة والقضاء في بعض الصور إليك هي

باسمك اللهم أبتدي ، وبمحمد صلى الله عليه وسلم اهتدي ، وبأي حنيقة النعمان وأصحابه الاعيان اقتدي ، اما بعد فاني طالما كنت استشكل خطاب القاضي الحنفي بالحاضرة وعملها قضاء القرى والبلدان خارج الحاضرة بالفصل والتوجيه وكذلك افتاء المفتي الحنفي في نازلة يسأل عنها ثم يأمر القاضي القروي بالعمل بذلك الى غير ذلك مما يقع به الخطاب لأولئك القضاة والحال انهم قضاة بولاية ملكية للقضاء بمشهور مذهب مالك بن انس رضي الله عنه غير ان كل واحد منهم مقصور على بلده وعملها . وكثيرا ما كنت أبحث عما يشفي الغليل من علمائنا في المسألة فلم اظفر منهم بشيء

ثم لما انخرطت في سلك القوم وكسيت حلة الفتيا المتضمنة لجواز القضاء والفصل بين الناس بالوجه الشرعي على مقتضى المذهب الحنفي الزكي على ان يكون ذلك من المفتي باختياره لا بالزام في الولاية (١) على مقتضى ما جرت به العادة من ملوك الدولة الحسينية صريحا وتقريرا . كما ثبت ذلك صريحا من مولانا امير المؤمنين سيدنا حسين باي لما رام القاضي المالكي نقض حبس خال عن الحوز ولكنه محصن بحكم حنفي من الشيخ المفتي الحنفي اذ ذاك لزمه ان ذلك خارج مخرج الفتوى لا انه حكم رافع

(١) هذا إشارة الى ما كان عليه نظام المحاكم الشرعية سابقا من ان المفتي له ان يحكم في النوازل التي تعرض عليه يقصلا - ولكن ذلك يقع باختياره بمعنى ان له ان لا ينظر في النازلة - ثم ابطل العمل بذلك وصار المفتي لا يقضي في النوازل الا في يوم المجلس او في يوم نوبته عند مغيب القاضي

للخلاف . ودارت النازلة بين المشايخ الحنفية والمالكية بمجلس يوم الاحد بباردو العمور بين يدي الملك فقال الامير ايده الله اهل الفتوى كلهم قضاة، وبذلك حكم القاضي المالكي بصحة الحبس ايضا وما زالت احكام المفاقي الحنفية وغيرهم ومراسلاتهم بالاحكام وغيرها تعرض على الامراء ويقررونها بشريف اوامرهم للعمال بتنفيذ تلك الاحكام (٢) . غير ان ذلك غير مقيد عليهم بمشهور المذهب كما هو في اوامر القضاة صريحا (٣)

ورأيت القيام بواجب الخطه من الحقوق أحسبت أن اكشف اللثام عما جرى به عمل اولئك العلماء الاعلام . فنقول :

قال في الهداية تعليق القضاء والولاية بل والامارة بالشرط يجوز ، وكذا يجوز اضافتها الى وقت في المستقبل، وكذا يجوز توقيت القضاء بزمان، وكذا يجوز تقييد القضاء بمكان، وكذا يجوز استثناء بعض الخصوصات او رجل بعينه ولا يصير قاضيا في المستشفى وفيها السلطان اذا قال لرجل جعلتك قاضيا ليس له ان يستخلف الا اذا أذن له الامام في ذلك صريحا او دلالة

وفي معين الحكم : واعلم أن الذي يعول عليه في ذلك العرف . وقد قال الامام العلامة شمس الدين محمد الجوزيه : اعلم ان عموم الولايات وخصوصها وما يستفيد المتولي بالولاية يتلقى من الالفاظ والاحوال والعرف وليس لذلك حد في الشرع . ثم قال في آخر كلامه : وهذا هو التحقيق في المسألة اذا تقرر هذا فولاية القاضي الحنفي والمالكي وكذلك المفتين الحنفية والمالكية بمناسير سلطانية مصرح فيها بالولاية بتونس وعملها ومقيدة بالعمل بالمشهور من المذهبين قضاء وافتاء . وأوامر قضاة البلدان مقيدة بتلك البلدة وعملها ومشهور مذهب مالك

ولكن العرف جار بانابهم عن قضاة الحاضرة وعملها . ومفاتيها الحنفية والمالكية وان لم يكن ذلك صريحا في أوامرهم ، والمعروف عرفا كالمشروط شرطا

وذلك انهم توجه اليهم المراسلات من الفريقين بعنوان النائب الشرعي ببلد كذا ويتلقونها بالقبول والامتنال ويعرض ذلك على الامير الذي أولاهاهم ويقررها بشريف أمره للعمل بمقتضى المراسلة لعامل ذلك العمل الا قاضي مدينة القيروان يلقب في المراسلة بعنوان قاضي القيروان تأدبا مع بلد الصحابة . وان كانت النيابة معروفة عرفا فيه ايضا

ويؤيد ذلك قصر أيديهم عن الثوازل التي يكتب اليهم فيها فقهاء الحاضرة بان يوجهوها للمجلس الشرعي بها

(٢) قد ابطال العمل بهذا حيث صارت الاحكام تنفذ والمكاتيب توجه من غير ان تعرض على الامراء (٣) تغير ذلك وصار يصرح في اوامر ولايات المفتين بانهم لا يقتون الا على مشهور المذهب الحنفي او المالكي

فان قلت : هل لولاة الحاضرة اناة غيرهم من اعيان البلدان في الاحكام الشرعية ؟
قلت : لا . لان العرف وتقرير الامير يخصص النيابة بقضاة البلدان او مفاتيها . ولذلك اذا
خاطبنا غير أولئك بالاماكن التي لا قاضي بها يكتب له ان اصلحا فذاك والا وجهها لنا
ولما انتهى بنا القلم الى هذا المحل ظفرت بما اغنانا الله به عن بكرة زيد وفي ذلك كفاية، والحمد
لله في البداية والنهاية، ونص ما ظفرت به :

الحمد لله . ومما كتبه مولانا ابو عبد الله محمد يرم الثاني مجاوبا به الشيخ ابا العباس احمد البارودي
حين خاطبه نائب سوسة على عدم توجيحه القضايا الشرعية لتونس معترضا به على الشيخ الافندي في
٢٥ قعدة سنة ١٢١٩

وبعد فالذي جرت به العادة في توجيحه الخصوم من البلدة التي بها قاض فاما بالنسبة لقاضي البلدة
فانه يوجه كل من طلب التوجه لتونس طالبا كان أو مطلوبا الا في القضية الواضحة التي يظهر ان لا
غرض لطالب التوجه فيها الا اللدد واتعاب خصمه وتخسيره
واما بالنسبة لقاضي تونس فانه لا يامر به في كل قضية ولا يسد بابه بالكلية بل ينظر في ذلك بعينين
ويرتكب على القاعدة الشرعية اخف الضررين . فان رأى القضية قد كثر الشعب فيها او لاح له بارق
حيف من نواحيها اما من القاضي أو من أحد الخصمين اذا كان ذا شوكة لا يستطيع الانصاف منه هناك
رغبة او رهبة، أمر بالتوجه والا فلا

وهذا العمل واضح الصحة شرعا لانا ان بنينا على ظاهر الامر من كون هؤلاء القضاة نوابا عن
قاضي تونس وان كان الامير هو الذي يولهم حيث يخاطبهم بلفظ النائب سوى قاضي القيروان ويرى
الامير ذلك في المراسلات فلا ينكره فالامر واضح وليس لهم الحكم في القضية التي أمرهم بتوجيهها
اليه لصبرورهم بذلك معزولين من الاستانة فيها

وان درجنا على انهم قضاة مستقلون حيث لم تجعل بيد قاضي تونس ولا يتهم ولا عزلهم فلا
يشك في ان ولايتهم مقيدة بما جرت به العادة فانهم مأمورون بتنفيذ أمر القاضي بتونس كما يدل
عليه عرض المراسلات التي أمروا فيها بتوجيه الخصوم على الامير ويكتب أمره في العمل بمقتضاها .
وحينئذ يصيرون معزولين في تلك القضية من قبل الامير (١)

والامر بالتوجه عند اقتضاء الحال اياه يستوي فيه قاضي القيروان وغيره فانه ما امتاز الا بالتلقب
فهو وان خرج عن النيابة اسما داخل فيها معنى

ولم يزل الامر جاريا على هذا النمط حتى فتح باب الكلام في هذا المعنى قاضي سوسة فانه لم

(١) قد اطلت العمل بهذا النظام حيث صار مشايخ المجلس العلي بالحاضرة يكتبون الى المشايخ
القضاة ببقية بلدان المملكة في جميع الاعراض من غير عرض ذلك على الامير . لا سيما بعد الامر العلي
الصادر في عام ١٢٩٣ المتعلق بترتيب المحاكم الشرعية

يطرق هذا الباب طارق سواد حتى قاضي القيروان على اختصاصه باسم القاضي وشدة انفة القيروانيين وقد كانت منع عن المفتي الحنفي بلده توجيه الحنفين اليه فضلا عن مختلفي المذهب مع ان موضوع مفتي الحنفية هناك يشبه موضوع القضاة لان المقصود منه الفصل بين اولئك الحنفية بمقتضى مذهبهم لا مجرد افتائهم الذي لا يجدي عدم تنفيذه في الخارج نقعا (٢)

وقد اتاني بعض حنفية البلد حين ضاق بهم اشاعة بطلان مذهبهم هنالك ذرعا فيكلمت الافندي في كتب مراسلة في توجيه الحنفين لمفتيها اذا طلبها او طلبه احدهما كما جرت عادتهم ايام الهدنة الكبير على ما له من العلم والصيت ولا اظن ان كان لها وقع او حصل لهم بها نفع ولعمري ان عزل هذا المفتي واخلاء البلد عن مفت حنفي بالكلية بعلة عدم من يليق اهون من ابقائه صورة لا تنفذ من المذهب الذي يفتي به صورة . وما احسن اجراء الامور على المعتاد والله تعالى ولي السداد . اهـ

وله مكتوب ثان مثل الاول بيد ان به زيادة في اماكن منها عقب قوله : اخف الضررين . فانه لا يشك في شدة ضرر التوجيه ولكن قد يكون ضرر تركه أشد . وعقب قوله لانا ان نبينا على ان هؤلاء القضاة مع تولية الامير اياهم نواب عن قاضي تونس كما هو الظاهر بل الواقع حسبما يتضح وجهه فالامر واضح لان امرهم بالتوجيه منع لهم من النيابة في الحكم عنه في تلك القضية ويبدل على حديث هذه النيابة اولا خطابهم بعنوان النائب كافة لم يخرج عن هذا سوى قاضي القيروان ترفيعا له عن غيره في الخطاب لكنه ان خرج عن النيابة لفظا فما خرج عنها معنى فانه يعامل في غير اللقب معاملة غيره . وليس المراد به النيابة عن الامير والالخطوب به فاضي تونس فمن دونها . ولا ان هذا التلقب لا علم للامير به فانه يراه في غالب الايام ويقره ولا ينكره وثانيا كتابة قاضي تونس لهم كافة : افضل والا وجه . ولا يكتب بذلك احد منهم له ولا لبعضهم بعضا . ليت شعري لو لم يكن في الكتب بذلك ما يدل على نيابة المكتوب اليه عن الكاتب وانه مأثور من قبله لكان لكل قاض ان يكتبه لكل قاض

وثالثا ان مما لا يشك فيه ان جميع هذه البلدان التي بها القضاة بافريقية من عمل تونس وان قاضيا يلقب بقاضي تونس وعملها فما معنى كونه بالنسبة لهذه البلدان قاضيا اذا لم يكن أمره نافذا وبسطة مرسوطة على واليها

وليس من لازم النيابة بسط يده عليه بالولاية والعزل حتى تنتفي بانتفائه . فقد يرى الامام ان هذا الذي ينوب له احتياطا في مثل هذا الامر العظيم ان يفوض للقضاة وان نبينا على انهم قضاة مستقلون . . الى آخر الرسالة الاولى . غير ان هناك اختلافا في التعبير والمعنى واحد . اهـ والله الموفق للصواب

(٢) من هنا يعلم ان نظام الدولة التونسية سابقا كان يقتضي تسمية مفتات على المذهب الحنفي في بقية بلدان المملكة التونسية زيادة عن مشايخ المجلس الحنفي بالحاضرة . وعسى ان تقع العودة لهذا النظام الذي لا بد منه

الازدواج

بقلم العلامة الشيخ الناصر الصدام المدرس
من الطبقة الاولى بجامع الزيتونة الاعظم

هو الحبة التي انبتت سبع سنابل في كل سنبله مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء او هو الحجر الاول الذي وضعه التكوين في بناء عالم الاجتماع فبث فيه انعاما واناسي كثيرا ومن ثم امر ربك نوحا عليه السلام بان يسلك في سفينته من كل زوجين اثنين ابقاء على الخليقة وادخارا للبذر حتى اذا سكنت عاصفة الطوفان المجيحة افضى بعض الازواج الى بعض فتناكحوا فتناسلوا فتوالدوا فتبارك الله احسن الخالقين . وليس ما حملت السفينة هو الكل في الكل من الازواج فان منها بالعالمين العلوي والسفلي ازواجا كثيرة كالنجم والنبات والرياح الحاملة مطرا والملقحة شجرا والعقيم التي ما تذر من شيء أنت عليه الاجملته كالرميم الى غير ذلك من الانواع مما لا يحاط به (و) يعلم جنود ربك الا هو)

فلا فرد اذا الامن لا زوج له سبحانه وبهذا صار الازدواج دليل الحدوث لدلالته طبعاً على افتقار كل من الزوجين لزوجته وذلك قوله تعالى (ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون) اي صنفين كالذكر والانثى والسماء والارض والشمس والقمر والسهل والجبل والصيف والشتاء والنور والظلمة قاله الجلالان

وقال البيضاوي في قوله (لعلكم تذكرون) فتعلموا ان التعدد من خواص الممكنات وان الواجب بالذات لا يقبل التعدد والاقسام اهـ

ثم مما علم بالضرورة ان ارقى انواع الازواج هو الانسان بما ألبسته يد الانعام الالهي من شارات التكريم والامداد بنور العقل والعلم الذي سبب استواءه على عرش الخلافة في الارض وبسط سلطانه في طولها والعرض بيد انه على ما هو عليه من سمو ادراك واهل لعرفان قد احس في نفسه بما احس من عوامل الحدوث والضعف والافتقار واضطراب الوحشة فاتم الله تعالى عليه النعمة بان خلق له من نفسه زوجة ليسكن اليها ويقر قراره وتتكاثر اعوانه وانصاره

ومن الطافه سبحانه ان جعل له الازدواج ميسورا ترخيصاً منه تعالى في كل ما تلجئ الى الضرورة مما لا غنى عنه كالهواء والماء والغذاء وكان ربك لطيفاً خبيراً

مضى على الخليقة حين من الدهر وهم في ازواجهم كالانعام الى ان تداركهم العناية الربانية

بارسال الرسل وتشريع الشرائع فاحقوا حقهم وابطلوا باطلهم وجعلوه نكاحا لا سفاحا في حدود شرائطه واركانه

وقد كان التشريع على وفق الوضعية الآلية من انقسام الناس الى طبقاتهم الطبيعية فحسبت لذلك حسابه وناطت امر النكاح بالكفاءة والحفاظة لبنة العائلتين المتصاهرتين فمضى الناس على ذلك قدما كل يعمل على شاكلته غير ما د عينه الى ما تمتع الله تعالى به ازواجا آخرين حذر الافتتان والتورط فيما لا قبل له به ومن قر عينا بعيشه نفعه

الى ان ثارت نائرة الانفس فامتدت أعين الفقراء من الناس الى زخرف الطبقة الوسطى منهم وهاته الى ما تمتع الله تعالى به ارباب الثراء والطبقة العليا فاختلط الحابل بالنابل واختلت النظم وفقد التوازن فقطعت بهم الاسباب حيث اتوا البيوت من غير الابواب (وكان امر الله قدرا مقدورا)

وأول من سعى لدفع هذا الخطر في الاسلام الخليفة الثاني عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه فاراد ان يحمل الناس على مقدار واحد في المهور فاعترضته عجوز بقولها : اين انت يا عمر من قول الله تعالى (او آتيتهم اجداهن قنطارا) الآية . فامسك رضي الله تعالى عنه وبكى وقال الله اكبر كل احد أقره منك يا عمر حتى العجائز . وايضاح ما في المقام انه يحتمل ان الخليفة الثاني رضي الله عنه لم يكن ليخفى عليه ما ذكرناه به المرأة ولكنه آثر المصلحة العامة فهم بما هم من التوحيد في المهور تمسكا بقاعدة ارتكاب اخف الضررين لدفع اشدهما

ولامام المسلمين ان يفعل امثال ذلك سياسة شرعية . وبمراجعة العجوز تراجع للقاعدة نفسها ايضا تفاديا من احداث فتنة في الاسلام يثيرها من لا تفهم له في مقاصد الشريعة فيقول ان عمر قد عطل شريعة من شرائع الله تعالى . لا يقال ان بكاءه وتصريحه بما يدل على قلة الفقه يابى ما قررت لانا نقول انه رضي الله تعالى عنه قد حمله الحزم على تلافي الخرق بالترق قبل اتساعه على ان لا يكون مباليا بهضم جانب ارباب الطول ابقاء على المصلحة العامة ولانه ايضا كان يظن اقتناع الشعب بما في عمله من صلاح ومشاطرتهم اياه فيما ارتثا فلما رأى من العجوز ما رأى تراجع وامسك عن ذلك اشفاقا من اثاره الفتنة الى فرصة أخرى تزيد فيها الدواعي توفرا والموانع انقفاء

والا فالادلة الشرعية وان دلت على انه لاحد لا كثرة كآلية التي تلونا لكن في كثرة ما يدل على الترغيب في التقليل ما يدل بالضرورة على كمال رغبة الشارع الحكيم سبحانه في ذلك والندب اليه كقوله عليه الصلاة والسلام لمن اشفق من الزوج لقلة ذات اليد (التمس ولو خاتما من حديد) و (تزوجوا فقراء يغفكم الله) و (زوجتكها بما معك من القرءان) و (ابركهن ارضهن مهورا) و (تناكحوا تناسلوا تولدوا فاني مبالا بكم الامم يوم القيامة) و (من تزوج فقد ملك نصف دينه فليتيق الله في النصف الاخر) الى غير ذلك مما تبين فيه حرص الشارع على التزوج وتعمير الكون بالتناسل والتوالد فقد جعل صلى الله عليه وسلم المهر تارة غير مال ومرة مقدارا زهيدا كخاتم الحديد

وجعل المهر غير مال شريعة من رخصة كما في تزوج موسى بابنت شعيب عليهما السلام فاذا وقع اليوم نكاح كذلك كنكاح الشغار حكم مهر المثل وأحيب عمن تزوج بها معه من القراء ان بانه خصوصية له واعلم ان مهر المثل يحكم في كثير من الصور عندنا وفي تحكيمه دلالة على ان مقصد الشريعة اجراء كل طبقة من طبقات الناس على ما يناسبهم

غير ان هذا لا يمنع امام المسلمين من حمل الناس على التحديد لاكثره اذا راي ان المصلحة في ذلك كما فعل امام الطاعة الملك المؤيد الذاب عن حوزة الاسلام الساهر على صالح الامة سيدنا ومولانا احمد باشا باي الثاني اطال الله بقاءه معودا بسر السبع المثاني فانه نصره الله تعالى قد عهد الى محتسب المملكة بمرأبة المهور والتشوير وجعل أغلى المهور لأعلى الطبقات ثلاثة آلاف فرنك واقصى حد لتشوير المرأة عشرين ألف فرنك ابقاء على الشعب وتيسيرا لامر النكاح الذي رغبوا عنه اشفاقا من تبعاته وتفاديا من ويلاته

ومن احلى مظاهر ترغيب الشريعة في انتوالد وتعمير الكون اباحة نكاح الاربع مجتمعات في عصمة واحدة بالنكاح ولولا مراعاة الشارع ان الزيادة على الاربع ترهق الزوج ذا التوسط في امره عسرا لاطلق له العنان في جمع الاكثر منهم على ما حررناه في تفسير قوله تعالى (فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع) من ان الاقتصار عليهن مبني على ذلك

اما كون الاربع بخصومه اي دون الثلاث او الخمس غاية مستطاع اواسط الناس في الاتفاق فسبيله سبيل المعدودات الشرعية التي قامت القرائن على انها نصوص في معانيها كالتسبيح والتحميد والتكبير دبر المكتوبات ثلاثا وثلاثين وكايم الصوم المفروض والواجب لكفارة ونحوها وابسام الحج وما الى ذلك مما لا يعلم عليه الا الله تعالى

ومن تكلم المظاهر اكثرية النساء من الرجال في مختلف العصور والاحيال حتى ان نسبة الرجال منهم الخمس على ما تلوح اليه الآية المتقدمة

ومنها استطاعة الرجل تحقيق الانتاج الولادي من كثير من الامهات سواء كن زوجيات اوسراري ومنها تمييزه سبحانه لامهات الاولاد عن سائر الموطوءات بملك اليمين حيث يكون ولدها سببا في عتقه على ما قرر في الفروع

ومنها تنفيره من الطلاق وان كان مباحا

ومنها قوله عليه السلام (سوداء ولود خير من حسناء عقيم) وقوله أيضا (ان من شؤم المرأة عقم رحها)

ومنها قوله تعالى في التنفير من الطلاق والبقاء على الزوجية (وان كرهته وهن فمسي ان تكربها شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا)

ومنها ايضا فرض الحجاب عليهن على ما حققناه في تحرير عنوانه (الحجاب من نواميس العمران وذرائع التناسل) ننشره فيما بعد ان شاء الله تعالى . فعلى حضرة الشيخ المحتسب السعي في ذلك والله ولي التوفيق والاعانة . ولانتم الافادة نذيل هذه العجالة بارحوزة في الموضوع وهي بنصها :

احمد ربي فاللق الاصباح
 مصليا على نبيء ذي حكم
 فقال ترغيبا الى الكرامه
 محمد ذي الخلق العظيم
 وبعد فالقصد بهذا النظم
 ليستضيء بممنار الشرع
 مقاصد العقال بالنكاح
 فتتضح المرأة للجمال
 واطفر بذات الدين فهي المقصد
 وان حوت نباهة في النسب
 ذات الغنى موقعة في النصب
 فهو أحر من أحر النار
 وان تكن ذكبة الفؤاد
 يلقي بها الزوج كنوز الادب
 اما اذا توجهها الجمال
 تربو به عن درك السفاح
 من كرم الله وامره المطاع
 توفية بسكن الطيباء
 ان اخذ العهد على هواه
 هذا لعمرى جنة الرجال
 الم يقدر رسول ذي العرش المجيد
 ممهدا لسبل العمران
 مالي اراهم خالفوا سبيله
 وركنوا لوافر المهور
 فاصبح الفقير لهم رفيتقا
 وغيره مما يرى الانسان
 نساله سبحانه الهدايه
 بعنه فانه الجواد
 بجلا من به حياة الانفس
 صلى عليه الله ما بدر طلع
 من قد أناط اليسر بالنكاح
 نفعه الله جوامع الكلم
 بكم اباهي امم القيامه
 والآل والصحب ذوي التكريم
 ارشاد من يسعى لنيل الفهم
 في حالك من ظلمات الطبع
 انبأ عنها الشرع بالافصاح
 كذا لدين نسب ومال
 وما سواها معها لا يقصد
 مع دينها فذاك اسنى الارب
 ان لسعت بمنها كالعقرب
 عن ذي مروءة من الاحرار
 فهي لعمرى غاية المراد
 موفورة فوق كنوز الذهب
 فما لها في حسنها مثال
 الى ذرى الاحصان والفلاح
 تحليل مشنى وثلاث ورباع
 لمن يرى نحوها ذا اتباع
 بأنه مراقب مسؤلا
 اذ نيطت الارزاق بالآجال
 لمشفق اطب ولو ختم الحديد
 ومنقذا من وهدة الهوان
 وسلمكوا مناهجا ضليله
 ورجحوا العسر على اليسور
 قد سلمكوا غير الهدى طريقا
 يخرس عن بيانه اللسان
 والفوز من مفاوز الغوايه
 يتم ما فيه لنا المراد
 محمد الهادي السري الانفس
 وضاء برق من رشاد فاتبع
 الناصر الصدام

التاريخ

صفحة من تاريخ تونس

الرجال الاربعون اصحاب الامام الشاذلي

بمناسبة موافقة هذا الشهر المبارك لاقتتاح حفلات الاذكار الجمعية بالمقام الشاذلي ابتداء من حلول فصل المصيف وفقا للنظام المألوف بين اهل الطريقة الشاذلية منذ المائة السابعة فما دون احييت في هذه الالكرة جعل مشاركتي التاريخية في هذا العدد من المجلة الزيتونية خاصة بالتعريف بالرجال الاربعين من اكابر الصالحين اصحاب الامام الشاذلي رضي الله عنه (١) الذين لازموا عدة من السنين في مجالس ذكره وتعبدوا بالمغارة الشاذلية على عهد الساطان ابي زكرياء الحفصي ، وهؤلاء السادة يفوت عددهم الاربعين كما ستراه انما غلب عليهم نعمتهم بالاربعين كنعمتهم ايضا برجال الزلاج لاحتواء هذه المقبرة لاضرحة جماعة منهم كما سياتي بيانه ومن المتفق عليه انهم كلهم من خيار الخير وان قبورهم كانت كما لم تنزل محاطة بسياج الخطوة والاحترام من عامة اهل تونس وبعضهم ممن يستجاب عند قبره الدعاء (٢) وهذه قائمة اسمائهم مقتطعة من بعض كناشات السلف نور الله مراقدهم :

(١) هو ابو الحسن علي بن عبد الله بن عبد الجبار المشهور بالشاذلي قدم من المغرب لتونس واسط المائة السابعة وسكن بالمغارة المنسوبة اليه بجبل الفتح وهناك اجتمع عليه اصحابه الاربعون المشهورون واقام على ذلك نحو من عشر سنين ولما اشتهر عليه وفضله رجع الى الله على يده الجرم الفقير حسده قاضي زمنه الفقيه الشيخ احمد بن البرافوشي به الى السلطان ابي زكرياء الحفصي ورماه بالسحر فعزم السلطان على ابعاده من تونس وفي ذلك اليوم احترقت جارية للسلطان كان يحبها حباً عظيماً فخاف السلطان وان يتخلص مرضاة الشيخ رضي الله عنه الا ان الشيخ لم يعا بذلك وارجل من تونس قاصدا الاسكندرية ثم مصر ومنها انتقل لحملتها بصحراء عيذاب وبها انتحق بربه في سنة ٦٥٦

(٢) هكذا ذكر غير واحد من المؤرخين وبه قال بعض اهل العلم منهم الشيخ محمد بزم الرابع قدس الله روحه ومما يؤيد هذه الشهرة للتوابع حديثها بين الناس خلفا عن سلف ان القيميين على اضرحة اولئك السادة رضي الله عنهم كانت ولايتهم تصدر بالامر العلي اعتبارا لمنزلتهم الصالحة في نظر عموم اهل تونس وكانوا ينتخبونهم من آل بيت الشماري ولدينا في ذلك وثائق تاريخية كثيرة تنقل منها نموذجا تايدا لما ذكرنا : امرنا هذا بيد الفقيه علي بن علي الشماري وانا جعلناه وقادا بمقام الشيخ سيدي علي الزلاج (صوابه محمد الزلاج) عوض والده المذكور لوفاته واوصينا عليه بالرعى والاحترام

- ١ - محمد الغماري هو اول من صحب الامام الشاذلي عند دخوله لتونس - توفي سنة ٦٦٣
- ٢ - محمد القرطبي حفظ عليه القراءان خمسمائة رجل - توفي سنة ٦٦١
- ٣ - ماضي بن سلطان المسروقي خدام الامام الشاذلي - توفي سنة ٧١٨
- ٤ - عبد المغيث الطنجي وقف بعرقه ٣٧ مرة - توفي سنة ٦٨٠
- ٥ - عبد الملك الزعزاع - توفي سنة ٦٨١
- ٦ - احمد الغرايلي - توفي سنة ٦٨٥
- ٧ - عمر السبكي - توفي سنة ٦٨٧
- ٨ - محمد الصمعي زار المدينة المنورة اربعين مرة - توفي سنة ٦٨٦
- ٩ - محمد الحبيبي الدعاء مستجاب عند قبره - توفي سنة ٦٩٣
- ١٠ - عياد بن مخلوف الزيات - توفي سنة ٦٥٠
- ١١ - محمد الصابوني - توفي سنة ٦٨٧
- ١٢ - ابو حفص الجاسوس - توفي سنة ٦٨٧ (١)
- ١٣ - ابراهيم المزوغي - توفي سنة ٦٦٩
- ١٤ - احمد اليميني - توفي سنة ٦٩١
- ١٥ - ابراهيم الزاوي حفظ عليه القراءان الف رجل وثلاثمائة امرأة - توفي سنة ٦٩١ (ياله من رجل عظيم رحمه الله ورضي عنه وعن الشيخ عبد العزيز الباوندي الذي اقتفى اثره في هذا السبيل)

والمنبرة والاكرام والسلام من الفقير الى ربه الباشا علي باي (الثاني) بن حسين باي لطف الله به وائل اشرف الاربعين سنة ١١٩٤ هـ . ومما هو جدير بالذكر في هذا المعنى ان المولى حسين بن علي قدس سره كان لا يتخلف عن زيارة اضرحة الرجال الاربعين فقد قال القاضي الشيخ محمد سعادة في كتابه قرّة العين بنشر فضائل الملك حسين ما نصه : ولقد مرت يوما بباب الحديد في قضاء بعض الشؤون فوجدت جماعة من العوام يشنون عليه (اي على الباي حسين بن علي) بما تقرر به العيون على ما اظهره من التواضع مع الفاضل العدل الحاج عبد اللطيف زيتون وذلك انه مر بدكان المذكور حين رجوعه من زيارة ما بجبل الزلاج من الرجال في موكبهم وما حوى من الجحاحجة الابطال فوثب المذكور على ما به من العجز والضعف في ركبتهم ونزل من دكانه لتقبيل كريمة يديه فمسك عنان فرسه حتى التحق به . اقلت وعلى قياس صنيع هذا الجد السعيد درج اخلافه من الملوك الحسينيين ناهيك ان المشير احمد باي الاول وكان شاذلي الطريقة باشر بنفسه لحد شيخها المفتي الشيخ الشاذلي بن المؤدب عند وفاته في سنة ١٢٦٣ قال في تاريخ انتحاف ابناء الزمان ان الباي المذكور : حمل جثته (اي جثة الشيخ المؤدب) بنفسه ومشى خلف نعشه راجلا باعتبار انه من ابناء الطريقة الشاذلية اهـ

(١) من المحتمل القريب ان هذا الفاضل هو المؤسس للمدرسة الجاسوسية التي لم يحفظ لنا التاريخ من اخبار نشاتها سوى انتسابها الى «الولي الصالح الشيخ سيدي الجاسوس» اذ من المعلوم ان البعض من مدارس طلبة العلم في العصر الحفصي كانت في مبادئها رباطات للعبادة والتفقه في الدين كما هو الحال في المدرسة المرحانية المنسوبة للشيخ ابي محمد عبد الله المرحاني من رجال القرن السابع

- ١٦ - ابو سالم البرقي بجوار قبره بالزلاج قبر ولد القاضي عياض - توفي سنة ٦٦١
- ١٧ - محمد الفاسي - توفي سنة ٦٥٩
- ١٨ - محمد الزبني - توفي سنة ٦٦١
- ١٩ - سالم المزاتي - توفي سنة ٦٦١
- ٢٠ - ابو القاسم القرطبي - توفي سنة ٦٦١
- ٢١ - محمد القطاع - توفي سنة ٦٦٣
- ٢٢ - اسماعيل اللنتاتي له الف منقبة - توفي سنة ٦٦٣
- ٢٣ - تاج الدين الصنهاجي - توفي سنة ٦٦٤
- ٢٤ - محمد الجباس - توفي سنة ٦٦٤
- ٢٥ - ابو عطيه المسروقي - توفي سنة ٦٦٤
- ٢٦ - علي القرجاني الدعاء مستجاب عند قبره - توفي سنة ٦٨١
- ٢٧ - ابو زيان الداودي - توفي سنة ٦٦٦
- ٢٨ - سعد الاسمر ويدعى سعدون (١) كان من اهل الكشف وقبره بجوار قبر الشيخ علي القرجاني - توفي سنة ٦٦٦ (فهو غير سيدي سعد المرقاقي شهر بو عكروشه)
- ٢٩ - ابو قاسم الدباع - توفي سنة ٦٦٦
- ٣٠ - محمد الشريف كان امام جامع الهاء وشيخ مدرسته - توفي سنة ٦٦٦
- ٣١ - محمد الغرامي - توفي سنة ٦٦٦
- ٣٢ - عبد الله القرشيني قرأ عشرة آلاف حتمة عند قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم - توفي سنة ٦٦٧
- ٣٣ - محمد الثوالي - توفي سنة ٦٦٧
- ٣٤ - احمد المزويجي - توفي سنة ٦٦٧
- ٣٥ - عبد الرحمن الشفي - توفي سنة ٦٦٨
- ٣٦ - علي الخطاب - توفي سنة ٦٧١ (٢)

(١) ظهور باب سعدون بتونس كان في زمن هذا الرجل الصالح فلعله نسبة اليه ويحملني على هذا الظن تعود اهل تونس على تحلية من يكبرونه من الزنوج بلفظ بابا لذلك سمي الباب المتحدث عنه باسم باب ابي سعدون

(٢) ينعت بعض الناس بلقب بواب مكة اعتقادا منهم انه هو الشيخ الخطاب صاحب الضريح الواقع عند باب البلد الامين وهو غلط صراح لان هذا الشيخ الخطاب هو شارح كتاب الورقات وهو من فضلاء المائة التاسعة والشيخ علي الخطاب التونسي هو صاحب الزاوية المعروفة وهو من رجال المائة السابعة

٣٧ - سالم التباسي - توفي سنة ٦٤٢

٣٨ - حسين السيجومي - توفي سنة ٦٤٤

٣٩ - عبد الوهاب - توفي سنة ٦٧٥

٤٠ - سفيان الباجي - توفي سنة ٦٧٥

٤١ - عبد الرحمن الحلفاوي قبره غربي باب السويقة - توفي سنة ٦٧٦

٤٢ - خلف المسروقي مدفون بآراء جامع الصفصافة غربي تونس - توفي سنة ٦٧٦

الى هنا انتهت قائمة الجماعة الاخيار المشهورين بمصاحبة الامام الشاذلي اثناء مقامه بتونس وهذه القائمة لم يجيء بها ذكر اسم الشيخ محمد الزلاج على ان هذا الرجل المحسن الكبير اجتمع ايضا بصاحب الطريقة الشاذلية ولكنه لم يكن من اصحابه الملازمين له هكذا رايت في كتاب مناقبه والخلاصة ان رجال الزلاج يعسر ضبط عددهم بالندقيق لتجاربهم حد الالوف فقد ذكر الوزير السراج في كتابه الحامل السندية انه ضبط عدد قرارات مقبرة الزلاج في زمنه فكانوا اكثر من اثني عشرة الفا ورايت في الشهاب ١٤٤ من كتاب الشهب المخزقة لمن ادعى الاجتهاد لولا انقطاعه من المخزقة العبارة التالية في التنويه بولئك الرجال ونصها : وكرامات الشيخ محرز بيلدنا وسيدي علي الفحام وسيدي علي القرجاني ورجال الزلاج بيلدنا لا تحصى وان اردت ان تقف على بعضها عيانا فعليك بقصيدتنا البائية التي نظمناها في الاربعة اصحاب الشيخ ابي الحسن الشاذلي بتونس اهـ . قلت هذه القصيدة لم تقف عليها وانما نعرف قصيدة اخرى لاحد افضل الادباء المتأخرين وهو المرحوم الشيخ محمد الحشايشي اسمها سمط اللجين في التعريف بالرجال الاربعة مطلعها :

الحمد لله وصلى الله	على نبيه ومصطفاه
محمد المبعوث بالهداية	ومنبع الانوار والولاية
وءاله مناهج اليقين	وصحبه ليوث هذا الدين
وبعد قد اردت نظم سادة	ارجو بهم في الموقف السعادة
اصحاب شيخنا علي الشاذلي	غوث الوري مسدي النوال العاجل
وضامن المريد في الثلاثه	نزع ولحد بعدها الاغاثه
نور بهم يا ربنا القلوبا	واقفلهم عن عبدك الذنوب
واجعلهم حرزا حصينا نافعا	ويوم عرض الخلق طرا شافعا
واقض بهم مشارب العباد	حتى تقوز منهم بالزاد
اولهم محمد الغماري	بحر الكمال منبع الاسرار

اعقبه الناظم بذكر بقية الاصحاب المقبورين بالزلاج ثم ذكر بعدهم بقية الرجال الاربعة المرموسين خارج مقبرة الزلاج ختمهم باسم سيدي سالم التباسي حيث قال :

ومستجاب الدعوة التباسي	الطاهر الاعراض والانفاس
وهو تمام الاربعة صاحي	فيما نقلته عن الصحاح
وقبلهم اكثر من هذا العدد	وهو الصحيح عندنا والمعتمد
والحمد لله على التمام	والعون في المبدأ والختام

اعاد الله علينا من بركاتهم وجمعنا وياهم في صعيد واحد

بِحَمْدِ رَبِّ الْوَجْهَةِ

﴿ ديوان الـورغي ﴾

وعوضت منها في جنائك فسحة
وسعت بها تأميل كل مؤمل
وما ضر ان كانت بجودك اية
اذا ما شفعت الميم اتبعت منحة
ولولا الحيا والعلم انك صالح
وفيك وفيها رحمة حين ينزوي
فياخذ هذا عن عتابك مهلة
وان زدت فيها عند ذاك تبسما
كذلك فلينعثك من كان مغرما
صدعت بهذا اذ قلت صفني ولا تمل
فجاء كما جاء الامان لحائف
مديح اذا كنت فيه فرما
ولكن اذا قلنا علي ترنحت
ايا ابن حسين والملاحه كاسمها
لما ان لي في وزن شعرك نعمة
فكن في امان الله تمنع من ردى

يغيب بها ما في الحضيض الى الشر
وءاويت في اكنافا كل ذي دعر
كما ان غيم الجو من اية القطر
او الباء جاء البر منك على الاثر
لقلنا بفيك العذب فافاة السحر
امامك ذو ذنب او الطالب البر
ويطنب ذا فيما يقودك للاجر
فتلك لعمر الله منقبة الفجر
بحبك وليصدع بما فيك من سر
عن الصدق ان الصدق اجل بالحر
والا كما ساحت مهلة من الحذر
توقف في تصديقه جامد الفكر
قلوب الوري شوقا الى ذلك الذكر
بلغت المنى لما مدحتك في شعري
وان كنت في الميزان اعلا من الشكر
وتستاصل الاعداء وتمرح في الخير

وله فيه وقد ارجف قوم في جانب الدولة

لك المثل الاعلى وللکاذب الفهر
وتسعد من قول الاعادي بضده
هم الادعيا يلقون قولاً وما لهم
فهل يومهم يوم اذا الشمس غابت
وما خبت ما قلوة يخض جانباً
فمادت له الغبرا فلا النبات ثابت
امن غيرة المسولى عليك عقوبة
وفيك اناسة يسهل الذنب عندها
لعلك يشنيك الحنائف فتتظفي
وما الناس الا ما علت فككاهم
اذا لم يسوغ مضهم بحراية
وانت على ما انت ارحم شافع
فلو كنت تستفتي عن الحكم فيهم
اذا كنت مطبوعا على العفو فالذي
ولو شئت كان السخط في موضع الرضا
وهبت بك الجرد السلاهب نحوهم
عليها من الفتيان كل مدرب
تعدد مر تاضا عن السخط والرضا
اذا هم لم يأمل رجوعا وان سطا

يدور عليه بالذي قاله الدهر
اذا بزروا زورا تها لك الزهر
على قبج ما تجني عواقبه صبر
وهل ليلهم ليل اذا انخسف البدر
ولكنه يشقى به البطن والظهر
به الخضرا فما انبعث القطر
تصب على الباغي ويصلى بها البر
وان حق للاتي به المركب الوعر
حرارة ما اوراة في حقك الحور
او الحل مهما ذقته مطعم مر
تجرع من يبلى بهم وهم الازر
تجيد لهم عذرا اذا انقطع العذر
وردت لك الفتيا لقلت هو الاجر
يحاول منك الفتك راحتة صفر
وقام الى ما تامر البيض والسمر
هبوب دبور بعدما طلع القمر
لامرك عبد وهو ان تنم حر
سواء عليه في الهوى القر والحر
فمصدومه شفع وصدمه وتر

هنالك لا لبقى مواجحك الغنى
وتشفي غليلا لم يكن لك غائظا
على أن في خير الوري لك اسوة
فقد اكرم الله الحبيب بمثلها
فلم يبق فيما يوم النفس بعدها
فكم منحة تأتي وقد بان وجهها
وكم غادة تلغى لظاهر طمرها
كسجنتك لي في غرة الفطر عندما
تأطفت في تشريف قدري بوضعه
فطن ببادي الراي ان قد اهنتني
وما عرف المسكين ان بهذه
فلو لم اكن فيه العتاهي ما جرى
وكم بين من يأتي الى البر طالبا
وما حس البازي لاجل هوانه
فهذا على الابصار يجلو محاسنا
وما كان ترك الشعر منى اربية
امنا اني وجهت فيك قوافيا
وما باختياري كان حي وانما
عليك محبات القلوب تهافتت
فانت لها مغنطيس لو تصورت
لانك فياض وتترك باسم
ولولاك ما راج القريظ ولا دعى
ولكن عدتني الان عنه عوارض
طويت عن الاسماع قبل حديثها
وهذي بقايا الفكر كنت اختلستها
فان اطلقتني من وثاقل ربما
وان كانت الاخرى فكم من مليحة
حيث كما تختار تظفر بالمنى

وكان الامير المذكور جهز ولديه حودة والمأمون في جيش كفيف

فيه اعيان الدولة بقصد الطواف في ارجاء المملكة على سبيل

الاستراحة والتدريب فقال ابو عبد الله الورغي في ذلك

أقلا علي اللوم اني لفسى شغل
أقامت بذات الجزع من جانب الحمى
يمثل لي منها بكل ثنية
تكدت تاحيني وبيني وبينها
ولم انس في جور الوداع وقوفنا
فحمننا عن الاقوال فيه وانما

شغلت بسلي اين من اهلها اهلي
وها انا ما بين الصوى والنوى رحلي
خيال اذا غمضت ابصرته حولي
من البعد ما بين السماحة والبخل
وقدفت داعي الفصل في ساعد الوصل
قنعنا بایماض العيون عن القول

المجلة الزيتونية

على

مجلة علمية أدبية أخلاقية

تصديدها المجلد الحادي عشر في شهر ربيع الأول سنة ١٣٦٠ هـ

شهرية وستة عشر شهرا

الجزء العاشر | تونس في جمادى الثانية ١٣٦٠ وفي جويلية ١٩٤١ | المجلد الرابع

صاحب المجلة والمدير :

محمد الشاذلي بن القاسم

المدرس من الطبقة الاولى بجامع الزيتونة

والخطيب الاول بجامع حمودة باشا

المراسلات :

ترد باسم مدير المجلة بمحل الادارة

حساب جاري بادارة البريد رقم ٣٤٢٢

رئيس قلم التحرير :

محمد المختار بن محمود

المفتي الحنفي

بالديار التونسية

الادارة :

نهج الباشا رقم ٣٣ بتونس - تليفون ٢٦-٤٩

تس الجزء ثلاثة فركات

صفاة	المقال	صافه
٣٨٧	خاتمة المجلد الرابع
٣٨٨	الخطاب الذي القا فضيلة شيخ الجامع في
	حفلة ختم السنة الدراسة بجامع
	الزيتونة
٣٩١	العائل والاحق
	القرآن الكريم	
٣٩٢	تفسير آيات من سورة قد افلح
	الحديث الشريف	
٣٩٦	شعب الايمان
٤٠٠	رجب
	الوعظ والارشاد	
٤٠٣	في سبيل الاصلاح واجب الائمة والخطباء
	المرشد الفاضل الشيخ الجيلاني حمزة الخطيب
	بجامع الحنفية بالمهدية	
	التاريخ	
٤٠٥	جامع الزيتونة في سمر ضباط الجيش
	العالم المؤرخ امير الامراء سيدي محمد بن الخوجة
	مستشار الحكومة التونسية	
٤١٢	عود لرجال الاربعين
٤١٣	وثيقة تاريخية من العهد الحفصي
	العالم الفاضل الشيخ الشاذلي النيفر المدرس بجامع
	الزيتونة	

الاشتراك

عن سنة بالحاضرة وبلدان المملكة والجزائر والمغرب	وصولات الاشتراك لا تعتبر الا اذا كانت
الاقصى وسوريا فرنكات	ممنوعة من امين المال :
٣٠	
في الخارج غير البلاد المذكورة فرنكات	٤٠
مجلد المجلة عشرة اعداد في السنة	والمخابرات المالية تكون معه
الادارة نهج الباشا رقم ٣٣ - تونس	

محمد الهادي بن القايني

مَجْلَّةٌ عِلْمِيَّةٌ أَدَبِيَّةٌ اخْلَاقِيَّةٌ
تَصِلُ إِلَيْكُمْ بِمَعْنَى مُدَارِئِكُمْ بِأَعْيُنِ الْيَقِينِ وَالْإِيمَانِ

الجزء العاشر تونس في جمادى الثانية ١٣٦٠ وفي جويلية ١٩٤١ المجلد الرابع

فالمجلة تعترف للجميع بما مدوها به من تحارير قيمة ذات افكار سديدة ومساع حميدة
ونعتذر لمن لم يتمكن لنشر ما وأصلوا به من مقالات ثرية وقصائد شعرية
كما نعتذر عن تاخير الاجابة عن اسئلة طلب اصحابها الاسراع بالاجابة عنها وكل آت قريب
والله المستعان بدا وختاما انه سميع مجيب.

خطاب الاستاذ الاكبر

صاحب الفضيلة الشيخ سيدي محمد العزيز جعيط

شيخ الجامع الاعظم وفروعه

بمناسبة ختم السنة الدراسية بجامع الزيتونة يوم الاربعاء ٢١ جمادى
الثانية الموافق ١٦ جويلية القى فضيلة شيخ الجامع الاعظم الخطاب
الآتي في موكب رهيب تصدره صاحب الدولة المولى الوزير الاكبر
واصحاب المعالي الوزراء الكرام وشيوخ المجلس الشرعي
الاعلام واعيان رجال الدولة التونسية وشيوخ المعهد وتلامذته

الحمد لله الذي طوق العاملين قلائد التشريف والتكريم . ووفق المهتدين لاكتساب فضيلتي
التعلم والتعليم . والصلاة والسلام على الرسول الاكرم والمرشد الاعظم سيدنا محمد الهادي الى الصراط
المستقيم . وعلى آله وصحبه الحاملين ملته . المبليين سنته . الناشرين دعوته بفواصل القول الحكيم .
ما بعد فمن اداء حق شكر النعمة ان استهل الغرض المقصود . في هذا الجمع المشهود . بترتيل
آيات الشكر . وتوجيه ركائب الثناء نحو مليكن الكهف الامنع . والملاذ الارفع . سيدنا احمد باشا
باي دام عزة وعلا . اعترافا بما اسداه للعلم واهله من عناية كاملة ورعاية شاملة . واهتمام بشان
التعليم . نفخ فيه روحا يقظت جفنه بعد السبات . وانطقت لسانه بعد طول الصمات . وقد عززت
حضرته الشاعخة السماء لازال منبع الاحسان وناصر العرفان مبراته العلمية فحبس على الحزينة الزيتونية
في هذا الشهر بعض الكتب النفيسة وبلغت العطية محلها في هذا اليوم المبارك وما اجتماعنا اليوم ايها
السادة الاثر من آثار هذه العناية المباركة والاهتمام المحمود حيث قرر ابقاء الله في الفصل السادس
والثلاثين بعد المسائتين من امره المطاع المتعلق بنظام التعليم اقامة احتفال رسمي يوم ختم الامتحان
بحضرة المولى الوزير الاكبر نيابة عن جلالاته .

كان من اثر هذا النظام ان قطع التعليم بالجامع المعمور وفروعه مراحل شاسعة من النهوض
في سبيل تلقين اللغة العربية والعلوم الشرعية وما يتوقف عليه الرقي الفكري والنفسي من علوم واخلاق
ذلك انه يسر وسائل الرقي العلمي الذي هو الضالة المشوذة لسائر المعاهد العلمية .

والرقي العلمي كما لا يخفى على ذوي الالباب صرح مشيد على دعائمي احسان التلقين من المعلمين
وحسن التلقي من المتعلمين . فاما احسان التلقين من المعلمين فيستمد قواه من عنصرين عنصر الكفاءة
العلمية وعنصر الاخلاص في اداء الواجب . وعناية الاخلاص الثابرة على العمل والمداومة على التدريس

وتوخي الاساليب المثمرة الجذابة لتثير في التلاميذ الشغف بالعلوم والتطلع اليها والارتياح لمطالعة كتبها والمذاكرة فيها وغشيان نواديها . واعتقاد انها الغرض الاسمي للحياة . ومطلع السعادة الحقة . ولعلم المشيخة العلمية بان الاتقان هو الوسيلة الوحيدة التي تعيد للعلم رواءه وتخصب حقوله لم تال جهدا في اعانة شيوخ التدريس على تحقيق هذه الرغبة المهمة فناطت بعهدة كثير منهم لقاء درسين او دروس في موضوع واحد من فن واحد وغرضها من ذلك ان تخفف عليهم من اعباء احضار دروس متعددة في مواضيع مختلفة وتوفر لهم اوقاتا يجمعون فيها نشاطهم ويتمكنون بواسطتها من كمال الاتقان وغرس شجيرات التخصص في الفنون لتصير مع مرور الزمان دوحات كثيرة الغصون . باسقة الفروع . ثمر باهر التقدم في مختلف الميادين . وبذلك يسلك الطريق السوي الذي سلكه سلفنا الصالح في العصور الغابرة . ايام كانت المعارف راسخة الاوتاد . شاححة الذرى .

وقد تسنى للمشيخة العلمية بتوخي هذه الطريقة ان تكلف ثمة من شيوخ التدريس للقيام بدروس المتخلفين من الشيوخ لاعذار شرعية على طريقة الساعات الزائدة وان تحافظ على الموازنة الدراسية التي هي مطمح نظرها وهدف اهتمامها لاستيقانها ان الدروس هي اجنحة النهوض التي تمكن المتعلمين من التحليق في اجواء التقدم

واما حسن التلقي من المتعلمين فيعتمد اولا على قوة البواعث النفسية وشدة الطموح الى العالي وهذان قد يكونان من مواهب الفطرة . وقد يكونان من نتائج التربية . ويستند ثانيا الى استقامة الجسم . وكفاية امر السكنى والعاش وهذان يتعلقان بالنصيب الموفور فيهما باولياء التلامذة والمجتمع . ويجعل بنا ان تنوسم في المستقبل خيرا جدا اذ اينا الشعور باذراك الواجبات نماديه في جسم المجتمع وجادت انوؤه . وتجاوبت في نواح كثيرة اصداؤه . يدل لذلك تلبية الفضلاء الكرام البررة اصحاب الحلمات لنداء المشيخة العلمية في اباحة الاستحمام عجانا لفقراء التلامذة . ولا يخفى ان النظافة من اوثق اسباب حفظ الصحة . كما يشهد لهذا الشعور الفياض تكوين جمعية اغانة ضعفاء التلامذة وتشديد بعض المحسنين مآوي السكنى لعموم التلامذة . وهذه المنشآت وان لم تشف العلة وترو الغلة الا انها باضافتها لموقوفات اسلافنا الكرام خففت الالم عن القريح وكسرت من سورة التباريح

ومع ما يعترض الزيتونيين في طريق تعلمهم من عقبات الحصاصه والاحتياج فقد ظهر فيهم حسن التلقي هذه السنة الدراسية كامل الظهور . وكان من نتاجه ما يبعث على الغبطة والسرور . ذلك ان عدد المشاركين في الاختبارات الف وسبعمائة وتسعة . تقدم منهم الف واربعمائة وسبعا واربعون واستحق التاجيل لاعادة الاختبار في مفتتح السنة الدراسية المستقبلية مائة وثمانية وثمانون ورسب اربعة وسبعون . وامسك عن المشاركة في الاختبارات لعواض حائلة مائة واثان وتسعون وعدد المشاركين في امتحان الشهادات سبعمائة وستة وثمانون . ففي قسم الشهادة الاهلية نجح

في الكتّابي مائتان وستة وتسعون . واحرز على الشهادة مائتان وستة وثلاثون منهم سبعة بملاحظة احسن وخمسة وتسعون بملاحظة حسن ومائة واربعة وثلاثون بدون ملاحظة . وفي قسم شهادة التحصيل في العلوم نجح في الكتّابي مائتان وثمانية عشر . واحرز على الشهادة مائة وثلاثة وستون منهم واحد بملاحظة احسن واربعة وستون بملاحظة حسن وثمانية وتسعون بدون ملاحظة

وفي قسم شهادة التحصيل في القراءات نجح في الاداء ثلاثة واحرز على الشهادة اثنان . وفي قسم شهادة العالمية في العلوم نجح في الكتّابي في القسم الشرعي اربعة عشر واحرز على الشهادة تسعة .

ونجح في الكتّابي في القسم الادبي سبعة واحرز على الشهادة واحد وفي قسم شهادة العالمية في القراءات قبل في الاداء ستة واحرز على الشهادة اربعة . وستلى اسماء المحرزين على الشهادات وفق ترتيب كثرة اعدادهم في هذا المجلس وستوزع جوائز من الكتب على المبرزين منهم وهذه اعداد المحرزين على الجوائز . اربعة من المحرزين على العالمية بالقسم الشرعي وخمسة من المحرزين على التحصيل في العلوم وخمسة من المحرزين على الاهلية برتبة احسن .

والمشيخة العلمية تبدي كامل ابتهاجها وعظيم ارياحها لهذه النتائج السارة وتثني على الطلبة الذين واصلوا السير في اقتطاف ازهار العلوم وضربوا آباط الاعتناء فحمدوا السرى . وبلغوا المراد وحققوا عظيم قيمهم الذاتية . اذ قيمة كل امرى . ما يحسنه . ونالوا باستحقاق الشهادات العلمية التي هي عنوان الفخر . وشعار الرقي . كما تثني على الشيوخ الذين بعثوا في التلاميذ دواعي النشاط . واناروا لهم سبيل التقدم . وحفظوهم من الوقوع في مهاوي الانحطاط وكانوا لهم اسوة حسنة في الاقتطاع للعلم والحرص على الافادة والاستفادة . وكراهة القعود عن الدراسة ولو توفرت اسباب التخلف وتنوعت دواعيه وانتهر هذه الفرصة للاشادة بشكر الشيوخ الفضلاء الذين اتسموا بمواصلة العمل وكمال المثابرة . ولم يؤثر عنهم تخلف عن التدريس في هذه السنة الدراسية أو لم يعد تخلفهم ثلاثة ايام في كاملها . وهؤلاء هم العلماء النحارير الفضلاء الشيخ السيد محمد الصالح بن مراد والشيخ السيد الصادق المحرزي كلاهما من الاساتذة . والشيخ السيد الناجي بن مراد والشيخ السيد محمد الزغواني والشيخ السيد الصادق الشطي والشيخ السيد محمد الهادي العلاني . والشيخ السيد محمد الهادي ابن القاضي . والشيخ السيد العربي الماحري . والشيخ السيد الحاج علي بن الخوجه . والشيخ السيد محمد عباس وهؤلاء من مدرسي الطبقة الاولى . والشيخ السيد محمد اللقاني والشيخ السيد الطيب التليلي وكلاهما من مدرسي الطبقة الثانية . والشيخ السيد محمود بوعزيز والشيخ السيد عمر العداسي والشيخ السيد

المختار البجاوي والشيخ السيد محمد المايل والشيخ السيد محمد الصالح الدرعي والشيخ السيد علي بن عامر والشيخ السيد العابد المعاوي والشيخ السيد محمد الحبيب الاصرم والشيخ السيد محمد الطويبي والشيخ السيد محمد غوبله والشيخ السيد محمد الاصرم والشيخ السيد احمد عياد والشيخ السيد محمد السويح والشيخ السيد احمد الجريدي والشيخ السيد محمد بوشريه والشيخ السيد محمد ابن الحاج عمر والشيخ السيد احمد المهدي النيفر والشيخ السيد التهامي الزهار والشيخ السيد محمد الشريف ميدون والشيخ السيد محمد النابلي والشيخ السيد محمد بن عمر مبارك والشيخ السيد محمد العربي العنابي والشيخ السيد ابراهيم بن القاضي والشيخ السيد محمد الاخوة وهؤلاء من مدرسي الطبقة الثالثة . كما اشكر رؤساء لجان الامتحان واعضاءها على ما بذلوه من جهود مشكورة وبرهنوا على ما عرفوا به من كمال الخبرة ومنتهى الضبط ، واستعمال الحكمة في وزن الممتحنين بالموازين القسط فان منح الشهادة لمن لا يستحقها ثلثة تحط من قيم الشهادات العلمية وتكسب المعهد العلمي سوء السمعة ومنع الشهادة عن المستحق فتنة ربما تخدم جنوة اقباله وتمنعه من السير الى مطالع كماله اما الاعتدال فهو الكفيل ببلوغ الآمال والوصول الى قمة الفلاح .

والله المسئول ان يضيء بالجامع الزيتوني ارجاء العرفان ويجعل رقيه مطردا على تعاقب الزمان بهمة ملكنا المصلح العظيم الشان ومؤازرة المولى الوزير الاكبر الذي له مواقف محمودة الاثر فيما يعود بجلب النفع ودرء الضرر تذكر فشكر تقبل الله من الجميع الاعمال الصالحة وجعل هذا العصر للبرقي العلمي والخلقي طليعة وفتاحة .

العاقل واللاحق

وصف بعض الادباء العاقل واللاحق فقال :

العاقل - اذا ولى بذل في المودة نصره ، واذا عادى رفع عن الظلم قدره ، فيعد مواله بعقله ، ويعتصم معاديه بعقله ، ان احسن الى احد ترك المطالبة بالشكر ، وان اساء اليه مسيء سبب له اسباب العذر او منحه الصفح والعفو .

واللاحق - ضال مضل ، ان اونس تكبر ، وان اوحش تكدر ، وان استطق تخلف ، وان ترك تكلف ، مجالسته منه ، ومعاتبته محنة ، ومجاورته نعر ، وموالاته نصر ، ومقاربتة ومقارنته شقاء . وكانت ملوك الفرس اذا غضبت على عاقل حبسته مع جاهل ،

واللاحق يسيء الى غيره ويظن أنه قد احسن اليه فيطالبه بالشكر ، ويحسن اليه فيظن انه قد اساء اليه فيطالبه بالوتر - اي بالتار

فمساوي اللاحق لا تنقضي ، وعيوبه لا تنتهي ، ولا يقف النظر منها الى غاية الا لوحث ما وراءهما معا هو ادنى منها وأردى وأمر وأدهى ، فما أكثر العبر لمن نظر ، ولئن اعتبر أنفعا ١ .

القرآن الكريم

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة قد أفلح

تفسير قوله تعالى

وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَائِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ * أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ * الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ *

بقلم محمد الشاذلي ابن القاضي مدير المجلة

ان الانسان لشغوف بحب الخير . متطلب للسعادة ، متطلع للكمال ، وللوصول لتكلم الغايات طرق ومسالك ، اذا هو نهجا بلغ الى غايته ، وأدرك مناه . وان هو حاد عن الطريق السوي فعبثا يحاول الوصول الى ذلك . وما هذه الطرق التي تضمن لسالكها النجاح الاتعاليم الملة السمحة . فان المرء مهما سار على ضوئها . واهتدى بشعاعها الواضح كان من الفائزين . وريح الصفقتين ، وسعد في مبدئه ومغاده .

ومن أمعن النظر في حياة الافراد والجماعات . والشعوب والامم . تجلت له حقيقة لا يداخله فيها شك ولا ريب وهي أن الاسعد خطا من بين اولئك من كان رائده الدين . ولم يحكم في أمره هواه . ولست أعني بالحفظ ما كان منها متمحظا للمادة . فان ذلك قد شارك فيه الحيوان الانسان . فلا قصده بالنظر أصالة . على أن أمر المادة نفسه له خطره فيما يرجع للاخلاق والعادات التي يسايرها الدين وقد يتبعها ويسير على ضوئها من لا يدين بذلك الدين . فيتأثر بما اقتبسه منه ويحصل على نتائج ولو لم يكن من أهل الملة .

والاسلام قد اهتم بحياة الانسان الخاصة والعامة وما من طريق للخير الا انار السبيل لسالكه الانسان وضمن لسالكه النجاح ووعدا عليه الجزاء الاوفر والسعادة المنشودة . وما من طريق للشرا الا حذره

منه تحذيرا . ورغبه عنه ونفرا من سوء مصير من يقتحمه كل ذلك حرصا منه على سعادة البشر .
والرسول جاء الى الناس بشيرا ونذيرا . فنرى القراء يهدي للتي هي أقوم ويشير المؤمنين الذين
يعملون الصالحات أنه تعالى يمكنهم من الخلافة في الارض وأن لهم أجرا كبيرا . (يا أيها الذين آمنوا
اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون) .

هذا القراء الذي فصلت فيه طرق السعادة تفصيلا . قد بينت فيه للناس اصول الآداب
والاخلاق ومناهج المعاشرة بالمعروف . كما بينت فيه اصول العقيدة للناس . وعبادة رب الناس . فتراه
يُصف المؤمنين بأوصاف من تحلى بها حمل راية السعادة باليمين . وعد من عباد الرحمن الفائزين .
وأورثه الله الفردوس ولنعم أجر العاملين . فقد قال تعالى وهو أصدق القائلين : قد أفلح المؤمنون ،
الذين هم في صلاتهم خاشعون ، والذين هم عن اللغو معرضون ، والذين هم للزكاة فاعلون ، والذين
هم لفروجهم حافظون ، الا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فانهم غير ملومين ، فمن ابتغى وراء
ذلك فأولئك هم العادون ، والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون ، والذين هم على صلواتهم يحافظون ،
اولئك هم الوارثون ، الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون .

فهذه الصفات قد بشر الله المؤمن المتحلي بها بالفلاح . ووعدته انه تعالى يورثه الفردوس من الجنة
وقد تعرضت فيما سبق لما يتعلق بالصفات الاربع الاول . وتفسير الآيات الناطقة بها وما أنا ذا
اذكر ما يتعلق بتفسير ما أنصل بها من الآيات وما اشتملت عليه من باقي الصفات . قال الله تعالى :
والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون .

الامانات جمع أمانة وهي في الاصل مصدر أمن ثم استعمل المصدر وهو مائة في الاعيان مجازاً
فقالوا في الوديعة ونحوها أمانة أي فصار لفظ الامانة يطلق ويراد منه الشيء الذي يؤتمن عليه بقصد
حفظه اذا دلت قرينة على ذلك وكذلك القول في العهد . والعهد هو الموثق وما عقده الانسان على نفسه .
والمراد بهما في الآية العين المؤمنة والمعهود بها لا المعنى المصدري وهو الحدث والقرينة على ذلك قوله
(راعون) فان الذي يراعى هو العين المؤتمن عليه والذي يجب الوفاء به هو المعاهد عليه .
ويوضح هذا المراد قوله تعالى : ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى أهلها . وقوله عز وجل :
وتخونوا أماناتكم . والذي يؤدي أو يخان هو العين لا المعنى

وراعون جمع راع وهو القائم على الشيء لحفظه واصلاحه . كراعي الغنم القائم بحفظها المتبوع
لمصالحها وراعي الرعية القائم بمصالحهم المهتم بشؤونهم وحفظهم ومنه قوله صلى الله عليه وسلم (كلكم
راع وكلكم مسؤول عن رعيته) فالرعاية هي القيام بالحفظ والاصلاح حسياً كان او معنوياً والمعنى في
الآية والذين هم قائمون بحفظ واصلاح أماناتهم ويحافظون على ما عاهدوا عليه الى ان يؤديوه كاملاً
من غير تبديل

والآية الكريمة وإن بشرت المؤمنين الذين يحافظون على أماناتهم وعهودهم فهي تشير ضمناً إلى فضيلة حفظ الأمانة والعهد وقد جاء الأمر صريحاً بوجوب أداء الأمانات إلى أهلها قال الله تعالى في سورة النساء : إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل إن الله نعماً يعظكم به إن الله كان سميعاً بصيراً . وقال تعالى في سورة البقرة : فإن أمن بعضكم بعضاً فليؤد الذي أؤتمن أمانته وليتق الله ربه . كما إنه جاء في القرآن النهي عن الخيانة صريحاً في آية : يأياها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم . وشدد التذكير على الحائذين في غير ما آية قال تعالى : إن الله لا يحب من كان خواناً أثمياً . وقال تعالى في سورة الانفال : وأما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء إن الله لا يحب الخائنين . وقال جل جلاله في ذم أهل الكتاب بذكر صفاتهم القبيحة وما تقولوه على الله وهم كاذبون : ومن أهل الكتاب من أن تأمنه بقنطار يؤده إليك ومنهم من أن تأمنه بدينار لا يؤده إليك إلا ما دمت عليه قائماً ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الأميين سبيل ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون (آل عمران)

فانت ترى من هذا كيف اعتنى القرآن بأمر الأمانة وكيف بين حكمها بما لا يترك مجالاً للتأويل ونهى عن الخيانة لما تضمنته من المفاسد الخطيرة فإن عاقبتها وبال على الفرد وعلى الأمة وقد اتفق الشرع والعقل على عظيم مفسدتها وعظم جرم مرتكبها وخطارتها ما ينجر عنها من المفاسد الخاصة والعامة ولا أكون مبالغاً إذا قلت أن الذي رمي بالمسلمين في احضان المرائين هو نقشي هذا المرض العضال بين الطبقات الأمر الذي أدى إلى سلب الثقة من النفوس وحيث فقدت الثقة من الناس نحو بعضهم بعضاً كان الخطر الشديد فلا يجد ذو الحاجة محيراً يعطف عليه ولا نصيراً يفرج عنه كربته إذ كيف يدفع الإنسان ماله الذي هو حريص عليه وهو يعلم أنه لا يعود إليه . اللهم إلا من سمت به همته ورغب من الله في مثوبته فيفرج عن هذا الملهوف كربته ولو أداه الأمر إلى ضياع ماله عليه وقليل ما هم أجل أن المحافظة على الأمانة ورعاية العهود لأعظم دليل يستدل به على سمو أخلاق الشعوب وهو أكبر مساعد على بسط الحضارة والعمران وقد كانت صفة الأمانة من أخص صفات الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم فوصفه قريش بالأمين قبل أن يصفه المسلمون .

ولنا في حادثة الهجرة ما يوضح لنا أنتم وضوح كيف اعتنى الإسلام بأمر الأمانة حتى في أشد المواقف وأحرج الأوقات ومع من يضمّر العداء وباح بالعدوان . فقد خلف رسول الله وراءه علياً بمكة بعدما هاجر منها ليرد إلى الناس ودائعهم التي أئمنوه عليها . وبذلك أدب صلى الله عليه وسلم الصحابة واليه دعا المسلمين ليكونوا مثاله الكمال فلا جرم إذا راينا في أخبارهم كيف عمروا الأرض بعد فسادها . وساسوا الشعوب واثقوهم مما كانوا عليه

والعجب كل العجب ممن يروم النهوض وساعدة مثقلان بهذا الوقر العظيم . وممن يفكر في أسباب التعاون وخلق الخيانة كامن في نفسه متأصل فيه
أما علم الإنسان أنه ينال جزاءه في حياته الأولى ثم سيعاسب في آخره على ما قدمت يداه وفي الحديث خمس تعاجل صاحبهن بالعقوبة : البغي - والفدر - وعقوق الوالدين - وقطعة الرحم - ومعرفة لا يشكر .

ولا يبلغ في الدلالة على سوء حال الخائن من عدة صلى الله عليه وسلم في صفات المنافق حيث قال :
آية المنافق ثلاث اذا حدث كذب واذا وعد أخلف واذا أئتمن خان . فالخيانة شعبة من شعب النفاق
ولا يحسب الانسان ان الخيانة لا يمسها شظا من لبيها الا اذا كانت من باب الغدر في الاموال التي
يجعلها صاحبها وديعة عند المؤمن . وأن ذلك هو المنهي عنه فقط . بل ان كل غدر خيانة وهذا يشمل
المال والعرض والنفس .

فيجب على المؤمن ان لا يخون الله فيعصه وان لا يخون رسوله فلا يتبع هديه وان لا يخون
الناس كافة لا في اموالهم ولا في اعراضهم . حتى اذا قام برعاية الحقوق . ووفى بما اخذ عليه من
العهود فلا جرم ان يكون معن وسمهم الله بالفلاح . واولئك هم المؤمنون الصادقون الذين حفظوا
فروجهم عما نهاهم الله عنه وحفظوا عهودهم ولم يخونوا أهلهم ولم يخونوا الناس اجمعين ولم يخونوا
الله ورسوله وذلك هو الفلاح والقوز العظيم .

الصفة السادسة المحافظة على الصلوات المكتوبة قال : تعالى والذين هم على صلواتهم يحافظون .
عد الله تعالى هذه الصفة وهي المحافظة على الصلاة مع عدة الخشوع في أول الصفات لانها وان كانا يتعلقان
بشيء واحد وهو الصلاة الا ان الاولى وهي الخشوع لبيان صفة تلبس المصلي حل صلاته . وهذه امر
زائد على ذات الصلاة فهي تتعلق بالصلاة من حيث ذاتها فكان هذه تتعلق بالجسم والاخرى تتعلق بالروح
وكل ذلك يدلنا في وضوح على مقدار غناية الشارع بأمر العبادة وقد قال تعالى : وما خلقت
الجن والانس الا ليعبدون .

ولمزيد عنايته بروح الصلاة قدم صفة الخشوع أولا حتى يعلم المكلف مقام الخشوع العظيم ثم
ختم بالمحافظة عليها وجعل بقية الصفات وسطا لمزيد الاشعار بان أمر العبادة هو الاهم أولا وآخرها
والمحافظة على الصلاة تتناول المحافظة على اقامتها وعلى ادائها في أوقاتها . وعلى أركانها وشروطها
وكل خلل في الاركان أو الشروط أو تفريط في الوقت أو عدم القيام بها بالمرة تنافي مع المحافظة اعادنا
الله من ذلك وقد جاء الوعيد للمفترطين في صلواتهم فضلا عن التاركين . كما جاءت البشارة للمحافظين
القائمين بها على اكمل وجه في هذه الآيات بالفلاح والقوز . ثم الوعد بالمقام العظيم والثواب الجسيم
فقال تعالى : اولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون

الاشارة الى المؤمنين الذين اتصفوا بتلك الصفات الست . وآثر اسم الاشارة على الضمير لما فيه
من الاشعار بامتياز المؤمنين عن غيرهم بتلك الصفات مع الدلالة على انهم احقاء بالمحكم المذكور
لاجل ما تحلوا به من الاوصاف السابقة . وما في الاشارة من معنى البعد المؤذن بعلو مراتبهم وبعد
درجاتهم في الشرف الفضل على حد قوله تعالى : أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون .
وقوله (هم الوارثون) اي الذين يستحقون ان يسموا بالوارثين لان ما سينالونه من
النعم هو الارث الدائم أما غيرة فعرض زائل وهو استعارة عن الاستحقاق وعبر به دون يستحقون
للدلالة على المبالغة لانه أقوى أسباب الملك

واختار القرطبي ان الارث في معناه الحقيقي بما رواه وصححه . وقوله (الذين يرثون الفردوس)
صفة كاشفة لنوع الارث الموعود به . وقد ذكر الارث مطلقا أولا ثم قيد بالفردوس تفخيما وتأكيذا .
والفردوس أعلا الجنة الذي خصه الله لطائفة من عباده منهم الذين تحققت فيهم هذه الصفات التي جمعتها
هذه الآيات الكريمة جعلنا الله من اهله ووقفنا للعمل الموصل لارثه

الحديث الشريف

شعب الايمان

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : الْإِيمَانُ بَضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً أَوْ بَضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً أَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ (رَوَاهُ الشَّيْخَانُ وَاللَّفْظُ لِمُسْلِمٍ)

البيان بقلم محمد الهادي ابن القاضي امين المجلة

هذا الحديث أخرجه البخاري في كتاب الايمان عن ابي هريرة ولفظة الايمان بضع وستون شعبة والحياء شعبة من الايمان فقد جزم بالستين من غير ترديد يسنها وبين السبعين وأخرجه مسلم ايضا ورواية مسلم كما رأيت على الترديد بين الستين والسبعين والشك من الراوي غير ابي هريرة فالراوي شك هل قال النبي (صلعم) بضع وستون او قال بضع وسبعون شعبة

وقد اختلف العلماء هل الافضل الاخذ بروايته الستين او الافضل الاخذ برواية السبعين فقال بعضهم الارجح الاخذ برواية الستين لانها متفق عليها وقد رواها البخاري ايضا على سبيل الجزم فهذا القدر هو المقطوع به عن النبي (صلعم) ورجح جماعة منهم القاضي عياض والنووي الاخذ برواية السبعين لانها زيادة من ثقة قبل وليس في رواية الاقل ما يمنعها واتنا بذلك نجمع بين الروايتين لان الستين مندرجة في السبعين فبالاخذ برواية السبعين نكون قد أخذنا بالروايتين جميعا على سبيل الاحتياط

وابا ما كان فالذي عليه المحققون من العلماء ان المراد بهذا العدد الكثير لا التحديد فليس مراد صاحب الشرع حصر انواع الطاعات واغصان شجرة الايمان في البضع والستين او السبعين كما يفيد ظاهر اللفظ . وانما المراد بيان ان شعب الايمان وخصاله كثيرة بحيث قد تبلغ الى هذا العدد الذي

يعبر به عن الكثرة

وقد اخذ بعض العلماء بظاهر اللفظ واجتهد في تحصيل ابواب الايمان وجمع شعبه وتتبع الحاصل التي عدها النبي صلعم من الايمان في مختلف الاحاديث وما جاء في الكتاب العزيز مما جعله الله تعالى ايمانا أو من صفات المؤمنين اصولا وفروعا فاذا جملة ما جاء في الكتاب والسنة من ذلك بعد حذف المكرر يبلغ سبعا وسبعين شعبة وإذن يكون المراد بالبضع في الحديث بعض ماصدقاته وهو السبع وان الايمان سبع وسبعون شعبة وهو تحقيق حسن ترتاح اليه النفس ومن هؤلاء الحافظ بن حبان والحافظ ابوبكر السيقي فقد صنف فيها كتابا اسماه شعب الايمان

والذي شفى العليل وأروى الغليل في هذا المقام العلامة العيني في العمدة قال في تفصيلها رضي الله عنه ما يتلخص فيما يأتي: اعلم ان الايمان الكامل النام هو التصديق بالقلب والاقرار باللسان والعمل بالجوارح فهذه ثلاثة اقسام الاول يرجع الى الاعتقادات واعمال القلب وهي تشعب الى ثلاثين شعبة الاولى الايمان بالله تعالى وهو اصلها وأساسها ولهذا جاء في حديث مسلم أفضلها قول لا إله إلا الله والمراد القول المقارن للتصديق لا محالة ويدخل في الايمان بالله الايمان بذاته وصفاته وأنه ليس كمثل شيء الثانية اعتقاد حدوث ما سوى الله تعالى . الثالثة الايمان بملائكته . الرابعة الايمان بكتبه . الخامسة الايمان برسله . السادسة الايمان بالقدر خيره وشره . السابعة الايمان باليوم الآخر ويدخل فيه سؤال القبر وعذابه والبعث والنشور والحساب والميزان والصراط . الثامنة الوثوق بالجنة وأنها دار الخلود للمؤمنين . التاسعة اليقين بوعد النار وعذابها وأنها لا تقنى . العاشرة محبة الله تعالى . الحادية عشر الحب في الله والبغض في الله ويدخل فيه حب الصحابة وحب آل النبي صلعم . الثانية عشر محبة الرسول (صلعم) ويدخل فيه الصلاة عليه واتباع سنته . الثالثة عشر الاخلاص ويدخل فيه ترك الرياء والنفاق . الرابعة عشر التوبة والندم . الخامسة عشر الخوف . السادسة عشر الرجاء . السابعة عشر ترك اليأس والقنوط . الثامنة عشر الشكر . التاسعة عشر الوفاء . العشرون الصبر . الحادية والعشرون التواضع . الثانية والعشرون الرضا بالقضاء . الثالثة والعشرون الرحمة والشفقة . الرابعة والعشرون التوكل . الخامسة والعشرون ترك المعجب والزهو ويدخل فيه ترك مدح نفسه وتزكيتها . السادسة والعشرون ترك الحقد والضغن . الثامنة والعشرون ترك الغضب . التاسعة والعشرون ترك الغش ويدخل فيه الظن السوء والمكر . الثلاثون ترك حب الدنيا ويدخل فيه حب المال وحب الجاه فاذا وجدت شيئا من اعمال القلب من الفضائل والردائل خازجا عما

ذكر بحسب الظاهر فانه في الحقيقة داخل في فصل من الفصول السابقة يظهر ذلك عند التأمل والقسم الثاني يرجع الى اعمال اللسان وهي تشعب الى سبع شعب الاولى التلفيظ بكلمة التوحيد الثانية تلاوة القرآن الثالثة تعلم العلم الخامسة الدعاء السادسة الذكر ويدخل فيه الاستغفار السابعة اجتناب المنكر

والقسم الثالث يرجع الى اعمال البدن وهي تشعب الى اربعين الاولى التطهر ويدخل فيه طهارة

البدن والثوب والمكان ويدخل في طهارة البدن الوضوء من الحدث والاغتسال من الجنابة والحيض والنفاس الثانية إقامة الصلاة ويدخل فيه الفرض والنفل، الثالثة الصدقة ويدخل فيها أداء الزكاة المفروضة وصدقة الفطر وإطعام الطعام وإكرام الضيف، الرابعة الصوم فرضاً ونقلاً، الخامسة الحج ويدخل فيه العمرة، السادسة الاعتكاف ومنه التماس ليلة القدر، السابعة الفرار بالدين ومنه الهجرة من دار الشرك الثامنة الوفاء بالندى، التاسعة التحري في الإيمان، العاشرة أداء الكفارة، الحادية عشر ستر العورة في الصلاة وخارجها، الثانية عشر ذبح الضحايا، الثالثة عشر القيام بأمر الجنائز الرابعة عشر أداء الدين الخامسة عشر الصدق في المعاملات ومنه الإحراز عن الربا السادسة عشر أداء الشهادة بالحق وترك كتمانها السابعة عشر التعفف بالنكاح الثامنة عشر القيام بحقوق العيال ويدخل فيه الرفق بالخدم التاسعة عشر بر الوالدين ومنه اجتناب العقوق العشرون تربية الأولاد تربية صالحة الواحدة والعشرون صلة الرحم الثانية والعشرون طاعة الموالي الثالثة والعشرون القيام بالامارة مع العدل الرابعة والعشرون متابعة الجماعة الخامسة والعشرون طاعة أولي الأمر السادسة والعشرون الإصلاح بين الناس ويدخل فيه قتال الخوارج والبغاة السابعة والعشرون المعاونة على البر، الثامنة والعشرون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر التاسعة والعشرون إقامة الحدود، الثلاثون الجهاد في سبيل الله ويدخل فيه المراقبة الواحدة والثلاثون أداء الامانة ويدخل فيه أداء الخمس الثانية والثلاثون القرض مع الوفاء، الثالثة والثلاثون إكرام الجار الرابعة والثلاثون حسن المعاملة ويدخل فيه جمع المال من حله الخامسة والثلاثون اتفاق المال في حقه ويدخل فيه ترك التبذير والاسراف، السادسة والثلاثون رد السلام السابعة والثلاثون تسميت العاطس الثامنة والثلاثون كف الضرر عن الناس التاسعة والثلاثون اجتناب اللهو الأربعون إماطة الأذى عن الطريق فهذه سبعة وسبعون شعبة أعلاها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن طريق الناس والحياة شعبة منها

فكانه (صلعم) شبه الإيمان بشجرة نبتت في أرض طيبة وتفرع منها فروع وأغصان فكلمة التوحيد هي أفضل الشعب وأصلها متى حلت في القلب أوحى إلى الأعضاء بالطاعات فابتدأت بالاركان كالصلاة والزكاة والصوم والحج ثم أخذت في تحصيل النوافل والسنن والندوبات بالمقدار الذي تطيقه وهكذا بادئة بالاهم قبل المهم حتى تؤدي أكلها وتحقق معنى المؤمن الكامل الذي وصل إلى مقام الاحسان فهي كالشجرة ذات الشعب المتفاوتة بعضها أفضل من بعض فأفضلها لا إله إلا الله محمد رسول الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق أي إزالة ما عساه يؤدي الناس في طريقهم من نحو شوك وحجر فهذا أقل غصن في شجرة الإيمان البانعة وبين الشعبين العليا والدنيا مراتب متفاوتة كتفاوت الفروع والأغصان في الشجرة ومن هذا اختلف الناس كاختلاف الشجر ومن هنا أيضاً تفاوتت مراتب الإيمان كالا ونقصانها تقدر كمال الشعب ونقصانها فمن كمل فقد جمع الشعب كلها بل هذا هو الاكمل ثم يليه الكاملون بحسب ما عندهم من طاعة وما جمعوا من اوصاف المؤمنين ثم ذكر احكام الخلق (صلعم) شعبة وسطى من شعب الإيمان فقال (والحياة شعبة من الإيمان)

وهنا تتلجى حكمة تخصيص الحياء بالذكر فانه شعبة وسطى وهو مع ذلك بمنزلة الميزان للطاعات والايمان لانه خير كله ولا يأتي الا بخير كما قال (صلعم) الحياء لا يأتي الا بخير . وقد اختلفت عبارات الحكماء وعلماء النفس في تحديد معنى الحياء الممدوح فمما قيل في تعريفه انه انكماش يعرض للانسان عند ظهور ما يعاب عليه او يذم وهذا الانكماش يمنعه طبعاً من فعل هذا الشيء الذي يعرضه للعب والذم . وعن الزمخشري الحياء تغيير وانكسار يعتري الانسان من تغير ما يعاب به ويذم وبالجملة فان الحياء خلق في النفس يبعثها على ترك القبيح وفعل الحسن وهو ممدوح لا محالة واما الانكماش عن اظهار الحق خوفاً من بطش المبطلين المتبسين به فليس حياء بل هو حبن ونذالة وهو مذموم باعتبار ما يترتب عليه من ضياع الحق وهو من اخس صفات الانسانية حتى قيل من حرم الحياء فقد حرم اخس الخصائص الانسانية وكان أشبه شيء بالحیوان الاعجم .

فلا والله ما في العيش خير ولا الدنيا اذا ذهب الحياء

لذلك ترى الشر في افطع مظاهرة لا يرسم الا على الوجوه التي قل فيها ماء الحياء فخلت من كل معنى انساني وراحت تمنع في الشر ولا تبالي بالعاقبة . قال الشاعر :

اذا قل ماء الوجه قل حياؤه ولا خير في وجه اذا قل مأؤه

حياؤك فاحفظه عليك وانما يدل على فعل الكريم حياؤه

ومن حفظه الله تعالى بالحياء فقد صانه من كل سوء فعقد لسانه عن اللغو وجوارحه عن الشهوات لانه اذا تحدثه نفسه بقبيح رأى ان الله مطلع عليه فاستحيا من الله وانكماش عن كل شر وهذا أعلى مراتب الحياء وهو الحياء من الله تعالى روى الترمذي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله (صلعم) استحيوا من الله حق الحياء قال قلنا يا نبي الله انا لنستحيي والحمد لله قال ليس ذلك ولكن الاستحياء من الله حق الحياء أن تحفظ الرأس وما وعى وتحفظ البطن وما حوى وتذكر الموت والبلى . ومن اراد الآخرة ترك زينة الدنيا . فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء

ومن الحكم الخالدة التي تابعت عليها كلمات الانبياء وافقت عليها الشرائع : اذا لم تستح فاصنع ما شئت . عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلعم : ان مما ادرك الناس من كلام النبوة الاولى اذا لم تستح فاصنع ما شئت . ومن كلام الحكماء من كساه الحياء ثوبه لم ير الناس عيه ومن كلام البلغاء حياة المرء بحيائه كما ان حياة الفرس بمائه ومن كلام الادباء من عمل في السر عملاً يستحي منه في العلانية فليس لنفسه عنده قدر ، ولقد كان رسول الله صلعم اشد حياء من البكر في خدرها وبالجملة متى كمل حياء المرء كمل إيمانه وكملت فيه اسباب الخير وكان في ميدان الرجولة والفضل سباقاً . اكمل الله لنا شعب الايمان ورزقنا الحياء

محمد الحادي الرفاعي

رجب

بقلم العالم الواعظ الشيخ أحمد المهدي النيفر
الخطيب بجامع باب البحر والمدرس بجامع الزيتونة

لشهر رجب في اعتقاد عامة الناس ودهمائهم مكانة ممتازة من بين الأشهر ومزيد فضل عليها واحترام متناه ، فهو في نظرهم شهر فضلت أيامه وكُرمت لياليه ، وموسم من المواسم التي حث الشرع على الإقبال على الطاعة فيها ، والاكثار من بوافل الصوم والصلاة ، وتعميرها بالذكر والتسبيح وصالح الأعمال والكف عن العصيان والآثام .

ومن مظاهر احترامهم له أن المعاقرين لبنت الدنان والمنكبين على شربها طيلة العام ، يتورعون عن تناولها فيه ويستمر بهم هذا التورع إلى انقضاء شهر الصوم ، ولا يواصل احتساءها في هذه الأشهر الثلاثة التي تسمى في العرف « بالعواشر » إلا مهلهل العقيدة ومن لا يبالي بتغنيف الناس وتقريعهم ، ومظهر آخر من مظاهر إجلالهم لشهر رجب شعور من لا يزالون يحتفظون بعقيدتهم ، ومن فيهم بقية من دين وإيمان بالواجب الذي فرض عليهم مولاهم القيام به خمس مرات في اليوم والليلة ، فيسبّحون من نوم الغفلة ، ويقبلون على أداء ذلك المفترض بصدق نية وإخلاص طوية ، فتعمر بيوت الله بالركع السجود ، ويلاحظ البصيران للمساجد الجامعة في رجب والشهرين بعده تغص بتوارد المصلين وتزايد عددهم ،

كما أن من دلائل اعتقاد الناس لافضلية رجب تطوعهم فيه بالصوم والصلاة ، وإقبالهم بكليتهم على النوافل والذكر فهناك من يقضي غالب أيامه بالصيام ولياليه بالقيام ، وهناك من يلتزم صوم يومي الاثنين والخميس منه وهم السواد الأعظم .

وثم من الناس من يهتم جد الاهتمام بصلاة تعلى في أول جمعة منه على وصف مخصوص محفوظ ، وتسمى هذه الصلاة بصلاة الرغائب ، واعتناؤهم فيه بتلاوة اسم من اسمائه تعالى وهو اللطيف اعتناء عظيم ، فعند دخوله يسرع الناس من رجال ونساء إلى سبحاتهم يذكرون بها ذلك الاسم الشريف حتى يأتون على العدد المقرر .

هذه هي مظاهر التجلية أشرف رجب ، وهذه هي النوافل والطاعات التي تعمر بها أيامه ولياليه في عصرنا الحاضر وليس ثم شيء آخر يعمل فيه ويهتم به الناس ، وليس هناك احتفالات يخرج لها المشاهدون ، ولا الأطعمة تصنع ويتنافس فيها الآكلون .

نعم به موسمان هما في عقيدة الناس من المواسم الشرعية الموسم الاول أول جمعة منه المسماة بجمعة الرغائب وكأن هذا الموسم خاص بالنساء فانهم يخرجن صباح الجمعة الاولى منه للمقابر بقصد زيارة موتاهن والترحم والتصدق عليهم ويعتقدن ان الزيارة مطلوبة في تلك الجمعة ومرغب فيها ، فهذا الموسم مخصوص بزيارة القبور . عند ربوات الجذور ، واما الرجال فليس لهم عناية النساء بجمعة الرغائب . الموسم الثاني هو موسم الاحتفال بذكرى الاسراء والمعراج وذلك في ليلة السابع العشرين منه ، وليس بهذا الموسم غير سرد قصة المعراج في بعض الامكنة الخاصة واثارة الجامع الاعظم .

ولعل مبالغة الناس في احترام شهر رجب واعتقادهم افضليته ، وحرصهم على التزود فيه بزيادة التقوى منشأها ما يسمونه من خطباء الجوامع من الاشادة بقضائيه وذكر الاحاديث التي يروونها عن الرسول في فضله وفضل صيامه وقيامه ، وما يقرؤونه في كتب الرقائق والمجالس من الترغيب في عمل الطاعة فيه ، واختصاصه بمزيد الفضل على باقي الشهور ، ويمكن أن يكون اجتهاد الناس في العبادة فيه وتعظيمهم عن ارتكاب المعاصي علته رياضة النفس وتوطئتها على الطاعة حتى اذا اظلم شهر رمضان الذي هو شهر صبر وعبادة وجدوا انفسهم مرتاضة على ذلك

وتعظيم اهل البلاد التونسية لرجب واحترافهم به قديم فقد ذكر ابن ابي دينار في كتابه المؤنس ان اهل الحضرة التونسية بعده وهو القرن الحادي عشر للهجرة كانوا يعظمون ليلة النصف من رجب وليلة السابع والعشرين منه تعظيما لا يخفى امرة

كما كانت البلاد المصرية في القرن الثامن الهجري تعظمه وتقيم الاحتفال لموسمين فيه وهما : اول ليلة منه . وليلة السابع والعشرين حسبا حكاة ابو عبد الله محمد العبدري المعروف بابن الحاج المتوفى سنة ٧٣٧ عنهم في كتابه المدخل

ويظهر أن أهل مصر اليوم ليس لهم من المواسم في رجب الا موسم واحد وهو ليلة المعراج بدليل ان الشيخ علي محفوظ صاحب كتاب الابداع في مضار الابتداء لم يذكر في بدع المواسم الا هو وكانت البلاد المصرية على عهد القواطم تحتفل بليلة اول رجب ويقوم الخطباء فيها بواجب الوعظ وتنبيه الناس لفضيلة الشهر وتحتفل ايضا بليلة نصفه ، وليلة اول شعبان وليلة نصفه وتسمى بليلي الوقود الرابع . وهي من احسن وابهج الليالي التي في عرفهم يهرع الناس لمشاهدتها من كل أوب ؛ وقد وصف الاحتفال الذي يجري بها القلقشندي في صبح الاعشى والمقريزي في كتاب المواعظ والاعتبار ومن العادة التي سنت ايام وزارة الافضل بن امير الحيوش ان تغلق في اخر جمادى الآخرة من كل سنة جميع قاعات الحمامين بالقاهرة ومصر وتختم ويحذر من بيع الخمر ثم عممت هذه العادة على عهد الوزير المامون في سائر اعمال الدولة

وليست عقيدة تعظيم شهر رجب واحترامه وليدة العصور الاسلامية بل هي عقيدة قديمة عرفت في العصر الجاهلي فان العرب ايام جاهليتها كانت تحترم هذا الشهر وتعظمه تعظيما بالغا كما يدل لذلك تسميته بـ رجب فانه مشتق من الترحيب وهو التعظيم واشد العرب تعظيما له مضر فلذلك اضيف اليهم فقيل رجب مضر حسبما روي في الحديث الشريف الآتي ، وهو معدود عندهم من جملة الاشهر الحرم الاربعة التي كانت بمكان من التجلة والاعظام ، وزمنا للهذنة من الثقاتل والسلام .

ولحرمة شهر رجب لديهم كانوا يذبحون فيه ذبيحة يتقربون بها زلفى آلهم واصنامهم ويسمون بها بالعتيرة فعليه بمعنى مفعولة من العتر وهو الذبح ويسمون بها بالرحية ايضا ولما صدم فجر الاسلام وبعث بنور هدايته الى العرب والامم كافة أقر العرب على احترام الاشهر الحرم وتعداد رجب منها قال تعالى في سورة التوبة : ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السموات والارض منها اربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن انفسكم واخرج الشيخان : الا ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض السبة اثنا عشر شهرا : منها اربعة حرم ثلاثة متواليات ورجب مضر . - الحديث وهل أقرهم على تحريم القتال فيه ؟

بعض من اهل العلم يرى ان ذلك باق لم ينسخ ، ويرجح البعض نسخ التحريم واما العتيرة فجاءت فيها احاديث متقابلة لان بعضها يقضي باطلها وبعضها يرشد الى مشروعيتها . في الحديث المتفق عليه : لا فرع ولا عتيرة . وروى احمد والنسائي عن ابي رزين العقيلي انه قال : يا رسول الله انا كنا نذبح في رجب ذبائح فنأكل منها ونطعم من جاءنا فقال له لا بأس بذلك . وقد جمع علماء الشريعة بينها بان احاديث البطلان ناسخة لاحاديث الاجازة . وثم من العلماء من يرى ان العتيرة جائزة اذا لم تكن في خصوص رجب ولم يقصد بها ما يقصده اهل الجاهلية

ويحتمل بعد هذا كله ان نعرض على محك الشريعة عقيدة الناس في رجب لنعرف هل له فضل امتاز به عن غيره من الاشهر ؟ وهل رغت الشريعة في صيامه وقيامه ؟ وما هي درجة الاحاديث التي يروونها في فضيلة من الصحة والقوة ؟

يقول محققوا العلماء واهل البصر بالحديث ان رجلا لم يات في السنة حديث صحيح صريح صالح للاحتجاج به في فضله ولا في صيامه ولا في صيام شيء منه معين ولا في قيام ليلة مخصوصة فيه وفي مقدمة هؤلاء المحققين الحافظ ابو اسماعيل الهروي والحافظ ابن حجر

وان امثل ما ورد فيه ما رواه النسائي من حديث اسامة بن زيد قال قلت يا رسول الله لم ارك تصوم من الشهور ما تصوم في شعبان قال ذاك شهر يغفل الناس عنه بين رجب ورمضان . فلم يبق له من فضل الاكونه واحدا من الاشهر الحرم وكل الاحاديث التي نسمعها ونقرأها في فضله والترغيب في صومه وقيامه اما موضوعة واما ضعيفة ، ومن بين الاحاديث الموضوعة احاديث صلاة الرغائب ، ويقول ابو بكر الطرطوشي المتوفى سنة ٥٢٠ هـ في كتاب البدء والحوادث : انها بدعة حديثة العهد حدثت في زمانه ، على ان الفقهاء انفسهم يعترفون بانه لم يصح في رجب شيء ، فهذا الشيخ زروق شارح الرسالة يقول : لم يرد في رجب شيء يعتد به .

ومن الاحاديث التي اولع خطباء الجوامع بذكرها حديث حكم عليه النقدة بالوضع مثل ابن الجوزي وابن حجر وهو ما رواه الديلمي وغيره عن انس مرفوعا : رجب شهر الله ، وشعبان شهري ، ورمضان شهر امتي .

احمد المهدي النيفر

الوعظ والارشاد

في سبيل الاصلاح الخطب الجمعية وواجب الائمة

بقلم الواعظ المرشد الشيخ الحيلاني
حمزة الخطيب بجامع الحنفية بالمهدينة

يمتاز الدين الاسلامي على غيره من بقية الاديان بانه يجري مع المدنية والمنطق السليم في كل عصر فهو دين الفطرة والهداية لجميع البشر اهتدى به وانشرح صدره اليه كل من بحث في اصوله ووقف على اسرارها وقد وقع هذا لكثير من عظماء اوربا وفلاسفتهم فاعتنقوه عند ما علموا وتبين لهم انه دين العقل والعلم والاخاء والمساواة والحرية المعتدلة التي تصلح لسياسة النوع الانساني وها هي الجرائد والمجلات تنشر كل يوم اسماء وصور المعتنقين الجدد للاسلام وهم الذين دخلوا فيه بعد ما ظهر لهم انه هو الدين الحق وبعد ما يؤسوا من قبول معتقدات لا ترضى بها عقولهم في هذا العصر عصر التقدم الفكري والنبوغ الفطري فما بالعهد من قدم اسلمت اميرة بالهند وتم اسلامها في فبراير سنة ١٩٣٧ اثناء سياحتها في طيارة بفرنسا واسلم قبل هذه الاميرة الكثيرون من عظماء الغربيين امثال عبد الله كوليم البريطاني وناصر الدين الفرنسي وغيرهم مما لا مجال لذكرهم الآن وستعرض لهم بحول الله في مقالة اخرى ونبين سبب اسلامهم فالدين الاسلامي دين كامل والحمد لله من كل الوجوه وهو افضل الاديان كما جاء في القرآن . افحص كل فرض وتأمل في الغرض منه وفكر فيما ينجم عن تاديبه تجد ان هذه الفروض ليست موضوعه لانتقال كاهل الناس كما يتفوه به زعماء التجدد بل لكل فرض فائدة ولكل قانون حكمة . ومن اهم هذه الفروض صلاة الجمعة وقد اوجب الشرع صلاتها جماعة كما اوجب خطبتها وفي كل من هذين الواجبين حكمة ولكل منهما غرض فوجب صلاتها جماعة يرمي الى اغراض اجتماعية عظيمة منها وجود مظهر من مظاهر الاتحاد والقومية والتعارف وفي ذلك من الفوائد الاجتماعية ما يقصر المقام عن تدوينه

وفي فرض الخطبة حكمة كبيرة فهي ترمي الى الاصلاح الديني والديني اذ المفروض في الخطبة ان تكون في النواحي العلية من حياة المصلين ومعالجتها بالنصائح القيمة والارشادات الثمينة

فيذكر الخطيب الناس بوجوب اتباع دينهم ويحظهم عليه وعلى العمل باوامره ويشرح ما غمض من احكامه حتى اذا انتهى من ايقاظ مشاعرهم الدينية ينتقل بهم الى حياتهم الاجتماعية فينبههم الى خطر ما فشى بينهم من العداوة والبغضاء والشهوات التي اهلكتهم اموالهم وشرب الخمر والتفريح والسفور كل ذلك بالآيات التي تنذر بالعذاب الشديد والعقاب الاليم بعد بيان المضار الدينية والدينية كالامراض الزهرية وانتقالها الى النسل وتسببها في تعطيل الاعضاء كما تفعل ذلك المخدرات كالخشيش والافيون والكوكايين وغير ذلك من الامراض الفتاكه شارحاً لهم ان هذه الامراض هي اشد من الازمات وانكى من المجاعات الضاربة الاطباب وبذلك تاتي الخطبة زاهية الازهار دانية الثمار فتصلح حال الامة وتنبه من غفلتها وتصبح متينة في اخلاقها

على الاخلاق خطوا الملك وابنوا فليس وراءها للعز ركن

فالخطب الجمعية او ان شئت فقل الوعظ الديني هو آخر سلاح ندفع به اخطار الجرائم وانجع دواء نكافح به وباء الشرور والآثام التي غمرت هذا العصر بطوفان جارف لا نجاه لنا منه الا بان يعد لواعظون المصلحون سفينة النجاة لينقذوا البشرية من الرذائل التي بعثتها مدينة العصر ولكننا بكل الاسف ونحن في عصر نحاول فيه الرجوع بالدين الى حظيرته الاولى في الوجود وفي النفوس لا نرى شيئاً من هذا الا قليلاً فغالبا الخطب الجمعية التي تلقى في المساجد يعتمد فيها اصحابها على الدواوين الغائرة المعدة لزمن غير هذا الزمن لا تغني عن امراض الجمهور شيئاً وهي تدور على حسب اشهر العام فما يسمعه الناس في هذا العام يسمعون في العام القابل زيادة على ما فيها من الاحاديث الموضوعية والاضاليل والخرافات الكاذبة التي تحلو للعوام وتوافق مشرب بعضهم من ذلك الجزء الكثير على العمل القليل فتجد في تلك الخطب من صلى على النبي صلى الله عليه وسلم مرة خلق الله من تلك الصلاة سبعين الف ملك لكل سبعون الف لسان يستغفرون المصلي ومنها من شاب شيبه في الاسلام دخل الجنة وغير ذلك من احاديث الوضاعين ومبالغات المنحرفين الذين ليس في حساب ميزانهم تقدير مسؤولية النقل وتحقيق ما يتلقونه من آثار واخبار فكل ما وجدوه نشروه ولو لم يفهموه ولاشك ان هذه الخرافات لا يرضى بها من له مسكة عقل فضلا على من نصب نفسه للناس اماماً ويدعي انه وارث الانبياء وحارس الشريعة فعوض ان ينشر السنة الصحيحة ويشقي الخطب المفيدة النافعة وطرق المواضيع التي فيها ترغيب الامة في العلوم والمعارف ونشرها وفي كيفية تاسيس الجمعيات الخيرية لفتح المدارس وانشاء ملاهي للايتام وتغيير الناس من الجهل وتهيئهم من عاقبة الانهماك في المعاصي تراه يكتفي بخطب بالية ربما تدخل على النفوس وهنا يزيد ضعفها وخودا يطيل ياسها كانه لم تطرق أذنه المصاب التي توالى علينا في هذا الزمان الذي قل خيره وكثر شره وبعد فيه الدين عن القلوب وقلت المروءة وغاض ماء الحياء وصارت الحال كما قال الشاعر :

التاريخ

صفحة من تاريخ تونس

جامع الزيتونة في سمر ضباط الجيش

بقلم العالم المؤرخ امير الامراء سيدي محمد
بن الخوجة مستشار الحكومة التونسية

في هذه الاثناء رتبت القيادة العليا للجيش الفرنساوية بتونس سلسلة مسامرات في ابحاث اجتماعية تتعلق بالتاريخ والادب والادارة والعادلة وغير ذلك من النظم التونسية لفائدة نخبة من اركان الحرب ومن ضباط حامية تونس وناطت مهمة القيام بهاتيك المسامرات بمعرفة بعض اعيان الذوات وبعض المتوظفين السامين بدولة الحماية ومما قرره سعادة القائد الاعلى في هذا الشأن القيام بمسامرة خاصة بجامع الزيتونة واحواله من الوجهتين التعبدية والعلوية وظهر لجنابه اناطة ذلك بهذا العهد المتشرف بالالتحاق بسلفه في الانتساب لساحة جامع الزيتونة عمره الله واليك معربا تلخيص ما افضيت به من الحديث في هذا الموضوع :

مررت على المروءة وهي تبكي فقلت علام تنحب الفتاة

فقال كيف لا ابكي واهلي جميعا دون خلق الله ماتوا

فليتق الله الخطباء وليعدوا العدة لتعويض ما فات بايقاظ الارواح النائمة والاجساد الهامدة فالدين امانة في اعناقهم والاسلام وديعة سلمها لهم رجال نصرولة فنصرهم الله وثبت اقدامهم وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا فهم سفراء الشريعة وامناء الله في ارضه فيجب عليهم ان يعتنوا بالخطبة اعتناء يناسب العصر واهله فيعالجوا بوعظهم النفوس المريضة المنغمسة في حماة الطغيان ويغرسوا فيها الخير والصلاح والعزة والكرامة وبذلك تحصل من الخطب الفائدة المقصودة وهي تهذيب النفوس وترقية العقول وخلاصها من ضر آفاتنا واوهامها فبقدر ما يكون عند الخطباء من الاخلاص في حركاتهم وسكناتهم بقدر ما تتادى مهمتهم على اكمال الوجوه واحسن الصفات

الجيلاني حزة الخطيب بجامع الحنفية بالمهدية

يا سعادة الجنرال

ويا ايها السادة

دعاني زعيمكم المظفر سعادة امير الفيالق الجنرال اودي القائد الاعلى للجيش الفرنسي ووزير الحرب بالدولة التونسية فحضرت بينكم الساعة لاتحدث اليكم باحوال جامع الزيتونة الذي هو اعز وأفخر مؤسسة اسلامية تونسية عمت سمعتها المشرق والمغرب واني لمبتدىء في الاول بالكلام على سبب انتساب هذا المعهد الجليل للشجرة المباركة منذ بدء الخليقة فقد حقق المؤرخون ان موقع الجامع كانت به زيتونة حوالي صومعة كان يتعبد بها راهب نصراني عند نزول المسلمين الاولين بتونس وتلك الصومعة كان موقعها حيث صومعة الجامع لهذا الزمان . ومعلومكم ان العرب فتحوا تونس سنة ٧٩ للهجرة اي عام ٦٩٨ للميلاد وكان زعيم تلك الحركة المباركة الشيخ الامين حسان بن النعمان الغساني الذي وفد على افريقيا لنشر الدعوة الاسلامية بين اهاليها الاصليين وقد اقتضت شريعة الاسلام ايجاد مسجد للصلاة حيث يكون جم غفير من المسلمين لذلك احدث العرب الفاتحون اول مسجد للصلاة بتونس وسموه جامع الزيتونة ومما حفظه التاريخ ان الراهب النصراني الذي ذكرته لكم واقفا هو الذي دل جماعة المسلمين على موقع محراب الجامع المنير الى اخر ما جاء في حكاية مشهورة واذ ذاك وقع الاختيار على صومعة الراهب - ولا شك ان ذلك كان برضا - لتكون ماذنة ينادي المنادي من اعلاها « حي على الصلاة حي على الفلاح » وبديهي ان المسجد وصومعته كانا في بداية امرهما على فطرة البساطة والسذاجة لان التاريخ لم يتكلم على المسجد المتحدث عنه بصفة مسجد جامع الا ابتداء من عام ١١٤ الموافق لعام ٧٣٢ للميلاد ففي هذا العام قام الامير عبيد الله بن الحبحاب والي افريقيه من قبل الخليفة بتوسعة الجامع واحكام وضعه على اساس فخم ومن يومئذ ما زال شأنه في تعظيم الى هذا الزمان فالاغلبة امراء القيروان وامراء الشيعة في المهديه وبنو حفص سلاطين تونس كانوا على اتفاق في احترام جامع الزيتونة اللهم الا سطر او احدا من نقوش سنية محته يد اعداء السنة من الكتابة المطرزة بها واجهة صحن الجامع اثناء الخلافات المذهبية التي ظهرت حوالي المائة الخامسة بين اهل السنة والشيعة (شيعة سيدنا علي بن ابي طالب القائلون بدعوة الامام المعصوم) .

اما هندسة بناء جامع الزيتونة فانها موافقة تماما لبقية جوامع عواصم افريقية الشمالية وسواري المرمر الملون المقامة عليها اقواس بيت الصلاة حيي بها من اقتاض قرطجته وابوابه احكم صنعها من عود الصندل حوالي القرن الخامس عشر للميلاد وصومعته المشاهد جمال بهجتها على حد سواء من داخل الجامع وجارجه شيدت اركانها بموقع الصومعة القديمة في سنة ١٣١٢ (١٨٩٥) في ارتفاع ٤٣ متر وكان الواقف على بنائها المهندس البلدي المرحوم سليمان النيقرو وبلغت نفقاتها من صندوق جمعية الاوقاف مائة وعشرة الاف فرنك والصومعة الدارسة المعتلية على صومعة الراهب زيد في ارتفاعها ثمانية

اذرع على عهد الدولة المرادية، وءاخر ترميم حصل بالجامع كان اجراؤه في علم ١٩٣٩ وكان قاصرا على اصلاح قبة المحراب حيث يتقدم الامام للصلاة بالمسلمين ويستطأ كنف الضراعة بالعز والتمكين لنصير الدين حضرة ولي النعم سيدنا ومولانا دام عزه وعلا، وهذه القبة التي وقع اصلاحها كانت اقيمت سنة ٢٥٠ في عهد الخليفة المستعين بالله ومزية تجديدها كتبها يد الاقدار في صحيفة حسنات صاحب التساج الوهاج ادام الله ملكه واجرى في بحر السعادة فلكه وهنا لا يسعني الا الاصداغ بالحمد والشكر من اجل العناية الدولية التي ما برحت شاملة لجامع الزيتونة ولا شك انها سياسة محمودة تترجم لنا عن وفاء فرنسا الكريمة بما تعهدت به لنا من حمايتنا واحترام عقائدنا وعوائدنا القومية وءاخر ما اذكره لكم في حق ابنة جامع الزيتونة هو وجود ما جل فسيح بصحن الجامع يذكرنا عهد الضما الذي كان باسطا جناحه على تونس في القرون الغابرة كما توجد به مزولة لضبط اوقات الصلاة حسب فصول السنة على ان مامورية هذه المزولة هي اليوم في عهدة الموقت القايم سنة الاذان بصومعة جامع القصبة المشرقة على جميع احياء العاصمة التونسية، وبقي علي الاشارة لحفر صغيرة بصحن الجامع هي من اثار سنايك خيل العساكر الاسبانية اثناء احتلالهم لتونس على عهد الامبراطور شارلكان .

هذا وقد اشرت ءانفا لفقدان مياه الري بتونس في الازمنة الماضية والحقيقة ان ماء عين زغوان كان جاريا بجامع الزيتونة اثناء القرن الثالث عشر للميلاد (المائة السابعة للهجرة) فان السلطان المستنصر بالله توقف خلال مدته لجلب ماء زغوان على الحنايا القديمة التي احداثها الامبراطور هوريان الروماني اثناء القرن الاول للميلاد قصد المستنصر بذلك العمل الحليل تزويد جامع الزيتونة بالماء الطهور وتزويد رياض ابي فخر حيث مساكنه السلطانية ومحل نزهة ءال بيته من ذلك حوض فسيح تجري به زوارق حضياته في الطول والعرض قالوا ان هذه الجابية لما محتها يد الزمان من لوحة الوجود غرسوا مكانها ستمائة عود من الزيتون فانظر ما ذا كان اتساعها في زمن المستنصر الحفصي !

ان ما قررته لكم ايها السادة يشخص صورة حققة ولكن موجزة من ابنة جامع الزيتونة تتخلص منها لحديث الجامع بصفته بيت ديانة لعبادة الله خالق كل حي ومدبر كل شيء ءلاسلام يجيز للمسلم اداء صلواته المفروضة بيته ولكن النصوص الشرعية جاءت مفعممة بالترغيب في اداء الصلاة جماعة بالمسجد لما في ذات من فائدة التعارف بين المسلمين فالمسجد المجرد انما جعل لاجتماع اهل الحي الواحد لعبادة الله جماعة كما جعل المسجد الجامع لصلاة اهل المدينة جميعا وهي طريقة اوسع من السابقة لتعارف المسلمين والتفافهم حول بعضهم بعضا وهنالك اجتماع ءاخر اعم من اجتماع المسجد الجامع الذي يقوم فيه المسلمون باداء صلاة يوم الجمعة الذي هو يوم عيدهم الاسبوعي كيوم الاحد بالنسبة للتصارى ويوم السبت بالنسبة لبني اسرائيل وعندنا ان عيسى وموسى عليهما السلام بنسبة اخوين لبنينا سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم والاجتماع الاعم الذي نقصد الكلام عليه هو الحج الاكبر بمكة حيث يجيء المسلمون من اطراف المعمورة

للطواف بالبيت الحرام والوقوف على جبل عرفات يوم تاسع شهر حجة وهنا ينبغي ان نشرح لكم ان كلا من هذه الاجتماعات الثلاثة يفوت منه المقصود الذي وضع لاجله ذلك الاجتماع وهو عبادة الله تعالى وحسب اذا تدخلته غاية اخرى فالسياسة والتجارة وجميع المصالح الدنيوية لا نصيب لها من الجامع والعبادة عندنا تجري حسب قواعد احد مذاهب السنة الاربعة وبتونس خصيصا لا يوجد منها الا مذهبان مذهب الامام الاعظم ابي حنيفة النعمان وبه يتمسك آل البيت الحسيني الرفيع العماد واعقاب الاتراك الفاتحين الذين حكموا تونس في القرن الحادي عشر للهجرة (السادس عشر الميلاد) ومذهب امام دار الهجرة مالك بن انس الذي يقرع تسعة اعشار مسلمي الايالة التونسية وامام المذهبين بالنسبة لهذه الديار هو المقام الملوكي المؤيد بالله

واراني قد استوفيت تلخيص الحديث على جامع الزيتونة من حيث هو بيت عبادة ، فلننتقل من ذلك للكلام عليه بصفته كلية جامعة لتعليم علوم الدين والعربية وسرعان ما نقول لكم ان شهرة هذه الجامعة الاسلامية تتجاوز بمراحل حدود بلادنا المحبوبة لان جامع الزيتونة هو اقدم المعاهد العربية الثلاثة الموجودة بشمال افريقيه والمعهدان الاخران هما جامع القرويين بفاس وهو من مآثر المحسنة فاطمة ام البنين اصيله مدينة القيروان والجامع الازهر الشريف الذي لا يقل عدد طلبته عن اربع عشرة الف تلميذ والذي هو باتفاق في مقدمة النهضة الفكرية بعموم بلاد الناطقين بالضاد اما جامع الزيتونة فيبلغ عدد تلامذته لثلاثة آلاف طالب وجامع القرويين لا تضم عرصاته الا نحو الف طالب وتلاميذ الكلية الزيتونية خاضعون لنظام شديد الوطأة لا يعرفون غير المطالعة والقراءة من الصباح الى المساء واكثرهم من ابناء الافاق التونسية اما رفاقاؤهم ابناء الحاضرة فسكناهم بديارهم واما التلاميذ الافاقيون فمسكنهم بالمدارس وهذه المدارس التي هي من مآثر اهل البر تقبل الله سعيهم اقدمها المدرسة الشعاعية التي ظهرت في اوائل القرن السابع للهجرة وظهر معها في عصر واحد المدرسة التوفيقية اسستها امرأة نصرانية بعد اعتناقها للاسلام وتزوجها بالسلطان ابي زكرياء يحيى بن عبد الواحد بن ابي حفص وعلى رأس كل مدرسة شيخ بعهدته السهر على سير احوال المدرسة حسب التراتيب الرسمية وتوزيع بيوت المدارس على مستحقيها موكلول بامانة مجلس تابع لمشيخة التعليم بالجامع ومن المتفق عليه ان العيش بهذه المدارس عيش زهد وقناعة لانه لا يتناوله شيء من التوسعات الدنيوية فقراءة الجرائد والكلام في السياسة والاشتغال باللهو واللعب لا رواج لها بالمدارس مطلقا وعلى التلميذ معالجة غذائه بنفسه في الغالب واذا تمكن من اجترام كلس او اثنين من التاني فذلك منتهى نواله .

اما دراسة العلوم بجامع الزيتونة فقد ابتدأت ضئيلة حوالي القرن الثالث للهجرة الشريفة ولكنها ما لبثت حتى اثمرت وسائرت كليات قرطبه وبغداد والقيروان وناهيك باقطاب العلم الذين انتبتهم رياض جامع الزيتونة منهم المؤرخ ابن خلدون صاحب الشهرة العالمية والامام محمد بن عرفة وكفي

بقفه حجة وليس هما بالقطبين الوحيدين بتونس بل تجدون ذكر غيرهما ممن هم ليسوا باقل شهرة منهما في العلم والادب والحكمة بكتب نبغاء المستشرقين والمستعربين كالعلامة دة ساسي صاحب شرح المقامات الحبرية الموجودة منه نسخة بخزانة جامع الزيتونة ومعلومكم ان هذا المستعرب الطائر الصيت ترجع اليه مزية تاسيس دراسة العربية بفرانسا

هذا وقد ذاق جامع الزيتونة مرارة الهوان اثناء احتلال الاسبان لتونس وحلق الوادي فقد نقل المؤرخون ومنهم ابن ابي دينار ان عساكر الاسبان مزقوا كتب الجامع كل ممزق وداسوها بسنابك خيولهم خلال شوارع تونس بحيث لم يبق منها شيء يذكر في المائة العاشرة وما بعدها ورايت بكناش للشيخ الجد طاب ثراه وكان من الشيوخ المشرفين على احوال الجامع في اواسط القرن الماضي ان مكتبة جامع الزيتونة لم يكن بها في زمنه الا نحو عشرين مجلدا بقية من خزائن سلاطين بني ابي حفص التي كانت تشتمل على اكثر من ثلاثين الف مجلد مخطوط باليد ولكن تونس وضعتها الاقدار في موقع وسط بين المشرق والمغرب فكانت حاضرتها حول العصور ملتقى اهل التفكير والانتاج كما هو حالها اليوم وفي هذه الكرة كان احياء دراسة العلم بعناية ملك غيور مصلح من ذرية المولى حسين بن علي طاب ثراه ونعني به المشير احمد باي الاول فهذا الملك صاحب الشهرة المطبقة كان من المعجبين بالعقربة الفرنسية وقبل ان يسعى في سنة ١٢٦٢ (١٨٤٦) لليلاد لزيارة حبيبه وحليفه الملك لويس فيليب بباريس ردا للزيارة التي تلقاها بباردو من الامراء ابنائهم في السنة قبلها جعل في مقدمة مشروع الاصلاح الذي انجزه بمملكته ترتيب الجنود واحياء خزانة الكتب بجامع الزيتونة وتاسيس دراسة العلم بتونس بحيث ان مكتبة الجامع باقسامها تشتمل في الوقت الحاضر على نحو عشرين الف مجلد منها خمسة الاف بعنوان الطلبة وفقا لارادة المقدس المبرور المولى محمد الحبيب باي مؤسس فرع الجامع اليوسفي الذي عززه حضرة ولي النعم سيدنا ومولانا احمد باشا باي بفرع اخر بالجامع الحفصي اما بقية الكتب الموقوفة على خزانة جامع الزيتونة فاغلبها مخطوط باليد ويوجد ضمنها كتب نادرة لا تقدر بمال كتفسير ابن سلام المكتوب على رق الغزال في المائة الثالثة للهجرة الشريفة

والتعليم بجامع الزيتونة اساسه القراءان والسنة اما القراءان فهو كلام الله القديم الذي لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه نزل به جبريل الامين على قلب سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وبه يؤمن المسلمون قاطبة واما السنة فهي مجموع الاحاديث النبوية الواردة في الصحاح وهي شاملة لسيرة رسول الله ولتاريخ حياته ومعلوم ايها السادة الاعزاء ان القراءان الكريم هو دستورنا الديني والاجتماعي ولاجل ذلك كان امراء المسلمين يدهم مصالح امهم الدينية والدنيوية معا فصاحب السمو الملوكي باي تونس المعظم هو صاحب الولاية العامة الذي بيده حق الاشراف بالنص الشرعي على مصالح رعاياه المطيعين من الوجهتين الدينية والسياسية وهذه القاعدة مستمدة في اصلها من نظام الخلافة والخليفة هو

امام المسلمين فهو بابا المؤمنين بالله وبرسوله ولكنه غير البابا عند النصاري لان سلطة زعيم النصرانية روحية فقط وسلطة الخليفة عند المسلمين روحية وزمنية نعم ان الخليفة لا وجود له في هذا الزمان ولكن للمسلم ان يكون مسلما بتمام المعاني رغم فقدان الخليفة لان الاسلام لا يقتضي وجود واسطة بين الخالق جل جلاله وبين مخلوقاته ولست انا الان بصدد القيام بدعاية او بالتبشير لفائدة الاسلام بل انا في مقام التعريف بمعنى الاسلام السمج وحسب، ولنرجع بكم لحديث التعليم بالجامعة الزيتونية فنقول ان المقصد منه هو تعليم ابناء المسلمين ما لهم وما عليهم وهذا التعليم ينقسم لفرعين كبيرين تعليم علوم الشريعة وتعليم العلوم الوضعية اما علوم الشريعة فهي تفسير القرآن والقراءات والحديث والتوحيد والفقه والفرائض والكلام والتصوف وغير ذلك واما العلوم الوضعية فهي النحو واللغة والمعاني والبيان والادب والشعر وآداب البحث والمنطق والتاريخ والجغرافية والحساب والمساحة والهيئة وغير ذلك وكل واحد من هذين التعليمين يجري في ثلاث درجات : ابتدائية ووسطى وعالية ، فالدروس الابتدائية تزاوّل بفرعي الجامع وتمكن مزاوّلها من الحصول على شهادة ابتدائية تسمى « الاهلية » ، وتعليم الدرجة الثانية يمكن مزاوّلها من شهادة تسمى « التحصيل » ، والتعليم العالي ينتهي بالحصول على شهادة « العالمية » وكل هذه الشهادات تمنح لاصحابها بالامتحان العمومي كتابي وشفاهي والجلسة الختامية للامتحانات السنوية تزدان بحضور جناب المولى الوزير الاكبر واهل الحل والعقد ورجال الشرع المطهر والعلماء والاعيان

والتلاميذ المحرزون على شهادة العالمية لهم الحق في طرق ابواب الوظائف العامة فالذين زاولوا علوم الشريعة لهم ان يتقدموا لخطط العدالة والامامة والقضاء والفتوى الخ ، والناخبون في العلوم الوضعية لهم حق الانخراط في سلك الوظائف بالادارات والمجالس العدلية والاعمال والوكالة الخ اما ولاية التدريس بجامع الزيتونة فهي رهينة الشغور باحدى رتب التدريس التي يبلغ مجموعها مائة واربعة عشر مناصب بمعرفة مائة واربعة عشر من العلماء الاعلام يباشرون ماموريتهم تحت رقابة فضيلة شيخ الجامع وشيخ الجامع بعضده في مهنته شيخان من خيرة المدرسين الاولين يعنيهما لذلك المولى الوزير الاكبر الذي من وظائفه الاشراف العام على التعليم الاسلامي بالولاية التونسية ورتب التدريس بالجامع تدرج في اربع طبقات طبقة استثنائية وهي رتبة الاستاذية لها شبه برتبة « الاقرياسيون » بالجامعات الاروباوية وعدد اهل هذه الطبقة الممتازة ثمانية نصفهم من الاحناف ونصفهم من المالكية وطبقة اولى تضم ثلاثة وعشرين مدرسا ثم ثمانية يقوم بها واحد وعشرون مدرسا فثلاثة منوطة بستين مدرسا وهؤلاء الستون هم المباشرون للتعليم الابتدائي بالجامع وفروعه ويضاف الى هؤلاء معلم الخط ومعلم الميقات ومعلم الصحة ،

هذا وتبلغ اعداد الدروس لخمسين درسا في التعليم العالي ومائة وثمانين درسا في تعليم

الدرجة الثانية ولاربعمائة درس في تعليم الدرجة الابتدائية وحيث بان عدد المدرسين مضبوطا بالصفة التي ذكرناها فكل شعور يحدث باحدى طبقات التدريس يجبر فراغه بالمناظرة بين مدرسي الطبقة التالية اما مدرسو الطبقة الثالثة فانهم يؤخذون بالامتحانات من بين المحرزين على شهادة العالمية . ومدرسو الطبقتين الاستثنائية والاولى هم الذين ينتخب من بينهم شيوخ الفتوى والقضاء يذيان الشرع المطهر واهل الشرع هم المؤتمنون على كتاب الله وسنة رسوله بصفتهم ائمة للدين وحكاما بما انزل الله تعالى وهذه الصفة الشريفة تجعلهم في صف اهل الحل والعقد الذين يحضرون بيعة الامير وتصيبه في العرش الحسيني . وانتخابهم للخطبة الشرعية الخليفة من حقوق المولى الامير بالذات اذ هو الذي يقدمهم للفتوى والقضاء نيابة عن سموه وشيوخ كل مذهب يتقدمهم رئيس منهم يلقب بشيخ الاسلام وهذا اعظم الالقاب الدينية عند المسلمين وقد امتاز في هذين القرنين اثنان من بيوت العلم بتونس بكرر ولايتهم مسند المشيخة الاسلامية وهما البيت البيرمي والبيت الحوجي ويديهي ان اهل المجلس الشرعي هم الممثلون لارفع حياة اسلامية في المجتمع التونسي وعددهم اثنا عشر فقهاء ستة من الحنفية وستة من المالكية والاولين حق الاسبقية في المراكز الرسمية باعتبار انهم متمذهبون بمذهب صاحب التاج الوهاج وفيما عداه فالمساواة جامعة لشيوخ المذهبين في المرتبة والرتبة والاعتبار وحضراتهم يباشرون وظائفهم العالية نيابة عن سمو المولى الامير الذي هو قاضي القضاة وامام رعيته قاطبه واذا اختلف الشيوخ في الرأي فالقول الفصل من حقوق سموه الملوكي وعليهم السمع والطاعة .

ثم اقول لكم انه يوجد بالعمالة التونسية خمسة فروع افاقية لجامع الزيتونة اهمها فرع مدينة صفاقس وبه توجد مكتبة عامرة من حسنات حضرة ولي النعم سيدنا ومولانا احمد باشا باي دام له العز والبقاء وبقية تلك الفروع هي فرع جامع عقبة بن نافع بالقيروان وفرع مدنت سوسة وقفصة وتوزر وزيادة على ذلك يوجد فرع زيتوني اخر لتعليم اللسان الفرنسي ومبادئ العلوم الرياضية لطلبة جامع الزيتونة وهو معهد ابن خلدون الذي احدثته دولة الحماية في سنة ١٨٩٦ بمساعي جميل الذكر الوزير مسيو ريني ملي المقيم العام الاسبق .

وهنا انتهى بنا الحديث في الموضوع الذي دعيت لبسطه لديكم ايها المستمعون الكرام ولي منكم المعذرة عما ارتكبته من التطويل الذي تكل منه اللهم ولكم مني تحية طيبة معززة بشواهد الاعزاز والاحترام . محمد بن الحوجه

عود للرجال الاربعين

اصحاب الامام الشاذلي

نشرت بالمجلة الزيتونية في عددها السابق قائمة اسماء السادة الصالحين اصحاب الامام الشاذلي رضي الله عنهم بمناسبة حلول الجمعيات الصيفية بالمقام وقد راق ذلك الفصل في انظار اهل الطريقة الشاذلية كما راق في نظر حضرات الشيوخ المولعين بالتاريخ واقترح علي بعض ايمتهم بسط الحديث بخصوص الولي المدرج اسمه تحت عدد ١٦ بتلك السلسلة المباركة حيث ورد فيها ذكر ابن القاضي عياض رضي الله عنه وها انا اذا محيب على ذلك الاقتراح بنص ما رايت بكناش الشيخ الوالد الذي تلخصت منه قائمة اسماء اولئك الاولياء المنقولة في اصلها من خط الشيخ محمد بيرم الثاني هذه عبارته : ومنهم ١٦ الشيخ سيدي ابو سالم البرقي مدفون غربي جبل الزلاچ وترتبه بازاء ولد القاضي عياض بينهما بحرى السيل قبرة بحرب لقضاء الحوايج توفي سنة ٦٦١ هـ بحروفي

ولكن مقالة الرجال الاربعين المتحدث عنهم اثارت في الاوساط المستنيرة حركة اخذ ورد عناية من اهل الفضل بمعرفة اصحاب الشيخ رضي الله عنه فاطلعي قطب مشهور من الائمة الاعلام على كتاب بخزائنه العلمية تضمن مجموعة مستكملة في مناقب الصالحين اشتملت في طياتها على الرجال الاربعين الذين نشرت اسماءهم بالعدد الفارط من المجلة بزيادة اربعة من الاصحاب الشاذليين لم تقف على ذكرهم بكناش الشيخ الوالد رحمه الله ونص عبارة ما ورد في المجموعة المشار اليها :

ومن اصحابه (الامام الشاذلي) رضي الله عنه الشيخ سيدي ابي عبد الله محمد الحبيبي توفي بتونس حماها الله تعالى وهو مدفون قبله الزلاچ في جبانة مباركة اجتمع فيها اربعة اشياخ من اهل الفضل والبركة كلهم من اصحاب شيخنا ابي الحسن الشاذلي رضي الله عنهم منهم هذا الشيخ المبارك (محمد الحبيبي) ومنهم الشيخ الولي الصالح العارف بالله تعالى سيدي ابو عبد الله محمد بن سلطان المرزوقي ومنهم الشيخ الولي الصالح الزاهد سيدي هلال المسروقي رحمه الله وقع به اه فؤلاء الثلاثة ينبغي ان يضاف لهم اسم ولي اخر وقفت على ذكره في مجموعة المناقب ايضا ولم يتقدم نشره بالمقالة السالفة.

في جملة اصحاب الامام رضي الله عنه وهو الشيخ سيدي عبد الرحمن الصقلي المتوفى عام ٦٦٥ ويلزم من التنبيه من ناحية اخرى لشيء من التصحيف والتحريف اشتملت عليه قائمة الاسماء المدرجة بالعدد الماضي وهذا التحريف وجدته مكررا ايضا في مجموعة المناقب (وما آفة الاخبار الارواها) من

وثيقة تاريخية

من العصر الحفصي

بقلم العالم الفاضل الشيخ الشاذلي
النيفر المدرس بجامع الزيتونة

الفت نظري ما نشرته المجلة الزيتونية الفيحاء من بحث قيم نفيس في تاريخ القضاة الشرعيين في القديم بقلم العلامة الاستاذ الامام القدوة الرحلة فضيلة الشيخ سيدي محمد البشير النيفر المفتي المالكي والذي الفت نظري منه هو ترجمة ابي علي الحسن بن ابي القاسم بن باديس القسنطيني . فانه قد ذكرني بوثيقة تاريخية مكتوبة بخط لدته وابن عمه وابن خالته حسن بن خلف الله ابن حسن بن ابي القاسم ابن ميمون بن باديس القيسي القسنطيني . وتلك الوثيقة ظفرت بها على كتاب كشف المغطى في تبين الصلاة الوسطى لعبد المؤمن الدمياطي .

والذي بعثني الى المبادرة بالكتابة في الموضوع علاوة على ما الملت اليه ان نظير هذه الوثيقة مما يمت الى العصر الحفصي لا يكاد يذكر امام ما تقيضه علينا العصور الاخرى من آثار هامة نستضيء بنورها في البحوث التاريخية . حتى اني الى كتابة هذه الاسطر لم أظفر الا ببعض مخلفات أقدمها في ظني هذا الاثر الذي تتحف به قراء المجلة الكرام . وهناك أثر ثان وهو نسخة من البيان والتحصيل للعلامة ابن رشد برسم خزانة ابي عبد الله محمد بن احمد بن قليل الهم وغيرهما مما سنأتي عليه بسط في فصل خاص ان شاء الله .

ذلك الاسم المدرج بالمجلة تحت عدد ١٠ بالمقالة السابقة حيث قيل عياد بن مخلوف وصوابه علي بن مخلوف كذلك حصل تحريف آخر بالعدد ١٦ صوابه ابو النجاة سالم الدقي (نسبة لدقة قرية معروفة بعمل تبرسق) عوض سالم البرقي وبالعدد ١٨ محمد الرفيعي عوض محمد الريني وبالعدد ١٩ ابو سالم علي انزاتي عوض سالم المنزاتي وبالعدد ٣٢ عبد الله القرطبي القرشي عوض عبد الله القرشي وبالعدد ٣٣ محمد التراب عوض محمد النوالي

هذا واني لمتهج وفخور بشواهد الاطراء والتحييد التي اكرمني بها حضرات الشيوخ الذين راق في نظرهم فصل الرجال الاربعين وما ذلك الا من فيض بركاتهم اعادها الله على الجميع . ومهمي كان الحال فان بحثنا في هذه النازلة لا يكون تاما الا بالوقوف على القصيدة البائية المشار اليها بالصفحة ٣٨٦ من عدد المجلة الاخير لان صاحبها من اهل العلم وهو الشيخ برناز صاحب كتاب الشهب المخزقة (لا المحرقة كما هو المشهور) ويلوح ان صاحب القصيدة ضمنها افادات جمّة في الموضوع الذي نحن بصدده كما تشهد بذلك العبارة التي نقلتها من كتابه ويا حبذا لو نتمكن من العثور عليها وما ذلك على همة الادباء بعزيز .

واملي وطبد في ان القراء سيؤازرونني في بحني هذا ويمدونني بالارشاد الى المطاف التي في زواياها ما نحن بصدد البحث فيه . على اني سأوالي التنقيب حتى أعر على ما يمكن ان تصل اليه يدي ويسعه طوقي . ولربما طوحت في التنقيب الى غير الخزائن الافريقية ان ساعد المقدور .

هذه اشارة الى ما يتعلق بالمخطوطات في عصر بني حفص . اما المخطوط الذي بين ايدينا فنكاد نقطع انه نسخ في حياة الوادي اشي أي في النصف الاول من القرن الثامن . والذي حدا بنا الى هذا انه لم يترحم عليه وهو قد مات في آخر العقد الخامس من القرن الثامن .

ويمتاز هذا الاثر بكونه افريقيا بحتا ويزيده قيمة في أعين الباحثين انه يتضمن ذكرى الوادي آشي الذي امتاز برواية الموطن . وانا في هذه الالمامة نستعرض الى ترجمة صاحب الخط وشيخه الذين أجازاه بالكتاب .

فصاحب الخط هو حسن بن خلف الله الى آخر نسبه كما تراها بخطه في خاتمة المقال . وتسميته بحسن هو الموجود بالوفيات لابن قنفذ وذيل الديباج في نسخه المطبوعة . لكن النسخة التي عندي منه الديباج وهي بخط مؤلفها بها حسين « مع الشكل » والظاهر ان مؤلفها كتبها حسن ثم أصلحها بحسين ولا مربة انه خطأ ، فان الخط الذي نشره به حسن لا حسين . وايضا ان ابن قنفذ وهو تلميذه ذكره باسم حسن .

ومترجما هو ابن عم حسن بن ابي القاسم الذي ترجم له شيخنا حفظه الله في قضاة افريقية . وقد اشتركا في الاسم والكنية فكما سميا بحسن فكلهما يكنى بابي علي وهما من العائلة الباديسية . وقد نبغ منها افراد ألقوا وصنفوا ولم يزل العلم في اعقابهم .

وقد أخذ مترجما عن كثير من أهل المغرب والمشرق . والذين أخذ عنهم من أهل المغرب الوادي اشي وابن غريون (١) . وابن مرزوق وابن عبد الرزاق أي محمد بن علي (٢) وابو البركات ابن الحاج البلقيني وابو عبد الله بن سعيد الرعيني وابو علي بن البحر وابن عبد السلام . هذا ما ذكره صاحب نيل الابتهاج وقد بقي عليه من شيوخه احمد ابن احمد الغبريني . ومن أهل المشرق أمير الدين ابو حيان . وله رحلة الى الحجاز وقد ذكر ابو زكرياء السراج انه لقي في رحلته اعلاما وأخذ عنهم وأجازوه .

وقد امتاز مترجما بكونه من رجال الحديث ولعله أظهر معارفه لان ابن الخطيب يقول وروينا عنه الحديث وغيره . وايضا ان الذين روى عنهم جلهم من رجال الحديث كابن زرقون الذي قال فيه

(١) هو محمد بن محمد بن غريون البجائي توفي سنة ٧٣١ « الوفيات ص ٥٤ وذيل الديباج

ص ٢٣٢ »

(٢) هو القاضي الراوية ابو عبد الله محمد بن علي بن عبد الرزاق المتوفى سنة ٧٥٨ « الوفيات

ص ٥٧ »

ابن الخطيب له سند صريح وقلم فصيح وابن غليوق الذي قال فيه المشيع بالرواية السالك مسلك الدراية . ومما يزيدنا ايقانا عنايته بكتاب كشف المغطى لانه من كتب الشرف الديمياطي الذي اشتهر في القرن الثامن من بين رجال الحديث شهرة فائقة حتى وصفه ابو حيان بحافظ المشرق والمغرب وحلله ابن شاكر في فوات الوفيات بعلم المحدثين . وكل من يريد الانتظام في سلك المحدثين يجمل به ان يتصل بالديمياطي . وقد انفرد صاحبنا من بين الذين ترجحوا للديمياطي بذكر أكثر كتبه حتى الحافظ ابن حجر .

وهذه العناية من ابن باديس تدلنا على ولم اهل المغرب بالحديث ورجاله خلافا لما يذكره الحافظ الذهبي في كتابه طبقات الحفاظ فانه قد وسم اهل المغرب بقلعة البضاعة الحديثة . وليس لاهل المغرب من اهل الحديث ابن باديس فحسب فهناك ابن غريون وابن عبد الرزاق الغبريني والوادي آشي وابن هارون وابن الغماز ومن لف لفهم .

ولعل شغل مترجما بالعلوم الحديثة دون صرف المهجة الى العلوم الفقهية هو الذي حال بينه وبين توليته القضاء بالحاضرة الافريقية كابن عمه . ولكنه نال قضاء قسنطينة ومات وهو قاض بها .

مولده سنة سبع وسبعمائة ووفاته سنة اربعة وثمانين وسبعمائة . واما شيخه الوادي آشي فهو محمد بن جابر بن قاسم بن محمد بن احمد القيسي - الوادي آشي التونسي المالكي ولد سنة ثلاث وسبعين وستمائة في حمادى الآخرة بتونس ، سمع من ابن الغماز وابن عبد الرقيق والبطرني وغيرهم مما يطول بنا جلبهم . رحل الى المشرق مرتين الاولى في حدود العشرين والثانية سنة اربع وثلاثين . وكان عارفا بالنحو واللغة والحديث والقراءة استكثر من الرواية وأكثر من ذلك حتى صار راوية الوقت . واشهر مروياته كتاب الموطا حتى كادت لا تعرف روايتها من غير طريقه . فهذا الشيخ احمد النخعي المتوفى سنة ١١١٤ في كتابه بغية الطالبين لبيان المشائخ المحققين المعتمدين قد ذكر فيه سنده لملك المتصل بالوادي آشي وكذا في كتاب قطف الثمر في رفع اسانيد المصنفات في الفنون والاثار صالح الفلاني المتوفى سنة ١٢١٨ . وكذا في الامداد بمعرفة علو الاسناد لعبد الله بن سالم البصري المكي ويريوي الوادي آشي الموطا عن ابي محمد (١) عبد الله بن هارون عن ابي القاسم احمد بن يزيد القرطبي عن محمد بن عبد الرحمن بن عبد الحق الخزرجي عن محمد بن فرج مولى ابن الطلاع عن ابي الوليد بن عبد الله بن مغيث الصفار عن ابي عيسى يحيى بن يحيى عن عم ابيه عبيد الله بن يحيى عن ابيه يحيى بن يحيى عن مالك بن انس رضي الله عنهم اجمعين .

وشيوخهم الذين يروي عنهم الموطا ابن الغماز وابن هارون وكلاهما تونسي .

(١) في نور الحدائق في اجازة الشيخ الصادق لشيخنا الرحالة العلامة النظار الشيخ عبد الحفي الكتاني ابو عبد الله واظن ذلك سبق قلم لانها كنية ابن هارون المفتي (ونور الحدائق اجازة من الشيخ المذكور للعلامة الاستاذ الامام المحدث شيخنا ومفيدنا المرحوم محمد الصادق النيفر نور الله ضريحه وهي تقع في جزء لطيف

اما ابن الغماز فهو قاضي القضاة بتونس احمد بن محمد المعروف بابن الغماز توفي سنة ثلاث وتسعين وستمئة ترجم له في عنوان الدراية ص ٧٠ والدياج ص ٧٧. واما ابن هارون فهو غير ابن هارون المفتي ان الاخير ابو عبد الله محمد بن هارون شارح المختصرين وقد توفي سنة خمسين وسبعمئة .
واما صاحبنا فهو ابو محمد عبد الله ابن هارون بن محمد بن عبد العزيز الطائي القرطبي نزيل تونس . كان اماما فاضلا كاتباً مسنداً وعمر واخذ الناس عنه كثيراً وتوفي سنة اثنى وسبعمئة ودفن بالزلاج بتونس (الدياج ص ١٤٣) وزاد في الدرر الكامنة ان به تشيعا وانحرافا عن معاوية واختلط في آخر عمره (الدرر ص ٣٠٣ - ج ٢)

وذكر صاحب الدياج ان الوادي آشي له اسانيد كتب المالكية يروها الى مؤلفيها . وقد ظفرت بعض اسانيد في قبرست الشيخ محمد القادري في سند رسالة الشيخ ابن ابي زيد . وتوفي الوادي آشي سنة تسع واربعين وسبع مائة في الطاعون العام (١) ترجم له ابن فرحون في الدياج ص ٣١١ وابن حجر في الدرر الكامنة جزء ٣ ص ٤١٣ .

واما الشيخ احمد الغبريني (٢) فهو احمد بن احمد بن عبد الله الغبريني وهو ابن صاحب عنوان الدراية (٣) قال صاحب نيل الايتام في ترجمتنا انه ابن صاحب العنوان وهو ابو القاسم (٤) التونسي فقيها ومفتيا اخذ عن ابن عبد السلام وطبقته تولى الفتيا بتونس قال فيه ابن علوان : العلامة المشاور الثبت الراوية المدرس المفتي الخطيب ذو الخطط الشرعية توفي بعد السبعين والسبعمئة . وفي شجرة النور الزكية سنة اثنى وسبعين وسبعمئة .

ولعلي قد افضت بعض الافاضة وما ذاك الا لان الموضوع حري بالناية والتدقيق ويتصل بالتاريخ التونسي وخصوصا بالناحية الحديثة منه التي قد طمس الدهر صواها حتى اننا لا نعرف عنها الا النزر اليسير . ومن جراء ذلك ظن الناس ان العصر الحفصي عصر جمود على العلوم الفقهية لا يتجاوزها اهله الى غيرها . مع ان هناك رجالا قد ولوا وجوههم شطر علم الحديث وغيره مما سترفع القناع عنه في بحوث اخرى ان شاء الله . ونض المثال كما تراه بالصفحة التالية :

الحمد لله تعالى دائما هذا الشيخ الامام شيخ دار الحديث بالقاهرة شرف الدين ابو محمد عبد المؤمن مؤلف هذا المجموع في الصلاة الوسطى الذي ذكر فيه سبعة عشر قولاً في تعيينها المذكور نسبة اعلى . مولده في اخريات ذي الحجة عام ثلاثة عشر وستمئة وقيل في محرم اربعة عشر وله من التأليف جملة منها معجم شيوخه الذين لقبهم واخذ عنهم بالحجاز والشام والجزيرة والعراق وديار مصر وغيرها في سفرين يزيد عددهم على الف شيخ وثلاثمئة شيخ ومنها كتب الاربعةين الموافقات العوالي وكتب الاربعةين السبايعات الابدال وكتب المائة التساعية الابدال وكتب المصافحات وكتب فضل قبائل الخزرج وكتب الذكر والتسبيح اعقاب الصلوات وتوفي فجر يوم الاحد الخامس عشر لذي قعدة عام خمسة وسبعمئة ودفن من الغد بظاهر باب النصر وصلى عليه قاضي القضاة (بدر الدين) ابو عبد الله محمد

(١) وهو الطاعون الجارف الذي مات فيه اعلام منهم ابن عبد السلام وابن هارون . وبسبب فتنة هذا الوباء في الفرار ممن مرض به الف بعضهم المسنون في احكام الطاعون

(٢) الغبريني نسبة الى بني غبري بطن من القبائل البربرية

(٣) التحقيق ان صاحب العنوان توفي سنة اربع وسبعمئة . ومما لا ريب فيه انها لم تكن سنة ٧١٤ خلافا لما في شجرة النور الزكية . لان صاحب الدياج ذكر انه توفي سنة اربع وكذا ابن قنفذ في الوفيات وهو من فقهاء افرقية لا من فقهاء فرع فاس لان بجاية كما يقول العمري في مسالك الابصار انها ثانية تونس والعاصمة الثانية لافريقية

(٤) الذي في خط ابن باديس ابو البركات ولعله هو الصواب فان اهل مكة ادرى بشعابها .

فهرس عام للمجلد الرابع من المجلة الزيتونية

مرتبة مواضعه على حروف الهجاء

الجزء	الصفحة	الموضوع	صاحبه
		« حرف الهمزة »	
اول	٣	الاسلام يدعو الى مكارم الاخلاق	محمد الشاذلي ابن القاضي مدير المجلة
اول	١٧	الاسلام دين التوحيد	محمد الهادي ابن القاضي امين المجلة
ثالث	٢٦	الاسلام دين وحدة واتلاف	محمد الهادي ابن القاضي امين المجلة
ثالث	٧٢	امانة الرسول وحفظه للعهد	محمد الشاذلي ابن القاضي
ثالث	٩٩-٨٨	اعجاز القرآن	العالم الفاضل الشيخ علي النيفر المدرس من الطبقة الاولى بجامع الزيتونة
رابع	١٦٥		
سادس	١٧٣	انقراض طبقة من اهل العلم والفضل	العالم المؤرخ امير الامراء سيدي محمد بن الخوجة مستشار الحكومة التونسية
سادس	١٧٨	اثر تاريخي معاصر لجامع الزيتونة	الاستاذ الاثري امير اللواء السيد حسن عبد الوهاب رئيس الخزنة العامة للحكومة التونسية
ثامن	٢٣٥	الامر بالمعروف والنهي عن المنكر	محمد الهادي ابن القاضي امين المجلة
ثامن	٢٤٣	ابواب تونس	العالم المؤرخ امير الامراء سيدي محمد بن الخوجة مستشار الحكومة التونسية
تاسع	٢٧٩	الازدواج	العلامة النحرير الشيخ الناصر الصدام المدرس من الطبقة الاولى بجامع الزيتونة
		« حرف الباء »	
اول	٧	باب من لم يدع قول الزور والعمل به	المنعم الشيخ محمد ابن القاضي
		« حرف التاء »	
رابع	١٩٢-٩٤	تفسير آيات من سورة قد افلح	محمد الشاذلي ابن القاضي مدير المجلة
سابع	٢٦٣		
تاسع	٣٩٢		
سادس	١٦٠	تفسير قوله تعالى : يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم	محمد المختار بن محمود رئيس قلم تحرير المجلة
ثامن	٢٢٦	تفسير الآيتين - ٢٨ - ٢٩ - من سورة الفتح	محمد المختار بن محمود رئيس قلم تحرير المجلة
رابع	١١٩	تهنئة الامير الجليل (قصيدة)	الاديب الفاضل الشيخ محمد المقداد الورتاني
سابع	١٩٩	تحريم الخمر في الشريعة الاسلامية والشرايع السابقة	العلامة النحرير الشيخ ابراهيم النيفر المدرس من الطبقة الاولى بجامع الزيتونة والمدرسة الصادقية

الجزء	الصفحة	الموضوع	صاحبه
خامس	١٢٦	توفي الله عيسى عليه السلام ورفع له اليه ونزوله آخر الزمان	العلامة النحرير الحجة الشيخ سيدي البشير النيفر المفتي المالكي والاستاذ بجامع الزيتونة
خامس	١٥١	تاريخ هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم من مكة الى المدينة	الفاضل البجائي الشيخ محمد المقداد الورتاني
		« حرف الجيم »	
عاشر	٣٠٥	جامع الزيتونة في سمر ضباط الجيش	العالم المؤرخ أمير الامراء سيدي محمد بن الحوجة مستشار الحكومة
		« حرف الحاء »	
سادس	١٦٨	الحلال بين والحرام بين	محمد الهادي ابن القاضي امين المجلة
سابع	٢٠٤	حكم شتم الدين	صاحب الفضيلة العلامة النحرير الشيخ سيدي محمد البشير النيفر المفتي المالكي
سابع	٢٠٦	حكم مخاطبة المرأة للاجنبي	»
سابع	٢٠٧	حكم تزوج الاخ بزوجته اخيه بعد فراقه لها	»
سابع	٢٠٧	حكم حلق اللحية	»
سابع	٢٠٧	حكم من افطر في رمضان	»
سابع	٢٠٨	حكم الاتجار في الخنزير	العلامة النحرير الحجة الشيخ سيدي الخطاط بوشناق المفتي الحنفي
	٢٠٨	حكم القاضي في وقف جعل الامير النظر فيه لقاضي آخر	المنعم المبرور الشيخ احمد كرم شيخ الاسلام في عصره
	٢٣٩	حكم الحاكم اذا عرض على حاكم غيره هل يصح للاول تقضه	المنعم المبرور الشيخ اسماعيل التميمي باش مفتي كان في عصره
ثامن	٢٤٢	حكم بيع العنب لمن يعلم انه يعصره حمرا	صاحب الفضيلة الشيخ محمد البشير النيفر المفتي المالكي
		« حرف الحاء »	
سابع ثامن	٢٣١ - ٢٣٧ ١٩٥	خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم خطاب الاستاذ الاكبر في حفلة ختم السنة الدراسية بجامع الزيتونة	العلامة النحرير الحجة صاحب الفضيلة الشيخ سيدي البشير النيفر المفتي المالكي العلم الهمام صاحب الفضيلة الشيخ سيدي محمد العزيز جعيط شيخ جامع الزيتونة وفروعه
عاشر	٣٨٧	خاتمة المجلد الرابع الخطب الجمعية وواجب الائمة	المرشد الواعظ الشيخ الحيلاني حمزة امام جامع الحنفية بالمهديّة

الجزء	الصفحة	الموضوع	صاحبه
		« حرف الدال »	
ثاني	٣٤	الدين النصيحة	العلم الهمام صاحب الفضيلة الشيخ سيدي
ثالث	٦٦		محمد الطيب بـيرم شيخ الاسلام الحنفي
اول	١١	ديوان الورغي	نشرت المجلة
ثاني	١٥		
ثالث	١٩		
تاسع	٢٨٧		
سابع	٢١٩	دار العقاف	الموقر المحترم السيد اسماعيل بن الحفصية
			عامل سوق الخميس
		« حرف الـذال »	
سابع	٢٢١	ذكرى مولد الرسول صلى الله عليه وسلم (قصيدة)	العالم الاديب الشيخ علي النيفر المدرس بجامع الزيتونة
		« حرف الراء »	
الثاني	٥٤	الرجل الذي قضى في خدمة العلم وبثه في صدور الرجال ثمانين عاما (ترجمة الشيخ ابن مراد)	محمد المختار بن محمود رئيس قلم التحرير
رابع	١٠٥	الرجاء والخوف	العلامة التحرير الشيخ التادق المحرزي
ثامن	٢٣٩	رسالة في حكم الحكم اذا عرض على حاكم غيره	الاستاذ بجامع الزيتونة
ثامن	٢٥٤	رثاء الشيخ عبد العزيز الباوندي	للعلامة التحرير الحجة الشيخ اسماعيل التميمي باش مفتي كان رحمه الله
الثاني	٥٦	رثاء شيخ الجماعة	الفاضل الاديب الشيخ العروسي العبادي
تاسع	٢٧٥	رسالة في تطبيق النظر الشرعي على ما جاء به النظام الدولي	العالم المدرس الشيخ الطاهر القصار
تاسع	٢٨٣	رجال الاربعين اصحاب الامام الشاذلي	المعلم المبرور العالم الحجة الشيخ احمد كريمة
عاشر	٣١٢		شيخ الاسلام سابقا
عاشر	٣٠٠	رجب	العالم المؤرخ امير الامراء سيدي محمد بن الخوجة مستشار الحكومة
			العالم الواعظ الشيخ احمد المهيدي النيفر المدرس بجامع الزيتونة
ثالث	٨٢	سؤال وجوابه في استئذان شيوخ الشرع عند كتب وثيقة الوقف	العلامة المقدس المبرور الشيخ احمد بن الخوجة شيخ الاسلام في عصره
ثالث	٨٢	سؤال وجوابه في الحاضنة اذا اختلفت مع اب المحضون في مكان ختانه	المقدس المبرور الشيخ احمد كريمة شيخ الاسلام كان

الجزء	الصفحة	الموضوع	صاحبه
		« حرف الشين »	
اول	٧	شرح حديث : من لم يدع قول الزور والعمل به	العلامة النحرير المنعم الشيخ محمد ابن القاضي
ثاني ثالث	٦٦-٣٤	شرح حديث : الدين النصيحة	العلم الهام صاحب الفضيلة الشيخ سيدي محمد الطيب بيرم شيخ الاسلام الحنفي
رابع	١٠٥	شرح حديث : الرجاء مع الخوف	العلامة النحرير الشيخ السادق المحرزي الاستاذ بجامعة الزيتونة
خامس	١٣٢	شرح حديث : فضل من علم وعلم	محمد الشاذلي ابن القاضي مدير المجلة
سادس	١٦٨	شرح حديث : الحلال بين والحرام بين	محمد الهادي ابن القاضي أمين المجلة
سابع ثامن تاسع	١٩٥ ٢٣١ ٢٦٧	شرح حديث : خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم	العلامة الحجة صاحب الفضيلة الشيخ سيدي محمد البشير النيفر المفتي المالكي
عاشر	٢٩٦	شرح حديث : شعب الايمان	محمد الهادي ابن القاضي أمين المجلة
رابع	١١٣	الشهادة في الوقف بالتسامع	المنعم المبرور الشيخ سيدي الشاذلي ابن القاضي من كبار العلماء في عصره
		« حرف الصاد »	
تاسع	٢٧١	صوت الضمير	محمد الشاذلي ابن القاضي مدير المجلة
		« حرف العين »	
اول-ثاني	٤٥-٢٣	عقود الانكحة بتونس	امير الامراء سيدي محمد بن الحوجه
ثاني	٥١	العبد	محمد الشاذلي ابن القاضي مدير المجلة
رابع	١١٥	عادة تقبيل اليد	امير الامراء سيدي محمد بن الحوجه
سابع	٢٠٩	عصمته صلى الله عليه وسلم وعبادته قبل البعثة	محمد الشاذلي ابن القاضي مدير المجلة
عاشر	٢٩١	العائل واللاحق
عاشر	٣١٢	عود للرجال الاربعين	امير الامراء سيدي محمد بن الحوجه
		« حرف الفاء »	
اول	٢	فاتحة المجلد الرابع	محمد الشاذلي ابن القاضي
رابع	١١٠	فضل الاكتساب ومذمة السؤال	محمد الهادي ابن القاضي أمين المجلة
عاشر	٣٠٣	في سبيل الاصلاح	المربي الواعظ الشيخ أحيلاي حمزة خطيب الجامع الحنفي بالمهديه

الجزء	الصفحة	الموضوع	صاحبه
اول ثاني ثالث رابع خامس	٢٧ - ٤٩ - ٨٧ ١١٩ - ٢٥٠	« حرف القاف » القضاة الشرعيون في القديم	صاحب الفضيلة الشيخ سيدي البشير النيفر المفتي المالكي
اول ثامن	١٥ ٢٥٢	« حرف الكاف » كيف أسس الامام الاعظم مذهبه كنز الادب (قصيدة)	محمد الشاذلي ابن القاضي مدير المجلة شيخ الادباء عامر بن هشام القرطبي الاندلسي
ثالث	٨٣	« حرف الميم » محنة اهل القيروان في عام ١٢٤٩	امير الامراء سيدي محمد بن الخوجة
ثالث	٨٨	موشح	ابن المعتز
ثالث	٨٩	موشح	ابن بقي القرطبي
ثالث	٩٠	موشح	علم الدين ابدمر
ثالث	٩٢	موشح	الشيخ العربي الكبادي
خامس	١٤٣	موشح	امير الامراء سيدي محمد بن الخوجة
سادس	١٨٢	موشح	الاديب الشيخ محمد المقداد الورتاني
ثامن	٢٤٢	معارضة قصيدة عامر بن هشام القرطبي	صاحب الفضيلة الشيخ محمد البشير النيفر
تاسع	٢٥٨	من المجلة الى قرائها	محمد المختار بن محمود رئيس قلم التحرير
تاسع	٢٧٢	مشكلة الزواج الكبرى المسلم من سلم المسلمون من يده	محمد الهادي ابن القاضي امين المجلة
ثاني	٤١	« حرف النون » نظام الزكاة والصدقة في الاسلام	محمد الهادي ابن القاضي امين المجلة
ثاني	٥٧	« حرف الواو » ولاية العلامة الشيخ محمد البشير النيفر مفتيا بالديار التونسية ونبذة من ترجمته	محمد الشاذلي ابن القاضي مدير المجلة
سابع	٢٢٢	ولاية عهد المملكة	المجلة
عاشر	٣١٣	وثيقة تاريخية من العصر الحفصي	العالم الباحث الشيخ الشاذلي النيفر المدرس بجامع الزيتونة